المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة

سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ١٠ "

الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا

١٢٦١هـ - ١٣٩٦هـ / ١٨٤٤م - ١٩٥٠م

إعداد

د / عمر سالم عمر بابكور

١٤١٨هـ

ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

بابكور ، عمر بن سالم بن عمر

الاسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا من عام ١٢٦١ - ١٣٦٩هـ / اشراف محمد سيد محمد . - مكة المكرمة .

٥٠٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٧ - ١٩٧ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - الاسلام والتنصير ٢ - المسيحية - افريقيا ٣ - الارساليات التنصيرية

أ - محمد ، محمد سيد (مشرف) ب - العنوان

ديوي ٢٧٥،٣٧ ١٧/٢٤١٨

رقم الإيداع : ١٧/٢٤١٨

ردمك ٧ - ١٩٧ - ٠٣ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العمل هو رسالة دكتوراه في « الإسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . قسم : الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

مقدمـــة

الحمـد للـه نحمـد ونسـتعينه ونسـتغفره ونعـوذ باللـه مـن شـرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومـن يضلـل فـلا هـادي لـه وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه وأن محمـدا عبـده ورسـوله ..

وبعـد ...

فقد وقـع اختيـاري علـى أن أتنـاول بالدراسـة تـاريخ منطقـة شـرق أفريقيـة الحديـث بتوجيـه مـن الموجـه المعين من قبـل القسم حيـث أن هـذه المنطقـة لـم تعـالج ولـم يتطـرق إليهـا إلا القليـل جـدا ، فضـلا عـن أن الأجـانب لا تخلـوا كتبهـم مـن تشـويه الحقـائق وتعصـب ذميـم مـوروث ، فوجـدت أننـي لابـد أن آخـذ بالنظريـة القائلـة بـأن توجـه البحـوث إلـى الجوانـب والأركـان التـي لـم تسلط عليهـا الأضـواء بعد ، من تـاريخ شـرق أفريقيـا فـي عصورهـا الحديثـة ، وكـان اختيـارا مبنيـا علـى أسـاس خطـة تكامليـة لتغطيـة تـاريخ الإسـلام ومـا واجـه مـن تحديـات فـي تلـك المنطقـة مـن شـرق إفريقيـة فـي العصـور الحديثـة، فهـي لـم تلـق حظـا مـن البحـث والتنقيـب ومـن ثـم اخترت موضـوع بحثـي لنيل درجـة الدكتـوراه عـن : " الإسـلام والتحـدي التنصـيري فـي شـرق إفريقيـة فـي الفـترة مـن ١٢٦١-١٣٦٩هـ / ١٨٤٤ - ١٩٥٠ " حيـث أن هـذا الموضـوع لـم يـدرس مـن

قبل بطريقة علمية موضوعية هذا بالإضافة إلى ندرة الكتب باللغة العربية عن شرق إفريقية إذا استثنينا بعض كتب الرحلات وهي غالباً لا تكون مستوفاه في حين توفر الكثير من الكتب التي صدرت باللغات الأوروبية في هذا الموضوع وهي كتب كما أسلفت لا تخلو من تسوية للحقائق في أكثر أحوالها ولا تخلو من تعصب موروث .

ويقصد بشرق إفريقية في هذا البحث المنطقة التي تشغلها الآن دول كينيا وأوغندا وتنزانيا وهي مساحة هائلة من الأراضي حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع ، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالا في دائرة عرض ١٠ درجة جنوبا كما تمتد بين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة وشرقا ، وسميت المنطقة شرق إفريقية لأن الطابع الذي يميزها تستمده من موقعها الجغرافي في شرق القارة .

وكانت بداية الحملات التنصيرية في شرق إفريقية واكبت بداية الاستعمار الأوروبي لهذه المنطقة إذا كانت الكنائس ، وهيئاتها التنصيرية تمهد الطريق لاستعمار البلدان الإفريقية ، ولتحارب العقائد والديانات السائدة فيها ، ولتهيئ النفوس للخضوع للإستسلام ، والرضا بالأمر الواقع ، وتنفيذاً لهذه الغاية ووصولا إلى بسط السيطرة على القارة الإفريقية شكلت عدة تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى في ظاهرها إلى تقديم خدمات إنسانية لأهالي المنطقة ، وفي باطنها إلى

بث السموم التنصيرية في نفوسهم ، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها وإعتقادتها الروحية إلا أنها تتحد في غايتها المنشودة ، ألا وهي نشر المسيحية في المناطق المستعمرة ، بغية رضوخها للسيطرة الاستعماري ، وما أن تأسست تلك الجمعيات التنصرية في الغرب حتى نشطت في بث مفاهيمها ومعتقداتها بين أبناء القارة ، وانتشرت في المجتمعات الإسلامية بمساعدة الحكومات الاستعمارية ، وهذا يخالف نشر الدعوة الإسلامية ، فالدعوة الإسلامية انتشرت في أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة إلى النصرانية فإنها اعتمدت على قوة السلاح في أغلب الأحيان وقوة المال حيث تحشد طاقات هائلة ومنافع مادية لاجتذاب الأهالي ويدرك النصارى أن دعوتهم بدون هذا لا يمكن أن تصل إلى الشعوب أو تجد معتنقين جدداً، كما يصرح أحدهم إذ يكون إن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية ، بل اعتمد نشر الدعوة الإسلامية على جهود فردية ، إن التحديثات التي يواجهها المسلمون في شرق افريقية كثيرة ومتشعبها منها :

اصطياد الشبان المسلمين في المجال التعليمي والحرف اليدوية.

التي قد تساعده في معيشته في المستقبل ومن أجل تحقيق ذلك فتحت المدارس المتطورة ، التي تقبل فيها كل طالب بدون استثناء لتسهل له كل وسائل التعليم والتدريب المهني من ناحية ، وإفساده أخلاقيا بدعوى التمدن والتطور ، من ناحية أخرى ، ومن هنا يبتعد هؤلاء عن قيم الإسلام وأخلاقياته السامية فتصبح المحرمات شيئاً مألوفا ، بوصفها نوعا من التمدن والتطور بالإضافة إلى الإعراض عن الواجبات ، حتى لم يبق من صفات الإسلام إلا الاسم (١) .

إجتذاب بسطاء المسلمين إلى الأقتراب منهم وغرس روح المودة فيهم ، وإغراء بعض الشباب للدخول في حظيرتهم لأنهم يقومون في نفس الوقت ببناء المدارس والمستشفيات المتطورة المزودة بأحدث المعدات ، والملاجئ وقبول الأيتام والمعوقين فيها بجانب توزيع الطعام والكساء على الفقراء (٢) .

ويمكن مشاهدته تقدم النشاط التنصيري من خلال تشييد الكنائس المختلفة في كافة أرجاء مناطق شرق إفريقية ، في المدن

---

(١) هذا ما شاهدته أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها لمناطق شرق إفريقية وخاصة في نيروبي حيث ذهبت إلى جامعة نيروبي وشاهدت بنفسي إختلاط الشبان بالشابات في الحديقة وإرتكاب المحرمات على مرأى من الناس بلا حياء أو خجل .

(٢) هذا ما شاهدته أثناء رحلتي العلمية التي قمت بها إلى كينيا وخاصة في نيروبي إذا أنشأوا ملجأ إسمه مامنجينا ، حيث وفروا فيه جميع وسائل الراحة .

والقرى حتى في القرى الإسلامية بدأ تشييد الكنائس ، ومن هنا ندرك مدى التطور النشاط التنصيري ، وقد يشاهد الإنسان كنائس في الأحياء الإسلامية من مدن البلاد ، وقد يحاط المسجد الواحد بعدة كنائس أو مدارس تنصيرية وتعد هذه أهم المشكلات التي تواجه المسلمين ، وهي عملية بناء الكنائس في قلب الأحياء الإسلامية ، وكثير منها بجوار المساجد وقد يتم بناء كنيسة في الأماكن التي لا يعيش فيها أي مسيحي ، اللهم إلا بعض الموظفين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ، ويتم استخدام المسيحيين إليها من المناطق الأخرى عند إقامة القداس الديني ومما لا شك فيه أن هذه الأوضاع تؤلم المسلمين حتماً ، لأن تلك التصرفات لا تراعي مشاعر المسلمين من ناحية ، وتؤثر سلباً في معنوياتهم من ناحية أخرى ، إن القيام بدراسة شاملة لمشاكل المسلمين أمر تفرضه علينا الأخوة الإسلامية ، لأن دراسة المشاكل من أساسها قد تفتح الطريق أمام تشخيص لب المشكلة ، حتى يمكن معالجتها على أساس تلك الدراسة ، وبذلك قد نصل إلى العمل المثمر المرجو لمساعدة إخواننا المسلمين في شرق إفريقية ، وإذا كانت هناك دول إسلامية تتطلع إلى التضامن الإسلامي فإن من واجب الأفراد أيضا فيما بينهم لحماية أبناء المسلمين من الضياع ، خاصة في مجال تعليم المبادئ الإسلامية وتلقين العقيدة

الصحيحة الخالية من الشوائب والرواسب الدخيلة ، التي تسللت إلى الإسلام ، وهي خارجة عنه والإسلام برئ منها ، خاصة في هذا العصر الذي كثر فيه أعداء الإسلام .

إن ما تحتاجه الشعوب الإسلامية في هذه المنطقة اليوم هو الوعي الصحيح بدينها وقيمها الإسلامية ، وتأكيد انتمائها إلى الأمة الإسلامية ذات الحضارة العريقة ، وهناك فرصة عظيمة لتقديم الحقائق عن الإسلام في نطاق العمل الجاد ، لإطلاع الشعوب الإسلامية في المنطقة على تاريخ الإسلام الحقيقي عن طريق التدريس في المدارس والمعاهد وعن طريق الندوات العلمية ، أو مؤتمرات إقليمية لطرح حقيقة الإسلام ، وحضاراته في الماضي والحاضر ، وندوات تقدم صوراً حية واقعية للإسلام والمسلمين وأن تتوفر فيها وسائل حديثة تنقل إلى الكثيرين ، وأن تبذل الجهود في سبيل نشر الدعوة لحماية المسلمين أو لا ، ونقل الدعوة إلى مسامع الآخرين بتوفير كافة الوسائل المتاحة لذلك .

وينبغي أن يضع كل مؤرخ نصب عينيه أن المعركة التي شنها الاستعمار هدفها محو تراثنا وتشويه تاريخنا في أكثر من بقعة في العالم شرقية وغربية وهي نفس المعركة التي نعيشها اليوم ، وإذا كانت تلك المعارك وعلى اختلاف أشكالها وتباين أساليبها قد ساعدها

من قريب أو بعيد أولئك الذين اعتنقوا المبادئ الدخيلة على الإسلام ، أو أعداء الدين الحنيف فإن الخطر الذي ينجم عن مكايدهم أمر لابد من الإحاطة بأساليب نشاطهم فيه ، ولابد من الإحاطة بأساليب نشاطهم فيه ، ولبى من إدراك فعالية هذه الأساليب ، فهذه معالم الإسلام في إفريقية الشرقية تتمحي يوما بعد يوم ، فحكومة إسلامية هي سلطنة زنجبار بعقيدتها ودستورها تم محوها تماما من الخارطة في صيف ١٩٦٤م .

إن منطقة شرق إفريقية تعرضت للهجمة الصليبية الاستعمارية منذ منتصف القرن الماضي ، ومن الواضح أن المنصرين والسلطات الاستعمارية كانا يعملان جنباً إلى جنب في تناسق وتضامن تام ، وقد كانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا من أكثر المعارضين لامتداد النفوذ الإسلامي في إفريقية وبخاصة في الشرق الذي تميز بموقع إستراتيجي فيه بالنسبة لأطماع الدول الاستعمارية ، وبالتالي كانت الإرساليات التنصيرية هي مقدمات الاستعمار وتوابعه المهدة له وقد اعتمد عليها في تركيز وجودة ليس فقط في خلال فترة الاحتلال بل لاعداد ركائز تبقى بعد جلائه عن طريق أجيال تستقطب مفاهيمه وقيمه ، ولعل من أخطر الأهداف التي

أولتها حركة التنصير أهمية قصوى هو عزل الأمة الإسلامية عن ثقافتها وذاتيتها ومزاجها النفسي.

وهكذا نفذت خطوات الاستعمار ومخططاته الواحدة تلو الأخرى حتى تقلص الحكم العربي في منطقة الشرق الإفريقي ، لذلك كان من الطبيعي أن تقوم حركات مقاومة ضد هذا الاستعمار الصليبي.

وليس كل هذا الذي أشرت إليه سوى بعض ما يجب أن تبادر إليه الحكومات والهيئات في العالم العربي الإسلامي بالنسبة إلى الشعوب الإفريقية ، كي تستطيع أن تقف في وجه الزحف الصهيوني والشيوعي ، وأن تنهض وتقضى على التخلف وإن لم تسارع إلى ذلك فلن تكون إفريقية قد ربحت شيئا من استقلالها وستكون النتائج كأسوأ ما تكون لا بالنسبة إلى الأفارقة فحسب ، وإنما بالنسبة إلى المسلمين جميعا ، قال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ، وقال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد لاواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتي لهذا البحث من منابعه الأصلية التي تتمثل في الوثائق الإنجليزية والوثائق الموجودة في منطقة شرق إفريقية ، وكذلك المصادر والمراجع الأجنبية ، فضلا عن المراجع العربية وخاصة كتب الرحالة والباحثين المعاصرين لتلك الأحداث ، فقمت برحلة علمية إلى لندن وتمكنت بفضل الله من الحصول على كثير من الوثائق الأصلية والمصادر من:

محفوظات السجلات البريطانية العامة

Public Record Office

المكتبة البريطانية

The British , Reference Division

ومحفوظات جمعية الكنيسة التنصيرية

Church Missonary Society

وأخذت في اعتباري أن الوثائق البريطانية ليست مما لا يرقى إليها معينة ، إلا أنها مع ذلك تحمل في طياتها معلومات هامة ، فترجمتها بدقة وعناية ، وتفحصت ما تحويه ، وما تهدف إليه ، وأخذت ما يفيدني منها في بحثي ، ثم عرجت في رحلتي العلمية تلك إلى نيروبي ، حتى قمت بزيارة إلى جامعة نيروبي وتمكنت بفضل

الله من الحصول على الكثير من المصادر والمراجع الأصلية الهامة المتعلقة بموضوع البحث ، ثم عرجت على المحفوظات الوطنية الحكومية كينيا

Kenyq - National Archives

للإطلاع على الوثائق الموجودة هناك ومن نيروبي سافرت إلى ممباسا التي تبعد عنها حوالي خمسمائة كيلو متر وهي على الساحل حيث أن موضوع البحث يتطلب مني الوقوف على رأي العلماء والدعاة في الساحل من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ، فقمت بزيارة لعدد كبير من الدعاة والجمعيات الإسلامية الموجودة في الساحل ، في ممباسا وماليندي ولامو ، وكان من ضمن الجمعيات الغسلامية التي قمت بزيارتها أثناء رحلتي العلمية جمعية أنصار المسلمين من ممباسا قد تمكنت من مقابلة رئيس الجمعية الشيخ عوض مبارك باخميس ، وهو من مواليد ممباسا عام ١٩٢٥م ، وبعد أن وقفت منه على معلومات عن نشاط الجمعية ، وعن موقف الدعاة في الساحل من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ، حثني بالعودة إلى نيروبي للإطلاع في المحفوظات الوطنية على المزيد من الوثائق والمصادر التي تتناول التنصير في شرق إفريقية ، وتوسط لي الشيخ الجليل لدى إمارة

ممباسا للسماح لي بتصوير بعض الوثائق الموجودة في المحفوظات الوطنية في نيروبي ، ثم ذهبت إلى ماليندي التي تبعد عن ممباسا حوالي مائتي كيلو متر وتمكنت بفضل الله من إجراء مقابلة مع بعض الدعاة ، ثم عرجت على جزيرة لامو ، التي تبعد عن نيروبي أكثر من ألف كيلو متر هناك ألتقيت بكبار الدعاة والعلماء في أقدم مسجد في لامو وهو مسجد الرياض الذي بناه عام ١٣٠٠هـ الشيخ صالح جمل الليل أحد كبار الدعاة والعلماء في المنطقة ، والذي يعيش أحفاده في لامو في الوقت الحاضر حيث يقومون بالتدريس في هذا الجامع أيضا في أقدم مدرسة في لامو وهي مدرسة النجاح .

ثم سافرت إلى دار السلام عاصمة تنزاينا حيث تمكنت بفضل الله وتوفيقه من مقابلة بعض العلماء والدعاة ، ووقفت على آرائهم من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية ومنهم الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي من مواليد دار السلام عام ١٩١٨م وهو رئيس جمعية المسلمين بتنزانيا .

ثم بعد ذلك عمدت إلى جمع بعض المعلومات من مراجع ، ومصادر عربية وإفرنجية ، مما استطعت الوصول إليه ، وقد حاولت جهدي أن أكون موضوعيا في بحثي فجاءت أحكامي علمية وموضوعية وابتعدت عن الجانب العاطفي في الموضوع، واعتمدت

في ذلك على الله سبحانه وتعالى ثم على ما توفر لدى من وثائق جيدة، ومصادر ومراجع أجنبية على درجة كبيرة من الوضوح والأتزان ، وأخضعتها جميعا للمقارنة والتحليل العلمي الخاص ، مستعينا بتوفيق الله ثم بمشورة وتوجيهات أستاذي الجليل المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / محمد سيد محد جزاه الله عني كل خير وتوفيق .

ومن أهم الوثائق التي أفادت البحث فائدة كبيرة تلك التي أحضرتها من محفوظات السجلات البريطانية العامة الخاصة بوزارة الخارجية البريطانية ، إذ وقفت على الكثير من الملفات والأفلام التي فيها رسائل وتقارير تخص موضوع البحث ، وقد تمكنت بفضل الله تعالى من تصوير معظم الرسائل والتقارير التي تتعلق بالبحث ، ومن هذه الرسائل والتقارير المرسلة من الخارجية البريطانية .

Foreign Office (F.O.)

F. O. 84/1575 , Kiro Granville , 19 Oct. 1888.

F. O. 403/93 , Kirk Earl Granville 28 May 1885.

F. O. 403 / 101 , Zanzibar and East African Trade May 1887.

F. O. 403/226 , Wissmann to Hardinge , 26 April 1896.

F. O. 403/ 196 , Colonel Colville to Hardinge 19 , 1894 August.

F. O. 84 / 1973 , Salibury to Euan - smith , I Feb. 1889.

وأيضاً هناك تقرير مرسل من سير جونستون Sir. H. Johnstion السفير من قبل الحكومة البريطانية في منطقة شرق إفريقية في ثلاثين صفحة ومحفوظ في وزارة الخارجية تحت رقم F. O. 403/127 حيث يبين لنا دور السياسة الإنجليزية في منطقة شرق إفريقية ، ودور العرب ومساهمتهم الطيبة في منطقة شرق إفريقية ، وبحق يعتبر هذا التقرير أفضل التقارير الأجنبية التي كتبت عن منطقة شرق إفريقية .

وأيضاً تقرير عن التعليم في شرق إفريقية [1] Report of the Comittee on Educational Policy

وقد كتبه عدة أشخاص هم : بل A.F. Bull ، ديكسون W.S. Cott Dickson ، جريفز L. B. Greaves .

حيث شرحوا فيه منجزات التعليم في شرق إفريقية خلال فترة الاستعمار وأوردوا عدداً من إحصائيات التي تبين فيها مقدار ما

---

[1] انظر ملحق رقم (١) .

صرف على الناحية التعليمية في سبيل تنصير شباب وشابات منطقة شرق إفريقية ، وذلك لإبعادهم على الدين الإسلامي .

وأيضاً تمكنت من الحصول على مخطوطة مصورة بالميكروفيلم في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٣٤٣ عن تاريخ عمان في شرق إفريقية ومساهمة البريطانيين في تأريخ المنطقة ، وفيها الوثيقة التي وقعها السلطان برغش مع القنصل البريطاني في شرق إفريقية جونكيرك John Kirk ، وقد أخذت صورة لهذه الوثيقة([1]).

ومن بعض الرسائل والتقارير التي تمكنت بفضل الله من تصويرها من وزارة المستعمرات Colonial Office واختصارها C.o. ما يلي :

C. O. 4816, Despatch Fro ; H. M. Agent and Consul Geseral at Zanzibar, 1909.

C. O. 688 , Zanzibar Government , Annual Report for 1910 and 1912.

([1]) انظر ملحق رقم (٢) .

وأيضـا الوثـائق والتقـارير الموجـودة فـي جمعيـة الكنيسـة التصيرية وهـي Church Missionary Society واختصارها C.M.S. مـا يلـي :

C. M. S. File on A5 / 017 , price to Hutchison 19 July 1873.

C. M. S. File on 1897 / 313 peel to Baylis 12 April 1901 .

C. M. S. Extracts , Annual Letters of Missionary, 1896.

C. M. S. Proceedings , 1911 - 1912 .

وأيضـا اعتمـد البحـث علـى مجموعـة مـن الوثـائق مـا يلـي :

K. N. A. Ed 1/431, Telegran Fro; Bleikie to Director of education , Nairobi.

K. N. A. Coast Province 20/136 Hardinge over Report, Nyikadistrict 13 November 1915.

K. N. A. Report , Kilifipolitical Records , Vol. II Annual Report 1910 - 1911.

K. N. A. Bishop W. G. Peel to Hatch , 27 August 1903.

وكانت هذه الوثائق خير معين للبحث لإجلاء كثير من الغموض في عدة جوانب مهمة لم تتطرق إليها المصادر العربية والمراجع الحديثة من قبل وتناولها الباحثون الأوروبيون بكثير من الأختصار وهذه الجوانب هي التفاصيل الدقيقة للتنصير في شرق إفريقية ، ومعاملتهم للمسلمين في الساحل ، وتفاصيل عمليات الغزو للأقطار الإسلامية ، وضراوة المقاومة الإسلامية التي واجهها الإنجليز والألمان أثناء الاحتلال ، وأعطت هذه الوثائق صورة واضحة عن عمليات القرصنة والنهب التي مارسها الإنجليز قادة وجنوداً ضد تجارة المسلمين ، كما أوضحت تلك الوثائق محاولات الدول الاستعمارية نشر النصرانية في ساحل شرق إفريقية بواسطة الجمعيات التنصيرية سواء أكانت بروتستانتية أم كاثوليكية وفشل تلك المحاولات لأن هدف تلك الجمعيات التنصيرية لم يكن دينياً فقط فالمبادئ التي جاءوا يدعون الناس إليها كانوا أبعد ما يكونون عن تطبيقها ، ولا شك أن جهل رجال الدين المسيحي وجمهرة المسيحيين بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرف العديدين عن المسيحية إلى الإسلام حتى إن قبائل مسيحية تحولت إلى الإسلام وإن بقيت أسمائها المسيحية تدل على دينها السابق .

وفـوق هـذا وذاك فـــإن سياســـة المســـيحيين التــــي أتبعوهـــا فـــي اضطهاد مخالفيهم في الدين أو المذهب ، وإجبار الوثنيين علـى التنصـر وأصحاب المذاهب المسيحية المخالفـة علـى اعتنـاق المذاهـب الأخـرى ، قد بغض هؤلاء جميعاً في المسـيحية ، وجعلهـم يتحولـون إلــى الإسـلام اعتصاماً بعدله وسماحته بـل إن المسلمين الذيـن أجـبروا علـى التنصـر ظلوا علـى ولائهـم للإسـلام واسـتغلوا كـل مـا أتيـح لهـم مـن إمكانيـات لنشـره (1) .

وأيضـاً أعتمـد البحـث علـى مجموعـة كبـيرة مـن المصـادر الإنجليزيـة الهامـة التي تتعلق بـالتنصير فـي منطقـة شـرق إفريقيـة ومـن أهـم هـذه المصـادر التـي اعتمـد عليهـا البحـث هـي كمـا يلـي : كتـاب كرايـف Krapf بعنـوان : Travels and Missionary Lab ours in East Africa, London , 1860.

حيث يعتـبر هـذا الكتـاب مصـدرا هامـا لأن مؤلـف هـذا الكتـاب هـو أول منصـر ألمـاني يدخـل منطقـة شـرق أفريقيـة ، مـن قبـل جمعيـة الكنيسـة التنصيرية ، ويعتـبر دخولـه للمنطقـة بدايـة العمـل التنصـيري فـي السـاحل الشـرقي لإفريقيـة ، وذلـك فـي ٤ ينـاير ١٨٤٤م .

(1) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين ، طبعة ثالثة ، سنة ١٩٧٠م ، ص١٤١ .

وأيضــاً كتــاب مكــاي Makay بعنــوان Mackay of Uganda by his Sister London , 1890.

حيــث بيــن لنــا دور الإرســاليات التبشــيرية فــي أوغنــدا ونشــاطها فــي نمطقــة شــرق أفريقيــة ومقاومــة العــرب فــي أوغنــدا .

وأيضــاً كتــاب لوجــارد Lugard بعنــوان: Our The Rise of East African Empire, two Volumes, London, 1893 .

وأيضــاً كتــاب Stock بعنــوان : Missionary Heroes of Africa, London , 1898.

وأيضــاً كتــاب Stock بعنــوان : Missionary Heroes of Africa , London , 1898.

حيــث يوضــح لنــا بعــض الأعمــال الإرســاليات التنصيريــة فــي إفريقيــة ، ويعتبر مصــدرا هامــا إذ أنــه عــاصر بدايــة الأعمــال التنصيريــة فــي منطقــة شــرق أفريقيــة .

وأيضــاً لــه كتــاب آخــر بعنــوان: The History to the Church Missionary Society Three volumes , London , 1899.

ويعتــبر هــذا المصــدر مــن أهــم المصــادر إذ أنــه يعطينــا تــاريخ أول بعثــة بروتوســتانتينية فــي منطقــة شــرق أفريقيــة ، وأيضــاً لأنــه عــاصر بدايــة دخــول هــذه الجمعيــة إلــى منطقــة شــرق إفريقيــة .

وأيضــــاً كتـــاب ألفريـــد تـــاكر Alfred Tuker بعنـــوان :

Eighteen Years in Uganda and East Africa , Two Volumes , London , 1908

حيــث يصــف لنــا الأحــداث التــي وقعــت فــي أوغنــدا مـــن قبــل الإرســاليات التنصيريــة ، وأيضــا المقاومــة العربيــة الإســلامية علـــى أيــدي بعـض أهـالي أوغنـدا .

وأيضا كتــاب زويمـر Zwemer , M, S.

بعنـــوان : Evan Gelism To-day Message not Method London, 1912.

حيــث بيــن لنــا دار الإرســاليات التنصيريــة فـــي جميـــع الحقـــول ومنهـا التنصـير عـن طريـق التعليـم .

وأيضــــاً كتـــاب ألفريـــد ســـوان Alfred Swan بعنـــوان :

Fighting the Slave - Hunters in Central Africa , London , 1910.

حيــث يبيــن هــذا المصــدر تجــارة الرقيــق ، وأحوالهــم فـــي كافــة إفريقيــة ويخصــص جــزءا مـن كتابـة عـن تجـارة الرقيـق فـــي منطقــة شــرق افريقيــة ، والأســلوب الــذي يعــامل بـــه الرقيــق ، ســـواء كــان ذلـــك مـــن الأوربييـن أم العــرب .

وأيضـا مـن المصـادر الهامـة التـي اعتمـد عليهـا البحـث كتـاب لوقت Lovett بعنوان: A History of the London Missionary Society London , 1899

حيـث أورد تفـاصيل بدقـة شـديدة عـن جمعيـة لنـدن التنصيريـة البروتسـتانتينية والتـي تعتـبر مـن إحـدى الإرسـاليات التنصيريـة التـي عملت فـي منطقـة شـرق إفريقيـة .

ويعتـبر هـذا المصـدر مـن أهـم المصـادر إذ أنـه عـاصر بدايـة دخـول هـذه الجمعيـة فـي منطقـة شـرق إفريقيـة .

وأيضـاً من المصـادر الهامـة كتـاب : بيرسـم Peursem بعنـوان: Doctor in Africa London , 1916.

ويعتـبر هـذا المصـدر مـن أهـم المصـادر الأجنبيـة فـي كشـف طبيعـة ومنـاهج العمـل التنصيري عـن طريـق الخدمـات العلاجيـة .

وأيضـاً من المصـادر الهامـة كتـاب : ولسـون Wilson بعنـوان : The History of the Universities Mission to Central Africa , London, 1935.

إذ يبيـن لنـا الكـاتب دور بعثـة الجامعـات البرتوسـتانتينية لوسـط إفريقيـة ، ويعتـبر هـذا المصـدر من أهـم المصـادر الإنجليزيـة التـي كتبـت عـن دور بعـض البعثـات التنصيريـة البرتسـتانتينية فـي أفريقيـة .

- The Britch Inti-Slavery Movement, London 1938 .

- The Exploitation East Africa 1856 - 1890 . York 1947.

وكلها تتحدث عن تاريخ إفريقية والأحداث التي حصلت فيه من قبل البرطانيين .

وأيضاً عن تجارة الرقيق ، ويعتبر هذان المصدران من الكتب العامة لأنه عاصر الأحداث .

ومن بعض المصادر العربية الهامة التي اعتمد عليها البحث هي كما يلي:

* تقي الدين المقريزي : الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام – طبعة مصر سنة ١٨٩٥م .

إذ بين لنا هذا المصدر الوجود العربي الإسلامي في شرق أفريقية والهجرات العربية في شرق أفريقية .

* القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، طبعة دار الكتب ١٩٣٩م .

يبين لنا هذا المصدرالهجرات العربية إلى شرق إفريقية وأيضاً الإمارات الإسلامية التي قامت فيها .

* جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتاريخية عن إفريقية الشرقية، نقله إلى العربية الأمير يوسف كمال ، طبعة سنة ١٩٧٢م .

يعتبر هذا المصدر من أهم المصادر ، حيث عاصر الأحداث والوقائع التي حدثت في منطقة شرق أفريقية سواء الوقوف ضد التجار العرب أو عرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي .

* وأيضاً مخطوط الشيخ حسن أحمد بدوي : عن تاريخ شرق إفريقية وقد تمكنت من تصوير صفحات المخطوط من نفس المؤلف ذلك أثناء زيارتي العملية التي قمت بها لجزيرة لامو التابعة لكينيا .

* وأيضاً مخطوط الشيخ صالح محمد علي بدوي : بعنوان الرياض بين ماضية وحاضره ، وهو من أحفاد الشيخ صالح جمل الليل الذي بنى أول مسجد في جزيرة لامو علم ١٣٠٠هـ أي قبل حوالي أكثر من ١٠٠ عام وسمي هذا المسجد باسم الرياض ، ويقال أنه من أحد أحياء حضرموت اسمه الرياض، وسمى هذا المسجد تيمنا به .

وأيضـاً أستعان البحث بعدد من العلماء والدعاة في الساحل الشرقي لأفريقية لذلك قمت برحلة علمية لمناطق شرق إفريقية في كينيا وتنزانيا ، وتمكنت بفضل الله تعالى من الاتصال بالعلماء والدعاة في تلك المناطق ووقفت على آرائهم من الغزو التنصيري في الساحل وزنجبار ، ومن ضمن الدعاة والعلماء :

الشيخ أحمد مشهور الحداد في ممباسا داعية .

الشيخ أمين على هناوي في ممباسا " رئيس جمعية الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا " .

الشيخ علي محمد عثمان الحداد في ممباسا " داعية في المسجد الهداية " .

الشيخ عوض مبارك باخميس في ممباسا " رئيس جمعية أنصار المسلمين " .

الشيخ أحمد عبد الرحمن المليباري في ممباسا " مدرس قرآن في المساجد وداعية إلى الله تعالى وأيضاً مدير مدرسة الفلاح الإسلامية في ممباسا " .

الشيخ سليمان عبد الله شقصي في دار السلام تنزانيا رئيس جمعية المسلمين بتنزانيا .

الشيخ علوي محمد باقفيه في لامو ، داعية وإمام مسجد الرياض ومدرس في مدرسة النجاح في لامو .

الشيخ أبو بكر المحضار في لامو داعية إلى الله ، في لامو

الشيخ محمد عبد القادر في لامو .

الشيخ عمر محمد سعيد الأوسي في ماليندي " الأمين العام لشباب الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا .

أما بالنسبة لرسالتي هذه التي أتقدم بها لنيل درجة الدكتوراه فهي تحتوي على مقدمة وخمس فصول وخاتمة .

وأحتوت المقدمة على دراسة لأهم الوثائق والمصادر التي أعتمد عليها البحث.

أما التمهيد وعنوانه :

" الوجود العربي الإسلامي في منطقة شرق إفريقية حتى القرن الثالث عشر الهجري " .

فقد تناول العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لإفريقية ، ولاشك أن العوامل الجغرافية لعبت دوراً بالغ الأهمية في اتساع وتوطيد الصلات بين العرب بساحل شرق إفريقية ويأتي في مقدمة تلك العوامل قرب موقع شبه الجزيرة العربية من هذا الساحل .

كما تناول الفصل الهجرات العربية إلى شرق إفريقية ، والتي حملت معها بذور الحضارة الإسلامية من دون سائر الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام الطبقات البغيض أو الحاجز اللوني الشائن ، بل تنزهت عن شرور الحضارات الأوربية التي تنادي بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات والتي وضعت الحاجز اللوني الذي لا يسمح للرجل البيض أن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، وكان لسمو وترفع الحضارة الإسلامية في هذا المضمار ، والتي حملت الهجرات العربية بذورها إلى الساحل الإفريقي الشرقي ، أكبر الأثر في انتشار الدين الإسلامي بين القبائل والشعوب الإسلامية .

وأيضاً تناول الفصل الإمارات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية ، حيث تبين لنا أن للعرب قبل الإسلام اتصالات بشرق إفريقية ، لكنها كانت تقتصر فقط على عمليات التبادل التجاري وما يتبع ذلك في بعض الأحيان من استقرار مؤقت في المراكز التجارية التي أقامها

العرب لغرض التجارة ، على أن الأمور قد تغيرت تغيرا تاما بظهور الإسلام ، إذ ظهر عامل آخر غير العامل التجاري نتج عنه محاولة العرب الاستقرار الدائم ، وإقامة كيانات عربية إسلامية ، وكثرة عدد العرب المهاجرين إلى الساحل ، واستقرارهم الدائم فيه .

أما الفصل الأول وعنوانه :

" الإرساليات التنصيرية في شرق إفريقية " .

فقد درس الإرساليات البرتوستانتينية والكاثوليكية فمن ضمن الإرساليات البروتوستانتينية جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية وهي أول الهيئات البروتوستانتينية الإنجليزية التي أهتمت بالتبشير في إفريقية الشرقية ، وأيضا الإرسالية الجامعية لوسط إفريقية التي تأسست كنتيجة مباشرة لمحاضرة ليفجستون Livingstone في جامعة كامبردج في عام ١٨٥٧م ، وأيضا جمعية لندن التنصيرية التي تأسست عام ١٧٩٥م وبدأت أعمالها التنصيرية في شرق أفريقية ، وأيضاً إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتنلدية التي اتخذت مسرح نشاطها التنصيري على الشواطئ الغربية لبحيرة نياسا ، إذ عرض المنصر جيمس ستيورات الذي يعمل مع ليفنجستون أثناء حملة عام ١٨٦٢م على إرسالة الكنائس أن تقيم محطة تبشيرية ذات طابع

صناعي وتعليمي في شرق أفريقية ، تمجيدا لذكرى ليفنجستون وأختير أول موقع لها عند الطرف الجنوبي لبحيرة نياسا .

أما الارساليات الكاثولكية :

جمعية الروح القدس ومركز الآباء السود في زنجبار .. فقد تبين أن المبشرين الكاثوليك ظهروا أولا في زنجبار في عام ١٨٦٠م وبعد ثلاثة أعوام أنشأت جمعية الروح القدس مركزا تنصيريا دائما في زنجبار عرف بمركز أو محطة الآباء السود .

إرسالية الآباء البيض في منطقة بحيرة فكتوريا وبحيرة تنجانيقا .. فقد مضى المنصرون الفرنسيون في مزاولة أعمالهم ولقوا تأييدا وتشجيعا من الأسقف شارل لافيجري Lavigerie الذي كان يعمل وقتئذ أسقفا في الجزائر ، حيث وضع عام ١٨٦٨م نظام الآباء البيض التنصيري ، وفي ٢٤ فبراير عام ١٨٧٨م أصدر الباب ليو الثالث عشر مرسوما بإنشاء أسقفتي في أفريقية الشرقية لتتوليا أعمال التنصير بالعقيدة الكاثوليكية وتختص إحداهما بمنطقة بحيرة فكتوريا والأخرى بمنطقة بحيرة تنجانيقا ، على أن تكون هاتان الأسقفيتان تابعتين لأسقفية الآباء البيض برئاسة لافيجري .

وتناول الفصل الثاني :

" مبادرة الإرساليات من النفوذ العربي في شرق إفريقية " .

وقد بين الوقوف ضد التجار العرب والسواحلين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي ، إذ حاول الأوربيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربي في مناطق شرق إفريقية ، فحاربوا الإسلام ودعوا عليه ادعاءات شتى افتروا على أهله ، ورموهم بكل نقيصة ولكن الحقيقة الجلية لا تطمسها الدعاية الزائفة ، ويعرف الإفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كان رسل الحضارة ، وتركوا حيث حلوا أسواقا رائجة ومهدوا الطرق ونظموا أساليب الإدارة والحكم ، وابتدعوا وسائل للزرع والحصد .

كما ناقش الفصل أيضاً بالتفصيل ، محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية .

وقد تبين أن اللغة العربية عرفت طريقها إلى شرق إفريقية قبل الإسلام ، لاختلاط التجار والمهاجرين العرب بالأفريقيين ومصادرتهم ، ودخلت اللغة العربية في صراع مع اللغات المحلية ولكن تغلبت على معظم تلك اللغات ، وساعدها على هذا الانتصار عدة عوامل منها :

أ) العامل الديني : فحيثما انتشر الإسلام ورسخت قواعده انتشرت اللغة العربية .

ب) القرابة السامية : إذ بين العربية وأخواتها الساميات قرابة في كثير من المظاهر الصوتية اللفظية .

واللغة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة دين وحضارة راقيتين، وقد اتخذ انتصارها مظاهر عدة : فقد تحدثت بها بعض الشعوب بالإضافة إلى لغتها الأصلية ، مثل شعب مملكة أوفات في الحبشة ، واكتسبت اللغات الأخرى نسبة كبيرة من الألفاظ العربية زادت أو نقصت تبعاً لعمق تأثير اللغة العربية ، فمثلا الألفاظ والتعبيرات العربية تعطي من الربع إلى النصف في اللغة السواحلية .

أما الفصل الثالث وعنوانه :

" طبيعة ومناهج العمل التنصيري "

وقد تناول بالشرح التفصيلي التنصير عن طريق الخدمات العلاجية ، حيث لم يكن للمجتمع في ذلك الوقت ينعم بالرعاية الطبية الحديثة ، والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الأيام هو الطب الشعبي ، أضف إلى ذلك أن العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس ، فقد كان مدخلاً وأسلوباً إنسانياً يحظى بتقدير الشعب ويقف حائلاً أمام

ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أم سياسية ، وقد ذكر أحد المنصرين : لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة ، لذلك كانت الخدمة الطبية وسيلة تبشيرية ، وليست خدمة طبية مجردة .

كما درس الفصل أيضاً التنصير عن طريق التعليم ..

فقد بدأت البعثات التنصيرية أول خطواتها نحو إفريقية خلف الاستعمار ، لهذا استمدت منه العون والسلطة وشجعها الاحتلال الأوروبي لإفريقية ليتخذ منها وسيلة لتثبيت نفوذه في القارة الإفريقية ، وكان مجال نشاط البعثات التنصيرية أول الأمر يتناول عددا من التثبين بالقارة الإفريقية وبدأت الهيئات والمنظمات المسيحية تدعم البعثات التنصيرية مادياً فجاءت بجحافل من المبشرين المدربين ، وأخذوا في بناء كنائسهم وتشييد مدارسهم وهيئوا الفرص لنشر المسيحية بين تلاميذ مدارسهم ، واستغلوا العديد من الوسائل ضد انتشار الإسلام وعرقلة الدعوى الإسلامية ، ومن أجل ذلك كله كان من واجبنا نحن المسلمين الإنتباه واليقظة وعدم الاستخفاف بما يحدق بنا وبمصيرنا ، ومن الضروري الإسراع إلى التضامن والتعاضد والتعاون فيما بين المسلمين .

وشرح الفصل الرابع وعنوانه :

" دور الاستعمار الأوروبي في دعم العمل التنصيري " .

ومنها : السياسة البريطانية : فلقد أكدت إحدى الوثائق البريطانية بأن هناك دعماً وارتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية (1) .

وأكد أحد المنصرين على هذا الارتباط حيث قال : " بفضل الإرساليات المسيحية في عهد الاستعمار فإن الكنيسة المسيحية موجودة في كل ركن من أركان الدنيا " .

هذا رأي من آراء المنصرين عن طبيعة العلاقة بين العمل التنصيري والاستعمار ، ويمكن أن أقول إن هناك ارتباطاً بين الأثنين ، وقد خدمت القوة الاستعماري العمل التنصيري في اتجاهين :

أ- تمهيد الطريق أمامها لممارسة نشاطها .

ب- توفير الحماية لها في ميدان عملياتها .

وأيضاً عالج الفصل السياسة الألمانية ، إذ يتبين لنا أن الألمان لعبوا كذلك دوراً في الحركة التنصيرية في إفريقية الشرقية ، ومع أن النشاط الألماني أتجه أساس صوب إفريقية الغربية ، ولم تؤسس

---

(1) F. O. 107 / 51 , Hardinge to Lord Salisbury , 12 April 1896.

جميعات التنصير الألمانية مراكز تنصيرية لها في دار السلام ولامو إلا في عام ١٨٨٧م ، إلا أنه يجب أن لا ننسى أن المنصرين الألمان الثلاثة كرايف وريمبان واير هارد كانوا بمثابة الرواد الأوائل في الحركة التنصيرية في إفريقية الشرقية .

أما الفصل الخامس وعنوانه :

" حركات المقاومة والجهاد الإسلامي ضد التحالف الاستعماري الصليبي "

فقد تناول الجهاد الإسلامي وطرد المنصرين من أوغندا ، حيث تحتل أوغندا مركز القلب في إفريقية ، لذلك وقع عليها الاختيار التنصيري المندفع لتركيز مواقع الأقدام فيها ، وقد أدركت بريطانيا هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خططه وقتها من تثبيت كيان قومي يهودي في أوغندا ، وقد سعت جهدها في إقصاء المسلمين عن دينهم وذلك بما فرضته عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية ، ولكن شعب أوغندا صمم تصميماً أكيداً رغم بذور الشقاق التي بذرها المستعمر ، على وضع حد للحكم الاستعماري وإنهائه ، وقد نجحت المقاومة الإسلامية في مساعيها وتمكنت من طرد المنصرين من أوغندا .

وأيضا عالج الفصل المقاومة العربية الإسلامية في أعالي نهر الكنغو ونياسا لاند ، حيث شهدت فترة استعمار الألمان والإنجليز لنهر الكنغو مقاومة عنيفة من جانب الأهالي ، وفي مناطق متعددة من القارة الإفريقية ، تجاه توغل العناصر الأوروبية ، كما انتشرت المقاومة تجاه الألمان والإنجليز على سواحل شرق إفريقية .

وأخيرا شرح الفصل موقف العلماء والدعاة في الساحل وزنجبار من الغزو التنصيري في المجتمعات العربية الإسلامية إذ إن رجال الدعوة لم تضعفهم عن أداء واجبهم الحوادث الشرسة من الدول الاستعمارية ، فانغمسوا مع الأهالي في الكفاح واستمروا في الدعوة ، وقد انتشر الإسلام في عامة مدن الساحل ، ولما كان للدعاة جانب كبير من الخبرة الواسعة بعادات الوثنيين وحياتهم ولغاتهم كان تأثيرهم كبيراً ، فزاد ذلك في رغبة الوثنيين في الإسلام فقد كانت الدعوة تتم بالحكمة والموعظة الحسنة وعدم المساس بالعادات المألوفة في مجتمعاتهم القبائلية كل ذلك مما حبب إليهم الإسلام .

وأما خاتمة الرسالة فقد تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي كثيرة ولكن كانت أهمها هي :

أن انتشار الإسلام هو أهم الظواهر في حياة الناس في شرق أفريقية ، وقد كانت إنتشاره تدريجيا ، ابتدأ بالساحل وسكانه ، وكلما ابتعدنا عن الساحل اختلفت درجات إنتشاره .

وكان تغلغل الإسلام بالمخالطة في نفوس الأهالي ، ولم يتخذ وسيطا له في ذلك بل خاطبهم بنفسه ، ولم يلجأ إلى التعبير العنيف ، بل كان حكيما حليما ، تعايش مع العادات والطقوس القديمة ، وأبقى مالا يضر منها وعدل ما يتنافى مع مبادئه وأسسه تدريجيا ، بل وترك الناس أنفسهم يقيمون طقوسهم وشعائرهم ، ويتخلون عما لا يفيدهم ، وما يتعارض مع إسلامهم فعمت بذلك عملية التحول إلى الإسلام .

وأشتمل على ملحق لنماذج من الوثائق التي استعانت بها الدراسة وعلى عدة خرائط توضح المدن العربية الإسلامية المطلة على الساحل الشرقي لإفريقية ، وأيضا خريطة التوزيع الإداري في كينيا حتى عام ١٩١٢م وأيضا خريطة توضح نشاط المنصرين والشركات الإمبريالية في نهاية القرن التاسع عشر . وأيضا عن العرب ونشاطهم في شرق أفريقية .

أرى أن من واجبي هنا أن أنوه بكل الذين ساعدوني في إجتياز هذه المراحل وأخص بخالص شكري وأمتناني أستاذي

المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / محمد سيد محمد الذي لم يبخل علي بإرشاداته القيمة ، والذي كنت القى منه باستمرار خير دعم، وخصني طيلة مراحل البحث ، غير مقتصر على الزمن والمكان الرسميين .

فإليه أقدم خالص شكري والعرفان بالجميل جزاه الله عن خير الجزاء .

وختاما لا يسعني إلا أن أقدم شكري الجزيل لكل من مد يد المساعدة لي ، لإظهار هذا الجهد العلمي المتواضع إلى حي الوجود خاصة الجامعة الفتية التي أنتسب إليها ، جامعة أم القرى وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وقسم التاريخ الإسلامي وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الإسلامية والأستاذين الفاضلين عضوي لجنة الفحص والمناقشة .

راجيا من الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى ، وأن تكون هذه الدراسة قد أضافت شيئاً جديداً على فترة هامة وغامضة في تاريخ شرق إفريقية الإسلامي الحافل بالبطولات .

والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير ...

تمهيـــــد

الوجود العربي الإسلامي في شرق أفريقية حتى القرن الثالث عشر الهجري

أ- العلاقـات بيـن الجزيـرة العربيـة وبيـن السـاحل الشـرقي لإفريقيـة .

ب- الهجـرات العربيـة إلـى شـرق إفريقيـة .

جـ- الإمـارات الإسلامية التـي قـامت فـي شـرق إفريقيـة .

(أ) العلاقات بين الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لإفريقية منذ أقدم العصور .

يقصد بتعبير شرق إفريقية المنطقة التي تشغل في الوقت الحاضر دول كينيا وتنزانيا وهي مساحة هائلة تبلغ حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع ، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالا حتى دائرة عرض ١٠ درجة جنوبا كما بين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة شرقا، وسميت المنطقة بشرق إفريقية لأن الطابع الذي يميزها تستمده من موقعها الجغرافي في شرق القاهرة (١) .

ولعل دراسة بعض العوامل الجغرافية والبشرية والاقتصادية لكل من شبه الجزيرة العربية وساحل شرق إفريقية توضح لنا قدم العلاقة بين المنطقتين . فضلا عن النظرية الجغرافية القديمة التي تقول أن شبه الجزيرة العربية كانت امتدادا متصلا لقارة إفريقية في العصور القديمة ، فإن مضيق باب المندب ضيق وتكتنفه الجزر ، وأغلب الظن أنه كان في العهود البشرية الأولى أصغر مساحة كما كانت القارتان أشد تقاربا (٢) ، والمسافة التي تحول دون اتصالهما لا

---

(١) إبراهيم زرقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٥ ، القاهرة ١٩٥٠م ، محمد عبد الغني سعودي : إفريقية . دراسة في شخصية الأقاليم ص٢٤٥ .

(٢) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص٩ .

تزيد عن خمسة عشر ميلا (1) ، إذن لم يكن هذا المضيق في يوم من الأيام مشكلة تعوق انتقال الجماعات الأولى من جنوب الجزيرة العربية إلى الجانب الغربي لهذا المضيق فقد كان باب لدخول سلالات وثقافات وموجات بشرية متتالية عبر القرون (2) .

ويرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحاري إفريقية التي يفصلها عنها الآن منبطح وادي النيل ومنخفض البحر الأحمر والذي تجزم به الدراسات لعصور ما قبل التاريخ حيث أثبتت هذه النظرية إثباتا قائما على الدقة والتمحيص .

ورواه التاريخ وثقاته من شرقيين وغربيين يرون أيضا دلائل على الصلات التي قامت بين البحيرة العربية وإفريقية منذ آماد سحيقة في القدم (3) ، وقد انفصلتا في العصور السحيقة إلى حالهم اليوم وذلك بفعل العوامل الطبيعية من الهزات الأرضية والزلازل (4) .

---

(1) فيليب حتى : تاريخ العرب ، ص٤٠ .

(2) نوال علي محمد عبد العزيز : العرب في شرق إفريقية منال قرن الثامن الميلادي حتى تدخل البرتغال في القرن الخامس العشر الميلادي ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، في جامعة القاهرة ، ص ٣١ .

(3) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية ، ص ١٥١ .

(4) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " : الرياض بين ماضية وحاضرة ، ص٦ ويقصد بـ " الرياض " بمسجد في جزيرة لامو الذي بنى قبل ١٠٠ عام وقد بناه الشيخ باحسن ، وهو من حي الرياض في حضرموت ولذلك سمي الكتاب بالرياض .

وتلتحم إفريقية بالجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر الذي يمثل حلقة اتصال أكثر من كونه مانعا طبيعيا ، لذا لعب دورا هاما في التنقل البحري ومازال دوره غير خفي ، وأخذ أسماء عربية مثل بحر الجار ، وبحر القلزم ، وبحر جدة ، وبحر ينبع ، وبحر اليمن ، ولقد سهلت معابر البحر الأحمر انتقال الإسلام إلى شرق إفريقية (١) .

ومن ناحية دراسة الإنسان الطبيعية في شرق إفريقية ، نرى أن سكان الساحل والجزر التي تمتد عليه من عدد كبير من زعماء القبائل وعائلاتهم في الداخل قد امتزجوا بالدم الآسيوي ، كما نجد السواحليين الذين يعتبرون إحدى السلالات الفرعية في إفريقية يدعون بأن أجدادهم جاءوا من بلاد فارس في القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث تزوجوا بنساء البلاد ويلاحظ في لغتهم الكثير من الكلمات العربية ، كما انتشرت لغتهم هذه في جميع أنحاء إفريقية الشرقية (٢).

أن صلة العرب بالسواحل الشرقية لإفريقية أقدم وأغرق من صلتهم بغربي القارة ، وترجع الصلة إلى ما قبل الميلاد (٣) ، فقد كان

(١) سيد عبد المجيد بكر : دعوة الحق ، الأقليات المسلمة في إفريقية ، الجزء الثاني ، ص ١٢ – ١٣ .

(٢) دنيس بولم : الحضارات الإفريقية ، ترجمة ، عي شاهين : ص ٩٧ .

(٣) أحمد إبراهيم دياب : لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، ص٦٥ .

لقيام دول عربية في اليمن ذات حضارة زاهرة منذ القرن ١٤ ق.م وهي دول معين وسبأ وحمير ، والتي قامت حضارتها وثروتها أساسا من العمليات التجارية البرية والبحرية ، أثر كبير في ازدياد الاتصالات بساحل شرق إفريقية ، فقد كان أهلها يجلبون السلع من الهند وساحل إفريقية ، ثم تنقلها القوافل إلى الشام والعراق ومصر ومع ازدياد التجارة ، وتقدم فنون الملاحة زاد اتصال العرب بالساحل الشرقي لإفريقية ([1]) .

ولم يستطيع المؤرخون تحديد تاريخ لبدء وصول العرب إلى شرق إفريقية ، ولكن اتفقت آرائهم على قدم معرفة العرب بساحل شرق إفريقية وترجع الأساطير هذه العلاقة إلى زمن قديم ، فتروى هذه الأساطير أن هناك ملكة تسامح عنها الناس في جميع أنحاء العالم في ذلك الوقت ، فتروى هذه الأساطير أن هناك ملكة كانت تدعى ماكيدا ، كانت تحكم الحبشة واليمن التين كانتا تكونان مملكة عظيمة تسامح عنها الناس في جميع أنحاء العالم في ذلك الوقت ([2]) ، وإن

([1]) سليمان عبد الغني مالكي : سلطنة كلوة الإسلامية ، ص١١ .

([2]) في تلك الفترة كان العرب يطلقون إسم الحبشة على المنطقة التي تعرف حاليا باسم إثيوبيا وأريتريا والصومال وكينيا ، وكانت حدودها يعوزها الإستقرار سواء من ناحية الشمال أو الجنوب ، مراد كامل : مقدمة كتاب سيرة الحبشة ، ص٦٥-٦٤ ، وأيضاً محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى ، ص٣٣ .

هذه الملكة قامت بزيارة سليمان الحكيم ملك بيت المقدس حوالي عام ١٠٠٠ ق.م (١) وانتهت هذه الزيارة بزواجها منه ، وكانت نتيجة هذا الزواج إنجابهما ولد سمى " ابن الحكيم " أي ابن الحكيم سليمان أو سليمان ابن ملكة سبأ من الملك سليمان (٢) ، وقد ربط الأحباش بين الملك هذا وبين مؤسسي الأسرة الملكية في بلادهم وزعما أنه هو مؤسس دولة أكسوم في القرن العاشر قبل الميلاد (٣) ، ويكن الأحباش لهذه الملكة احتراما كبيرا ويعتقدون أنها المسماة " بلقيس " عند العرب(٤) وأسطورة انتساب الأسرة الملكية الحبشية إلى سليمان وبلقيس تدل على قدر هذه العلاقة والاعتزاز والفخر بها ، فعلاقة منطقة الحبشة " شرق إفريقية " بشبه جزيرة العرب ، وبصفة خاصة منطقة اليمن يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، فلا يفصل بينهما سوى البحر الأحمر ، والذي بضيق كلما اتجهنا جنوبا حتى يكاد شاطئاه أن يلتقيا ولذلك فإن قيام علاقات بين منطقة اليمن والحبشة أمر طبيعي ، وفي هذا المجال يذكر بعض الباحثين أن كلمة الحبشة ومنها الأحباش يرجع أصلها إلى قبيلة " حبش " العربية وهي أقوى القبائل

(١) **Augustus , BURN. :Modern , PATIENTS. 15-16.**

(٢) فتحي غيث : الإسلام والحبشة ، ص٣٣ .

(٣) عبد المجيد عابدين : بين العرب والحبشة ، ص١٧٠ .

(٤) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا : ص ٣٢ – ٣٣ .

العربية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب في الفترة بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد واستقرت في إفريقية ولم يأت القرن الرابع الميلادي حتى غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التي استوطنتها في شمال الحبشة ، بل وعلى الوطنيين أنفسهم (١) ثم أطلق العرب اسم " الحبشة " على جميع المنطقة الممتدة بين النيل غربا والبحر الأحمر شرقا ، ومن النوبة شمالا إلى ما وراء خط الاستواء جنوبا (٢) . كما أن غلة الجعز أو لسان جعز وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنتسب إلى قبيلة الأجاعز وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة فتنسب إلى قبيلة الأجاعز وهي غحدى القبائل العربية التي هاجرت من اليمن إلى الحبشة واستقرت في الجنوب ولم تثبت أن بسطت نفوذها على سائر البلاد (٣) .

ولم تنقطع صلات الحبشة ببلاد العرب طوال العصور التاريخية ، بل كانت الأيام تزيدها توطدا لأنها علاقات أملتها

(١) **Dudge , E.A.W., : A History of the iopia, Nubia and abyssinia, Vol. I, PATIENTS. 122.** عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ، ص١٢ وأيضا :

(٢) Trimingham . J.S. : Islamin Ethiopia, P.I.

(٣) Budge : op. cit . PATIENTS. 194.

بالظـــروف المتبادلـــة وقـــد توطـــدت الصـــلات التجاريـــة إلـــى أبعـــد الحـــدود ([1]).

مـــن المؤكـد أن العـرب كـان لهـم تـأثيرهم الواضـح فـي سـاحل شـرق إفريقيـة ويـدل علـى ذلـك أن الإغريـق والرومـان أطلقـوا عليـه اسـم عزانيـا نسـبة إلـى إحـدى الممـالك العربيـة القديمـة وهـي مملكـة عـزام التـي يقـال : إنهـا وجـدت فـي منطقـة مـا مـن جنـوب الجزيـرة العربيـة فـي فـترة سـابقة علـى ظهـور الإسـلام لـم تحـدد تحديـدا واضحـا ، وانتقـل سـكانها إلـى شـرق إفريقيـة حيـث نسـب الإغريـق والرومـان السـاحل الشـرقي لإفريقيـة لهـم فيمـا بعـد ، ولكـن ممـا هـو جديـر بـالذكر أنـه علـى الرغـم مـن معرفـة الإغريـق والرومـان بالسـاحل الشـرقي إلا أنهـم لـم يتصلـوا بـه كاتصـالات العـرب ، ثـم حـدث أنـه تعـرض العزانيـون لغـزوات مـن الشـمال وهجـرات قبليـة غـيرت مـن معـالم حضـارتهم خاصـة حينمـا وفـدت إلـى السـاحل قبـائل الجـالا والصومـال وغـيرهم مـن الشـعوب القـرن الإفريقـي وأخضعـوا المنطقـة لنمـاذج حيـاتهم وأزالـوا مـا وجـدوه مـن حضـارة قائمـة([2]) ، ومـع ذلـك فقـد ظـل الاتصـال التجـاري ينمـو ويتسـع قبـل

([1]) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ص٣٨٦ .

([2]) بازل دافيد سون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد ص ٣١ .

الإسلام بين الجزيرة العربية وبين موانئ الساحل الشرقي لإفريقية ([1]).

كان السبئيون عرب جنوب شبة الجزيرة أول الشعوب العربية التي وفدت على الساحل الشرقي لإفريقية بغرض التجارة لا للغزو ، وعلى الرغم من أنهم وفدوا في أعداد قليلة ، إلا أنهم داوموا في تجارتهم ، اختلطوا بأهل الساحل وتزوجوا منهم ، وأقاموا محطات تجارية ، في منتصف الألف سنة التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام ، بدأ الطابع العربي يظهر على طول الساحل ، ولم يفقد هذا الطابع شخصية المميزة ، إذ كان يدعم بالوافدين من جزيرة العرب([2])، وكان من الطبيعي أن يؤدي ارتياد التجار العرب ، مناطق ساحق شرق إفريقية قبل ظهور الإسلام إلى استقرار جماعات منهم في تلك المناطق لتسهيل عملياتهم التجارية مع السكان الوطنيين ، وتأسيسا على ذلك نشأت بعض المستوطنات العربية في أنحاء متفرقة، لم تأخذ طابعا سياسيا ، وبعبارة أخرى لم يكن لها أي نفوذ على سكان الساحل ، ولا شك أن أولائك التجار لقوا أحسن استقبال من السكان

([1]) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الأستعمار ، ص٨ .

([2]) بازل دافيد سون : إفريقية القديمة تكتشف من جديد ترجمة : نبيل بدر ، ومحمود شوقي الكيال ، ص٨٢–٨٣ ، القاهرة، بدون تاريخ .

الأصليين ، فطابت إقامتهم معهم ، وأنعقدت بينهم صلات مودة وحسن جوار ، ويدل على ذلك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان "تاريخ الزنج" أو " كتاب الزنوج " وقام بتحقيقها المؤرخ الإيطالي الأستاذ تشيرولي "Cerulli" حيث تروى هذه المخطوطة أن المهاجرين العرب من شبه الجزيرة العربية ، قد أقاموا عددا من المستوطنات أو المحلات على الساحل ، وزادت الروابط بينهم وبين السكان الأصليين([1]) ، وقد انتقلت التجارة الواسعة في عهد مملكة سبأ من دولة عربية ، إلى مناطق الساحل الشرقي لإفريقية ، ففي القرن الأول الميلادي وهو الوقت الذي تتوافر فيه الشواهد المكتوبة عن حضارة ذلك الإقليم وثقافته ، كان الساحل الذي تقع عليه أراضي كينيا وتنجانيقا يسمى بساحل أوزان عند البحارة ([2]) .

وكانت قد قامت في بلاد العرب الجنوبية حضارات أوزان وقتبان وحضرموت ثم سبأ ومعين وحمير ، وامتد أثر هذه الحضارات عبر باب المندب إلى شرق القارة ، وشملت المنطقة حضارة واحدة ، وسرعان ما سمى الساحل الشرقي بساحل " أوزان وأثيوبيا " وأصبح

([1]) مجهول المؤلف : تاريخ الزنج ، مجلة نهضة إفريقية ، العدد ١٢ ، ١٣ لسنة ١٩٥٨م ، ص٥٧-٦٠ ، وأيضاً **Oliver and Methew : History of East Africa , PATIENTS . 102-103.**

([2]) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة : جمال محمد أحمد ، ص٢٤ .

جـزءا مــن بــلاد اليمــن ، التــي كــانت تجمــع الأرض الشاســعة مــن حضرمـوت وعـدن إلــى إثيوبيــا ويمتـد تأثيرهــا إلــى أجـزاء كبـيرة مــن الساحل الإفريقـي الشــرقي (1) .

ولعل أقدم المصـادر التـي تحدثنـا عـن حالـة العـرب فـي سـاحل شـرق أفريقيـة كتـاب وضعـه أحـد الملاحيـن الإغريـق وقـد عـرف بإسـم الدليـل الملاحـي للبحـر الأريـتري " Perplus Maris Erythraci " والبحـر الإريـتري كـان يطلق علـى الجـزء الغربـي مـن المحيـط الهنـدي وعلـى وجـه التحديـد الجـزء الملامـس لسـواحل شـرق إفريقيـة (2) ، والكتـاب من المصـادر الهامـة في موضوعـه الفريـد وقـد كتـب منـذ أكـثر من تسـعة عشـر قرنـا وإن كـان مؤلفـة غـير معـروف فإنـه مـن المحتمـل أن يكـون أحـد الإغريـق الذيـن عاشـوا فـي الإسـكندرية فـي القـرن الأول الميلادي " ٦٠م " (3) وقـد حفـل الكتـاب بوصـف شـيق للسـاحل الشـرقي لإفريقيـة ووصـف حالـة العـرب وتجـارتهم فـي المنطقـة (4) ، وأكـد أن

(1) عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٧٠ .

(2) الترجمة الإنجليزية لذلك الكتاب نشرة **Schoff** بعنوان :

Periplus of the Erythrean Sea

أنظر : **Oliver , R. The Dawn of Qfrican History ,**

PATIENTS. 15.

(3) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ص ٥٢ .

(4) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص١١ .

بعض زعماء الساحل كانوا يدينون بالولاء لدولة حمير في اليمن وتحدث عن العرب فقال أنهم " يألفون أهل البلاد ويتزاوجون معهم ويعرفون الساحل واللغة (١) ، وتجئ سفنهم من الجزيرة العربية ومن كل صوب في المحيط الهندي بالخناجر والرماح والزجاج ، وتقلع من الساحل الشرقي تحمل العاج وقرون الخرتيت وجلود السلاحف ، ولم يكن اتصال العرب بإفريقية مقصوراً على ساحلها الشرقي ، بل كان أقدم عن طريق سيناء أو المدخل الشمالي الشرقي لإفريقية ، وهكذا شهدت العصور الأولى من فجر التاريخ شعوبا وبطونا عربية تنطلق من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقية " .

وبعد ظهور هذا الدليل بمئات السنين بقيت المعلومة التي نشرت حول شرق إفريقية ضئيلة ، ولكنه كان هناك من الشواهد ما يكفي ليروى أن حركة التجارة فيد اخل القارة كانت مزدهرة ونشطة حيث كان العرب أول من عرف إفريقية الشرقية وأول من أتصل بالجماعات البشرية المقيمة على سواحلها وكان مضمون هذا الإتصال التبادل التجاري وتصريف منتجات سكان إفريقية الشرقية وربطها بأهم مصادر الإنتاج العالمي في الشرق الأقصى ، وقد ساعد على

(١) Coupland R, : East Africa and Its Invaders , PATIENTS. 19.

ذلك عوامل الجوار والتوجيه البحري والتجاري أو بمعنى آخر المواجهة المكانية للجزيرة العربية أمام إفريقية ([1]) .

وقد ظهرت التأثرات العربية بوضوح في المنطقة التي أطلق عليها العرب ساحل الزنج أو زنجبار حيث كان التجار أقدم من وطئها وعلى الرغم من أنهم كانوا قلة من الناس يأتون في فترات محدودة إلا أنه بمضي الزمن بدأ إختلاطهم يشتد بالسكان فتزوجوا من نساء القبائل وأقاموا عدة مراكز تجارية على الساحل .

ولقد تعاونت القبائل الإفريقية مع العرب في التجارة وشاركوا في إزدهارها بنصيب ، فكان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى المراكز التجارية التي أنشأها العرب على الساحل ، ومعهم الرقيق والعاج والذهب ، حيث يقايضون التجارب العرب بما يحملونه من بضائع ، ونشطت تجارة العرب مع شرقي إفريقية وأزدهرت وأضحت مراكزهم التجارية التي شيدوها على الساحل الإفريقي تموج بالحركة والحياة وترسو بمرافئها الأساطيل التجارية العربية .

وعلى هذا فقد وصل أهالي الجزيرة إلى شواطئ شرق إفريقية وأقاموا إقامة مؤقتة في الموانئ بقصد إتمام العمليات التجارية ، ووصل معهم البحارة ورجال البحر الذين كانوا يعملون في السفن

([1]) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية .... الخ ص٩ .

الشراعية ومن جانب آخر تم الإتصال مع زعماء القبائل ورؤساء الجماعات البشرية المقيمة على السواحل ، وكان مضمون هذا الإتصال هو تداول منتجات النباتات والغابات والحيوانات وأنواع من المعادن كالذهب ([1]) . وفي ذلك يقول بطليموس : إن العرب في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي كانوا قد بدأوا يتجرون مع شرقي إفريقية بالعاج والعبيد ويصلون بقوافل تجارتهم إلى حدود موزمبيق ([2]) ، حيث إستقروا في الساحل الشرقي من مقديشيو في الشمال إلى مدينة سفالا جنوبا في موزمبيق ، غى بالتحديد الجغرافي من رأس غوارد إفوي شمالا إلى خليج دلجاو جنوبا وهي المنطقة التي أطلق عليها العرب ساحل الزنج أو زنجبار ([3]) .

إن الصلات بين سفالا وشبه الجزيرة العربية ترجع إلى زمن بعيد موغل في القدم ، وقد كانت سفالا هي الميناء الوحيد في الساحل الذي يقوم بتصدير الذهب ، حيث كان التجار العرب يأتون إليها للحصول على هذا المعدن النفيس ، مقابل ما يحملونه من سلع ، ثم

([1]) جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية ... الخ ص٩ .

([2]) محمد عبد الله النقيرة : إنتشار الإسلام في شرقي إفريقية ومناهضة الغرب له ، ص ٢٩ .

([3]) أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص٦٦ .

يعودون إلى أوطانهم في شبه الجزيرة العربية (1) ، ثم فضلت بعض الجاليات العربية إستيطان الساحل وإكتفوا بالحزام الساحلي ، وكانت علاقة مميزة ، وكان العرب ذوي نفوذ وسيادة طبيعية ، ولم يسجل لنا التأريخ إحتكاكا دمويا بين العربي والإفريقي عبر القرون الطوال إلا في النادر الشاذ ، والعرب هم أول من إستكشفوا أدغال شرق إفريقية، وأول من عرفوا وادي النيل والبحيرات التي تمد النيل (2) ، وفي ذلك ذكر جيان " أن بلاد العرب كانت مركز التجارة بين المشرق والمغرب ، وأن العرب هم الذين إستكشفوا لأول مرة تلك البلاد الكائنة جنوبي بوغاز المندب أو لغاية سفالة على الأقل ، ثم أن باقي الأمم لم تصل إلى هذه البقاع إلا بعدهم وبواسطتهم ، كما أن حلول غيرهم كان مؤقتا ، أما العبر فقد تواصل وجودهم بها ، واتجروا مع سكانها واستقر بعضهم في أماكن عرفت كمراكز تجارية مشهورة واتسعت بذلك آفاقهم التجارية ، وكثرت مصادر مواد التجارة ، وتطورت صناعة السفن عندهم وأضحت سفنهم تتخر عباب المحيط الهندي ، حيث تعود محملة بالتوابل من الهند ، والحرير من الصين فيأخذون من كل ذلك حاجتهم في جنوب شبه جزيرة العرب ، وتذهب

Chitick : The East Coast Madagascar and the in dian Ocean in Cambridge(1)
Oliver and Mathew : Op. Cit., patients. 102 ; Hist of Africa , P. 201.

(2) محمد شريف سعيد البيص : طي المراحل في تاريخ السواحل ، ص11 .

سفنهم بالباقي إلى أسواق شرقي إفريقية ، لأستبداله باللبان والبخور وسن الفيل والبن وتراب الذهب من شرقي إفريقية (١) .

وإذا كان الباحثون قد إختلفوا فيما بينهم بشأن حجم الهجرات العربية إلى الحبشة ، فقد إتفقوا جميعا على أن هناك هجرات عربية شملت أعداداً من التجار إستقروا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر ، في منطقة الحبشة ، وبمرور الزمن تزايدت أعدادهم ، وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة بطريقة تشبه إلى حد كبير ما حدث في ساحل الزنج ، فتكونت مراكز حضارية عربية ظلت لفترة طويلة على صلة بالوطن الأم ، وبمرور الزمن إختلط العرب بالمواطنين الأصليين(٢) ، وكان من نتاج هذا الاختلاط مواطنوا مملكة أكسوم التي إزدهرت فيما يبدوا منذ منتصف القرن الأول الميلادي (٣) ، كما تدخلت مملكة أكسوم منذ القرن الثالث الميلادي في الصراع الدائر على السلطة في شبه الجزيرة العربية ، وإلا أن سيطرة أكسوم على بعض مناطق اليمن كانت منقطعة ، كما أنها واجهت مقاومة محلية

---

(١) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقية الشرقية ، ص٢٦ نقله إلى العربية الأمير يوسف كمال ، طبعه عام ١٩٢٧م .

(٢) فوزي مكاوي : مملكة أكسوم " رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة " ١٩٧٤م،ص١٠.

(٣) مراد كامل : المرجع السابق ، ص٣٦-٤٦ ، زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا ص٢٦-٣٤ ، عبد المجيد عابدين : مرجع سابق ، ص١٦،١٧ .

شديدة ، أتخذت في بعض أوقاتها صورة صراع ديني بين اليهودية والنصرانية ([1]) ولقد إستفاد العرب المسلمون من ضعف مملكة أكسوم، فاستولوا على ميناء مصوع وجزر دهلك المجاورة ، وتروى لنا كتابات العرب أنه في تلك المدة كانت الحبشة تصيطر على معظم ساحل البحر الأحمر ، ولقد إمتد هذا التأثير حتى شواطئ خليج عدن وحتى زيلع على الساحل الشمالي للصومال ، وقد تمكنت جماعة من التجار المسلمين أن تستقر في الأجزاء الساحلية خاصة عند الموانئ([2]) ، وهذا يدل على سهولة الإتصال بين الجزيرة العربية وشرق إفريقية في تلك المنطقة ، وخاصة مع صغر المسافة التي يعبرها المسافر ويقطع بها بوغاز باب المندب ([3]) ، وإكتفى العرب بإنشاء المراكز التجارية لتصدير العاج والرقيق ، وقد تعاونت القبائل الإفريقية مع العرب في تلك التجارة حيث كان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى الساحل بالعاج والرقيق ، فيقايضون التجار العرب المتعاملين معهم بما يحملونه ([4]) .

([1]) فوزي مكاوي : المرجع السابق ، ص١٠٣ – ١٠٩ .

([2]) رولاند أوليفر وجون فيج : موجز تاريخ إفريقية ترجمة د. دولت أحمد صادق ، ص١٠٣ .

([3]) جلال يحيى : تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر ، ص٢٦ .

([4]) Pearce, Zanzibar : The Island Metropolis of Eastern Africa , London 1920, patients. 34.

وقد كان في شرق إفريقية ما أغرى العرب بالتردد عليه بالتجارة من كثرة الخيرات ووفرة مواد التجارة المتنوعة ، والتي كانت الدول القديمة تلح في طلبها ، ومن يسر الحياة وإعتدل المناخ (1).

ومن الأسباب الرئيسية أيضاً التي دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه الجزيرة العربية وخاصة العمانيون والحضارمة هو أنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب الجزيرة العربية ، وكان طبيعيا أن يدخلوا إلى شرق إفريقية في جموعات صغيرة إنتشرت في المبدأ في بعض الجزر الساحلية الصغيرة مثل مافيا Mafia وزنجبار Zanzibar وبمبا Pemba وماليندي Mambassa وممباسا ودارس السلام واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وديانتها وأن تندمج مع السكان الوطنيين (2) .

ويذهب الباحثون فيما يختص بالحركة الواسعة لانتشار الحضارمة في شرق إفريقية إلى القول بظهور دورة جفاف أو على الأقل تغيير نسبي في الظروف المنخية إتجهت بالأقليم نحو أحوال

(1) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : زنجبار ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٥ .

(2) صفي الدين محمد صفي الدين : إفريقية بين الدول الأوربية ، ص٥٢ القاهرة ، ١٩٥٩م .

أكثر جفافا في الجنوب العربي كما إفترض هنتجتون Huntington أنه بسبب أزمة القسم الشمالي والموسميات في الجنوب العربي تأثرت فيها بدرجة كبيرة توزيعات الضغوط وأنواعها فوق الجنوب العربي ، وأي تغيير في هذه التوزيعات لابد وأن يتبعه على الأقل ضعف أو تحول ولو بسيط في الموسميات الهابة على البحر العربي ، وهذا التغيير أدى إلى نوع من الجفاف في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مما دفع بالسكان إلى أن يولوا وجوههم نحو البحر إلى شرق إفريقية (١) .

وهذا الانتشار العربي ما هو إلا طور من أطوار الاتساع العربي الإسلامي ، وإن كان يختلف بعض الإختلاف عما حدث في عصر الفتوح الإسلامية التاريخية إذ لم يكن من عمل دولة إسلامية أو خلافة إسلامية بل كان نتيجة نشاط جماعات عربية على ساحل حضرموت (٢) .

ونتج عن إنتقال العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة الإفريقية أن تزايدت المؤثرات العربية في المناطق الإفريقية التي سكنها العرب حتى إنه عندما ظهر الإسلام في شبه

(١) Huzayyin , : Arabia and the Far East , patients. 36.

(٢) Johnston , H.H. : The Opening up of Africa , London 1928 , patients. 146.

جزيرة العرب ، كانت تلك المناطق الإفريقية شبه عربية ، وقطعت في طريق عروبتها شوطا طويلا وتجاوزت ما يمكن أن يطلق عليه المرحلة الاعدادية في طريق العروبة ([1]) .

ودخل الإسلام منذ فجرة إلى طرف القارة الشرقي كما هبط شواطئها دون غزو وعنف بل عن طريق التجارة والهجرة وتم التفاهم مع رؤساء القبائل بالحسنى ، وتبادل المنافع وقوافل التجارة ، وظل كل على طابعة ومعتقدة دون إجبار على إعتناق رسالة القادمين والتقيد بأفكارهم مما شجع القبائل في شرق القارة على مواصلة التعامل مع القادمين كناشرين وداعيين للإسلام ونظمه الإجتماعية ، التي سرعان ما صادفت قبولا لدى القبائل التي تعيش على الفطرة تبعاً لعدالتها وبساطتها ، وتمشياً مع حاجات هذه القبائل وروحها القائمة على المساواة بين الناس مع القناعة([2]).

ولا شك أن العرب الذين هاجروا إلى ساحل شرق إفريقية قد إرتبطوا بالسكان الأصليين وصاهروهم ، وتركوا تأثيرات حضارية وسلالية ودينية لازالت حية حتى اليوم ، وتكشف لنا الحفريات التي إقيمت في مناطق متفرقة من الساحل عن الصورة الرائعة التي كانت

([1]) محمد خيري عيسى : العلاقات العربية الإفريقية ، ص٣١ .

([2]) أحمد سويلم العمري : الإفريقيون والعرب ، ص٥ .

عليها تلك المدن والمستوطنات ، ويؤكد ذلك أنه كانت هناك مستوطنة غنية في ماندا بالقرب من لامو (١) ، وأيضاً في زنجبار حيث دخل الإسلام منذ أيامه الأولى تلك المناطق ، على أيدي التجار المسلمين حيث استقر بعضهم فيها ، واختلطوا بأهلها ، الأمر الذي جعلهم دعاة للدين الإسلامي والثقافة العربية ، ورغم أن المعلومات عن زنجبار مازالت تنقصنا خلال القرون الأولى من ظهور الإسلام ، إلا أن الآثار القليلة التي عثر عليها تشير بوضوح إلى الرخاء الذي نعمت به هذه المدينة ، فقد بنى المسلمون بها أبنية من الحجر (٢) .

وإذا علمنا أن المسافة بين " زنجبار " " الوثائق " عدن " لا تتجاوز ١٥٠٠ ميل أدركنا أن الإمتداد العربي لهذه الجهة في شرق إفريقية كانت شيئاً طبيعياً ، فالقبائل العربية القريبة من الساحل الإفريقي الشرقي أو كما عبر عنها كوبلاند Coupland بالجيران Next door neight bours كان لابد لها من أن تمد نشاطها وتجارتها وتنقل حضاراتها إلى سواحل إفريقية الشرقية (٣) .

---

(١) **Marsh , Z., and Kingsnorth, G.W: A History of east Africa , An Introductory Survey, Ca;bridge 1961, P.22.**

(٢) رولاند أوليفر ، جون فيج : تاريخ أفريقية ، ترجمة عقيلة محمد رمضان ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٤٠ .

(٣) **Coupland , R. : East Africa and its Invaders , patients . 155**

فانتشار الإسلام إذن جاء نتيجة رحلات كانت التجارة هدفها وغايتها ، ولم يكن له مبشرون يسيرون في البلاد ، ومع ذلك فقد تغلغل بالمخالطة إلى نفوس الأهالي والسكان من الوطنيين ، وأصبحنا نرى أمثلة من الورع والتقوى التي لا تقوم إلا في نفوس شربت الذين في طفولتها ، وروعته تكمن في أنه لم يتخذ وسيطا إلى نفوس الأفارقة ، ولم يجعل لنفسه داعية إلى أفئدتهم ، بل خاطب بنفسه أهل الفطرة ودخل قلوبهم ، ولم يلجأ إلى التغيير العنيف حتى لا ينفر الأهالي منه ، فقد كان حكيما حليما في أنه تعايش مع العادات ، وترك من يريد من الأفارقة يحتفظون بما يشاءون من عادات (1) .

لقد أحدثت سماحة الإسلام إنتعاشا كبيرا في ساحل شرق إفريقية وتوطدت الروابط التي توثق عراها بين الساحل الشرقي والجزيرة العربية ، يدل على ذلك كثرة الزنوج في البلاد العربية ، حيث وقع حكم الخليفة أبو العباس المنصور الملقب بالسفاح حادث ، وهذا الحادث دليل واضح على وجود صلات في ذلك العهد بين العرب وسواحل شرق إفريقية ، ذلك أنه لما ثار أهالي الموصل على العباسيين أمر أخاه بقمع الثورة وكان في جندة نحو أربعة آلاف جندي

(1) سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقية ، ترجمة محمد عاطف النواوي ص٢٠ .

من زنجبار (1) .

وقد نشرت إحدى الصحف الكينية في ١٩٨٨/٨/٣م مقالا نسبت فيه إلى رئيس قرية " واسيني " في كينيا السيد حميد جمعه إنه يعتقد بأن أصل تاريخ جزيرة "واقومبا" يرجع إلى عام ١٠٠٠م وقد حكم المنطقة في فترة من فترات التاريخ الحاكم مواتا شامبي شيانشي ، الذي شجع سكان الجزيرة على تقبل الدين الإسلامي من التجار العرب الذين أتوا من الجزيرة العربية ، وهناك دلائل تشير إلى إستخدام سكان الجزيرة لأدوات منزلية عربية حيث إكتشف وجود الخزف والعملات العربية القديمة(2) .

ويستفاد من تاريخ ساحل شرق إفريقية منذ القرن العاشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر أن مناطق هذا الساحل صارت مألوفة تماماً لعرب شبه الجزيرة العربية ، وفي خلال تلك المدة كان معظم الوافدين إلى الساحل من أهل عمان ، وذلك لأن الصحراء تحدها من الغرب والبحر من الجنوب والشرق وليس لها وسيلة للرزق

---

(1) Coupland : Op. Cit. P.31.

(2) Kauli Mwembe : The Island That Resisted Change , in " The Standard, 3 August 1988 , P.P.12-13.

تقع جزيرة واقومبا على الساحل الشرقي لأفريقية ومواجهة للمحيط الهندي .

إلا عالم البحار الواسع ، حيث الملاحة والتجارة البحرية (١) ، على أي حال كانت سفن عام وسيراف التجارية تتردد على ساحل شرق إفريقية في أوائل القرن العاشر الميلادي ، ويتضح من وصف المسعودي للحركة الملاحية بين عمان وهذا الساحل ، أن عرب الأزد والسيافيين ، كانوا على دراية تامة بمياه المحيط الهندي ، وأيضا وصف المسعودي (٢) مياه ذلك المحيط وسكان ساحل شرق إفريقية قائلا : " وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى خليج قنبلو (٣) من بحر الزنج ، وفي هذه المدينة مسلمون يعيشون بين الكفار من الزنج ، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري ، وهم يعرفونه ببحر بربري ، ... وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب الأزد ، وينتهي هؤلاء في بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو ، وإلى بلاد سفالة ويقطع هذا البحر السيرافيون وهم أرباب المراكب .

---

(١) **Wilson , Arnold , T; The Persian Gulf , London 1973, patients.77.**

أنظر أيضاً : جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية : الخ ص٨٣ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الأول ، ص١٢٢-١٢٣ ، بيروت ١٩٧٣ ، أنظر أيضاً .

Oliver Mathew : Op. Cit, patients . 106.

(٣) يرجع جيان في كتابة وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقية الشرقية ، ص٨٠-٨١ . أن المقصود بجزيرة قنبلو هي إحدى جزر القمر .

ويذكر المؤرخون أن أهل الساحل الشرقي لإفريقية تطلعوا إلى عون الدول الإسلامية ضد الغزو البرتغالي المتكرر على شواطئ البلاد ، فأرسلوا رسالة سرية إلى أمام عمان ، يشرحون له فيها أحوالهم السيئة ، وما يعانونه من غزو المسيحين الأوروبيين ويطلبون منه أن يمد لهم يد العون ليتحرروا ويحما أرضهم وتراثهم ، وكان طبيعيا أن يستجيب أمام عمان (١) ، وأن يقدم لهم المعاونة عن طيب خاطر ، قد بعث سلطان بن سيف بالسفن إلى ممباسا لحصارها فلم يوفق إلا بعد جهد طويل حينما أرسل اسطولا غادر مسقط ، وهاجم المستعمرات البرتغالية على الشاطئ ، ولاسيما ما كان منها في زنجبار الوثائق باتا ، ثم وقع في يده حصن ممباسا ، ونصب عليه حاكما هو محجمد ابن مبارك (٢) ، واستقر حكم العمانيين في شرق إفريقية وازدهرت التجارة وانتشر التعليم حتى أصبحت زنجبار من أكبر المدن الإسلامية ، وأمثرها إستقرارا وحيوية ، ولقد نشطت الدعوة الإسلامية بين القبائل الساكنة في الأراضي المجاورة للساحل حيث نجحت الدعوة وكسبت شعوب إفريقية تحولت بعد ذلك إلى جزء

(١) سيد أحمد يحيى : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص٣٢ .

(٢) عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقية ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص٨٩ .

أصيل من الشعوب الإسلامية ([1]) .

وبعد أن نجح سلاطين عمان في طرد البرتغاليين من معظم المدن العربية في شرق إفريقية ، وأصبح العرب آثار عظيمة في تلك المنطقة والتي لاتزال واضحة إلى اليوم ومن أهم تلك الآثار :

١- تطور أحوال أهالي الساحل فقد أخذ العرب بأيدهم في مسالك الحضارة ، وأضفى الإسلام على حياة الذين إعتنقوه طابعا اجتماعياً واضحاً بعد أن أستعربوا على عكس أهالي المناطق الداخلية الذين ظلوا وثنيين وكان التزاوج المستمر سببا في ظهور جماعات كثيرة إختلطت دماؤهم العربية بالدماء الزنجية ويمثل هذا الخليط الخيسى " السواحليون " .

٢- كان من تأثير إزدهار التجارة أن عم الرخاء سكان تلك المناطق الساحلية فارتفعت مستويات حياتهم ، وقد بذل العرب جهودا طيبة في تطوير الزراعة وبعض الصناعات كصناعة التعدين والحلي .

٣- إختلطت اللغة العربية بلهجات قبائل البانتو وتولدت لغة

([1]) علي الشيخ أحمد أبو بكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي ، دار أمين ١٤٠٥هـ ، ص٢٦٩ .

الســواحلية (1) ، وكــانت المســتوطنات العربيــة التــي أنشــأها العــرب علــى إمتــداد الســاحل الشـــرقي لإفريقيــة أســواقاً نافعــة يغشاها الإفريقيون بقصد التبادل التجاري ، وقد إمتــدت فــي كـل أجزاء المنطقــة (2) .

وهؤلاء العرب الذين وفدوا على ســاحل إفريقيــة الشــرقي كــانوا يستمعون بخطوة كبيرة بين الإفريقيين ، حيث تم عن طريقهم إنتشــار الإسلام ورسوخه على ساحل القارة ، وقد بقيت للعــرب شــهرتهم وعلــو كعبهم في الحياة العامة على ساحل كينيــا ، وفــي زنجبــار كــان الســلطة نفســه مــن العــرب العمــانيين وكذلــك معظـــم ذوي المكانـــة والجــاه فـــي الجزيرة العربيــة (3) .

لذلك تبين لنا في النهاية مدى العلاقة القديمة المتينة التي تربــط بين الجزيرة العربيــة وبين الســاحل الشــرقي لإفريقيــة .

---

(1) عبد الرحمن زكي : نفس المرجع ، ص٩١ .
(2) محمد عبد ا لله النقيرة : إنتشار الإسلام في شرق إفريقية ... الخ ، ص٦٣ .
(3) **Sillery , A. , Op. Cit. P. 196.**

(ب) الهجرات العربية إلى شرق إفريقية :

تعرضت شرق إفريفية لسلسة من الهجرات منذ أقدم العصور ، ومن أشهر تلك الهجرات القديمة موجات العرب الأولى قبل الإسلام لإلى مناطق السواحل الشرقية ، وقد تركت هذه الموجات آثارها البارزة في تلك المناطق حتى اليوم ، حيث إصطبغت السواحل الشرقية بالصبغة العربية ([1]) .

وتدل الشواهد على أن المهاجرين الأول إلى تلك المنطقة كانوا من الحاميين ، الذين نزحوا إليها في موجات متتابعة عن طريق باب المندب في حقب غير معروفة قبل الميلاد وطردوا الزنوج إلى الداخل وإلى الجنوب ، وإمتزج بعضهم بهم ، وعرف هؤلاء الحاميون باسم Kushites ([2]) ثم هاجر الساميون إلى تلك المنطقة من شبه جزيرة العرب التي شبهها علماء تاريخ الأجناس البشرية بمستودع بشري ضخم ظل يفيض بهجرات بشرية على مدى التاريخ ، وهاجروا منها على أثر الجفاف بعد إنتهاء العصر المطير وذلك منذ عشرة آلاف سنة ([3]) .

وأول موجه من الجاليات العربية قدمت من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وقد إستوطن هؤلاء العرب الحزام الساحلي وبالأخص لامو ،

([1]) محمد عبد العزيز : نهضة إفريقية ، ص٤٥ .

([2]) Budge : Op. Cite., Vol. 1 , pp. 129 - 130 .

([3]) محمد عبد الله النقيرة : إنتشار الإسلام في شرق إفريقية ص٣٦ .

ثم بنوا مدنا عديدة تلت لامو ، ويذكر أن يومبي أقدم بطن قدم إلى لامو قبل الإسلام وقد جاءوا من ينبع الحجاز بطريق البحر.

ثم جائت بنو صعصعة بن مالك ثم بنوا مَخزوم وهئلاء يسمون " وكن ميتي " لأنهم جلبوا الحبوب والبذور من الجزيرة العربية ، ويبدوا من الوجهة النظرية أن جميع سكان إفريقية ينتمون إلى أصول عربية (1) .

وإذا كانوا المؤرخون لا يختلفون على أن الشرق الإفريقي كان مهجرا للعرب قبل ظهور الإسلام ، فإنهم لا يختلفون كذلك على أن نقاط الإرتكاز المهجرى هذه قد تحددت في الفترة السابقة للإسلام ، بحيث أصبحت هذه النقاط تمثل ما اصطلح عليه تاريخيا باسم " دول المدن " .

ذلك لأن نقاط الإرتكاز هذه كانت تمثل أرستقراطية تجارية محافظة .

وأول ما يطالعنا من نقاط الإرتكاز هذه تلك النقطة التي تحددت بالإسلام ، والتي سميت : يتي ، ومند ، وبساسة ، وزنجبار ، وكلوا ، والتي كانت تتركز جميعها في تلك المنطقة الجغرافية في الشرق الإفريقي ، وبالتحديد في الجانب الغربي من البحر الأحمر (2) .

---

(1) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " المخطوط السابق ص6 .

(2) عبده بدوي : مع حركة إسلام في إفريقية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة 1967 م ، ص115 .

ولـم يكـن البحـر الأحمـر يمثـل عقبـة أمـام الإتصـال بيـن الجـانبين ، وعبوره في كل جزء من أجازاءه لكي يكن في يـوم مـن الأيام أمـرا صعبـا ، وكانت بلاد اليمن وما يليها في الجنوب والشمال مصدرا لهجرات عديدة أثرت تأثيراً بالغا في الهضبة والحبشـة وسـواحل شـرق إفريقيـة، وكـانت المؤثـرات السامية تتدفق من الجزء الجنوبي لجزيرة العرب أكثر من تدفقها مـن وسـطة وذلك لوفرة سكان بلاد اليمن ، ومـا يليهـا إلـى الجنـوب والشـمال مـن جهـه ، ولبراعة السكان في الملاحة من جهة أخرى .

ومن المعروف تاريخيا أيضاً أن عرب اليمـن قد هـاجروا إلـى شـرق إفريقية ([1]) ، وذلك على أثر إنهيار سد مارب ([2]) باليمن سـنة ١٢٠م ، حيـث خرجت من جنوب شبه الجزيرة العربية هجرات عربية إلى مختلـف الأنحـاء سـواء شـبه الجزيـرة أو خارجهـا ، وكـان مـن الطبيعـي أن يتجـه جـزء مـن الهجرات إلى الساحل الشرقي لإفريقية ، حيـث القـرب الجغرافـي ، والمعرفـة السابقة بالساحل ، مما زاد مـن التـأثير العربـي فـي سـكان السـاحل من قبـائل البانتو ، ويرى بعض الباحثين أن ازدياد اختلاط العرب بالقبائل الإفريقية منـذ تلك المدة القديمة ، كان بداية لظهور ثقافة مميزة المعالـم أخـذت مـن كـلا

([1]) محمود خيري عيسى : المرجع السابق ص٣ .

([2]) Pearce , Op., cit ., p 36 .

الشعبين ([1]) .

وهاجرت القبائل العربية التي كانت تنضوي تحت لـواء مملكـة عـزان بجنوب شبه جزيرة العرب إلى شرقي إفريقية وإستقرت ، وقـامت بنشـاط جـم في التجارة وغيرها من الحرف حتـى عـرف سـاحلا كينيا وتجنانيقا بسـاحل عزان ، كما هاجرت جماعات عربية من تلـك القبـائل إلـى جـزر كلـوة وبمبـة وزنجبار ، وقد عثر المنقبون في جزيرة زنجبار على عملة من العملات التـي استعملت في عهـد قسطنطين الأول فـي مطلـع القـرن الرابـع الميـلادي ([2]) ، ولاشـك أن القبـائل العربيـة جلبتها معهـا ، وشـيد هـؤلاء المهـاجرون العـرب مراكزهم التجارية على إمتداد الساحل ، وجزرة على غرار مدنهـم التـي أتـوا منها ، فقد عثرى الأثري " جارفس ماثيور " في الجزر الكثيرة التي نقب فيهـا قريبا من ساحل تنزانيـا الجنوبـي علـى كثير مـن الآثـار التـي تتكـد إستطيان العرب من تلك الإنحاء ، من ذلـك مـا وجدنـاه فـي جزيـرة " سنجي ياكـاتي " بالقرب من تانزانيا من ' منازل صغـيرة مسـتطيلة الشـكل مـن الحجـر المتقـن الرصف ، تجمعت كلها منزلا جنب منزل حول قلعة مـازالت جدرانهـا ترتفـع

([1]) ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقية ، ترجمة محمد عاطف النواوي ، ص٤٠ .
وأيضاً : جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب في ساحل شرق إفريقية ، بحث منشور في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، العدد العاشر ١٩٦٥ ، ص ٢٨٦ .

([2]) **Oliver and Mathew : Op. Cit. p.102.**

ستة عشرة قدما فوق الأرض وهي أقدم المنازل التجارية في تلك الجزر عثر عليها حتى الآن ([1]) .

كان الغرض التجاري هو الصفة الغالبة للإستقرار العربي ، وهذا الغرض هو الذي دفعهم إلى اللجوء للساحل والجزر المجاورة له ، وإختيار نقط ممتازة تخدم هذا الغرض التجاري ، ولذلك فاختيار هذا النقط قام على أساس مالها من مزايا تجارية كثغر من الثغور سهل الإتصال بداخل القارة لنقل حاصلات بها إلى هذه الثغور للمتاجرة بها ، وكذلك سهل الدخول إليه من الجزيرة العربية المقابلة للساحل ([2]) .

ولقد تبع ظهور الإسلام وإنتشاره خارج الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي أن إندفعت جماعات من العرب من سواحل الجزيرة العربية إلى سواحل شرق إفريقية لا للتجارة بل للإقامة الدائمة ، وبدأ هؤلاء يقيمون المدن على الساحل ، وقد صادفوا جماعات من العرب سبقتهم إلى هناك منذ أزمنة بعيدة ، كما لقوا شبعا سواحلياً أسهمت العناصر الوافدة على الساحل في تكوين سماته ([3]) .

([1]) بازل دافيدسون : إفريقية تحت أضواء جديدة ، ص٢٤٢ – ٢٤٣ .

([2]) بازل دافيدسون : إفريقية تحت اضواء جديدة ، ص٢٤٤ – ٢٤٥ .

([3]) **Coupland : East Africa and its Invaders , Patients . 21 ;**

وأيضاً : جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب ، ص٢٩٩ .

والعرب السواحليون هم مجموعة من السكان تدعى إنتسابها إلى أصول عربية ، وينقسمون إلى مجموعتين ، بالنسبة لمدتيين من أزمان الهجرة، فالمجموعة الأولى تتكون ممن ينتسبون إلى العرب الذين إستوطنوا المنطقة قبل وفود العمانيين ويدخل فيهم الشيرازيون الذين إختاروا الإنتساب إلى العرب ، ومن هؤلاء حكام " باتا " Pata والمجموعة الثانية تتكون من ينتسبون إلى المهاجرين العمانيين الذين وفدوا إلى ساحل شرق إفريقية ، ومن أشهر عائلاتهم " آل المزروعي ، وآل بو سعيد ، وآل باعلوي ، وآل بافقيه ، وآل جمل الليل " ، وكثير منهم لا يزال له إرتباط بحضرموت ، وخاصة مدينة تريم مركز الدراسات الدينية في حضرموت (١).

وهناك عاملان أساسيان أديا إلى إستقرار العرب في الساحل دون الداخل : الأول : أن أولئك العرب لم يصادفوا على الساحل تنظيمات قبلية متماسكة ، ولذلك سهل عليهم الإستقرار وبناء وحدات تجارية ، العامل الثاني: ان إستقرار العرب في الساحل كان له أثر كبير في ظهور سمات مميزة لشعب جديد أسهم العرب ومن توافد من غيرهم من عناصر إسهاماً كبيراً في

---

(١) عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، مطبعة الفجر الجديد ، ص ٦٤ – ٦٥ .

بنائه ، ونقصد به الشعب السواحلي ، الذي هو مزيج من القبائل اللافريقية الخالصة ([1]).

وفي عام ٦١٠ بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الإسلام سراً بين أقرب المقربين إليه ، وفي عام ٦١٣م أمرة الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة ، وبدأت الجماعات الإسلامية الصغيرة التي اعتنقت الإسلام تتعرض للمحنة من إجتماع كلمة قريش على إيذاء المسلمين ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء الذي نال هو منه ([2]) أشار على أصحابه بالهجرة من مكة إلى الحبشة ، ليسلموا من أذى مواطنيهم ، وقال لهم : أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه ([3]) .

وكان من أسباب إختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة دون غيرها من البلاد لهجرة أصحابه أن ملك الحبشة إشتهر بعدم التعصب لفريق دون فريق ، أو ديانة دون ديانة ([4]) ، ولذلك فإن هذه

([1]) جمال وزكريا قاسم:دولة بو سعيد في عمان وشرق إفريقية " ١٧٤-١٨٦١"القاهرة ، سنة ١٩٦٧،ص١١

([2]) نوال علي محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ٣٥ ، وأيضاً ، جمال زكريا قاسم : استقرار العرب ، ص٢٩٩ .

([3]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الثاني ، ص٣٢٣ .

([4]) الطبري : نفس المصدر ص ٣٣٠ ، وأيضا : عبد السلام هارون : تهذيب سيرة بن هاشم ، ص٩٢ .

الجماعات الإسلامية لن تلقى أي نوع من الإضطهاد في أرض الحبشة ، وقد وجدوا بها الأمن والسلام ، وقالوا وفدنا أرض الحبشة وجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، عبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه ([1]) ، وكانت الحبشة أحب إلى رسول الله ، فعندما بدأت قريش في تعذيبهم ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه " تفرقوا في الأرض " ، فقالوا أين نذهب يا رسول الله فقال : ههنا – وأشار إلى الحبشة ([2]) ، وكانت الحبشة معروفة للعرب فقلما كان يخلو بيت عربي في مكنة من عبد حبشي ، وكان التجار العرب يستعينون بهم بكثرة في حروبهم القبلية وفي حراسة قوافلهم ، ويطلقون عليهم اسم العسكر تمييزا لهم عن العرب ، وقد إختلط هؤلاء الأحباش بالعرب وأنتجو نسلا عرف بشجاعته ، وأطلق عليه عزبان العرب وكان من أشهرهم عنترة العبسي ، وأم أيمن التي أعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجها زيد بن حارثه ومنهم بلال بن رباح مؤزن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأول مؤزن في الإسلام والذي أعتقه أبو بكر الصديق ، وليس من المستبعد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف منهم الحالة في الحبشة وعرف صلاحيتها كمأوى للمضطهدين من أصحابه ([3]) .

([1]) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، الجزء الأول ، ص١٣٦ .

([2]) محمد بن سعد : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

([3]) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا ، ص ٣٦ – ٣٧ .

ذكر أحد المؤرخين أن أرض الحبشة كانت متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاغا ([1]) من الرزق ، فلم تكن الحبشة إذا بلدا غريبا على قريش ، لذلك كانت أول هجرة في الإسلام للحبشة ، وتمت هذه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة عام ٦١٥م حيث خرجوا سرا كانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، حتى وصلوا إلى ميناء الشعبية منهم الراكب ومنهم المترجل وقد حملتهم سفينتان للتجار إلى أرض الحبشة ، وقد خرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر بعد أن ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا ([2]) .

ويبدوا أن هؤلاء المهاجرين وجدوا مقاماً سهلاً هناك ، إذ أن توالي الهجرات وبقاء معظمهم لمدة ستة عشر عاما دليل على ذلك حيث كانوا ضيوفا على النجاشي الذي أحسن معاملتهم ([3]) ، وعند موت النجاشي سنة تسع هجرية صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه صلاة جنازة الغائب ، وهذه أول صلاه جنازة للغائب ([4]) .

([1]) كذا في الطبري : ترفع الرجل : توسع ، نوأته لقى رفاغه ورفاغية من العيش ، انظر الطبري : المصدر السابق ، الجزء الثاني حاشية صفحة ص٣٢٨ .

([2]) محمد بن سعد : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص١٣٦ – ١٣٧ .

محمد حسين الزبيدي : هجرة العرب المسلمين إلى شرق إفريقية ، مجلة المؤرخ العربي العدد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٨٣ ، ص١٠٤ .

([3]) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا ، ص ٤٢.

([4]) القتائي : الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ، بولاق ، ١٣٢١هـ ، ص١١١ .

ويلاحظ أن المراكز العربية الإسلامية بالحبشة ، شأنها في ذلك بقية المراكز العربي ةعلى طول الساحل الشرقي لإفريقية فقد إتسمت بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة ولم تكن في نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية ، والواقع أن الأوضاع السياسية والإقتصادية في الدولة العربية الإسلامية دفعت الكثيرين إلى الهجرة ، وإتجهت بعض هذه الهجرات إلى سواحل إفريقية الشرقية ، وخاصة الحبشة بمفهومها الجغرافي في العصور الوسطى ، وكانت هذه الهجرات العربية تحدث بصفة مستمرة وفي أعداد يسيرة ، ولما كانت هذه الهجرات ليس لها طابع الغزو ، فإن السلطات الحاكمة في الحبشة لم تهتم بهم وكان لاستقرار العرب السلمي أثر كبير في قيام العلاقات بينهم وبين السكان الوطنيين على أساس من الود والصداقة ، ووجد أهل البلاد في هؤلاء القادمين نوعاً من الحماية ، فازداد تقربهم إليهم وإندماجهم فيهم ، وإرتبطوا معهم برباط المصاهرة (1) .

ولاشك أن الهجرات العربية في القرن السابع الميلادي كانت أبرز الهجرات التي شهدها الساحل وأهمها تأثيرا في تاريخه ، بحكم العامل الجغرافي الذي يتمثل في قرب شبه الجزيرة العربية من سواحل شرق إفريقية ونتيجة لذلك لعب العرب الدور الحاسم في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، في ساحل شرق إفريقية إذ نشأت بجهودهم مدن ومراكز تجارية ،

---

(1) محمود خيري عيسى : مرجع سابق ، ص٣٨ – ٣٩ .

فترك إنطباعا طيبا في نفوس الأفارقة جعل الكثير منهم يقبلون على الإسلام([1]) .

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جد من الأحداث السياسية والكوارث الإقتصادية كعام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب مما دفع بعض المسلمين إلى الهجرة إلى شرق إفريقية ، حيث الخير عميم والحياة أمان ([2]) .

والمقطوع به هو أن العرب كانوا هم الأغلبية الساحقة لتعمير الساحل الشرقي لإفريقية ، ويدعى القمريون بأنه سافر ثلاثة منهم إلى البلاد العربية في زمن الخليفة الرشاد عثمان بن عفان رضي الله عنه وعادوا بأحد أولاده([3]) .

وعقب مقتل عثمان ، إنقسم المسلمون إلى شيع في أثناء خلافة علي بن أبي طالب ونشبت المعارك بين الأحزاب المختلفة ، كل منهم ينتصر لمبدئه ولما كان النضال مريراً ، فقد لجأ بعض المتشيعين إلى الفرار والهجرة من مواطنهم العربية إلى شرق إفريقية ، وقد أستطاع العلماء بواسطة آثار المدن القديمة المبعثرة على الشاطئ الأهتداء بمعالم الحضارة العربية التي

([1]) محمد محمود الحويري : ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص٤١ .

([2]) محمد عبد الله المغيرة : مرجع سابق ، ٨١ .

([3]) حسن أحمد بدوي : مرجع سابق ، ص٤ .

أزدهرت هناك ، وقد كان لما دونه الرحاله العرب فيما بعد أهمية كبيرة في معرفة أحوال المجتمع العربي في شرق إفريقية ([1]) .

وكان من نتيجة الإضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ولا سيما في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥م) أن حدثت هجرات قبائلية من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لإفريقية ([2]) وذلك على إثر سياسة البطش والتنكيل بالقائمين بالحركات المناوئة بالدولة الأموية ، فخرجت هجرات عربية بأعداد كبيرة إلى ساحل شرق إفريقية ، وإنضمت إلى من سبقوهم إليها ليدعموا تأسيس المدن العربية هناك والتي أصبحت نواتها لامو والمناطق التي حولها ([3]).

وتذكر بعض الروايات أنه عندما علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بأخبار هجرة تلك الجماعات أرسل أخاه حمزه إلى شرق إفريقية لنشر الدعوة الإسلامية / ومد نفوذ الأمويين إلى هناك ، وفي رواية أخرى أن أبنه جعفر هو الذي هاجر إلى شرق غفريية وحكم في منطقة كيابو جنوب مقديشيو

([1]) عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص٧٦.

([2]) السي رجب حراز : إفريقية الشرقية والإستعمار الأوروبي ، دار النهضة ١٩٦٨م ، ص٣ .

([3]) **Reushc : Op. Cit., patients. 74.**

في أرخبيل لامو (١) .

وفي هذا الصدد هناك وثيقة عثر عليها المؤرخ الإيطالي " تشيرولي " تحت اسم " تاريخ الزنوج " حيث تقول : " سنة ٧٥هـ جاء العرب من الشام وهم جنود أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .. ووصلوا إلى كلوا ، وكان لهم أمير يقال له " مولى بن زبير الخثعمي " وكان أهل البلاد له طائعين من أولهم إلى آخرهم ، ثم جاء المرسول من الدولة العباسية إلى السلاطين في مقدشوه ، وبساسة ، وزنجبار ، ... وكان الوزير يقال له يحيى بن عمر الغزى ، ونال من السلاطين مراداً ، ورجع إلى بغداد بخير ، وأخبر اخليفة بكون أهل بلادنا في الطاعة ، ذلك هو جانب من الوثيقة الهامة الذي يؤرخ للوجود العربي الإسلامي في إفريقية الشرقية (٢) ، ثم هاجر إلى شرق إفريقية جماعة من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف السقفي فرحلوا سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م إلى الجنوب في أعداد كبيرة مولين وجوههم شطر الساحل الشرقي لإفريقية ولما وصلوه إقتحموا ميناء " ديوني " وأخضعوا سكانه الأصليين ، وكان به جالية تزيد عن عشرة آلاف من الرجال المسلمين،

---

(١) شيبو فرج بن حمد الباقري : خبر لامو Trans : WHICH., Hichens
Witwaters and press , Johannesberg , 1938 .
Translated and edited by which . Hichens , Bantu studies , pp. 1-33.
وأيضاً : حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، ص٣٩٨ .
Reusch : Op. Cit , P.77.

(٢) عبده بدوي : مرجع سابق ، ص١١٦ . وأيضاً مجهول المؤلف : تاريخ الزنج : نهضة إفريقية ، العدد ١٢ ، ١٣ ، السنة الثانية أكتوبر ، ونوفمبر ، ١٩٥٨م ، ص ٦٠ .

إذ إن الإسلام ، قد وصل المراكز التجارية التي أنشأها العرب بشرقي إفريقية عقب ظهوره في ركاب التجار المسلمين (1) .

وكثرة حروب عبد الملك بن مروان ضد مخالفيه فتعددت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق إفريقية في عهده وبصفة مستمرة ، وقد إنتشروا على طول الساحل الشرقي وبنوا المدن العربية ، ولم يلبث هؤلاء المهاجرون أن دخلوا في أنحاء القارة الإفريقية المتاخمة للساحل ، فشقوا طريقهم إلى أوغندا وتنجانيقا وإلى نياسالاند (2) .

لقد حملت الهجرات العربية التي وفدت إلى ساحل إفريقية الشرقي بذور الحضارة الإسلامية ، وقد إنفردت تلك الحضارة بخلاف سائر الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام الد' ثات البغيض أو الحاجز اللوني الشائن بل تنزهت عن شرور الحضارات التي تنادي بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات ،والتي وضت الحاجز اللوني الذي يسمح للرجل الأبيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، وكان لسمو وترفع الحضارة الإسلامية في هذا المضمار ، والتي حملت

---

(1) حسن احمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٨ . وايضاً عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص ٧٧ .
وأيضاً : Coupland : Op. cit. P. 22 .

(2) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، المطبعة المحمدية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م، ص١٧٥ .

الهجرات العربية بذورها إلى ساحل الإفريقي الشرقي ، أكبر الأثر في إنتشار الإسلام بين القبائل والشعوب الإفريقية (1) .

ومن المعروف أن أولى الهجرات العربية الجماعية إلى لامو كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وذلك على أثر سياسة التنكيل بالمعارضين للدولة الأموية ، وتذكر الروايات المحلية في باتا أنه عندما علم عبد الملك بأخبار تلك الهجرة ، أرسل حملة إلى ساحل شرق إفريقية لنشر الدعوة الإسلامية ، حيث إستقر في أرخبيل لامو والمناطق التي حوله (2) .

وبعد أن قضى الأمويين على مناوئيهم واستعادوا سيطرتهم على الأقاليم الإسلامية إهتموا بإستعادة نفوذهم في عامن ، وقد ظل أهل عمان بقيادة آل الجلندي يقاتلون الامويين ، وكان عبد الملك بن مروان قد إستخدم على العراق عاملة الحجاج بن يوسف السقفي ، ومع أن عمان كانت تابعة لأمير العراق ، إلا أن المصادر لم تذكر اسم أي وال عليها ، الأمر الذي يدل على أن الخلفاء لم يعينوا أحداً عليها ، وأن آل الجلندي ظلوا يديرون شئونها(3) ، غير أنه لما إضطربت أحوال الدولة الأموية بعد وفاة يزيد

---

(1) السيد رجب جزار : مرجع سابق ، ص6 .

(2) Chitt , Ck : Op. Cit . Vol. II , patients , 1980 ;
Knapert : Swahili Islamic Poetry London , 1971 , Vol., I , pp. 5-6.

(3) عبد الرحمن عبد الكريم العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٨٦ – ٨٧ .

وقويت شوكة الخوارج في شبه الجزيرة العربية وسيطر نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج على البحرين ، أرسل جيشا إلى عامن بقيادة عطية بن الأسود الحنفي وكان يحكم عمان آنذاك عابد بن عبد الله بن الجلندي ويعوانه أبناءه سعيد وسليمان ، فقتل عباد وأستولى على عمان ، بذلك صارت تحت سيطرة الخوارج الذين كانوا من أعنف خصوم الأمويين .

وثار الأخوان سليمان وسعيد أبناء عباد الجلندي في وجه الخليفة عبدالملك بن مروان ، ولكن قوات الحجاج بن يوسف السقفي تغلبت على الأخوين([1]) وأستطاعت إلحاق الهزيمة بهما والقضاء على نفوذ اهل عمان ، وذلك بالأسلوب الذي لجأ إليه عبد الملك بن مروان ، إذ اتبع سياسة قبلية في شبه الجزيرة العربية واستعان ببعض القبائل على البعض الآخر ، وبمعنى آخر إستعان بقبائل نزار ضد قبيلة الأزد العمانية ، وفي المعارك العنيفة التي دارت بين هذين الفريقين إنهزم الأزد تحت قيادة سليمان وسعيد الجلنديين ، فحملا ذرايرهما ومن معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج (ساحل

([1]) Coupland : Op. Cit ., pp. 20 - 22 .

محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٤٧.

جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الإفريقية ص ١٥ – ١٦ .

عبد الله بن خلفان بن قيعر بن سليمان : سيرة الهمام ناصر بن مرشد وتاريخ عمان " مخطوطة مصورة بالميكروفيلم برقم ٣٤٣ ، في المتحف البريطاني بلندن سنة ١٨٦٠م .

شرق إفريقية) ([1]) .

والواقع أن هجرة العمانيين إلى ساحل شرق إفريقية حدثا هاما في تاريخه ، إذ توضح لنا أن العمانيين لمدة طويلة من العصور المظلمة حتى أكتنفت ذلك الساحل ، كانوا يترددون عليه ، وأنه كان معروفا تماما لديهم وخاضعا لفنوذهم إلى حد ما ، ولهذا السبب لم يلجأ الأخوان الجلنديان إلى أي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية ، وآثرا التوجه إلى الساحل ليقينهما من أنهما سينالان استقبالا طيبا ([2]) ، وقد ألقى الأستاذ هنشنز " Hichens " المزيد من الضوء على تلك الهجرة حين عثر على كتاب ألفه شيبو بن فرج حمد الباقري وعنوانه أخبار لامو ([3]) يعرض فيه لتاريخ هذا البلد والهجرات الأولى التي وفدت إليه ، فقد ذكر أن تلك الهجرة الولى إستقرت في مدينة لامو شمال ممباسا ، وكانت السبب في ظهور غمارة إسلامية في ذلك الوقت، وبذلك كانت لامو أقدم الإمارات العربية الإسلامية ظهورا في ساحل شرق إفريقية ([4]) .

([1]) الطبري : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٧٠ – ١٧٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٤ ، ص٢٠٥.

السالمي : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ، ج١ ، ص٥١ – ٥٩ .

([2]) **Ingrams . w.h. : Zanzibar its history and its people , hiiand 1967 , p. 73.**

([3]) خبر لامو : لشيبو بن فرج بن حمد الباقري :

Trans : w, hichens witwaters and press , johannesberg , 1938.

([4]) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

ثم شيدوا عدة مدن على طول الساحل الشرقي لإفريقية ، وقد كان العرب يطلقون على هذه المنطقة في ذلك الوقت بر الزنج ، ثم توالت الهجرات الواحدة تلو الأخرى ، أسس المهاجرون فيها عدة مدن بعضها قد إندثرت ولا يوجد لها أثر إلا الأثر القليل حيث توجد تلك الآثار من البيوت المهدمة تغطيها الغابات الساحلية وبعضها مدفون تحت الرمال ومنها ما هو شبه مهجور فيها إلا بعض البيوت المهدمة السقف (1) .

وللهجرات العربية الإسلامية إلى الساحل الشرقي لإفريقية آثار بعيدة المدى في تطور العلاقات العربية الإفريقية ، وسوف أقسم هذه الآثار من أجل الدراسة إلى قسمين : الأول ما يتعلق بالآثار المباشرة للهجرات العربية في الساحل الشرقي لإفريقية ، والثاني ما يتعلق بهذه الآثار في مجال العلاقات بين العرب وبين منطقة الساحل الشرقي لإفريقية .

وبالنسبة للآثار المباشرة فإننا نجدها في مختلف مجالات حياة السكان، فقد قام العرب بنقل حاصلات المنطقة مثل العاج والذهب وريش النعام والجلود والموز والؤلؤ والصمغ واللبان إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي ، كما ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية ، وكانت بيوت سيراف

---

(1) تقرير بخط يد مبعوث رابطة العالم الإسلامي في نيروبي الشيخ علي محمد صالح كيني الجنسية من مواليد ١٩١٥م ، وقد تم إجراء مقابلة عه في نيروبي أثناء رحلتي العلمية في كينيا وذلك يوم الجمعة الموافق ١٤٠٨/١٢/٢٣هـ .

على الساحل الشرقي للخليج الرقيق من أسرى الحروب الوطنية ، فشكل الزنج عنصرا هاما من عناصر السكان في الدولة العربية الإسلامية (١) .

وكان لظهور القرامطة أنحدثت قلاقل وإضطرابات في شبه الجزيرة العربية ، وذلك أن عمان كانت من بين الولايات الإسلامية التي تدين بالطاعة للعباسيين في أواخر القرن الهجري ، وقد تزكم الحكم فيها في عهد الخليفة المعتضد بالله " ٢٧٩ – ٢٨٩هـ / ٨٩٢ – ٩٠٢ م " بنو شامة بن لوءى بن غالب ، ففتح محمد بن القاسم الشامي عمان بمعاونة هذا الخليفة ثم وليها من قبله ، على أن الضعف والإنحلال ما لبث أن أصابا عمان بسبب المنازعات التي قامت بين أبناء محمد بن القاسم سنة ٣٠٥هـ وظل الإضطراب سائدا فيها حتى تغلب عليها سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩ أبو طاهر القرمطي (٢) ، وقد جاء القرامطة إلى عمان في عهد إمامها عمر بن محمد بن مطرف فاعتزل عن بيت الإمامة ، ورجع القرامطة إلى البحرين فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة(٣) ، وباعتزاله أعقب ذلك فترة ظل فيها منصب الإمام شاغرا حتى عقد أهالي عمان الإمامة لمحمد بن يزيد الكندي ، بيد أن الخلافة العباسية لم تلبث أن تغلبت على عمان ، وهرب محمد بن يزيد منها إلى زنجبار (٤) ،

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر : طبعة مصر ١٢٨٦هـ ، جـ٢ ، صفحات ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ .

(٢) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٥١ .

(٣) ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص٢٣٨ .

(٤) **Miles , S.B: The Counties and tribes of the persian Gulf , London 1966. pp. 94-97.**

على أن النفوذ العباسي لم يلبث أن ضعف أمره في عمان ، وسادتها الفتن والإضطراب الامر الذي لا نستبعد معه أن كثيرا من أهالي عمان وجدوا في ساحل شرق إفريقية الأمن والاستقرار .

والواقع أنه يمكننا أن نربط بين الوضع العام في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وبين تتابع الهجرات والقادمين إلى منطقة ساحل شرق إفريقية ، فمنذ مستهل هذا القرن إزداد ضعف الدولة العباسية في بغداد ، وليس أدل على ما بلغه العالم الإسلامي من ضعف ووهن إبان ذلك القرن وجود ثلاث خلافات ، الخلافة العباسية في بغداد ، والخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر ، والخلافة الأموية في الأندلس ، ونتيجة لذلك فإن بعض الجماعات الإسلامية التي هالها تمزق العالم الإسلامي، أثرت الإبتعاد عن أحداثه ملتمسة النجاه فهبطت من بين ما هبطت ساحل شرق إفريقية متخذة منه دار غربة ووطنا ، وعلى هذا الأساس ظهر العديد من المدن العربية الإسلامية على طول الشريط الساحلي ، ويؤكد ذلك وصف المسعودي زار منطقة الساحل الشرقي لإفريقية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ([1]) .

وفي أوائل القرن العاشر الميلادي وبالتحيد سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٨م خرج سبعة أخوة في ثلاث سفن من الأحساء خلال الصراع بين الخلافة

([1]) المسعودي : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٥ .

العباسية والقراطمة ونزلوا ساحل البنادر (في الصومال حاليا) وشيدوا مدينة مقديشيو وبراوة ([1]) .

ومع أن هناك إختلافاً حول تاريخ هذه الهجرة التي ترتب عليها تأسيس مدينة مقديشيو وبراوة فإن " جيان " يؤكد أن مقديشيو قد تأسست في أوائل عهد الدولة الفاطمية حوالي عام ٢٩٦هـ ([2]) .

ومن الاثار التي ترتبت على وصول الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر ذلك الصراع الذي نشأ بينهم من ناحية وبين الهجرة الزيدية السابقة عليهم بسبب الإختلاف المذهبي ، فبينما كان الإخوة السبعة وأنصارهم من أتباع المذهب الشافعي ، كان الزيديون شيعة ، وإنتهى الصراع بين الفريقين بإنتصار هجرة الإخوة السبعة الزيدية إلى الداخل ([3]) .

وفي القرن العاشر الميلادي وفد السادة آل الأهدل وأستوطنوا لامو وأول من جاء هو الشريف أبو بكر بن أبي القاسم بن محمد الرمحي ، وهو الجد العشرين لآل الأهدف ([4]) ، ثم أنتقلوا إلى الأصقاع الدانية والنائية حتى بلغ بعضهم أوغندا وكان جل همهم نشر السلام حيثما حلوا وإرتحلوا ثم تلاهم

([1]) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص٤٣٧ .

([2]) جيان : مصدر سابق ، ص٤٨١ .

([3]) ابن بطوطة : تحفة النظائر ص ١٩٣ ، جمال زكريا : استقرار العرب ص ٢٧٧ ، وأيضا **Freeman - Gernville : The Medieval Historty of the Coast of Tangangika , patients . 31 London 1962.**

([4]) لا يزال أحفاد آل الأهدل يعيشون حتى اليوم في مكة المكرمة .

السادة آل جمل الليل باهارون وإستوطنوا باتا ثم ويتو والقـرى الداخليـة ثـم آل السقاف وآل السكران واستوطونوا سيو وواسـيني وزنجبـار وبلدان عديـدة فـي الساحل .

وجاء المشايخ آل العمدي وأستوطنوا طاقة ومالندي وزنجبار ، ووفـد السادة آل باحسن واستوطنوا باتا ثم إنتقلـوا إلـى انجزيـة المعروفـة الآن باسـم جزر القمر ، ونزلوا في الكوني في كينيا ، ثـم إنتشـروا فـي كـل أنحـاء جـزر القمر ، ثـم عـادوا إلـى لامـو وزنجبـار ، ثم آل الشـيخ أبـو بكـر بـن سـالم آل الحسيني حيث أقام بعضهم في لامو وزنجبار .

كل هؤلاء المذكورين قدموا الساحل في أوائل القرن العاشر الميـلادي وإليهم يرجع الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في تقديم الإسلام وتنمية الثقافـة والحضـارة العربية والإسلامية في كافة الساحل الشرقي الإفريقي ([1]) .

ولم تقتصـر هجرات المسلمين إلى شرق إفريقية على العنصر العربـي وحده ، بل أسهمت العناصر المسلمة الأخرى فيها بنصيب ، فقد هـاجر حسـن بن علي ، أو على إبنه على إختلاف الروايات ، وهو إبن حاكم شيراز بفارس مع أهاه وكثيرين من رعيتـه ، هـاجروا إلـى شـرق إفريقيـة لأنـه كـان مـن أم حبشية فعيرة إخوته الستة الذيـن كـانوا مـن أم فارسـية بأمـه ، فهـاجر بأتباعـه

([1]) صالح محمد علي بدوي " شيخ باحسن " المخطوط السابق ، ص٣ .

وحاشيته سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٦م وطبقا للرواية العربية لحوليات كلوة كانت الهجرة بزعامة الحسن بن علي (١) ، أو علي بن الحسن طبقا لرواية المؤرخ البرتغالي دي باروس J. De Barros وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (٢) .

ويذكر هشنز Hichens إن الذي هاجر هو حسن بن علي الشيرازي حاكم شيراز بفارس مع أهله وكثيرين من رعيته ، وذلك فرارا من طغرل بك السلجوقي وجيشه الذي عزا شيراز عام ٤٤٧هـ /١١٠٠م وأن هجرتهم قد تمت في المدة ما بين التاريخ السابق ، وبين عام ٤٩٣هـ / ١١٠٠م حيث هاجروا جميعا في سبع سفن من جزيرة هرمز متوجهين إلى إفريقية (٣) وفي أثناء إبحارهم حول الساحل توقفت بعض السفن في مناطق صغيرة مثل ممباسا وزنجبار ، وظل حسن بن علي يبحر حتى وصل إلى كلوا فأعجبته فقرر هو ورجاله الإستسطان بها ، وكانت المدينة صغيرة في بداية عهد إنشائها وقابل مسلما يدعى منيري وإبارى وأبلغه أنه يرغب في شراء الجزيرة القريبة ، فاتصل منيري برئيس القبيلة الذي وافق على بيعها مقابل أطوال من

---

(١) جيان مصدر سابق ، ص ٨٦ – ٨٨ .

(٢) **Oliver and Mathew : Op. Cit . Vol. I, 102-103.**

(٣) **Hichesns : Islam To - day , patients. 17**

Marsh and kingsnorth : Op. Cit. pp . 21-22 . وأيضا : جمال زكريا : الأصول التاريخية ، ص ٦٩ .

القماش تكفي لإقامة سور حولها ، فأعطاه حسن بن علي ما طلب ، وبدأ إستيطانه فوق الجزيرة التي أطلق عليها اسم " كلوا اكيسيواي " وكانت هي النواة لمدينة كلوا المزدهرة ، وفي ذلك الوقت قوى المستوطنون العرب فوق جزر أخرى حول الساحل مثل ممباسا وزنجبار وكانوا يفضلون الجزر لسهولة الدفاع عنها حيث لا يستطيع السكان المحليون مهاجمتها إلا بعد عبور البحر بين الساحل وتلك الجزر ، وكانوا بحارة مهرة يسهل عليهم هزيمة المهاجمين من السكان الوطنيين ، وقد أصبح حسن بن علي صديقا لأهالي الجزيرة المحليين وتزوج من إبنة منيري (١) .

وهناك مخطوطة عربية ترجع إلى عام ١٨٧٧م وقدمها السيد برغش بن سعيد سلطان زنجبار هدية إلى السير جون كيرك John Kirk القنصل البريطاني العام في زنجبار ، وهذه المخطوطة تشتمل على سبع عشرة ورقة وقد أهدى كيرك Kirk بدوره هذه المخطوطة التي إعتبرت فريدة في نوعها إلى المتحف البريطاني بلندن والتي حملت رقم ٢٦٦٦ ، وتشتمل على حوادث من وصول فرس شيراز إلى ساحل شرق إفريقية في القرن العاشر الميلادي حتى الغزو البرتغالي لكلوة ، والمخطوطة تحمل إسم السلوة في أخبار كلوة ، فهي تتناول مقدمتها بعض أمور فلسفية ودينية ، والفصل الأول يتناول تأسيس

(١) سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقية ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي الطبعة الأولى

مدينة كلوة وأول من وفد إليها ، حيث يبدأ بنواحي تفصيلية بها أشياء كثيرة عن الهجرة قامت من شيزاز على الساحل الشرقي من الخليج العربي إلى كلوة وهي جزيرة صغيرة تقع على مقربة من ميناء دار السلام الحالي(١) .

ويعلل صاحب السلوة في تاريخ كلوة أن سبب هذه الهجرة ، أن السلطان حسن بن علي رأى في الحلم أن فارة خرطومها من حديد تنخر في الجدران بخرطومها وقد فسر حلمه هذا أنه إلى خراب مدينتهم وأخبر أولاده وأفهمهم أنهم لن ينجو من الخراب والهلاك وسألهم المشورة " فقالوا جميعا الأمر إلى الله ورسوله ثم إليك ، فقال لهم : إني أرى الإنتقال من شيراز وكانت هذه الهجرة تضم نحو ألف ومائتي رجل وصلوا لإلى شرق إفريقية في سبع سفن ونزلوا في عدة أماكن على الساحل وذهب كل واحد إلى مكان (٢) ، واستطاعوا تكوين إمارة لهم على الساحل وبعض الجزر حملت بعض التأثيرات الآسيوية ، ولكن الشيرازيين تخلوا بالتدريج عن ثقافتهم ، وإصطبغوا بصبغة إفريقية عربية ، على الرغم من أن لفظ " شيرازي " كان يستعمل للتمييز بينهم وبين العرب السواحليين ، وقد نشأت تلك المجموعة على ساحل لامو ، ثم إمتدت إلى الجنوب ، ومنه إلى جزر زنجبار وبمبا

---

(١) Strong , A. : history of kilwa , jornal of the roya asiaitc society , 1885 , p. 411.

(٢) نص مخطوطة السلوة في تاريخ الكلوة نشرها : Arthurs Strong in Journal of the royal Asiatic Soceity , 1885, pp. 411 - 412 .

ومافيا ، حيث طرأت عليهم بعض التغيرات بتأثير العرب الوافدين من الجزيرة العربية ، وهم يشكلون قلة بين السواحليين في المدن والقرى ([1]) ، بل إن بعضهم بل إن بعضهم ينسبون أنفسهم إلى العرب المهاجرين وأهم مجموعاتهم التمباتيون الذين يعيشون في جزيرة تومباتون Tumbatu في جنوب جزيرة " بمبا " وفي جزيرة زنجبار ([2]) ، وأن أصل المواطنين في جزيرة تومباتو خليط مع مقيمين إيرانيين هاجروا منذ حوالي ٨٠٠ سنة وآثار حطام الإيرانيين ممكن أن نجده في تلك الجزيرة ([3]) .

ولم يقتصر الأمر على هجرة المسلمين إلى شرق إفريقية للمنزعات السياسية أو المذهبية ، بل إن الكوارث الإقتصادية التي كانت تحل بالعالم الإسلامي عامة العرب بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة يشدون الرحال إلى شرق إفريقية التامسا لمهجر جديد يطيب فيه المقام وتقسيم الحياة ([4]) ، كما كان للأحداث الخطيرة التي إجتاحت العالم الإسلامي أبلغ الأثر في هجرة المسلمين إلى شرق إفريقية ، ومن ذلك سقوط الخلافة العباسية على أيدي

([1]) في تعداد السكان في تنجانيقا عام ١٩٤٨م نسب . ١٤٠٥ نسمة أنفسهم للشيرازيين ويتمركز الشيرازيون أساسا في مقاطعتي " تانجا" و " مافيا " ويضم هذا العدد مكان جزيرتي كلوا وإحداهما شمال تانجا والأخرى بالقرب من كيسجو **Kisiju** وكذلك مجموعات مثل **Matangata** ومكواجا **Mkzaja** على الساحل .

([2]) عبد الله نجيب محمد ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص٦٣ .

([3]) **Ernest Loftus : Avisual History of East Africa , P. 42 .**

([4]) جيان : مصدر سابق ، ص٧١ .

المغول ، ودخولهم مدينة بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وغزو تيمور لانج لفارس ، وقد أدى ذلك إلى إزدياد موجات الهجرة إلى ساحل شرق إفريقية ، حيث أصبح الساحل هو المنطقة المألوفة بالنسبة للمهاجرين الذين طردوا أو أجبروا على الهجرة من مواطنهم نتيجة للصراعات الدينية والسياسية التي تعرضوا لها (١) .

وكانت منطقة شرق إفريقية هي المنطقة المألوفة للمهاجرين وذلك ليسر الحياة فيها ولبعدهم عن تسلط الحكام ، وحيث ينعم بالحياة فيها إخوان لهم يجدون منهم كل عون ، وفي جوارهم وحماهم كل طمأنينة وأمن ، كما أن العرب مهنتهم التجارة ، وكان مزدهرة بأسواق شرقي إفريقية ، التي كانت تفيض بشتى المتاجر والبضاعات التي أتى بها العرب وغيرهم إليها من كل مكان (٢) ، وفي أوائل الثاني الهجري / الرابع عشر الميلادي ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، قام من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ، صاحب عمان على رأس أتباعه الكثيرين واتجهوا إلى جزيرة باتا ، وقد آلت السلطة إليه بعد ذلك ، وأصبح أميرا شرعيا ، ثم نقل بلاطه من عمان إلى شرق إفريقية ، وأسس الأسرة النبهانية في مدينة باتا ، التي تولت حكم شطر كبير

---

(١) Reush , R : op. Cit , pp. 249 - 250 .

Pearce : Op. Cit , patients. 34.

(٢) جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية ، ص ٥٦ .

من الساحل الإفريقي ، وكان لهذه الإمارة دور بارز في تاريخ الإسلام في شرق إفريقية([1]) .

ويلاحظ أن بعض الكتاب الأوربيين وخاصة من الأنجليز ، يحاولون التركيز على الهجرات الفارسية بغرض إضعاف النفوذ العربي على الساحل وإعطاؤه مسحة فارسية ، فشجعت بريطانيا خلال سنوات حمايتها لزنجبار قيام الحزب الأفروشيرازي ، الذي تأسس في زنجبار لمناهضة الحرب الوطني ، وقد عرف عن الحزب الأفروشيرازي الادعاء بأن مسلمي الساحل ينحدرون اصلا من فارس وليس من الجزيرة العربية ، والهدف من ذلك واضح وهو القضاء على المقومات والتأثيرات العربية ([2]) ، رغم أن كوبلاند Coupland يذكر أن العرب في السواحل الإفريقية كانوا بمثابة أرستوقراطية تمثل الطبقة الحاكمة التي لها السيادة ، ولم يكونوا بعيدين عن السكان أو متباعدين عنهم ، فقد كان هناك تقارب وتجانس أدى إلى الإختلاط والتزاوج ، واعترف في أكثر من موضع في كتابه بروح المحبة التي سادت بين السكان الأصليين وبين المهاجرين والتي ترتب عليها تزاوجهم وكانت نتيجة ذلك جنس بدت فيه الصفات الزنجية المعدلة كما بدت فيه الكثير من العادات والصفات العربية ([3]) .

([1]) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

([2]) إبراهيم العدوي : العروبة في شرق إفريقية ، مجلة نهضة إفريقية العدد ١٨ ، مايو ١٩٥٩م ، ص١٩.

([3]) **Coupland : Op. Cit , patients. 27**

وفي النهاية يتضح لنا مما سبق ذكره أنه من الطبيعي أن تأتي الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقية ، فالدور الذي لعبته إفريقية ، في إستقبال المهاجرين كان أبرز من الدور الذي لعبته في إرسال المهاجرين (١) ، فعلى مر العصور كانت شبه الجزيرة العربية مستودعا بشريا عظيما ولموجات بشرية متدفقة في تيارات على مدى العصور والأجيال، ولذا تدافعت الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة ، ولما كان الساحل الشرقي لإفريقية أقرب تلك المناطق لذا كان منطقة إستقبال للمهاجرين من جنوب بلاد العرب موجه إثر موجه .

(١) محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشري ، طبعة رابعة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٠م ، ص٢٨٣ .

(ج) الإمارات العربية الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية

كان للعرب قبل الإسلام إتصالات بشرق إفريقية ، لكنها كانت تقتصر على عمليات التبادل التجاري وما يتبع ذلك في بعض الأحيان من إستقرار مؤقت في المراكز التجارية التي أقامها العرب لغرض التجارة (١) .

وعنى التجار العرب بتأثيث عدة محطات أو مراكز تجارية كانوا يعتمدون عليها في أسفارهم الطويلة ولذلك قامت العديد من المستوطنات العربية على طول طرق القوافل ، وكانت الأنظمة التي وضعتها سلطنة زنجبار لحكم المقاطعات التي سيطرت عليها تتمشى إلى حد كبير مع الرغبة في إنعاش النواحي الاقتصادية ، ومن ثم كان إتجاه السلطنة العربية إلى تنشيط حركة التجارة بين الداخل والساحل ، عن طريق فرض أقل المكوس الجمركية كما يرجع للسلطنة العربية الإفريقية فضل تشجيع الزراعة خاصة زراعة القرنفل ، وذلك باستغلال خصوبة بعض الجزر المقاطعات الإفريقية وعلى الأخص جزيرتي بمبا وزنجبار (٢) ، وتحولت زنجبار من ميناء صغير إلى أعظم ميناء في ساحل شرق إفريقية (٣) .

---

(١) جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب في ساحل شرق إفريقية ، بحث منشور في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، العدد العاشر ، ١٩٦٦م ، ص٢٨٩ .

(٢) Burtin : Zanzibar , City Iskand and Coast London 1886 , Vol. II , P. 295.

(٣) Coupland : Op. Cit ., Patients. 336.

وتعرف جزيرة زنجبار بجزيرة التوابل Spices ، وهي تقع على مسافة ٤٠٠ ميل نوب خط الإستواء وعلى بعد ٢٠ ميلا من ساحل تنجانيقا ويبلغ طولها ٥٠ ميلا وعرضها ٣٤ ميلا ، ومن أهم محاصيلها القرنفل الذي يبلغ عدد شجراته أربعة مليون شجرة في ذلك الوقت ، وتمثل نسبة إنتاجها من هذا المحصول سبعة وخمسون في المائة بالنسبة للإنتاج العالمي ، وتبلغ المساحة المزروعة منه ٨٠ ألف فدان ، وتصدر زنجبار أيضا الاخشاب (١) ، وكان التجار العرب في شرق إفريقية على درجة من الثراء ، الأمر الذي أدى بهم إلى تكوين اسقراطية تجارية في المواقع التجارية المختلفة على الساحل الشرقي لأفريقية ، وظهرت المدن في شكل وحدات مستقلة أو شبه مستقلة الواحدة فيها عن الأخرى ، وذلك على شكل حبات عقد طويل على ذلك الشريط الساحلي في شرق أفريقية (٢) .

وأحدث الإسلام أثره في ساحل شرق أفريقية وأثرت التجارة العربية وما تلاها من إستيطان عربي إسلامي على الساحل تأثيراً كبيراً ، فكثرت المنازل العربية من الجزيرة العربية ومن الخليج العربي ، ولعبت الحروب الأسرية والدينية في الدولة الإسلامية دورا كبيرا، بالإضافة إلى هذا الاثر

---

(١) فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لإفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٣٣٣ .

(٢) جلال يحيى : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٢٨ .

تحولت المراكز التجارية إلى إمارات عربية إسلامية يسكنها المهاجرون العرب ([1]) .

كان أول من وصل من المسلمين إلة ساحل شرق إفريقية تجار من العرب والفرس ، ولقد أقاموا في الساحل وكونوا مدناً صغيرة إمتدت إلى ما يعرف باسم ممباسا ولامو وباتا وزنجبار وبمبا ، وكان العرب في ساحل شرق إفريقية يطلقون على تلك المنطقة " أرض الزنج" ، وقد اختاروا جزرا مناسبة وأقاموا تجارة حول الموانئ ، وقد كانوا على علم بالظاهرة الطبيعية وهي الرياح الموسمية Mon Soon والتي تمكنهم من إبحار سفنهم الشراعية من سواحل الجزيرة العربية وتوصلهم تلك الرياح الموسمية القوية إلى الساحل شرق لأفريقية في الشتاء ([2]).

والواقع أن قدوم العرب إلى ساحل أفريقية الشرقي وإقامتهم إقامة دائمة ، كان بمثابة بدء لعهد جديد في تاريخ أفريقية الشرقية وهو عهد إتسم بظهور تغيرات واسعة في علاقات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة ، فمن المعروف أن الهجرات والجماعات أن تؤسس إمارات وسلطنات سواحلية ، قامت نظم الحكم وعلاقات السلطة فيها تحت

([1]) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص . ٥٧ .

([2]) **Joseph Kakai Wakhugu : An Attept at Fostering Mutual Underst Anding Between Christions and Muslims Kenya 1980, p. 53.**

رئاسة هؤلاء الوافدين ([1]) ، على طول الساحل الشرقي ، حتى مدار الجدي جنوبا وكان العرب يطلقون عليها ساحل ، أو بلاد الزنج ، كما أن هذه الإمارات كانت مسرحا لنشاط تجاري واسع وقد كان العرب ينتقلون من وإلى الجزيرة العربية ([2]) .

ويرى هشنز Hicheans أن ثمة هجرة حدثت في القرن السابع الميلادي ، وفي سنة ٦٦٥م على وجه التحديد ، وقد إلقى المزيد من الضوء على أخبار هذه الهجرة ونتائجها ، حتى عثر على كتاب عنوانه " أخبار لامو " ألفة شيبو فرج بن حمد الباقري يعرض فيه للهجرات الأولى التي تدفقت على هذه المدينة ، فيذكر أن فريقا من أهل الشام لافارين من وجه الأمويين ، وكانوا يزيدون على العشرة آلاف رجل ، رحلوا إلى الجنوب ونزلوا بالساحل الشرقي لأفريقية وأستولوا على ميناء " وبونى " ثم تبعهم فريق من أهل عمان الذين هزمهم الخليفة الأموي " عبد الملك بن مروان " نزلوا مدينة لامو شمال ممباسا ، واستطال عاحاج سعيد في مستهل القرن الثامن الميلادي أن يؤلف حكومة ديموقراطية تطبق تعاليم مذهب الخوارج ، الذي كان سائدا بين أزد وعمان ، ثم بايعه أهل مدينة " وبونى " فقام بوضع تخطيط للمدينة وجعل لها

([1]) السيد رجب حراز : مرجع سابق ص ٥ .

([2]) أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص٧٢ .

مجلسا إستشاريا من شيوخ الأحياء ، يشاركونه مسئولية الحكم ([1]) ، لذلك يعتبر هؤلاء العمانيون سبب في ظهور أقدم إمارة إسلامية في لامو " شمال ممباسا " على ساحل شرق إفريقية ، وأقاموا بها في مستهل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حكومة ديموقراطية تعتنق مذهب الخوارج الذي كان متنشرا في عمان ([2]) .

وفي أثناء فترة حكم بعض الخلفاء الأمويين هبت ثورات الشيعة والخوارج في العراق وما وراء النهر ، لذلك هرب الكثير منهم إلى سواحل شرق إفريقية ([3]) وكونوا إمارات على هذا الساحل . واستقروا فيها ويحكمها مسلمون من العرب أو الفرص أو الإفريقيين المسلمين منذ القرن الأول الهجري ([4]) ، ولقد نشأت هذه الإمارات صغيرة أولا ثم كبرى بمضي الزمن ، وكانت الحكومات الإسلامية المترتبعة على عروشها تسوس رعية بعضها من المسلمين وبعضها الآخر من غيرهم ، ومن هنا كان دورها في تحويل هؤلاء الرعايا إلى الإسلام ، بل وشمل كل من يتردد على تلك الممالك من غير المسلمين للإتجار مع رعاياها أو للعيش بينهم من القبائل المجاورة ([5]) .

([1]) Hicgeans : Op. Cit ., patients . 10 . وأيضاً : عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص٧١ .

([2]) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٣٦ .

([3]) زاهر رياض : الإسلام في إثيوبيا : ص ٥٤ – ٥٥ .

([4]) محمد عبد الله النقيرة : مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

([5]) محمد عبد الله النقيرة : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

وبدأت الإمرات الإسلامية تظهر على الساحل الإفريقي إلى الجنوب من لامو ، فكلما تقدمت هجرة إسلامية ظهرت إمارة جديدة .

فظهرت إمارات ماليندي وأوزي وشاكة قرب دلتا نهر تاتا في كينيا ، وكان هذا في مستهل القرن الثاني الهجري ، وفي تلك المدة ظهرت إمارة كلوا الإسلامية التي تود على ساحل تنجانيقا ، وقد إزهدرت ولا يزال بها أطلال مسجد يعود إلى تلك الحقبة ، وهكذا وصل الإسلام إلى الساحل الجنوبي من تنجانيقا في مستهل القرن الثاني الهجري (١) .

إن الأصل في تأسيس إمارة باتا يرجع إلى حكم الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي شهد عهده تأسيس العرب لعدة مدن على الساحل الشرقي لإفريقية ، كالميندي وزنجبار وممباسا ولامو ولكوة وباتا ، وعندما سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية إعتمد الخليفة هارون الرشيد على ما كان للدولة الأموية من ممتلكات في شرق إفريبية ، فعزم على تدعيمها ومن أجل ذلك شجع الكثير من العناصر وخاصة من الفرس على الإقامة في تلك الإمارات الإسلامية (٢) .

---

(١) سيد عبد المجيد بكر نفس المرجع ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧ .

(٢) Warner : A Swahili History of pate , Lonodn 1913 .

وكانت إمارة باتا عظيمة ، حيث كانت أولاً إمارة أهله بالسكان من قبائل أصيلة ثم أتت القبيلة النبهانية ([1]) بقيادة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني الذي تزوج من أميرة سواحلية هب إبنة إسحق حاكم باتا ، ثم ورث الملك وأصبح أميرا شرعيا ، ثم نقل بلاطه إلى شرق إفريقية وتأسست الاسرة النبهانية في مدينة باتا وقامت هذه الإمارة الإسلامية في ظلهم بدور بارز في تاريخ الإسلام في شرق إفريقية ([2]) .

كان أهل باتا أهل حروب وغزوات ، وكان لهم جيش قوي وجل همهم السطيرة على جميع بلاد السواحل ، وقد إستطاع أهل هذه الإمارة في يوم من الأيام إخضاع جميع الساحل([3])

وقامت إمارة إسلامية في منطقة شوا في الهضبة Shoa في الهضبة الحبشية ، حيث عملت على توطيد العقيدة الإسلامية في شرق إفريقية ، وقد ألقى ضوء جديد على تاريخ هذه السلطنة حينما عثر المؤرخ الإيطالي تشيرولى Cerulli على مختصر لتاريخ سلطنة شوا الإسلامية ، وقد تبين أن هذه السلطنة أسستها أسرة عربية تسمى بأسرة بني مخزوم ، وليس من شك في أن بني مخزوم هؤلاء كانوا من المهاجرين العب الذين أنفذوا إلى هذه

([1]) حسن أحمد بدوي : تاريخ شرق إفريقيه ، ص ٧ .

([2]) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

([3]) حسن أحمد بدوي : مصدر سابق ، ص٧ .

الجهات ، وليس بعيدا أن يكونوا قد نزلوا أول الأمر في ضيافة إمارة محلية ، ثم إختلطوا بالأمراء عن طريق المصاهرة ، حتى آل إليهم الملك آخر الأمر ، ومما يؤسف له أن هذه الوثيقة التي نشرها تشيروللى لا تعرض إلا للمرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة إضمحلال هذه الإمارة ، حينما مزقتها الفتن الداخلية والصراع مع الإمارات الإسلامية الأخرى (1) .

ومن المرجح أن هذه الإمارة العربية الإسلامية قامت في نهاية القرن الثالث الهجري وبالتحديد في عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦م ، واستمرت حوالي أربعة قرون حتى سقطت على يد سلطنة أوفات الإسلامية التي ورثت مركز الزعامة بين المراكز العربية الإسلامية في شرق إفريقية .

أما إمارة أوفات فقد تكمت في الطريق التجاري بين ميناء زيلع والداخل وقد أسسها مهاجرون من قريش ، من بنى عبد الدار أو من بنى هاشم قدم أسلافهم من الحجاز ، واستوطنوا مدينة أوفات ، واشتهر قوم منهم بالصلاح والتقوى ، إلى أن كان منهم عمر الملقب " ولشمع " أحد تجار أوفات الأقوياء ، فولاة السلطان مدينة أوفات وأعمالها فحكم بها مدة طويلة ، وشكرت سيرته وصارت له بها شوكة قوية (2) ، وكان سلطان أوفات أقوى

---

(1) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الخامس ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٣٩م ، ص٣٢٥ وأيضاً : ترمنجهام : الإسلام في إثيوبيا ، ص ١٦٧ .

سلاطين المماليك الإسلامية ، وكانت تتبعه إمارتان صغيرتان هما عدل وموا، وملك سكانها السفن ، فحملت متاجرهم عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي السلاح الوفير ليحموها من القراصنة ، وكان لتفوقهم المادي والحضاري على بقية السكان أن أقوى شأنهم ، فانتشر الإسلام بين السكان غير المسلمين .

وقد ذكر القلقشندي أنها كانت خصبة التربة موفورة الماء ، تنتج الحبوب والخضروات والفاكهة ، والظاهر أن تاريخ أوفات لم يتضح إلا بعد أن مات ولشمع ، وترك أربعة أو خمسة أبناء تولوا عرشها واحد بعد الآخر إلى أن تولى آخرهم صبر الدين محمد بن عمر بن ولشمع عرشها ([1]) .

واستطاعت أوفات في ظل بني ولشمع أن تبسط نفوذها حتى ساحل البحر الأحمر ، بل غمدت نفوذها إلى سهل أوسا ، ودان لها الأعفار بالطاعة والولاء ، وتحكمت في رقعة فسيحة من الأرض متنوعة الموارد كما تحكمت في كثير من الطرق التجارية الفنية ([2]) .

وقد وصف الشيخ عبد الله الزيلعي مملكة أوفات فقال إن طول مملكتها خمسة عشر يوما وعرضها عشرون يوما بالسير المعتاد ، وكلها عامرة أهله بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى السواحل وهي أوسع

([1]) تقي الدين المقريزي : الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام ، طبعة مصر سنة ١٨٩٥ ، ص٩ .

([2]) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص٤١١ .

المالك أرضا ، والا جلاب إليهـا أكثر لقربهـا مـن البـلاد ، وعسكرها خمسة عشر الفا من الفرسان ويتبعهم عشرون ألفا فأكثر من الرجالة ([1]) .

وقال المقريزي عن حاكم أوفات " فمضى على سيرة أخيـه في جهاد أمحوه الكفرة ، لكن بتؤدة وسياسة حسنة ، فكـثرت عسـاكره وتعـددت غاراتـه وأتسعت مملكته " ثم قال عنه أيضاً : " ومضـى مـن فـورة إلـى زلان ، وفتـح تلك البلاد وغنم أموالها فبلغت حصة السلطان الخاصة نفسه أربعين ألف بقـرة ، فرقها بأجمعها على الفقراء والمساكين والعسكر ، حتى لـم يجـد مـا يأكلـه ، إلى أن أطعمته إحدى زوجاته ، وحصل لسليم بن عباد زوج إبنته إثنتا عشـرة الف بقرة ، فأمره أن يخـرج زكاتهـا فـأمتنع فتغير عليـه " ، وقـال أيضـاً عـن مظاهر تمسكه بأهداب الدين هو ورعيته : " فعندما تلاقى الجمعان توضأ هـو وأصحابه وصلوا ركعتيـن ، وسـأل اللـه تعـالى النصـر ، ثـم ركـب بمـن معـه وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم ([2]) .

وسجل لنا التاريخ أنباء الإمارات العربية على طول السـاحل الشـرقي لإفريقية فهناك مثلا كلوة Kilwa فـي تنزانيـا الحديثـة التـي أصبحـت مركـزا تجاريا هاما في شرق إفريقية ، وما من شك فـي أن العمـل التـي ضربـي فـي كلوة تسبق التي ضربت فـي الهنـد وفـارس ، وكـانت كلـوة تتحكـم فـي تجـارة

([1]) القلقشندي : مصدر سابق ، جـ ٥ ، ٣٢٥ – ٣٢٦ .

([2]) المقريزي : المصدر السابق ، ص١٢ – ١٣ .

المواد الخام ، ولاسيما النحاس والذهب ، مما جعل المجتمع في كلوة يتبوأ مركزا إقتصادياً وسياسيا هاماً ، وقد نمت كلوة وبعض المدن الساحلية ، وكانت تجمعها بها صفات وخصائص هامة ومما لا شك فيه أيضاً أن الهجرات العربية قد أثرت في نظام الحكم في كلوة والمدن الساحلية الأخرى مثل لامو وممباسا([1]) .

ومع كثرة تتابع الهجرات إلى شرق إفريقية ، فلم يشهد الساحل قيام دولة سياسية موحدة ، تسيطر على مقدرات الساحل كله ، وإنما كان يحكمه عدة إمارات عربية إسلامية ، وتستقل كل منها بميناء أو أكثر على الساحل أو جزيرة من الجزر ، وتتنازع على السلطة فيما بينها للسيطرة على الساحل ومصادر التجارة ، ومع ذلك فقد قامت في تلك المنطقة دولة الزنج ، وكانت عاصمتها كلوة ، ومع قيام هذه الدولة فإن الصراع استمر بين الحكومة المركزية في كلوة وبين حكام الموانى الذين حاولوا الإستقلال بمدينتهم ، وإنشاء إمارات صغيرة على الساحل ([2]) .

وينبغي أن نلاحظ أن تلك الإمارات إفتقرت إلى التنظيمات العسكرية، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنها لم تقم بنتيجة لفتح أو توسع عسكري ،

([1]) أحمد طاهر : إفريقية ، فصول من الماضر والحاضر ، دار المعارف يناير ١٩٧٥ ، ص ٦١-٦٢ .

([2]) جمال زكريا قاسم : إستقرار العرب .. الخ مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

وايضاً : نوال علي محمد عبد العزيز : مرجع سابق ، ص٥٤ .

وإنما أساسها تجار أو مهاجرون([1]) ، وهؤلاء جميعا كانوا مضطرين بحكم ذلك أن تكون علاقاتهم سلمية إلى حد كبير مع الأهالي الذين إستقروا في أوطانهم ، وما كاد القرن العاشر الميلادي يولى حتى كانت هذه المدن قد إستكملت مقوماتها وسماتها العربية ، وهذه المدن من الشمال إلى الجنوب هي:

براوة ، سيوة ، باتا ، لامو ، زنجبار ، مافيا ، كلوة ، سافلة . وفي خلال القرن العاشر الميلادي كانا لإسلام في تلك المراكز قد إنتشر وأصبح لكل مدينة مسجدها ([2]) .

وفي ذلك ذكر العمري أن لمسلمي الإمارات الجوامع والمساجد التي تقام بها الخطب والجمع والجماعات ، وعند أهلها محافظة على الدين ([3]) .

ويمكن القول بأن حقبة التوسع المنظم للإسلام في إفريقية الشرقية تقع بين القرنين العاشر والثاني عشر للميلاد ، ويلاحظ أيضاً أن الرقعة الإسلامية قد أحاطت في شمال شرق أفريقية بالهضبة الحبشية من الناحية الشرقية وقد نعتها المؤرخون بمنطقة الطراز الإسلامي ، لأنها على جانب البحر كالطراز له ، وقد إشتهر من تلك الإمارات .

أوفات : التي تم الإشارة إليها سابقاً بالتفصيل .

([1]) السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص١٠ .

([2]) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية ... الخ مرجع سابق ، ص٧٢ .

([3]) القلقشندي : مصدر سابق ، شبه الجزيرة العربية ٥ ، ص٣٢٤ .

داورو : التي تقع جنوب شوا ، وتمتد حدودها حتى الضفة اليمنى لنهر جواش ممتدة جنوبا حتى نهر ويبي وكانت من أقوى الإمارات الإسلامية وطول مملكتها خمسة أيام وعرضها يومان ، وبالرغم من ضيقها في ذات عسكر جم ، وأهلها مسلمون على المذهب الحنفي .

أرابيني : التي يبلغ طولها أربعة أيام وعرضها كذلك ، وينـاهز عسكرها عشرة آلاف فارس ، أما الرجالة فكثيرة للغاية ، وأهلها مسلمون على المذهب الحنفي .

وشرخا : يبلغ طول مملكتها أربعة أيام وعرضها ثلاثة أيام ، وعسكرها ثلاثة آلاف فارس ، وأما الرجالة فضعفهم أو أكثر وأهاها مسلمون أحناف [١] .

أما مملكة هدية : فتقع جنوب أوفات ويبلغ طول مملكتها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام، وتتكون من ثماني مقاطعات ، وصاحبها أقوى إخوانه من ملوك الإمارات السابقة وأكثرهم خيالا ورجالا ، وأشدهم بأسا [٢] ، وله من العسكر نحو أربعين ألف فارس ومن الرجالة ضعفهم أو أكثر .

---

(١) عبد الله حامد الحبيد : محاضرات في تاريخ دول الطراز الإسلامي لطلاب السنة التمهيدية بالدراسات العليا التاريخية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٤هـ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ، ص٣٢٧ .

وكانت هناك إمارات وممالك إسلامية أقل من تلك كعدل التي إشتهرت كميناء تجاري بالساحل الشرقي ([1]) ، ومورة وهويت ، وجداية ولكنها لم تعمر طويلا ، لما كان بينها من خلاف وتناقس فسرعان ما ضمتهم مملكة أوفات القوية ، واتسم تكوين تلك الإمارات والممالك بالطابع السلمي التجاري أو الإقتصادي عموما ، إذ إمتلك المسلمون ناصية التجارة الداخلية والخارجية ، ولم تصطبغ في نشأتها وتوسعها بصبغة سياسية أو عسكرية ([2]).

وهناك سؤال يطرح نفسه بعد الشرح التفصيلي عن الإمارات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقية وهو :

ما هو الدور التي قامت به هذه الإمارات الإسلامية لنشر الإسلام ؟

والجواب على ذلك هو أن معظم هذه الحكومات المسلمة كانت تحكم طبقا لشريعة الإسلام ، وكان معظم حكمها يترسمون هدى الإسلام ويسترشدون بتعاليمه ، وكان معظم أفراد رعيتهم المسلمين صورة مجسدة للمجتمع المسلم ، حيث عنيت الإمارات الإسلامية بإنشاء المدارس الدينية لتحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وكان بها القضاة والفقهاء والعلماء الذين كانوا يرحلون إليها من سائر أنحاء العالم

([1]) سعيد عبدالفتاح عاشور : بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى ، مقال في المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤ سنة ١٩٦٦ – ١٩٦٧ ، ص٣ .

([2]) القلقشندي : المصدر السابق ، صفحات متفرقة .

الإسلامي ([1]) ، وهو ما شهد به الرحالة والمؤرخون الذين كتبوا عن تلك الممالك أمثال المقريزي والقلقشندي وابن بطوطة وغيرهم ، الذين اروا الإمارات العربية في شرق إفريقية وتحدثوا عما رأوه في هذه الإمارات الإسلامية كانت تقوم صناعة نوع من الأقمشة الدقيقة ([2]) ، كما أن العرب المهاجرين أدخلوا في تلك الإمارات زراعة الفواكه الأخرى بالإضافة إلى البلح والبقول والأرز ، فكانوا يزرعون هذه الفواكه والخضروات بجوار مجاري المياة في المدن الحديثة التي أنشأوها ، هذا بالإضافة إلى تربية الماشية ، وقد زار ابن بطوطة ممباسا سنة ١٣٠٠م ودهش مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في تلك المناطق ، ووصف الشوراع المنظمة التي رآها ، ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، ويذكر أنه شاهد في كل ميدنة زارها من مدن الساحل الأفريقي الشرقي مسجدا مزينا بنقوش ([3]) .

وكذلك نوه الرحالة الأوربيين الذين زاروا الإمارات العربية بشرق أفريقية بما كانت عليه من حضارة ورقي فقد لمسوا فيها - كما يقول أحدهم إنه وجود مجتمعا متحضرا لا يقل عن المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت في

([1]) سبنسر ترمنجهام : الإسلام في إثيوبيا ، لندن ١٩٥٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

([2]) Sillery , A. Op. Cit ., patients . 55.

([3]) مهذب رحلة بن بطوطة : تهذيب أحمد العوامري بك ، ومحمد جاد المولى مطبعة بولاق ، ص٢٠٠ .

حضارته فقد شاهد فاسكو داجاما الذي اشتهر برحلته حول أفريقية ، الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاهة بالذهب وكانت سيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة كما شاهد المنازل العليا والقصور في وسط المدينة .

كما شهد نفس الشهادة دوراتي بربوسا Duarte Barbosa وهو رحالة زار ممباسا وماليندي وبمبا وزنجبار ، وتحدث البرتغاليون الذين استقروا بعد ذلك في هذه الجهات عن مظاهر هذه الحضارة الزاهرة ، ويعلق Coupland على هذا يقول إننا يجب الا نندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق أفريقية فإن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق التي في أكسفورد أو التي في أية مدينة مسيحية أخرى (1) .

وتغنينا هذه الشهادة من أجنبي إستعماري متعصب عن كل تعليق آخر .

(1) **Coupland : East africa and Its Invaders , P. 39.**

الفصل الأول

الإرسالات التنصيرية في شرق إفريقية

أ- البروتستانت :

١- جمعية الكنيسة التنصيرية البرطانية .

٢- الإرساليات الجامعية لوسط أفريقية .

٣- جمعية لندن التنصيرية .

٤- إرسانية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية.

ب- الكاثوليك :

١- جمعية الروح القدس ومركز الآباء السود في زنجبار .

٢- إرسالية الآباء البيض في منطقة بحيرة فكتوريا وبحيرة تنجانيقا .

(١) جمعية الكنيسة التنصيرية البريطانية :

بدأت أولى مراحل النشاط التنصيرى فى افريقية على الشاطئ الشرقي، فبعد ان تفرق حواريو السيد المسيح فى أقطار البحر الأبيض المتوسط، تبلورت الدّعوة فى نهاية القرن الثانى الميلادى فى ثلاثة أقطار أفريقية : مصر، والشمال الأفريقي، وأثيوبيا، وظهرت بعد ذلك ممالك مسيحية فى الإقليم المتأخم لأثيوبيا والواقع بينها وبين مصر وكان يسمى بلاد النوبة Nuba وقد حافظت شعوب هذه الاقاليم على عقيدتها المسيحية تلتف كل منها حول تنظيم كنسي قويّ إلى أن دخل الإسلام فى تلك الاقاليم الساحلية، ولم يبق إلاّ الكنيسة القبطية فى مصرن كما بقيت الكنيسة الحبشية فى شبه عزلة عن العالم الخارجى، ولقد اختفت كنيسة الشمال الافريقي، لأنها لم تتعمق فى القارة، ولم يحاول دعاةُ المسيحيّة دخول أفريقية من الشمال بعد ذلك ، رغم أن الإسلام قد دخل من هذا الباب وأنتشر انتشاراً بعيداً إلى الغرب والجنوب، وربما كان السبب في وقوف المسيحية حينئذ على الساحل هو أن قبائل الصحراء الرُّحل عزفت عن الدخول فى تلك العقيدة، فى حين أنّ تلك القبائل حينما اعتنقت الإسلام حملته فى كل صوب واتّجاه(١) .

لقد تعرضت اقطار شرق أفريقية لأحداث عديدة سلبتهم أكثر مما وهبت، وكان المسلمون أكثر الناس تعرضاً للأذى والبلاء، ولذا فقد تعثرت بعض الخطوات وأتخذ بعضها الآخر سبيل الارتباط بالحركات

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقية، ص ١٠٨، الهيئة المصرية للتأليف ١٩٦٤م.

التنظيمية السياسية، فنجمت عن كل ذلك عوامل ضاعفت من خطورة التحديات التنصيرية [1]

وقد وفد رجال الكشف الجغرافى على مناطق الإسلام فى شرق أفريقية، ثم تلاهم المبشرون، وكان فى كل ذلك ما يكفى لزحف الغزو الاستعماري، وتكاتف الجميع باسم المسيحية على حصار الإسلام فى شرق أفريقية، فتنادوا من كل ارجاء أوروبا وخطّط الجميع لمؤتمرات دولية اشرفت عليها الكنيسة[2] .

ولقد ركز اقطاب التنصير سابقاً ولاحقاً على قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وإنما هي دائما وابدا معالم تضئ لهم سبيل التنصير.

فقاعدة المنصر القديم "لورانس براون" بقيت قاعدة ثابتة اصيلة فى عرقلة الإسلام وتقدّم خطوات المسيحيةن وذلك فى قوله : إنّه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية فى قطر ما إلاّ بعد ان يخضع ذلك القطر لحكومة غريبة مسيحيّة، وذلك فقط إذا كانت الحكومة الغربية المسيحية تنتهج سياسة "فعالة" فى مساعدة الإرساليات.

أما قاعدة القس "سيمون" فهى تتركز على اساس إذا كان الدين الاسلامي قد اثبت وحْدَته التى تجمع آمال الشعوب، فيجب فوراً أن يكون التنصير عاملاً مهما في كسر شوكة المسلمين وأيّا كان فى أفريقية، وتطالب القاعدة الثالثة وهى قاعدة المنصر العالمي المسيحى

---

(1) محمد أحمد مشهور الحداد: أفريقية بين التوحيد والتثليث، ص٩٢.

(2) محمد أحمد مشهور الحداد: المرجع السابق، ص٢٥.

"وطسون" فتنصب على أن تتعاون الحكومات الغربية فى سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل في شرق أفريقية، حتى تكون مهمة المنصّر أهون لفُقْدان المنافسة[١] .

لذلك استعمرات الدول الاوروبية المسيحية والمتبنية لحركة التنصير أفريقيا واستنزفت ثرواتها، واستولت على خيراتها، وأنزلت بها العذاب والنكال وكان المنصرون أداة الدول المستعمرة يخدرون الشعوب الافريقية بمبادئ الحب والتسامح والخضوع، ليتسنى لدولهم الاستعمارية المسيحية استعبادهم واستعمارهم والاستيلاء على ثرواتهم[٢] .

ولم يتقصر اهتمام الأوروبين بالسلطنة العربية الأفريقية على النواحى الاقتصادية وحدها، وإنما استخدمت منافذها الساحلية بمثابة قواعد للانطلاق إلى المقاطعات الداخلية، حيث قام المنصرون بتاسيس الكثير من المراكز التنصيرية ، فى مقاطعات الشرق الأفريقي، ومن المهمّ أن نؤكد أن هذه الطلائع الأولى من المنصرين الأوروبين كانوا بمثابة المقدّمات الرئيسية للحركة الامبريالية، التى اجتاحت القارة الأفريقية [٣] .

وقد واكبت الحملات التنصيرية فى شرق افريقية بداية الاستعمار الأوروبي لتلك المنطقة، إذْ كانت الكنائس ، وهيئاتها التنصيرية تمهد

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥.

(٢) محمد عبدا لله النقيرة: انتشار الإسلام فى شرق أفريقية ومناهضة الغرب له، ص١٣٠، الرياض، ١٤٠٢ هـ.
محمد عبد المنعم يونس : أوغندا بين الاستعمار البريطانى والكفاح الوطنى، القاهرة: ص ١٩٧.

(3) Krafp: Travels and Missionary labours in East Africa, London 1860, p.27.

الطريق لاستعمار البلدان الافريقيةن ولتحارب العقائد والديانات السائدة فى المنطقة، وتنفيذاً لهذه الغاية ووصولا إلى بسط السيطرة على القارة الافريقية شُكّلتَ عدةُ تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى في ظاهرها إلى تقديم خدمات إنسانية لأهالى المنطقة، وفى باطنها إلى بثّ السموم التنصيرية فى نفوسهم، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها واعتقداتها الروحية، تتحد فى غايتها المنشودة، ألا وهي تنشر المسيحية فى المناطق المستعمرةن بغية رضوخها للسيطرة الاستعمارية، وما أن تأسست تلك الجمعيات التنصيرية فى الغرب حتى نشطت فى بث مفاهيمها ومعتقداتها فى أبناء القارة، فالمذهب البروتستانتى Protestant كان له قصب السبق فى تأسيس أول جمعية تنصيرية[1].

ويرجع ظهور المذهب البروتستانتي إلى حركة الإصلاح الدينى التى قادها الراهب الالمانى مارتن لوثر ١٤٨٢م – ١٥٤٦م وتعتمد حركته على الاخذ بتعاليم الكتاب المقدس وحده، كمصدر وحيد للمسيحية فانشأ مقتنعوا هذا المذهب كنائس لا تعترف لكنيسة روما بأيّ نفوذ ديني، وسموها بكنائس إنجيلية، أى لا تخضع إلاّ لحكم الكتاب المقدس، وقد لقى هذا المذهب ذيوعا هائلا فى ألمانيا وانجلترا ثم انتقل إلى افريقية، والحقيقة أن كنائس المذهب البروتستانتى لم تقم عملياً بنشاط محسوس فى نشر تعاليمها إلاّ بعد قرنين من بداية حركتها، ويعود ذلك إلى تخوفها من السلطات الحاكمة فى بعض الدول الاوروبية المناهضة لهذه الفكرة، وهو السبب الذى يعزى إليه عدم نشر مذهبها فى المستعمرات الأفريقية، التى كانت خاضعة لدول أوروبا

---

(١) سيد أحمد يحي : التنصير فى القرن الأفريقى ومقاومته، ص ٦٩، طبعة دار العمير – الرياض، ١٩٨٦م.

الكاثوليكية [١] .

ولم يكن ذلك الصراع المذهبى بين المسيحينن والذى كان أحد الأسباب فى تحول الناس عن المسيحية إلى الإسلام، آخر صراع من نوعه، بل كان بداية للصراع الذى نشب بين إرساليات التنصير، والتى جاءت إلى شرقي افريقية لنشر المسيحية هناك، فنشب بينها صراع طويل لاغتصاب تلك البلاد وضمها إلى مناطق النفوذ للدول الاستعمارية التى قدمت منها الارساليات، ومما يؤكد ذلك أنّ الروتستانت الذين قدموا من بريطانيا للتبشير بالمسيحية فى "أوغندا" حاولوا اكتساب عطف ملكها موتيسا Mutesa, وآلّفوا جماعة من الموالين لهم من أهالى البلاد، أطلقوا عليها Ba Ingleza كما عمل الكاثوليك الفرنسيون على تنظيم المناصرين لهم فى جماعات أخرى أطلق عليها اسم Ba franza للعمل على ضم هذه البلاد للمستعمرات الفرنسية ونشب بين الطائفتين صراع عنيفن وما حدَث فى أوغندا حدث مثله فى سائر جهات شرف افريقية[٢] .

وقد تعددت الارساليات البروتستانتية إلاّ أن أهم هذه الارساليات هي جمعية الكنيسة التبشيرية "The Church Missionary Society" ويرمز لها بالحروف "C.M.S" وبالرغم من أن انجلترا دولة علمانية إلاّ أن تلك الجمعية كانت تعبّر بصورة أو اخرى عن سياسة الحكومة البريطانية فيما يختص بنشر المسيحية وراء البحار[٣] .

---

(١)سيد أحمد يحي: المرجع السابق، ص٦٦.

(٢) محمد عبد المنعم يونس : مرجع سابق ، ص٢٥.

(٣)محمد عبدا لله النقيرة: مرجع سابق، ص ١٣٤.

وكانت جمعية الكنيسة التبشيرية قد تأسست فى لندن عام ١٧٩٩م باسم جمعية الإرساليات إلى أفريقية والشرق Society for: Missions to Africa and the East. (١) وهى أول الهيئات البروتستنتينية الإنجليزية التى اهتمت بالتنصير فى شرق أفريقية.

وكانت سياسة بعثة الكنيسة التبشيرية هي العمل بسرعة تجاه عملية الاعتماد الذاتى مالياً، وإقامة حكومة وطنية للكنائس، وهذه السياسة تم اعتمادها من فن Venn سكرتير بعثة الكنيسة (٢) .

وكانت أهداف هذه الجمعية تتركز فى الحصول على أحسن الوسائل التعليمية لنشر المسيحية بين السكان، وايضا طبع الكتاب المقدس لاستعمال الدولة (٣) ، وقد أدرك الكاردينال لافيجرى Lavigerie رئيس جماعة الآباء البيض أن الأفريقى يحتاج إلى المساعدة فى ثلاث نواح وهي التعليم والزراعة والعلاج الطبى، وهذه النواحي لاتقل أهمية عن الناحية الدينيةن وإذا لم يبذل مجهود فى هذه النواحي فلن يحدث تقدم على الإطلاق، وأن من واجب المدنية المسيحية - كما يراها لافيجرى - هو مساعدة الناس على أنفسهم (٤) ، ونصح لافيجرى بالا يجبروا الافريقيي الذين سيستمرون فى اتّباع عاداتهم على التغير، وكان أوائل المبشرين الذين وصلوا إلى شرق أفريقية من الالمان، حيث حضروا لغرض خدماتهم كموظفين فى

---

(1) Stock: History of the Church Missionary Society, London 1899, vol.I, p.71.

(2) A.J. Tu;U : British Protestant Missions, London, 1972, p.74.

(3) Groves: The Planting of Christianity in Africa, London 1948, p.197.

(4) Kittler: The white fathers, New York, 1957, p.109.

جمعيـة الكنيسـة الإنجليزيـة للتبشـيرن ولقـد اتصلـوا بـاوربيين آخريـن لاتّباع خطواتهم ، وكنتيجـة لذلـك وصلـت العديـد مـن بعثـات التنصـير لنشر المسيحية بين الناس، ومن أوائـل المنصريـن "كرابـف" Krapf[١] الذى ولد فى ١١ ينـاير ١٨١٠م وهـو ابـن مـزارع وقـال عـن نفسـه : والدي كان مزارعاً وكانت ظروفه سهلة ومارس الزراعـة وعـاش فـى قرية "دريندنجن" Derendingen بالقرب من تيوبنجـن Tuningen والذى تلقى تعليمه منها حيث اظهر تفوقاً عظيمـاً كطـالب، ولقـد قاسـى كثيراً عند مروره بفترة الشك الفلسفي، وعندما هـدأت تفاعلاتـه العقليـة قرر تكريس حياته لخدمة البعثات التنصيرية [٢] إذ بينمـا كـان يفحـص الخرائط الخاصة بأفريقية لاحظ صحارى لا توجـد فيهـا أحيـاءن سـوى الضياع، وعرف هذه الأشياء التى ما كان يتوقعها، ومن قصة الرحالـة جيمس بروس Bruce الذى تحدث عن مواجهته لاحد الضبـاعن وفكـر كرابف فى ان يكون أحد أعضاء بعثة التبشير، ويذهب لنشر المسيحية، وعندما كبر فى السن قرر ان يخـدم السـيد المسـيحن فتوجـه إلـى كليّـة التنصير فى بازل بسويسرا، لكي يتدرب على ذلك، وعنـد سـماعه بـأن جمعية الكنيسية للتبشير فى إنجلترا تطلب منصّرين عرض نفسه عليهـا وقبلته الجمعية [٣].

(1) H. Okeilo Ayot: Topics in East African History, 1000-1970 Kenyatta university 1975, p.55.

(2) J.W. Gregory: The Foundation of british East Africa, "Melbourne 1901", p.54.

J.L. Krapf: travels, Researchs and Missionary labours during an Eighteen year's Residence in eastern Africa, London 1860, pp. 121-122.

(3) Sarrah Geraldin Stock: Missianary Heroes of Africa, London 1898. p.60..

وفى عام ١٨٣٧م عينته بعثة الكنيسة التنصيرية فى الحبشة، ووجد أن الناس يخشون من قبائل الجالا Gala الذين كانوا بمثابة خطر على الإمبراطورية المسيحية، لأن معظمهم كانوا وثنيين والبعض الآخر اعتنق الإسلام، ولقد رأى "كرابف" أن هؤلاء الناس يعدّون المفتاح إلى شرق افريقية عند تحويلهم إلى المسيحية، وهم بالطبع سيؤثرون فى الآخرين، وبعد زواجه فى مصر عام ١٨٤٢م، حاول "كرابف" العودة إلى الحبشة ، ولكن الطريق كان مغلقاً ولذلك حضر إلى شرق أفريقية ليجد طريقاً آخر للوصول إلى قبائل "جالا" (١)، وكان لدى "كرابف" اهتمام خاص بقبائل الجالا، الذين يعيشون فى الحبشة، لذلك وفى عام ١٨٤٣م تم إرساله عن طريق جمعية بعثة الكنيسة إلى شوا Shoa وهي مقاطعة فى الجنوب الغربى من الحبشة حيث تم استقباله بترحيب من ملك شوا (٢).

وفى ١١ نوفمبر ١٨٤٣م ابحر "كرابف" هو وزوجته فى قارب متجه إلى "زنجبارط ولقد استغرقت الرحلة شهرينن وفى العديد من الموانئ كان "كرابف" يستفسر عن الداخل الذى كان غير معروف له، وفى ٣ يناير ١٨٤٤م دخل "كرابفط ميناء ممباسا ثم ذهب إلى زنجبار (٣)، حيث تعتبر زنجبار أكبر من ممباسا ، وهناك يعيش السلطان سعيد الذى يحكم معظم اراضى الساحل، كذلك توجد أنواع متعددة من الناس، عرب وأفريقيين، وهنود، وقنصل عام إنجليزى يهتم بالانجليز الذين

(1) Wiuia: B. Anderson: The Chruch in East Africa 1840-1974, p.2.

(2) J.W. Gregory: Op. Cit, p.54.

(3) Eugene Stock: The History of the Chuch Missionary Society, London 1899, p.459.

يحضرون إلى زنحبار[١] .

لقد تمَّ استقبال "كرابف" بنوع من الاحترام من الكابتن همرتون "Hamerton" القنصل العام الإنجليزى ومن السلطان سعيد نفسه، ولقد طلب منه القنصل البقاء فى زنجبار اللوعظ، وإنشاء مدارس للعرب وغعداد الكتب، وفى الأسبوع الأول من مايو ١٨٤٤م، أعطت بعثة الكنيسة الدكتور "كرابفط تصريحاً لزيارة ساحل شرق أفريقية هو وزوجته والاقامة فى "ممباسا"[٢] وقد لقى كثيراً من عناية ورعاية السيد سعيد، فقد ذكر "كرابف" فى الكتاب الذى وضعه عن شرق أفريقية مقدار ما منحه له السيد سعيد من تسهيلات ومعونات، وكيف كان يستعين بنفوذه فى التوغل فى مقاطعات الشرق الافريقي، وفى مباشرة نشاطه التنصيري، حيث أمدّه السيد سعيد بخطابات توصية للرؤساء التابعين له يطلب فيها منهم أن يعاملوا "كرايف" أحسن معاملة ن لأنه رجل يعمل على تحويل الوثنيين إلى معرفة الله، وعلى ذلك ينبغى أن يقدموا له كل ما يحتاج إليه من مساعدة [٣].

ومما جاء فى خطاب السلطان سعيد: "هذا ما جاء فى خطاب السلطان "سعيد" تحية لكل الرعايا الأصدقاء، والحكام هذا الخطاب تم كتابته فى صالح الدكتور "كرابف" الالماني حيث إنه رجل طيب يرغب فى أن يحوّل العالم إلى معرفة الله فقدموا له الخدمات فىأى مكان [٤] .

---

(1) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit, p.63

(2) Eugene Stock: Op.Cit. P.460

(3) Krapf: op. Cit. P.127.

(4) Ibid., p.166.

لذلك عندما اتّصل "كرابف" بحاكم جزيرة بمبا Pemba أمدّه بالمعلومات عن الرياح الموسمية، وايضا قدّم له المساعدة حاكم ممباسا "على بن ناصر "[١] .

وحاول باصرار كشف طريق إلى الداخل بهدف التقدم فى قلب القارة بأسرع ما يمكن، وإقامة سلسلة من المراكز التنصيرية عبر القارة تمتد من الشرق إلى الغرب، وقد نشات فكرة "كرابف" فى عمل سلسلة المحطّات التنصيرية التى تربط الشرق بالغرب قبل وصول الالمانى Rebmann وفى ذلك يقول ك "تعودت أن أحسب عدد المبشرين والتكاليف المطلوبة حيث ينتشر المبشرون على طول ٩٠٠ فرسخ وإذا تأسست المحطات التبشيرية على مسافات كل منها ١٠٠ فرسخ وبكل محطة أربعة مبشرين فإن الامر يتطلب تسع محطات و٣٦ مبشرا وتقدر التكاليف السنوية بحوالى من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جنية إسترلينى، وإذا حدث تقدم فى هذا الميدان فانّنى أتوقع أن تتم هذه السلسلة من المراكز التبشيرية فى حوالى أربع إلى خمس سنوات[٢] .

لذلك قرر "كرابف" إقامة أول محطة لبعثته بالقرب من "ممباسا"[٣] وبعد شهرين بدأ بدأ كرابف أولى خطوات تحقيق آمالهن حيث استطاع أن يؤسس محطة البداية فى شمال الساحلن ولكن أحلامه تحوّلت إلى كابوس بسبب وفاة زوجته وطفله، وبعد بضعة ايام وتحت تأثير حزنه كتب إلى جمعية الكنيسة التنصيرية فى لندن "أخبروا

---

(1) Coupland: east Africa and its invaders, p.389.

(2) Groves : The Planting of Christianity in Africa Vol II, London 1948, pp. 95-100.

(3) Krapf: Op. Cit, p.129.

أصدقائكم فى الوطن بأنه يوجد فى شرق أفريقية الآن قبر مبشرن وهذه إشارة إلى أنكم قد بدأتم النضال، وحيث إن انتصارات الكنيسة أمكن الحصول عليها بخطوات فوق قبول أعضائها، وانتم ربما تكونون أكثر اقتناعاً بالتأهب والاستعداد، عندما يتم استدعاؤكم إلى تحويل أفريقية للنصرانية من شاطئها الشرقى " (١).

وفى عام ١٨٤٦م التحق مبشر المانى آخر مع كرابف وهو جون ريبمان "John Rebmann" وأصله من فرتمبورج بالمانيا ولد فى جيرلنجن "Gerlingen" فى عام ١٨٢٠م، وتم تعيينه فى إنجلترا لبعثة الكنيسة التبشيرية، ثم بدأ فى الحال مع زميله "كرايف" بتاسيس محطة حيث اختارا مكاناً يدعى راباى Rabai وهي منطقة جميلة فوق التلّ الذى يصعد من الساحل، ولها منظر جميل يطل على جزيرة ممباسا، وقد حصل كرابف على وعد صادق من قبائل وانييكا Wanika التى تعيش فى راباي، وفى المناطق المجاورة، وذلك للإذن له بالبناء والإقامة هناك .(٢)

وفى ٢٩ أغسطس ١٨٤٦م كان يوم دخولهما منطقة راباي، وفى صباح اليوم التالى أصيب "كرابف" بالحمى ولكن أصر على الاستمرار، وقال لنفسه "سواء النتيجة الحياة أو الموت فإن البعثة يجب أن تبدأ "وركب حمارا صغيرا مع شدة الألم ليصعد تلّ المدينة، ولقد كتب "كرابفط : "هل البعثة تبدأ بهذا الضعف، ولكن هكذا كان يجب أن

---

(1) William B. Anderson : op. Cit., P.I.

(2) Sarrah Geraldina Stock: Op. Cit., 64

J.W. Gregory: Op. Cit. P.56.

تكـون، لأننـا لا نسـتطيع أن نفخـر بقوتنـا، ولا خلفاوئنـا يسـتطيعون أن ينسوا بأن الله قد قدس حتى ضعفنا، وقال أيضا "لقد صليت باستمرار من أجل بقاء حياتى فى أفريقية، حتى على الأقل لا مكـان إنقـاذ أرواح الآخرين، لأننى كنت متأكداً بأنـه إذا أمكـن إقامـة حجـر واحـد فـى أى دولة، فإن الله سيبارك ذلك العمل ويستمر الإنشاء عن طريق تحويل هـؤلاء الموجوديـن فـى شـرق أفريقيـة مـن دينهـم "الإسـلام" إلـى المسيحية[١].

وقد قضـى "كرابـف" فـى رابـاي سـنتين أخْرَيَيـن ثـم عمـل رحلـة أخرى إلى يوساميارا Usambara[٢]، بواسطة مرشد و٧ حمـالين[٣]، واتّخذ طريقه إلـى هنـاك مـن اتجـاه جبـل يُوسـامبارا الـّذى يرتفـع إلـى حوالى ٦٥٠٠ قـدم وعلىحوالـى ٥٠ ميـل مـن البحـر وقـد تعجـب مـن انصباب المياة الباردة مـن خـلال الصخـور، وأيضـا مـن خـلال القـرى الصغيرة التـى فـوق أطـراف الجبـل، وقـال إنهـا أراضـى جيـدة عندمـا تستغلها جمعية الكنيسة التنصيريـة، وبعـد عـدة ايـام مـن صعـود التـلّ ونـزول الـوادى واختـراق الأنهـر، وصـل "كرابـف" إلـى فوجـا Vuga ووجـد أن كيمويـرى Kimweri ملـك يوسـامبارا فـى Salla عاصمتـه الثانية، وتم السماح له أخيرا بمقابلته[٤] .

وعندما كان فى "يوسامبارا" اقام صلاة من اجل أن تـأتى مملكـة

(1) Eugene Stock: Op. Cit, Vol II, P.125

(2) Sarrah Geraldina Stock: Op. Cit., p.70.

(3) J.W. Groegory: Op. Cit., p.61.

(4) Coupland: East Africa and its invaders, p. 394.

المسيح إلى هناك، وكانت فكرته أنه يوماً ما ستوجد سلسلة من محطات البعثة وليست بعيدة لكى تساعد بعضها البعض والتى يمكن أن تبدأ من الساحل الشرقى لأفريقية(١) .

وفى عام ١٨٤٧م قرر المبشران طكرابف" و "ريبمان" تجاه الغرب من ممباسا بينما اتّخذ "كرابف" طريقه شمالاً حتى يصل إلى الهدف القديم وهو أرض "الجالا" ، وبدأت بعثة ريبمان فى أكتوبر ١٨٤٧م مع ستة من أفراد قبيلة الوا - نيكان ومسلمين سواحيليين للداخل، وقد كانت الراحلة قصيرة حيث استمرت لمدة أسبوعين وكان هدفها قمة كاديارو Kadiaro على بعد حوالى ٨٠ ميل من ممباسا، ولقد أحضر ريبمان معه تقريرا هاما عن جبال المنطقة، وعن الأحوال الصحية وعن الطقس وبذلك قرر المنصران إقامة محطة للبعثة هناك، وبعد عدة شهور بدأ ريبمان التجول بالداخل مرة أخرى فى رحلة طموحة، فلقد سمع المنصران قصة غريبة عن جبل "كليمنجارو" "Kilimaijaro" ولقد عزم "ريبمان" على زيارة "تشاجا" Chagga وهى المحطة التجارية على الجنوب الشرقي من الجبل، ولكن حاكم ممباسا (٢) نصحه بأن لا يذهب بالقرب من جبل "كليمنجارو" لأنه يعج بالارواح الشريرة والرجال الذين ذهبوا إلى هناك فقدوا أيديهم وأرجلهم وبعضهم هلكوا (٣).

وفى ٢٧ أبريل ١٨٤٨م ذهب "ريبمان" إلى جبهة غير معلومة

---

(1) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit., p.67.

(2) J.W. Gregory: Op. Cit., p.59

(3) Sarrah geraldina Stock: Op. Cit., p.65.

وكان ذلك في موسم الأمطار وقد أعاقت تقدمه الأمطار المستمرة والغزيرة ولكن بعد عشرة ايام تمكن من أن يمر بجبل كاديارو وأخذ طريقه في الأرض العالية السهلة التي تقوده إلى قبائل جاجا Jagga وفي صباح ١١ مايو صعد جبل جاجا وتخيل أنه يرى قمة مغطاه بضباب أبيض (١).

وكتب إلى جمعية الكنيسة التنصيرية لأخبارهم بما شاهد من اكتشاافات ، وعجب القوم لذلك، فقد ذكر بعض أعضاء جمعية الكنيسة التنصيرية بأن البعثة قد وقعت في خطأ لأنه من المستحيل أن يكون هناك ثلج في أفريقية، ومهما يكن فقد اصر كل من "كرابف" وزميله "ريبمان" على أنهما على حق، واولا بأول تم البرهنة على أنهما على حق، لأنه بعد عدة سنوات وفد بعض الرحالة وكشفوا الجبل، وقد وجد أنه يرتفع حوالي ٣٠,٠٠٠ قدم وهذا يعتبر أعلى من أي جبل موجود في أوروبا (٢)، وبذلك يعتبر Rebmann أول أوربي شاهد جبل "كليمنجارو" (٣).

(1) Cooley : In Inner Africa . London 1852.

يرى Cooley أن وصف Rebmann لجبل الثلج أنه تخيل وذكر كرابف في ملحق كتابه المطبوع عام ١٨٦٠م، أنه قد رأى الجبل بنفسه اكثر من مرة على بعد وأعطى دلائل أكثر لتأييد وجهة نظر ريبمان ولقد نام على قاعدة الجبل وفي ضوء القمر ممكن بسهولة أن ترى الثلجن وهو يختلف مع المواطنين في الاشارة إلى الشئ الأبيض الممكن رؤيته فوق القمة مثل قمة الجبلن ولقد تم اخباره بأنه فضة، وعند احضاره في زجاجات تبين أنه ماء،وأن العديد الذين يصعدون الجبل يموتون من شدة البرد.

Krapf: Op. Cit., PP. 543-544 "London 1860".

(2) Sarrah Geraldin Stock: op. Cit., p.66

(3) New: Wanderings and labours in eastern Africa, Chaps 20 "London 1873";
Dundas : Kilimayjaro and its people London 1924, p.50.
Coupland: East Africa and its invaders, p. 293.

وحينما كان "كرابف" في منطقة يوساميارا Usambara ومجارى نهر تانا العليا شاهد عن كثب قمم جبلي كليمنجارو وكينيا وهي مغطاة بالثلوج(١) ، وكانا بذلك أول أوربيين يرصدان تلك الظاهرة فى أفريقية الشرقية ومع أن أعمال "كرابف" و"ريبمان" فى ميادين الكشف الجغرافى والدراسات اللّغوية الافريقية كانت على جانب من الأهمية، إذْ إنهم زودوا أوروبا ببعض المعلومات الجغرافية عن أفريقية الشرقية ووضعوا المعاجم عن لغات السواحلية والنياسا والوانيكا إلاّ أن نجاحهم من وجهة النظر التنصيرية المحضة كان ضئيلاً (٢).

وفى ١٦ فبراير ١٨٤٩م رجع "ريبمان" إلى "راباى" وبعد استشارة "كرابف" تقرر أن يذهب فى الحال إلى ماتشامى Machame وهى مقاطعة فى الجانب الجنوبى من جبل كليمنجارو، ويستغل مزايا صداقته مع سامكينجا Samkinga أعظم ملوك أرض Jagga ، وفى ١٥ مايو وصل "ريبمان" إلى ماتشامى وهو متعب ومرهق من البرد، ولمدة عشرة أيام تجاهل الملك حضوره وعندما حضر أخيرا لمقابلته كان من الواضح أنه غير رايه، لأن "ريبمان" لم يقدم ما فيه الكفاية من الهدايا، ثم حمل به الضعف بسبب ما تعرض له من تعب فى مسيرته، ولقد اصيب بالحمى، وفى ٦ يونيو طلب ريبمان من الملك الاذن له بالعوده إلى مقره ولكن رفض هذا الطلب (٣) .

(1) Coupland : the Esploitation of east Africa, p.109.

(٢) السيد رجب حراز: افريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى، دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص١٤٤.

(3) Coupland : East Africa and its invaders, p. 396.

ثم عاد بعد ذلك وبعد ستة أشهر من أقامته فى راباي ذهب إلى زنجبار لاستعادة صحته، وبعد ذلك قام برحلات هامة[١] .

وفى عام ١٨٤٩م تم انضمام المنصر ايرهارت Erhardt من جمعية الكنيسة التبشيرية مع "كرايف" و "ريبمان" ورغم أنه لم يقم بأى رحلات إلى الداخل فقد كان مهتما باكتشافات زملائه وقصص التجار العرب والسواحليين [٢].

وفى خريف عام ١٨٥٠م ذهب "كرايف" إلى أوروبا، ولقد عاد إلى وطنه فى عيد ميلاه المسيح وفى بداية السنة وصل إلى انجلترا ليس بهدف الحصول على الراحة، ولكن بهدف مناقشة مستقبل خطه للتنصير فى شرق أفريقية مع لجنة جمعية الكنيسة التبشيريةن ومن الطبيعى أنّ بعض عدم التشجيع ممكن أن يثار كنتيجة للتخطيط الضخم الذى تحدد للتبشير فى شرق أفريقية، ولكن بعد وجهات النظر الحريصة لكل الظروف للبعثة، فإن اللجنة شعرت بأن خيبة الأمل التى واجهتها ممكن اعتبارها كمحاولة لعقيداتها، لذلك فقد عينوا الطالب بازل Basle الذى تم رساسته كقسيس من كبير اساقفة لندن، وديملير Deimler ليصطحبا "كرابف" فى عودته لشرق افريقية [٣].

ولقد رجع إلى شرق أفريقية باسرع وقت ممكن وأصطحب معه مجموعة من المنصرين الجدد، ولكن كان الموقف غير سار بالنسبة إليه، لأن بعضا منهم ترك البعثو، وواحدا مات بمجرد الوصول إلى

---

(1) Eugene Stock : Op. Cit. Vol II. P.126

(2) Ramdas. B, Sc. B.T. History of East Africa , P.60

(3) Eupene Stock: Op. Cit. Vol II. pp. 134-135.

"راباي" وقد بقى اثنان فقط بالاضافة إليه ريبمان للقيام بالعمل، وفى الحال ذهب فى رحلة إلى يوكامبانى Ukambanki علىأمل أن يبدأ تأسيس محطة للبعثة هناك (١) وبنى كوخاً وبدأ عمله فى لاتنصير، ولقد زار صديقه القديم من أحد رؤساء القبائل ويدعى كيفوي Kivoi وكان كيفوي ينوى زيارة مدينة فى شمال تانا Tana وعرض كرايف الذهاب معه لأنه يعتقد بأنها أقرب جهة إلى "كينيا" وبالقرب من "تانا" تعرضت الحملة لهجمات من الأهالى(٢) فقتل " كيفوي" وترك كرابف لوحده وتم أسره من الأهالي ومهما يكن من أمر فقد تمكن من الهرب حيث اختفى فى غابة تانا (٣)، الا أن اهالي قبيلة كيفوي قالوا عنه إنّه رجل شرير وأنه يجب أن يحكم عليه بالموت، وتمكن "كرايف" من الهرب ليلاً ووصل أخيراً إلى "راباي" بعد شهر من الضياع داخل الاحراش (٤).

وقد توصل "كرابف" إلى استنتاج وهو أن مؤسسته قد انهزمت، وأن فكرة البعثة الأفريقية قد انتهت، وقد قال بكل حزن "أتمنى التقدم للارض التى قاسيت من أجلها كثيراً، ورحلت من أجلها، ومارست العديد من البراهين لبقاء وحماية يد الله فى هذه الأرض، وأنا أنادى أرواح العالم باسم عيسى المسيح الذهاب إلىولقد سجل خبرته فى كتابه : رحلات، وأعمال التبشير فى شرق أفريقية، وقد قرأ ها عضو من هيئة المنصرين الأجانب فى اتّحاد كنائس النظاميين فى إنجلترا، وأنبهر بشدة من

---

(1) Sarrah Geraldina Stock : Op. Cit., P.68.

(٢) عبد الرحمن صالح: الاتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الأفريقى، فى مجلة نهضة أفريقية، العدد ٧٣، السنة السابعة ١٩٦٣، ص٢٣.

(3) J.W. Gregory: Op. Cit., p.63

(4) Sarrah Geraldina Stock : Op. Sit., pp. 68-70.

أحلام "كرابف" فى تحويل قبائل الجالا [١] إلى النصرانية.

وأيضا قام بترجمة العهد الجديد إلى السواحلية، ووضع كتابين آخريين فى اللّغة السواحلية إحدهما كان للقواعد اللغوية، والآخر كان قاموس للّغة السواحلية[٢] .

وفى عام ١٨٥٤م ترك "كرابفط شرق أفريقية بعد أن فعل الكثير فى حقل الديانة المسيحية، ومن جهة أخرى اعتمدت جمعية الكنيسة التنصيرية خريطة المبشر ايرهارت Erhardt فى عام ١٨٥٥م، والتى كانت متخصصة فى أفريقية الاستوائية، ومؤسسة على أساس المعلومات التى جمعها من التجار المواطنين، وقم تمّ إرسال هذه الخريطة إلى جرائد المنصّرين، وتم تكبيرها من جمعية الجغرافيين الملكيين، وقد تم عرضها فى أحد اجتماعات تلك الجمعية، وكانت النتيجة هي قيام رحلات لكل من الكابتن برتون Burton والكابتن سبيك Speke فىعام ١٨٥٦م، وقد كتب "سبيك" ما يلى:-

كان المبشرون أول مصدر لهذه الكشوف، لقد عملوا لعدة سنوات كل مافى وسعهم لتحويل زنوج هذه الأرض للمسيحية، لقد سمعوا من العرب وآخرين عن البحيرة العظمى أو جزيرة البحر، وليس فى استطاعتهم الحصول على معلومات عن أي أرض منفصلة عن هذه المياه، وأنا أعتبر نفسى سعيد الحظ فوضع الخريطة وعليها البقعة العملاقة لجزيرة البحر والتى جذبت انتباه جغرافي العالم فى عام ١٨٥٥-١٨٥٦م قد تسببت فى إرسالنا لأفريقية [٣].

(1) William B. Anderson: The Church in East Africa "Tanganika 1970" "1840-1974", p.6.

(2) H. Okeilo Ayot: Op.Cit., p.55.

(3) Eugeno Stock: Op. Cit, Voll. II, PP

لذلك فى عام ١٨٥٦م حصل بيرتون على موافقة جمعية الكنيسة التنصيرية على أن يقود بعثة لكشف قلب القارة، وأسهمت وزارة الخارجية بمبلغ ألف جنية فى نفقات الرحلة، وكان سبيك يشاركه نفس الميول الاستكشافية، فتعاون الاثنان لاتمام مغامراتهما المثيرة، وقبل البدء فى رحلتهما الرئيسية زارا ممباسا وقابلا "ريبمان" وفى رحلة العودة ذهبا بواسطة نهر "بانجانى" إلى "فوجا" وعند عودتهما من فوجا أصيب الاثنان بحمى الملاريا، وفى يونيو أرسلا دليلا إلى الأراضى الرئيسية بالقرب من باجامايو، وأخيراً بدأت الرحلة فى أول يوليو عام ١٨٥٧م ورغم المصاعب التى قابلاها فقد قطعا ١١٨ ميل فى ثمانية عشر يوماً، وفى ٢٥ يوليو وصل إلى "زونجو ميرو" وهي محطة قوافل هامة، وفى ٧ نوفمبر وصلت الرحلة إلى "كازي" التى كانت فى موقع تابورا الحالية (١).

وفى عام ١٨٦١م قام سبيك مع جرانت Grant برحلة مباشرة من أجل بحيرة "فيكتوريا – نياسا" ودارا حول مياهها، وفى عام ١٨٦٢م استقرا بضعة شهور عند متيسا Mustesa ملك أوغندا، وبعد ذلك شاهدا النيل ينبع من البحيرة العظمى ثم تتبعا مجراه حتى وصلا إلى الخرطوم، ومنها إلى مصر، حيث تم إرسال برقية من هناك أعلنوا فيها أن "النيل قد تم الكشف عنه".

ومن ألمانيا كتب كرابف، ليذكر جمعية الكنيسة التنصيرية بمشروعه حول إقامة سلسلة البعثات المخترقة لأفريقية، حيث قال: "إن الكشوف شجعت بعثة الكنيسة لأن تعد نفسها من أجل التقدم فى الداخل، لكن الرجال الذين كان

(١) عبد الرحمن صالح : الاتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الأفريقى، فى مجلة نهضة أفريقية العدد ٧٣ السنة السابعة ديسمبر ١٩٦٣م، ص٣٣-٣٤.

من الممكن وضع سياسة لهم للتقدم نحو الداخل لم يصلوا بعد"[١] .

لذلك في بداية عام ١٨٦٢ م وقع اختيار "كرابف" على اثنين من المنصرين ذهبا إلى المشال من ممباسا إلى كاووما Kauma حيث كانا يأملان في جعل كاووما محطة في منتصف الطريق إلى "جالا"، ولكن واحدا منهما شعر بالمرض وكان عليه ان يعود إلى بريطانيا، والآخر ويدعى ويكفيلد Wakefield إلى ربای Ribe في منطقة ممباسا حيث كان مركز "كرابف"، وفي الوقت نفسه كان كرابف قد سقط مريضاً وعاد إلى أوروبا، ومن ثم ترك في الساحل الشرقي في أفريقية منصرا واحدا هو ويكفيلد.

وفي عام ١٨٦٣م تم تعزيز ويكفيلد بمنصر آخر وهو نيو New الذى كان يفتقر إلى الهدوء والصبر، فكان يريد أن يرى الإنجيل وقد انتشر بسرعة في الساحل [٢].

وكان سبيك منذ عودته إلى إنجلترا قد راح يروج لمشروع إنشاء "مستعمرة" تنصيرية في شرق إفريقية، فكتب في ١٨ فبراير عام ١٨٦٤ موجها أنظار هيئات البروتستنتية إلى تلك الممالك قائلاً : إلى هذه الأقاليم، وعلى وجه الخصوص في ممالك أونيورو وأوغندا يجب على جميع ارساليات الكنيسة أن توجه بصفة خاصة انتباهها، لأنها سوف تجد ملوك واهوما[٣] المنحدرين من سلالة الأحباش المسيحيين القدامى، ولسوف تجد أيضاً خصوبة في التربة تكفي لسد حاجتها" ، واقترح سبيك أن ترسل الهيئات البروتستنتيه رجال التنصير عن طريق النيل إلى مملكة اونيورو، حيث ينتشرون من هناك

(1) Eugene Stock: Op. Cit. Vol.II.P.139.

(2) William B. Anderson: Op.Cit., P.6.

(3) Stanley : In Darkest Africa, Vol. I, p.354.

إلى بقية الممالك الاستوائية، ورغم الاغراءات القوية التى تضمنها نداء سبيك، فقد أعتبرت جمعية الكنيسة التنصيرية مشروعه خيالياً، بسبب المصاعب والعوائق الطبيعية التى قد تواجه المنصرين فى أفريقية(١) .

وبعد الغاء تجارة الرقيق فى عام ١٨٧٣م اصبحت مشكلة إمدادات العبيد المصررين خطيرة (٢)، ولذلك بدأت بعثة الكنيسة بإقامة المستوطنات فى مدينة فريرتاون Freretown بالقرب من ممباسا(٣)، وهى نسبة إلى بارتل فرير، وتحت إشراف المنصر برايس W.S.Price وبدات المستعمرة أعمالها، وطبقا لذلك فإن مستوطنة فريرتاون تمَ إقامتها فى الأرض الأساسية (الساحلية) ، وفى أول سنة تم وضع اليد على حوالى ٥٠٠ عبد من القوارب الشراعية للتجار العرب حيث تم تسليمهم إلى فريرتاون(٤).

وقام المنصّورن يشجعون العبيد على الهرب من أسيادهم العرب والالتجاء إلى المستعمرة، التى صارت تستقبلهم وتمنحهم حماية الجمعية، المساعدة بحوالى ١٠,٠٠٠شلن، وتبين أيضاً اسماء المدارس التى شملت منح المساعدة وهى :

ممباسا	٢٥٠٠	شلن
Kaloleni	٤٥٠٠	شلن
Taita Primary	١٥٠٠	شلن
كابين للبنات		

(١) السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى ، ص١٦٠

(2) H.Okeilo Ayot: Op.Cit., p.98..

(3) Ramdas, B. Cc. B.T.: Op. Cit., P.64.

(4) Ibid., P.62.

Kahuhia	٣٠٠٠	شلن
Kahihia	٤٥٠٠	شلن
نيروبى	٢٥٠٠	شلن
Maseno	٢٥٠٠	شلن
	٩٠٠٠	شلن
	٣٠,٠٠٠	شلن (٥)

وايضاً هناك وثيقة أخرى محفوظة فى الإرشيف الكينى مرسلة من جمعية بعثة الكنيسة التنصيرية إلى المدير التنفيذى للتعليم فى نيروبى وهي كما يلى:

"آمل أن تضع مكتوباً يحتوي على إعادة توزيع جزء من التصور القصير فى منحتنا التعليمية لعام ١٩٣١، وفيما يتعلق بهؤلاء الذين لم يحصلوا على منح منتظمة فى نهاية عام ١٩٣٠م فسوف تقدم منح من المدخرات، وأيضاً سوف تقدم منحة لمدرسة ممباسا للبنات حوالى ١٠٠٠شلن(١) .

وفى ١٥ نوفمبر عام ١٨٧٥م نشرت جريدة "تيلى تلجراف The

---

(٥) إلى مدير التعليم فى ١٦ مايو ١٩٣٥م. انظر ملحق رقم (٣).
Kenya, National. Archives: Ed. I/3307 C.M.S. 1 May 1935.

(١) إلى المدير التنفيذى فى ١٢ / نوفمبر ١٩٣١
K.N.A : Ag 5/1558 C.M.S.

انظر ملحق رقم (٤)

Daily Telegraph خطابا من الرحالة المعروف "ستانلى" شرح فيه تحسن الاحوال السياسية فى ه تحسن الأحوال السياسية فى Buganda منذ زيارة "سبيك" وبين فى الخطاب الاحترام الذى قوبلت به البعثة من قبل الملك موتيسا Mutesa (١). ولقد ذكر "ستانلى" بأنه قد ترك خلفه واحداً من خدمه لكى ينفذ تعليمات Mutesa وهو بذلك يخدم جمعيات التبشير الانجلزية لكى تحذر مثله فى العمل (٢).

لذلك استجابت جمعية الكنيسة التنصيرية على الفور لدعوة ستانلي وقامت بالاعداد لارسال المنصرين إلى أوغندا بالرغم من أنها لم تستجب من قبل لدعوة سبيك للأسباب الاتية:

(١) العقبات الطبيعية التى تواجه المنصرين على الساحل الشرقى لافريقية جعلت جمعية الكنيسة التنصيرية تعتبر المشروع غير عملي.

(٢) تفضيل الجمعيّة تنمية المحطات الساحلية وعدم التقدم إلى داخل القاهرة إلا بعد التأكد من سلامة المنصرين هناك.

(٣) موت سبيك المفاجئ (٣).

وقد تطوع ثمانية من المنصرين للذهاب إلى أوغندا ووصلت البعثة تحت رئاسة الملازم شيرجولد سميث Shergold Smith إلى باجامويو على الساحل Bagamoyo فى يوليو سنة ١٨٧٦م، ومات نصفهم فى خلال عام

---

(1) Tom Kigging : Aserving People, p.48 "Oxford 1974".

(2) Eugene Stock:Op.Cit, Vol. III, p.95.

Oliver, R. : The Missionary Factor in East AFRICA, "IONDON 1952", P.39.

(3) Ingham: The Making of Modern Uganda pp.31-34.

من وصولهم، وفى نهاية عام ١٨٧٧م ظل ويلسون فقط على قيد الحياة ودخل أوغندا، وانضم إليه فى العام التالى أشهر المنصرين الذين ارسلوا إلى أوغندا وهو الكسندر ماكي Alemander makay [١]، الذى يعتبر من أوائل أعضاء بعثة الكنيسة التنصيرية الفدائيين إلى أوغندا، وقد بذل المنصرون الجدد أقصى ما فى وسعهم لحماية أنفسهم، ولقد أسس "ماكاى" بعثة فى منطقة اوجوجو Ugogo فى تنزانيا، وقد تم اختيار المكان بسبب كثرة إمدادات المياه، ثم إن موقعه مرتفع جداً ليصبح بارداً وخاليا نسبياً من الأمراض[٢].

وبعد وصول شيرجولد سميث وويلسون إلى اوغندا بعث الأخير إلى جمعية الكنيسة التنصيرية بلندن برسالة جاء فيها مايلى : "... لقد قمت بصلاة شائقة جداً فى القصر الملكى هذا الصباح، وكان الملك وكبار الشخصيات وغيرهم وهم يبلغون حوالى المائة على وجه الاجمال، حاضرين وقرأت من العهد القديم والجديد، وكان موفتا Mufta يقوم بالترجمة، وشرحت بضعة أشياء سأل الملك عنها، ثم تلونا بضعة ابتهالات، وكان الجميع راكعين، ولدهشتى وسرورى كانت تنبعث كلمة آمين من القلوب بعد كل ابتهال، وخطبت فيهم بعد ذلك خطبة قصيرة عن خطيئة آدم ونتائجها، وحاجتنا من ثم لمنقذ وأخبرتهم بأن المسيح هو ذلك المنقذ، وترجم موفتا كل ذلك، وأنصت الجميع بانتباه شديد، وسألنى الملك بعد ذلك عدة أسئلة، ولقد كان ذلك مشجعاً لدرجة كبيرة فى الحقيقة [٣].

---

(1) Marshz and King North : AN Introduction to the history of East Africa. "Ca; Bridge 1957" pp. 126-127.

(2) William B. Anderson : Op. Cit., 19.

(٣) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية خطاب ويلسون الذى كتبه فى ٨ يوليو ١٨٧٧م ومصور على ميكروفيلم فى أرشيف الحكومة الكينية فى ملف تحت رقم Ca 6/025.

ولم يشعر منصرو جمعية الكنيسة التنصيرية بالارتياح لدخول الكاثوليك إلى أوغندا منذ البداية، ويتضح لنا دور هؤلاء المنصرين السياسى فى تلك البلد من تعليق بعض الكتاب على هذه الاتجاهات، حيث يقول كتلر Kittler فى فترة محاولة دخول انجلترا شرق أفريقيةمن نقط مختلفة على الساحل الشرقى – تأكدت إنجلترا من أهمية التأثير الاجتماعى للبعثات التنصيرية، وأيدت الكنيسة فى انتشارها إلى حد كبير، وأعطت لبعثاتها الدينية نفس الأهمية التى لبعثاتها العلمية والسياسية، وتوقعت أن تتبع الدول الكاثوليكية نفس السياسة، ولذلك ذهب ممثل الكنيسة الانجليزية إلى الكاردينال لافيجرى بعد رحيل القافلة الأولى من الآباء البيض مقترحا تكوين مناطق نفوذ منفصلة من أجل تجنب المنافسة الدينية، وقد أغفل هذا الاقتراح الاختلافات الأساسية بين الطائفتين، والحقيقة المعروفة من عدم تعاون الدول الأوروبية الكاثوليكية مع الكنيسة بسبب عدم سيطرتهم عليها (١).

وحث القنصل العام البريطانى فى زنجبار بعثة الكنيسة أن تحتل موشى Moshi (٢)، وأخيراً تمكنت بعثة الكنيسة التنصيرية فى يوليو عام ١٨٨٠م من تأسيس محطة لبعثة فى تلك المنطقة (٣).

وهذا يدل على مدى اهتمام بعثة الكنيسة التنصيرية بانتشار الاستعمار البريطانى فى شرق أفريقية.

(1) Kittler, G. Lenn, D. : The white fathers. "New York 2957" p.127.

جرجس عريان مرقص: التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثيره على استعمارها، رسالة ماجستير – جامعة القاهرة، ص١٣١.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية فى لندن، من هانجتون إلى وانجرام فى ١٨٨٥/٢/١٤م، فى ملف تحت رقم A5/02

(3) Tom Kigging : Aser Ving People. p.81.

وفـى عـام ١٨٨٨م وصلت الشـركة البريطانيـة الامبراطوريـة لشـرق أفريقية وبوصولها أضعف الوضع السياسى للجهات التى كانت تعارض امتداد بعثة الكنيسة، وذلك بعرضها تعويض العرب عن عبيدهم الذين هربـوا والـذى تم جمعه من التبرعات للبعثة الكنيسة من المؤيدين لها [١]، وبذلك أصبحت بعثة الكنيسة فى وضع يسمح لها بالانتشار، وكانت الشـركة فـى مبدأ الأمـر حدّدت الاتجاه الذى يجب على البعثة أن تسلكه فى انتشارها.

وفـى نوفمبر ١٨٨٨م دعا رئيس الشـركة البريطانيـة الامبراطوريـة لشـرق أفريقيـة ماكنزى Mackenzie بعثة الكنيسـة للاتحـاد مـع الشـركة والتوسع معها فى الداخل، والدعوة لهذا التعاون غير معروفة ولكن ربما يكون اكنزى قد رغب فى مراقبة نشاط البعثة، وأيضاً ربما تكون الشـركة ترغب فى الاستفادة من البرامج التعليمية للبعثة وتسهيلات أخرى تشعر الشركة من امكانية قيام البعثة بها لصالح الشركة [٢].

وفى نوفمبر ١٨٨٩م طلبت الشركة من بعثة الكنيسة احتلال ماليندى Malindi [٣]، وهذه الدعوة كانت هامة بالنسبة للبعثة بخصوص سياستها التوسعية فى الداخل. ةفى فبراير ١٨٩٠م دعا لوجارد Lugard وبنز Binns وكانا يعملان لحساب الشـركة لانشاء محطة فى ماجونجين Makongeni حيث تؤسس الشركة البريطانية هناك مخازن، واهتمام "لوجارد" بالبعثة ربما

---

(1) Bennet: The Church Missionary Society at Mombasa "Boston 1964" Mombasa "1874-1894" PP.189-191.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية من ماكنزى إلى برايس بتاريخ ١٣/٢/١٨٨٨م، مصور تصوير ميكروفيلم تحت رقم 1888/422.

(٣) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية من بنين إلى لونج بتاريخ ١٨/١٢/١٨٨٩م مصور تصوير ميكروفيلم تحت رقم : 1890/6.

يكون متمشيا مع مشروعه لتشجيع العبيد الهاربين لشراء حريتهم بالعمل لدى الشركة، والخطة ليس هدفها تحرير الرقيق بل أيضاً ايجاد عمالة للشركة (١).

وفى عام ١٨٩٥م كانتت إدارة المحميات البريطانية لشرق أفريقية تقدر أهمية المنصرين لعملية فتح أفريقية، وقد كان هاردنج Hardinge أول حاكم إدارى لمحميات شرق أفريقية يبارك أعمال منصر بعثة الكنيسة التنصيرية سميث Smith لتضحيته والقيام بواجبه ومساعدة الحاكم الادراى المحلى فى 'راباي' (٢)، وقام خليفته اليوت Eliot لتوسيع إدارته للمحميات على أساس أنَّ فتح محطة جديدة تظهر بصفة عامة كمؤثر للتوسيع والامتداد للنفوذ الأوروبى وفتح محطات حكومية جديدة (٣)،وبحلول عام ١٩٠٠م نمت بعثة الكنيسة بصورة مستديمة فى زيادة عدد المنصرين حتى أصبحوا هيئة ضخمة فى الساحل ، بالاضافة إلى ١٥ منصر تم تعينهم فى شكل نصف قصر دائرة على بعد حوالى ١٥ ميل من ممباسا، ولقد أوضح بنز بأن محطة فريرتاون كانت تعج بالمنصرين بينما وجه الأسقف الإنجليزى بيل Peel انتقاده على التركيز، وطالب بسرعة الانتشار (٤) بالاضافة إلى ذلك فإن ثمانية أوربيين تم تعيينهم فى Taveta وهى محطة صغيرة بالقرب من جبل كليمنجارو وهي تخدم حوالي ٤٠٠ مواطن، وقد أدرك رئيس المنصرين أن مجموعته تشعر بالخجل من كثرة عددها وأضاف بأنه يجب أن نجد وسيلة للامتداد أو بالتأكد

(1) Robert W. Stryer: The making of mission communities in East Africa "1875-1935" New York 1978" pp.40-41.

(2) Robert W. Strayer : Op. Cit., PP. 32-33.

(3) Charles Eliot: The East Arica Protector ate, "London 1905" p.241.

(٤) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية بلندن خطان من Binns إلى Baylis فى ٢٥ مارس ١٨٩٨م وفى ملف تحت رقم 1898/63.

سندمر أنفسنا (١).

وفيما بين عام ١٩٠٠م وعام ١٩٠١م تم انشاء محطات البعثة مخترقة "الاراضى الجبلية" فيما كان يعرف باسم المجمع الكنسى لشرق أفريقية الاستوائية(٢) وقد تم تقسيم شرق أفريقية من ناحية القساوسة إلى مجمع كنسى جديد فى "ممباسا" مع الاسقف بيل Peel وأصبح شديد الحماس للدفاع عن تقدم الكنيسة الأفريقية، فضلا عن ذلك شهدت السنوات قبل تعيين بيل Peel أزمات سياسية بين موظفى بعثة الكنيسة، وفى مجهوداته لخلق مؤسسات جديدة لحكومة الكنيسة أعاد بيل Peel تنظيم الترتيبات المالية للمجموعات المحلية لتسمح بدرجة كبيرة من الدعم الذاتى، وقد أوجد الاسقف المجالس المحلية للتعامل مع أموال نظام الكنيسة وأكثر من ذلك أهمية هو تأسيس مجلس أفريقى للكنيسة والذى يعتبر بمثابة خطوة أولى نحو انشاء سلطة للأسقفية ولها مكوناتها وبالتالى انشاء مقاطعة كنسية مستقلة عن كانتربورى وهى الكنيسة المركزية لإنجلترا والمشرفة على جميع الكنائس فيها(٣).

وفى عام ١٩٠٤م بعدما بدأت بعثة الكنيسة فى التحرك من ساحل ممباسا إلى المناطق المزدحمة بالسكان فى الأراضى الجبلية فى "كينيا لتبدأ العلم مع قبائل الكيكويو Kikuyu واكامبان، أوضح Jones عدم رضاه عن البعثة بسبب فشلها فى نشر المسيحية بين قبائل النايكيا، وفى ذلك الوقت اختفى العبيد المحرّون كطبقة من كينيا لأن معظمهم قد تحرك إلى الداخل،

(١) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية بلندن خطاب من Steggall إلى Baylis فى ١٢ مارس ١٨٩٦م وفى ملف تحت رقم 1896/127.

(2) A.J. Temu: British Protestant Missions "London 1972", p.91.

(3) Robert W. Strayer : Op.Cit., PP.67-68.

وإلى المدن الساحلية، وأنصهروا مع الافريقيين الاخريين، وكما واجه Jones أيضاً فشلاً فى نشر المسيحية فى قبائل النايبكا Nyika والذى عمل معظم حياته فى وسطهم [١]،وفى عام ١٩٠٤م وهى السنة التى مات فيها، كتب Jones مايلى :-

"لمدة حوالى قرن من الزمان، ماذا عملت البعثة ليواناكيكا من مدينة ديجو Digo إلى مدينة جيرياما Giriama كل هذه السنوات تم ضياعها فى راباى وفريرتاون لماذا لم يتمّ إقامة محطات جديدة بين موامبا Mwaenba وجيلوري Jilore فطبيعة مالينديى ليس لديها دليل للطرق، وحتّى عن بعثة الكنيسة فى كاووما Kauma فى أعلى تتجانيقا رغم وعدهم بالأمانى ولكن بدون نتائج جيدة، ولمدة نصف قرن كانت النتائج هى بعض المحطّات فى شمبا هيل Shimba Hill حيث لم يتمكن بنز Binns من تحويل أيّ أحد إلى المسيحية [٢]

ويصور لنا تقرير بعثة الكنيسة التنصيرية لعام ١٩١٧ /١٩١٨ حالة المنصرين والبلاد على النحو التالى :

لقد قاسوا الكثير من المتاعب، وبعض الوكلاء استمروا فى عملهم وفى العديد من الاماكن والمدارس والصلوات ليوم الأحد تمّ استمرارها، وهناك

---

(1) A.J. Temu: Op. Cit., PP. 71-72.

(٢) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية فى نيروبى خطاب Jones إلى البطريق Peel مصور تصوير مايكروفيلم ومحفوظ فى أرشيف الحكومة الكينية فى قسم East Africa وهو بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٠٣م.

حالات حدثت ذات جانب خلقي، ومنزل المدرسين فى بويجيرى Buigiri قد تم حرقه، والعمل الروحي مستمر في زويسا Zoyisa وأيضا فى المحطات الخارجية فى المقاطعة حتى منذ قيام الحرب العالمية الأولى، ورجال الدين الذين ساعدوا أيضاً فى المدارس، ويوجد العديد من الرغبات فى أن يصبحوا مستقرين[1] .

وقد زاد عدد بعثات البروتستانت العاملين فى جميع أنحاء شرق أفريقية بحوالي ٤٣٪ بين عامى ١٩١١م و ١٩٢٥م ولكن انخفضت بنسبة كبيرة فين عام ١٩٢٥م وعام ١٩٣٨م[2]، وكانت البعثات فى معظم المدّة المتطورة تعمل فى تأسيس الكنائس الأفريقية، وعندما كانت المساعدات المالية للبعثات من الدول الأوروبية المتبرعة كبيرة كانت توجد رغبة وميل لتوحيد الرقابة الغربية وتأسيس مجموعة من القساوسة التابعة للمستعمرات فى شرق أفريقية.

وكان لتصريحات البابا وحضوره مؤتمرات البعثات أن ركز على الأهمّية بالاحتفاظ بقدر الإمكان بالنسيج الأهلي للمجتمع، وتشجيع تجهيز طقوس دينية متنوعة وصلوات، وبطريقة أخرى فانّ لبّ أو جوهر الإخلاص فى المسيحية يجب أن تستجيب لكل من الهجوم الذهني، ولتحدّي حوادث العالم، والحركة المرتبطة بجميع العالم المسيحي اقتبست الفكرة والإلهام من عناصر البعثات في كنائس البروتستانت التى حملت كثيرا لتزود الشعوب فى أوروبا بشن الحرب ضد المسلمين فى الشرق، بواسطة التعاون بين كنائس

---

(1) M.L. Pirouet : The First World War-An Opportunity Missed by the missions. p.13.

(2) John R. Matt : The Decisive Hour of Christion Missions, "New York 1012", p.29.

العالم للتهيئ للقتال ضد الغسلام والذى يعتبر خطرا عليهم (١).

وإذا نظرنا إلى النسبة المئوية للمسيحيين فى شرق أفريقية بين عام ١٩١٤م وعام ١٩٤٤م نجد النسبة قليلة جداً إذا ما قورنت بعدد الهيئات والبعثات التنصيرية فيها، ففى عام ١٩٣٨م كان المسيحيون فى كينيا حوالى ٨٪ من تعداد السكان، وأيضا لم تزد نسبة المسيحيين فى تنجانيقا عن ١٠٪ ، وفى أوغندا بلغت نسبة المسيحين ٢٥٪ (٢).

وفى ظل هذه الاحصائيات الدقيقة يمكن تقدير عمل البعثات التنصيرية فى مناطق شرق أفريقية بأنه لم يصادفه التوفيق إلى درجة كبيرة ، إذْ إنّ النسبة المئوية لعدد المسيحية بكل دولة فى المنطقة قليل جدا مقابل الامكانيات والمساهمات التى وضعت تحت تصرف البعثات التنصيرية.

وأخيراً تبيّن لنا بعد هذا الشرح التفصيلى أنّه لو كان هدف الجمعيات التنصيرية دينيّاً فقط لتعاونت جميعها فى جهد مشترك لنشر المسيحية، وتطبيق تلك المبادئ الّتى جاءوا يدعون النّاس إليها، وهم أبعد ما يكونون عنها، وكان من أهمّ الأسباب التى أدّتْ إلى نجاح الإسلام هو ما كان للمسلمين من تفْوّقٍ أدبى.

ولاشك أن جهل رجال الدّين المسيحين من الأفارقة بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرفهم عن المسيحية إلى الإسلام، حتى إن قبائل مسيحية تحوّلت برمتها إلى الإسلام، وإنْ بقيت أسماؤها المسيحيّة تدلّ على دينها

(1) John R. Mott: Op. Cit. PP. 29-31.
Roland Oliver : The Missionary factor in East Africa, p.232.

(2) Roland Oliver : Op. Cit., P.234.
Latourette, K.A. : A history of the Expansion of Christianity. Vol. III, PP.234-237.

السابق.

وفق هذا وذاك فإن سياسة المسيحيين التي اتّبعوها في اضطهاد مخالفيهم في الدين أو المذهب، وإجْبَار المسلمين على التعميد، ودفْعَ العشور، واجبار الوثنيين على التنصر، قد بغّض هؤلاء جميعاً في المسيحية، وجعلهم يتحوّلون إلى الإسلام اعتصاما بعدْلِه وسماحته، بل إن المسلمين الذين أجبروا على التنصر ظلوا على ولائهم للاسلام، واستغلُّوا كل ما أتيح لهم من امكانيات لنشره [١].

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الاسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، طبعة ثالثة عام ١٩٧٠، ص١٤٠-١٤١.

٢) أرسالية الجامعات لوسط أفريقية :

يعتبر ليفنجستون Livinngstone عاملاً حماسياً مؤثرا على النشاط التبشيرى بين الأفريقيين، وكانت قد تحدثت الأوساط التبشرية عن الأفريقيين المهملين الذين يعانون من الوثينة وتجارة الرقيق وذلك لأثارة حماس المبشرين ولجذب أكبر عدد من المساهمين فى البعثات التبشيرية [١].

وظهرت آراء 'ليفنجستون' فى ساسيس بعثة بواسطة مجموعة من رجال الدين المسيحيين[٢] ، وكتنظيم بدأت بخطة وبطريقة مختلفة تماماً عن طريقة جمعية بعثة الكنيسة للتنصير، وبطريقة أثرت بقوة فى عملها وفى نفوذها وذلك يرجع من ناحية إلى موقف الإنجليز من تلك الارسالية[٣] ومن ناحية أخرى إلى أن بعثة التنصير للجامعات قد ركزت نشاطها فى مكان جغرافي واحد، وكان أسقف الكنيسة فى الموقع يتقلد المركز الأساسي، وله مطلق حرية التصرف [٤].

وقد تمّ تأسيس بعثة الجامعات إلى وسط أفريقية، كنتيجة مباشرة لمحاضرة "ليفنجستون' فى جامعة كامبردج فى عام ١٨٥٧م وجذبت تأييدها من الكنيسة العليا للإنجليكان، حيث أرسلت مجموعة من المنصرين برئاسة الأسقف ماكنزى Mackenzie ليبدأ نشاطه فى الأراضى الجبلية فى منطقة شاير Shire جنوب بحيرة "نياسا" وقد كانت تلك الأراضي الجبلية مركزاً

(1) A Pter : the Politival Kingdom of Uganda, "New Jersy 1961" P.65.

(2) William B. Anderson : The Church in East Africa "Tanganyika 1977", p.67.

(3) Eugene Stock: The Histroy of the Church Missionary Society, "London 1899" Vol. II, p. 19.

(4) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa "London 1952", p.12.

للنشاطات الأوروبية الّتي تضاعفت منذ زيارة ليفنجستون لها في عام ١٨٥٩م ففي السنة نفسها شهدت وصول شعب Ngoni لإقامة على تلّ يقع إلى الغرب من بحيرة نياسا (١).

ورغم أن استعمار نياسا لاند قد تأخر زهاء عشرين عاما، حينما أسست "شركة البحيرات الأفريقية" من أجل استثمار موارد المنطقة براسمال قدره ٢٠,٠٠٠ جنية دفع معظمه جيمس ستيفنسون J. Stevenson وهو تاجر من جلاسجو كان مهتما بحركة الكشف الجغرافي والنشاط التنصيري في أفريقية، فقد كانت الاستجابة الفورية لدعوة ليفنجستون هي إرسال الأسقف ماكينزي ونفر من المنصرين التابعين لإرسالية إلى وسط أفريقية لكي يقيموا مركزا للتنصير فى أعالي نهر شيري، وصل ماكينزى ورفاقه إلى أفريقية الشرقية في يناير ١٨٦١م ، وأنشاوا فى شهر يوليو أوّل مركز للتنصير يخص إرسالية الجامعات فى موجومرو Mogomero إلى الجنوب من بحيرة شيروه(٢) ، وفى يناير ١٨٦٢م استقبل ليفنجستون زوجته ماري الّتي عادت إلى أفريقية للانضمام إلى زوجها برفقة سيدات إرسالية الجامعات، اللّتي كنّ قد أحضرن معهن أجزاء من "ليدي نياسا" وهو زورق بخاري كان ليفنجستون قد طلب بناءه فى بريطانيا على نفقته الخاصة، وحين بلغت سيدات الإرسالية مصب نهر روو Ruo أحد فروع شيرى، صُدمْنَ بسماع نبا وفاة الأسقف ماكينزي وأحد أتباعه المنصّرين بالملاريا، وكانت وفاة ماكينزى بمثابة ضربة موجهة إلى جهود ليفنجستون فى تأسيس مركز تنصيرى وسط أفريقية، إذْ لم يلبث أن انسحب مركز إرسالية الجامعات التنصيرية من منطقة نياسا إلى زنجبار أوائل

(1) Assa Okoth : aA history of Africa 1855-1914. "Kenya 1979" p.55.
Hokeilo Ayot : Topice in East Africa, Kenyatta University College 1975. p.56.

(2) Livinsgtone. D. : Expedition to lake Nyassa in 1861. p.251.

عام ١٨٦٣م [١].

وبعد سماع موت الأسقف ماكينزي ذهب الأسقف "جرى" إلى انجلترا لأخذ نصيحة من اللّجنة القومية، واختيار منصر دينى جديد ترك اختياره لثقته وثقة أسقف أكسفورد "ويلبرقورس" ولقد اختراوا وليم جورج توزر William George Tozer قسيس كنيسة بيرجهكم – وثتوب -Burghcum Winthorpe فى لينشير Lincolnshire وقد كان رجل أكسفورد فى كليّة سانت جون، وأيضاً فى الكلية الدينية St. John فى ويلى Wells [٢].

ويعتبر وليم جورج توزر أسقف فى بعثة الجامعات وقد تمت رسامته لمنصب الأسقف فى كنيسة وستمنستر West Minster وفى عام ١٨٦٣م بواسطة رئيس الاساقفة لونجلي Longley [٣].

قرر الأسقف توزر Tozer الذهاب إلى مورا مبالا رأساً، لأنه كان يعتقد أنّ ذلك يمكّنهُ من الاتصال المباشر مع كويلمان (ميناء بشرق أفريقية على ساحل المحيط الهندى) والّتي يعتقد أنه يمكن استخدامها كقاعدة للامدادات.

وموراامبالا عبارة عن جبل عظيم منعزل يقع على الشاطئ الشمالى لبحيرة نياسا وقريب من نهر شاير Shire على بعد حوالى ٣٠ميل من اتّصال نهر شاير مع نهر زابيزى، ووجد الأسقف أنّه ليس من المرغوب فيه أن تنتقل البعثة إلى القرية لأنّه بالاضافة إلى أصحاب العائلات كان يوجد تابعوك لهم

(1) Livinstone. D. : Op. Cit., PP. 245-251.

(2) George Herbert Wilson: The History of the universitics Mission to Central Africa, "London 1935", p.19.

(3) A.E.M. Anderson-Morshaed : The History of the Universities Mission to Central Africa "1859-1909" "London 1909" p.43.

يتعوقعون من البعثة أن تمدهم بحاجاتهم، فقد قرر الأسقف أن يأخذ الاولاد إلى "موراميالا" ولكن لم تكن لديه رغبة فى اخذ النساء [1]، لأن موراميالا لم تكن على الاطلاق مكاناً جيّداً بسبب الضباب والدخان الذى يهب على الجبل والذى يستمر طول اليوم، وأحياناً تهب رياح عالية على الجبل، كما يوجد تغير وغير منتظم فى الجون كما يوجد عدد قليل من السكان فى المناطق المجاورة، وهو منتشرون على مسافات بعيدة، وفضلاً عن ذلك يتحدثون لغات ذات لهجات محليّة مختلفة، لم تستطع البعثة فهمها، ولذلك وصل الأسقف إلى حلّ وهو الانسحاب الكامل من كل قرى زامبيزى، وقد كان قرارا صعباً تحمّله الاسقف بنفسه، وكانت اللّجنة القومية قد وضعت فيه ثقتها، على أن يتّخذ قراره بنفسه عمّا إذا كان من المرغوب فيه تغيير هيكا عمل البعثة، وإذا كان من الضرورى الانسحاب بالكامل من وادى زامبيزي، وقد ردّ الأسقف حيث قال: "أنا أفعل ذلك وأنا آسف لعدم التوفيق، حيث إنّ تحركنا سيسبّب حزنا عميقا للقلوب فى إنجلترا، وبعد قرار الانسحاب من وادى زامبيزى الذى تم اتّخاذه، فقد كان السؤال التالى وهو أين تستقر البعثة[2].

وللاجابة على ذلك قام الأسقف "توزر" فى ربيع عام ١٨٦٥م بشراء عقارات وأملاك عند "كيونجانى" Kiungani والتى تبعد حوالى ميل ونصف من المدينة والتى لعبت دوراً ضخماً فى تاريخ البعثة وقد كان الاسقف لديه طالب فى كلية "ويلز" للاَّهوت، وقد ساعده رجال ويلز لشراء العقارات لوضع الأساس لعمل المستقبل، فقام فى نهاية عام ١٨٦٥م بشراء بعض الأراضى بعد كيونجاني، والمعروفة فى ذلك الوقت باسم "شامبا Shamba" ولكن

(1) George Hernert Wilson : Op. Cit., p.20.

(2) A.E.M. Anderson- Mordhead : Op. Cit.. p.44.
Herbert Wilson; Op. Cit., p.21.

عرفت فيما بعد باسم ميوبني Mbweni [١]، ولقد شجع هيئة البعثة في ميوبني" لمضاعفة الاهتمام بالتدريب المهني، وكان يوجد بعض الطالبات اللائي يعملن في مهن لا تتفق مع تعاليم المدرسة، ولذلك رأوا أنّه لابد أن تقدم لهنَّ المهنة المناسبة، وذلك بوضعهنّ تحت رعاية الآنسه آلن Allen والانسة بيركلى Berkeley لتعليمهنّ الكتاب المقدس [٢].

وكانت بعثة الجامعات تهتم بالحبث عن إضافة لبعثاتهم البعيدة، وكانوا قد طلبوا بعض الموارد الأوروبية لتنمية عملهم بكفاءة، ولتقديم استثناء للشكل العامّ لنشاط البعثات خلال تلك المدّة، وكان رجال البعثات لا يزالون يركزون على المدارس الّتي تقدّم العلوم الدينية، والمركزة في زنجبار و Magila و Likoma حيث يقتصر عمل المدرسة على تقديم العلوم الدينية وأداء الصلوات في الكنيسة [٣].

وفى عام ١٨٦٦م حضرت سيدتان للعمل فى البعثة وكانتا أول سيدتين تقومان بالعمل في البعثة، ويجب ألا ننسى أن الآنسة "ماكينزى" والسيدة Burrup حضرتا إلى أفريقية بهدف الانضمام إلى هيئة البعثة في موجومرو، ولكنَّ بعض الظروف حالت دون الك، والسيّدتان هما الآنسة "تورز" أخت الاسقف والآنسة "جونز" ولقد وصلا في قارب شراعي[٤]، كما كانت هناك أيضاً الآنسة فولر Vouler التى تعتبر من أكبر المنصرّات في بعثة الجامعات، وقد قضت ٢٥ سنة من حياتها في الخدمة الدينية في جزيرة بمبا

---

(1) George Herbert Wilson : Op. Cit., p.26.

(2) Ibid., p.83.

(3) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Africa. "London 1952", p.175.

(4) George Herbert Silson: Op. Cit., p.25.

Pemba، وكان عدد المسيحيين فى الجزيرة حوالى ٢٠٠ كما يوجد عدد من المسيحيين تمَّ اعتناقهم الإسلام، وذلك بسبب بعض الاضطرابات، وغالبا بسبب الهروب من نظام واشراف الكنيسة(١).

وبعد استقالة الأسقف "توزر" فى أبريل ١٨٧٠م، تم تعيين خليفته وهو ادوارد ستير Edward Steere الذى كان صديقه المخلص وزميله فى العمل، وقد كان هذا الرجل من أقدر رجال البعثة، ولد فى لندن وهو الابن الوحيد لمحامي فى المحكمة العليا، وقد تمّ تعليمه فى مدرسة كلية الجامعة، وبعد ذلك فى جامعة لندن، وقد حصل على درجته العلمية فى ١٨٤٧م وأصبح دكتوراً فى القانون عام ١٨٥٠م ولم يتجه لمهنة المحاماة، لانَّ اهتمامه كان فى مكان آخر، حيث فكرَّ فى الانشطة الدينية، وتمَّ تعيينه شمَّاساً فى أبرشية ديفون شايرDeven-Shire، وفى عام ١٨٦٨م لحق بصديقه "توزر" فى بورغ Burgh(٢) وهناك أصبح قسيسا لكنيسة صغيرة فى لينكولن شير Lincoln Shire حيث كانت الدعوة للذهاب لأفريقية فى انتظاره، ففى يوم كان "تورز" يمشى حول الكنيسة ومعه خطاب من الأسقف "جرى" يطلب منه الاشراف على البعثة، وكان قد حضر فقط لأخذ النصيحة، فاقترحت مسز "ستير" عليه بأن دكتور "ستير" يمكن أن يصطحبه ويساعده فى الاستقرار، وهكذا قرر "ستير" الذهاب إلى أفريقية (٣)، وشعر بأن أحسن قاعدةٍ للعمل فى وسط أفريقية ممكن أن يكون فى بلاد الزولوZululand أو جزيرة "زنجبارZansibar " أما بالنسبة للأولى فكان يوجد العديد من الاعتراضات،

(1) Carl- Erik Sahlberg : Achurch Histroy of Tanzania. "Kenya 1980", p.127.

(2) George Jerbert Wilson: Op. Cit. p.35.

(3) Ibid; pp. 35-36.

فهى تقع بعيدا جدًا، وبذلك تمّ اختيار زنجبار [١]، لأن زنجبار مركز تجارى هام ، فالتجارة من الداخل يتم بيعها فى زنجبار، ويتمّ حملها بالقوارب البخارية إلى المحيط الهندى، وتأتى البضائع من موانئ بعيدة إلى زنجبار، ثمَّ تجد بعد ذلك طريقها إلى الداخل، وتجارة العبور (ترانزيت) هذه لها أثر هام جدا فى شرق أفريقية، يحدثنا ويلسون بأنه قابل رجلا عجوزا ورئيسا لقبيلة من مكان بعيد من الجانب الغربّي لبحيرة "تاسا" فذكر لَهُ أنَّه حضر خمس مرات فى شبابه إلى زنجبار لبيع العاج [٢]، وكانت زنجبار أيضا مركزا لتجارة الرقيق حيث الآلاف من المخلوقات يتم بيعها فى الأسواق كلّ عام، ويبدو أن اختيار الأسقف لمدينة زنجبار له العديد من المزايا، فمما لا شكَّ فيه أنها تعتبر قاعدة للانطلاق ضد المسلمين فى شرق أفريقية، ومما هو جدير بالاهتمام أن القنصل الإنجليزى فى زنجبار "جون كيرك" وافق الأسقف على عمل الاجراءات التى يراها لأن معلوماته عن شرق أفريقية تأتى فى الأهمية بعد معلومات "ليفنجستون" ولذلك فإن موافقته كانت مهمة [٣].

ولقد اختار الاسقف منزلا جميلا استأجره من سلطان زنجبار، وقد كان القنصل العام البريطانى "بلاتير" وزوجته يُقدّمان كل ترحيب ومساعدة للبعثة، وكان السلطان نفسه ديقا لهم، ولكنّ الأسقف ذكر أن صداقته لم تأت عن تأييد وتعاطف مع البعثة ولكن بسبب رغبته فى التعامل الجيد مع انجلترا، ولقد قدّم هدية للاسقف عبارة عن خمسة أولاد، والذى سبق أخذهم كعبيد من قارب شراعي، لأن القارب لم يدفع الضرائب للسلطان، ومن المصادفة أن أربعة من

(1) A.E.M. ANderson-Morshead: Op. Cit., p.45.

(2) George Herbert Wilson; Op. Cit., p.22.

(3) George Hernert Wilson: Op. Cit., pp.22-23.

هؤلاء الأولاد كانوا من القطاعات المجاورة لبحيرة نياسا، وكان الأسقف يفكر في ضرورة وجود قسيس أفريقي ، وكان يأمل أن يستطيع أحد من هؤلاء الأولاد يوما ما تعليم الإنجيل لقومه، ولم يجرؤ على اتّخاذ خطوة سريعة في توسيع البعثة 'بعثة الجامعات' حتى يتمكن من الحصول على موافقة اللّجنة القومية [١]، وعندما توجد حُجْرَةٌ غير مستعملة في المنزل الذى استاجره من السلطان، ثمّ اعدادها ككنيسة صغيرة، وتم فتح مدرسة فيها ، وأول التلاميذ كان الخمسة أولاد السابق إهداؤهم من السلطان، ووضع ترتيب يومي منظم، وقد كان كلٌ شئ على ما يرام عدا مشكلة استخدام هيئة موظفين تجيد اللّغة، ولم يكن الأسقف نفسُه ضليعاً في قواعد اللغة السواحلية، لذلك أعدّ نفسه لتعلُّم تلك اللغة، وقد تمكن في وقت قصير من التحدث إلى المواطنين بلغتهم [٢].

كانت أول ثمرة للبعثة في شرق أفريقية وضع أول حجر للمدرسة الجديدة في ود ستريت Wood Street وذلك بدءا بتسعة أولاد تم تنصيرهم، وقد كان منهم خمسة أولاد صغار السّن، وإذا تتبعنا مسيرتهم في الحياة نجد الأول "جون سويدى" أصبح شمّاساً، وظلّ على قيد الحياة حتى عام ١٩٣٥م، والثاني "روبرت فيروزس" من نياسا كان من أكبر المقربين عند "ستانلي" في رحلته من زنجبار إلى الكونغو، والثلاثة الآخرون كانوا من قبيلة الياو، وهم جورج فرج الله الذى أصبح مساعد شماس، ومات بعد فترة قصيرة من العمل، وروبرت سونجولو Robert Songolo وقد كان منشداً، ولكنه مات صغيراً، وفرانسيس مابروكي Francis Mabruki الذى أصبح مساعد

---

(1) Ramdas, B.Sc. B. T: Revision Histroy, Paper I, History of East Africa, p.62.

(2) George Herbert Wilson; Op.Cit., pp.24-25.

شماس (١).

وفى عام ١٨٧٢م حاولت جمعية بعثة الجامعات أن تمتد فى جنوب تنزانيا، حيث أحضر الأسقف Steere مجموعة مكونة من ٢١ منصرا إلى زنجبار، حيث قررت البعثة أن تحول عددا ضخما من العبيد المحرّرين من المستعمرة Mb Weni فى زنجبار إلى Malawi وقد وصلت المجموعة إلى مساسي Masasi وتوقفت هناك، وقد وجَدَ المنصرون أنتطْوين مجتمع مسيحي يعني أيضاً حكمه وإقامة العدالة فيه، وأيضا المخاطرة عند التعرض إلى الغزو، لذلك أعلنت بعثة الجامعات بأن عملها لم يكن ناجحا فى نشر الانجيل (٢).

وفى عام ١٨٧٢م قام الأسقف الدكتور ستير برحلة عمل إلى تلال ياو Yao وكان يريد أن يكتشف المنطقة حول نهر رفوما Ruvuma لأخذ بعض العبيد إلى بعثته، ولكن لم يحقق شيئاً (٣).

وفى ٢٤ أبريل ١٨٧٢م هبت رياح قوية على الجزيرة، وعندما مرّ الاعصار سحب كل السفن التى فى الميناء للداخل ما عدا أبيدوس Abydos وهي السفينة التى وصلت فيها كل من الآنسة "توزر Tozer" و "ستير Steere" فقد نجحت من العاصفة بسبب القيادة الحكيمة لقبطان السفينة الكابتن كومنج Cuming ولقد دمر منزل البعثة فى شانجاتي، وتحطمت أجراس الكنيسة فهجرتها البعثة، وقد كتبت الآنسة "توزر" تقول: أنا أعتقد بأننا شعرنا

(1) Ibid; p.26
George Herbert Wilson; Op. Cit., p.26.

(2) Anderson : A Brief Account of Christian ityin Tanzania, p.4. Department of Regigious studies and Philosophy, Makerere University, Kampala, 1970.

(3) Ramdas, B. Sc. B. T : Op. Cit., p.61

بالأسَى لتدمير الكنيسة، فلقد أعدَدْنا أشياء كثيرة جميلة من أجل عيد الفصح، ولقد تحطمت الحديقة، وكلٌ الكتب تمزقت، وكانت الصدمة أكثر مما نتحمَّله، حيث إن الأسقف كانت صحته عليلة (١).

وعندما وصل الأسقف "ستير" إلى إنجلترا كان واضحاً انَّه من المستحيل أن يقوم بأي عمل آخر، لذلك قرر الاستقالة من عمله في ٢٠ أبريل ١٨٧٣م (٢).

وفى عام ١٨٧٦م ذهبت أعداد ضخمة من السميحيين إلى الجنوب للاقامة والاستيطان فى منطقة مساسي Masasi وكان لهذه المستوطنات المسيحية هدفان : الأول : خلق مجتمع مسيحي، والثاني: هو تدريب المنصَّرين الأفارقة، وكان John Szedi أول أفريقي تم تعيينه قسيّساً فىشرق أفريقية، وتمّ تعيينه شماسا فى عام ١٨٧٩م وأيضا كان هناك عبيدٌ تمَّ تدريبهم من قبل بعثة الجامعات حيث قامت البعثة برسامة قسيس أفريقي فى شرق أفريقية (٣)،وفى عام ١٨٨٣م حضر منصر يدعى لوكاس Lucas لشرق أفريقية في خدمة بعثة الجامعات، وعمل معظم وقته فى مساسي Masasi وبعد ذلك أصبح أسقفاً فى المجمع الكنسي فيها إلى أن توفى عام ١٩٤٥م.

وكان لوكاس له اهتمام كبير باستخدام مجموعة الصقوس والمراسيم الدينية، وقال إن هذه الطقوس يجب أ، تعرض للمجتمع الأفريقي، والكنيسة يجب أن تهتم بخدمة كل ما يمكن جمعه عن التقاليد الأفريقية، وعن طريق كلماته وصف الطقوص الدينية المطلوبة حيث قال: "كل الأرض التى تأخذ

(1) George Herbert Wilson : Op. Cit., p.61.

(2) Ibid., p.30.

(3) William B. Anderson: The Churchin East Africa "1840-1974", p.1.

الطقوس فيها مكانا فهي مباركة بالصلاة ورشّها بالمياه المقدسة، وبذلك تحلُّ محل خبز القربان والصليب والدعاء، والتوسُّلُ إلى القديسين من المسيحيين يحلُّ محل الالتماس إلى أحد الاجداد السابقين للقبيلة (١).

وفى ٢٥ فبراير عام ١٨٨٤م وصل الأسقف سميش Smythies إلى زنجبار، وقد عقد أول اجتماع كنسى بمجرد وصوله، ووجد أن هيئة البعثة تعمل فى مراكز مختلفة، وكلٌّ واحد له عمله الخاص (٢)، ففى مكيونازينى Mkunazini المنزل الذى كان فى ذلك الوقت يعد بمثابة المركز الرئيسي الذى تم تدميره، كان هناك الآنسة ميلز Mills ولديها مدرسة وبها أولادٌ وأطفال، وكان عددهم ٣٥ وهم نواة التطوع الدّينى، ويوجد أيضا حجرة لرعاية حديثي الولادة تحت رعاية الآنسة باشفورد Bashford.

وفى كيونجانى Kiungani الّتي تبْعُدْ حوالي ميل ونصف خارج كينيا يوجد مكان للأولاد وعددهم حوالى ٦٨ ويتولى رعايتهم خمسة أوروبيين وتتولى الآنسة برتليت Bartlett الإشراف على الطبخ والغسيل، وكان عام ١٨٨٩م عام حزن لمحطات بعثة الجامعاة فى يوسامبارا Usambara حيث مات جلد آرت Geldart الذى كان ضليعاً فى قواعد اللغة، ولديه القدرة والصبر على التعامل مع الأولاد، وأيضا مات بعد أسبوع الشماس جوديير Good Year، وفى سبتمبر مات نولس Knowles وتبعه آخر قبل نهاية السنة وهو سباركس C.J. Spstkd الذى تم تعيينه قسيسا قبل عدة أسابيع (٣).

وفى عام ١٨٩٩م أصبح فرانك جورج وستون Frank George أسقفا

---

(1)Carl-Erik Sahlberg: Op. Cit., P.80.

(2) George Herbert Wilson: Op. Cit., p.82.

(3) Geroge Herbert Wilson: Op. Cit. PP. 89-90.

لبعثة الجامعات[1] وقد كتب إلى البعثة مقالاً صغيراً بعنوان : " هل توجد حاجة للبعثات " وبينما هو يعترف بما يوجد فى الدّيانات الأخرى من حسنات، فقد اعتبرها بمثابة إعْدَاد وتمهيد للمسيحية، ثم ناقش المبدأ بأن الإسلام هو المناسب للعنصر البشرى، أجاب: "لا تُوجد ديانة تناسب المنطقة أحسن من ديانة المسيح، وبالنسبة لكلّ المظاهر فإن الديانة اليهودية تعتبر موسى النور الذى منحه الله ليقودهم هم إلى طريق الله، ومع ذلك فقد برهن بأن اليهودية تعد بمثابة حالة مؤقتة تقوم الديانة فيها بخدمة اليهود، حتّى يظهر المسيح بوعظه، ثم إن موسى حاول ووجد ما يريد، ولكنه لم يُعِدَّ مواطنيه لاستقبال المسيح، لذلك فلقد قتله اليهود وعند صعوده وظهوره مرة أخرى سيعطى البرهان النّهائيّ بأن رسالته تشمل كلَّ الديانات.. وأنا مستعد للاعتراف بكل سعادة طالما أن الكنيسة لا تستطيع شق طريقها إلى سوكوتو Sakato "فى غرب أفريقية" فإن أهل "سوكوتو" سيجدون فى الديانة الإسلامية مقياس الهداية الإرشاد الذى وهبهُ لهم الله... " [2].

وعند إشراف الأسقف هاين Hine على بعثة الجامعات، كتب مذكرة بين فيها عدم الرضى عمّا تم إنجازه، وذلك بأنه يرى انجازات ضئيلة رغم حماس البعثات فى تحويل الآخرين بصفة عامة فى بعض أجزاء فى أفريقية، وقد استفسر عمّا إذا كان ذلك بسبب أنهم يعملون بنصف قلب.

واوصَى بتخصيص بعض الأيام للاستفسارات، وذلك بجذب المدرسين والكنهة، ليروا حجم عملهم مع إصراره على ضرورة دفع مرتب ثابت

(1) A.E.M. Anderson- Morshead : Op. Cit., p.286.

(2) H. Moynard Smith. D.D.; Frank Bishop of zanzibar, life of Frank Weston, 1871-1924 "London 1926" p.98.

ومنتظم، لرجل الدّين الوطني، وقد قال:" نحن نريد رجالا مخلصين ربما منحهم الله إلينا، والذي يسعى لرفاهية كنيسته ويحبها من كلّ قلبه، والذى لديه رغبة لتحمل الروح الانسانية، والتى هي روح المسيح الّتي تعمل فى قوّتهم، ويعتمد على قوة الله جمع شمّل أولئك الّذين فى الظلمات [١].

وفى عام ١٩٠٠م أقام رئيس الأساقفة 'دافيس' Davies فى موسومبا Msomba التى تقع مقابل ليكوما Likoma وعلى انحدار ٢٠٠ ياردة من الشاطئ، أقام كلية وذلك لتعليم المدرسين، وكان في كثير من الأوقات ينصح باستخدام الأدوات والموادّ لعملية في التدريس للعلوم المسيحية[٢].

وفى عام ١٩٠٥م تم انعقاد اجتماع لحوالى ٤٠ عضو من البعثة من قبل ميكلناس Michaelnas وقد قال أحد الوطنيين بأن جميع الأوروبين بدأوا فى خلوة، فقد كانوا فى سكون، ويصلون للرّبّ من قلبهم والبعض كان يفكر فى المخاطرة من أجل العقيدة، وبأن يكون مبنى البعثة فى ليكوما Likoma[٣]، وكانت قد اختارت بعثة الجامعات معظم أتباعها من بين رعاية رئيس قوى يدعى تشتيتسى Tshitesi الذى يحكم المنطقة الساحلية فى ليكوما ولكن هو نفسه من قبائل ماجوا نجوارا Magwangeara والتى يتم اعتبارها كجزء من قبائل الزولو.

وقبائل ماجوانجوارا أصدقاء لبعثة الارسالية الجامعية لوسط أفريقية وقد

(1) A.E.M. Anderson- Morshead: Op. Cit., P. 313.

(2) A.E.M. Anderson - Morshead: Op. Cit. P.291

(3) Ibid., p.297

أسست لهم الإرسالية محطة خاصة بهم (١).

ويوضح تقرير عام ١٩٠٧م لبعثة الجامعات لنا أنّ هناك تسعة اعضاء وطنيين يعملون قساوسة فى بعثة الجامعات، وهناك أيضا ١٢ شماسا، و٢٦ كاهنا و٢٨٦ مدرسا من الجنسين، وبالنسبة لكفاءتهم فيمكن الحكم عليها من الأسقف هاين الّذي اشار إلى حالات الفشل، وقال هل يوجد فى العالم أيَ رجل دين معفى من المقابلات والعمل، وذلك فى خطابه فى مؤتمر ليكوما Likama ١٨٩٩م حيث قال: "نحن نسمع الآن وفيما بعد بعض حالات الفشل، وبعض أعمال المعصية الّتى يرتكبها بعض المدرسينن فنحن نعاملهم بالقسوة، ونحن على حق فى عمل ذلك ، ولكن هل نحن مسؤولون عن فشلهم (٢)، هذا دليل من منصر على الأعمال الخاطئة التى يرتكبونها لأنّهم هم عارفون أنّ الطريق الذين يمشون عليه هو على باطل وغير صحيح.

ورغم كلّ مما سبق شرحه بالتفصيل إلاّ أن الإسلام أصبح محل جذب للمواطنين الافارقة لأنه يتصل بالشعار الوطنى دعْ أفريقية للأفريقيين، ولقد أوضح ذلك الموقف الاسقف وستون Weston فى أبريل عام ١٩٠٨م فى جريدة الشرق والغرب.

ولقد جاء الوقت بالنسبة إلى أعضاء البعثات التنصيرية لكي يفهموا أنّه فى وسط وشرق أفريقية تخوض الكنيسة غمار الحرب، لبُلوغ أهدافها ، ومنذ خمسين سنة كانت أفريقية الاستوائية بلاداً ميته، كما شاهدها لينفجستون

---

(1) Report by Mr. H.H. Johnston, Her Majesty's Consul for the portuause possessions on the East Coast of Africa. Mozambique, 17 March 1890, F.O. 403/127.

انظر ملحق رقم ٥

(2)A.E.M. Naderson- Morshead: Op. Cit., p.14.

واليوم تعيش وأصبحت بالفعل أرض المعركة لأعدادٍ كبيرة رَمَوْا بأنفسهم بعنف ضدّ المسيحية، وزعم المنصر (فرانك) أنّ هناك خطرين عظيمين يهدان أفريقية الاستوائية فى تلك اللّحظة وهما : تقدم التجارة، كما لا يزال تقدّم الإسلام من الشمال، وذلك لتحويل أهالى وسط أفريقية لطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ولقد تقدّم الإسلام إلى أبعد مما تقدّمت إليه الكنيسة فى داخل أفريقية (١).

(1) H. Maynard Smith D.D. : Op. Cit., p.100. "London 1926".

(٣) جمعية لندن التنصيرية

اتّجه نشاط الجمعيات التنصيرية بصفةٍ خاصة إلى أفريقية ببعد الكشوف الجغرافية التى بدأت الأضواء على داخل القارة، فكان المنصرون يسيرون عادة فى ركاب المستكشفين - وأن كانت بعض البعثات التنصيرية قد سبقت أحيانا فى كشف النقاب عن مناطق لم تكن معروفة للأوروبيين. على أن الجمعيات التنصيرية الّتي بدأت نشاطها بالعمل على نشر المسيحية بين الأفارقة انغمست فى ميدان الاستعمار (١).

وكان القساوسة الانجليز قد قاموا بتأسيس جمعية تنصيرية بيد أنّ هذه الجمعية بدأت مهمتها في الأراضي الهندية، الّتى كانت تحتلها بريطانيا، وذلك فى عام ١٧٩٥م وابتداء من عام ١٧٩٩م بدأوا يتّجهون بدعوتهم وتنصريهم نحو شرق أفريقية (٢).

وكان أكثر المبشرين الأوروبيّين نشاطاً فى الميدان التنصيرى هو دافيد ليفنجستون David Livingstone حيث توجه فى سبتمبر عام ١٨٣٨م إلى لندن وانضمّ إلى جمعية لندن التنصيرية London Missionary Society الّتي كانت قد تأسست عام ١٧٩٥م وبدأت أعمالها التنصيرية فى الشرق، وكان ليفنجستون يأمل، بعد أن حصل على إجازة الطب من كلية الأطباء والجراحين، بجامعة جلاسجو فى نوفمبر عام ١٨٤٠م أن توفده جمعية لندن التنصيرية إلى الصّين للتبشير بالمسيحية هناك، ولكن الجمعية قررت أخيراً

(١) شوقى عطا الله الجمل: تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو، ص٣١.

(٢) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية، ترجمة دولت أحمد صادق، الدار المصرية للنشر، ص١٥٠.

إيفاده إلى شرق أفريقية [١].

فزار مركز "كورمان التنصيرى الذى أنشأه المنصر موفات، وتجول كثيراً وأقتنع أخيراً بأنّ نجاح التنصير ليس بعدد المتنصرين المشكوك فى هدايتهم ، بل إخضاع أفريقية لنفوذ النصرانيّة، والتمكين للسيطرة الأوروبية على شعوبها، والاستحواذ على ثرواتها وتجارتها، فكرَّس جهوده لهذا الغرض وظل يطالب البرلمان البريطانى للعمل من أجل ذلكن فقوبل باستجابة وحماس شديد فى بريطانيا، لأن آراءه كانت تجمع بين الكسب المادي وبين نشر المسيحية والقضاء على الإسلام [٢].

وقد أقام ليفنجستون أول مركز تبشيري له فى وادي مايوتسا أحد منابع نهر لمبوبو إلى الشمال الشرقي من كورمان، ويبعد عنه بحوالى مائتى ميل، وأحضر إليه زوجته "مارى" ابنة المنصر موفات [٣]، ثم انتقل إلى "تشونوان" التى تبعد أربعين ميلاً شمالاً عام ١٨٤٦م حيث أسس مركزاً تنصيرياً جديداً، وعمل فيه مع زوجته على جمع الأطفال الأفريقيين، وتربيتهم على مبادئ المسيحية، ولقد كان ليفنجستون من أهم رسل الجمعية التنصيرية اللّندنية، وأبعدهم خطرا، ولم يسبق لأحد من الرواد في أفريقية أن اجتذب مشاعر الناس كما فعل هذا الأسكتلندي، وقد لا تتبين لأول وهلة أسبابَ قوية لشعبيته، لكنه كان على التحقيق علماً فى التنصير، وعلى الرُّغم من أنه قام برحلات باهرة، فقد اكتشف أجزاء كثيرة [٤]، ففى عام ١٨٤٩م ، وبعد الدراسة الأولية

(1) Oliver. R. : The Missionary Factorin East Africa, p.7.

(2) Ibus. pp.10-13.

(3)Josephine Kamm : Explorers into Africa. 1980. p.216

(٤) محمد عبد العزيز إسحاق: مرجع سابق، ص٦٩.

لسفوح جبال أوسامبارا Usambara Mountains ، قام برحلة كانَ الهدفُ منها هو البحث عن مواقع تستخدم للبعثة، ثم عاد بعد ذلك إلى الشمال الغربي متعقبا طريق ريبمان Rebmann حتى أصبح جبل كليمنجارو على مرمى بصره، وقد عرف من رجال القبائل أنّه على الرغم من أن الكثير من الرجال قد هلكوا على الجبل إلا أن عددا قليلا منهم قد نجح في جمع بعض المواد قريبة الشبه من الفضة والتى عندما وضعت فى زجاجات تحولت إلى مياه عادية (١).

وحاول ليفنجستون الصعود في نهر زمبيرى للبحث عن مكان صحي في المرتفعات الداخلية لإقامة محطة مركزية للمنصّرين، وللتجار الأوروبيين، لكنه لم يجد، فقضى عام ١٨٥٤م فى استكشاف نهر شيرى - أحد روافد الزمبيرى - ومرتفعات شيري، فأعجب بمناخ مرتفعات شيرى المعتدل، وكتب إلى الحكومة البريطانية يحثها على إنشاء مستعمرة بريطانية فيها، وحض المنصرين والتجار الأوروبين على المجئ إليها، فكانت الاستاجابة السريعة لدعوته هى إرسال الأسقف "ماكينزى" ونفر من المنصرين ليقيموا مركزا للتنصير فى الجهات التى اكتشفها ووصل مايكنزى وزملاؤه إلى أفريقية الشرقية وأنشأوا أول مركز للتبشير يتبع الإرسالية فى "موجومرو" جنوبى بحيرة "شيروه" (٢).

وفى الوقت الذى كان ليفنجستون يقوم فيه باستكشاف حوض الزمبيرى كانت هناك بعثات كشفية تعمل فى منطقتى تنجانيقا وأوغندا، وكانت أولاها بقيادة الكابتن ريتشارد فرنسيس بورتون أحد ضباط جيش بريطانيا، الذى

(1) Josephine Kamm: Op. Cit., p.229.

(2) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, pp. 11-13.

حاول التوغل من بربرة لاستكشاف بلاد الصومال، وفى عام ١٨٥٦م قررت جمعية الكنيسة بلندن غرسال حملة كشفية للبحث عن البحيرات العظمى [1]، ووقع اختيارها على بورتون وزودته بالما لوالعتاد، فوصل إلى زنجبار عام ١٨٥٦م، وأذن له السلطان ماجد بن سعيد ليقوم بتلك الرحلةن بل وزوده بخطابات توصية إلى العرب المقيمين بالمراكز التجارية الداخلية، فقام برحلة زار فيها "كيموري" ثم عاد إلى زنجبار، ولمّا وصل ليفنجستون زنجبار أخذ يُعِدّ العدة لرحلة إلى داخل القارّة، حيث بدأ رحلته هذه فى ٦ أبريل ١٨٦٠ من "مكندانى" فبلغ الشاطئ الشرقى لبحيرة نياسا فى أغسطس، حيث دار حولها من الجنوب ثم قصد الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانياق، ولمّا وصلها اتّجه صوب الغرب، حتى وصل إلى أعالى نهز الكنغو، ثم رجع إلى أوجيجىحيث قابله ستانلى المحرر بصحيفة "نيويورك هيرالد" الذى أرسلته الصحيفة لابلاغه أن الرأى العام الاوروبى يتتبع بشغف زائدأخبار جولاته فى شرق أفريقية، وأنّ الجمعية تبدي اهتماماً بالمناطق المحيطة ببحيرة تنجانيقا، وسلمه الرسال الّتي كان يحملها له من الوطن، ثم أكتشفا معا الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا، ثم عادا إلى طابورة ، حيث عاد ستانى إلى الساحل وذهب ليفنجستون لاستكشاف منطقة توزيع المياه بين أعالى النيل والكنغو [2]. وكان لدى ليفنجستون حماس فى ترغيب المنصرين من الشباب لكى يلحقوا به فى محاولته فتح طريق للتجارة ونشر المسيحية، وقد استجاب له بعض الأوروبيين من بينهم شقيقه، وطبيب شاب، وعالم فى علم النبات يدعى جون كيرك John Kirk الذى لعب فيما بعد دورا حيويا فى القضاء على تجارة

(1) Coupland, R. The Exploitation of East Africa, London 1939, p.106

(2) Ibid. p. 122-124.

الرقيق العربية ، وبعبارته :-

A boranist named John Kirk who was later to play a vital part in the Supression of the Arab slave trade [1].

وقامت جمعية لندن التنصيرية بفتح محطة فى أوجيجى Ujiji على بحيرة تنجانيقا فى عام ١٨٦٣م حيث قام رجل اعمال اسكتلندي اسمه ستيفنسون Stevenson بتزويد جمعية لندن التنصيرية ببعض المال وذلك لمّد طريق بين البحيرات، وهذا الطريق تم تسميته طريق ستيفنسون Stevenson حيث قام بخدمة محطة بعثة لندن فى فوامبا Fwamba [٢] وكان هناك فى مدينة "ليدز Leeds الانجليزية رجل يدعى ارتنجتون Arthington قد ورث ٢٠٠,٠٠٠جنيه استرلينى عن والديه، ولكن بدلا من أن يعيش فى حياة رفاهية، عاش فى حجرة واحدة بدون أثاث وخص بأمواله جمعية لندن للتنصير، بهدف شراء مركب بخارية لبحيرة تنجانقيا ولتأسيس بعثة تبشير على شواطئها [٣].

أي إن الاهتمام بالتنصير لم يكن وقفا على الجمعيات ، بل تعداه أيضا إلى الأفراد، وهذا يفسر لنا مدى تعبئة الشعور الديني فى تلك الحقبة بحيث دفعت الناس إلى التضحية بأموالهم من أجل نشر العقيدة المسيحيَّة، فى مقابل أنهم يعيشون عيشة الفقراء، لأنّهم وهبوا كل ما يملكون من أموال للجمعيات التنصيرية ويجدون في ذلك خلاصاً لأرواحهم وقلقهم، وكانت أحوال العمل قبل ذلك صعبة حيث أدت إلى حدوث العديد من حالات الوفاة ولكن بالرغم

(1) Josephine Kamm: Op. Cit., P.221.

(2) Assa Okoth : A History of Africa 1855-1914, Kenga 1979, p.56.

(3) Kigging Tom: A serving people, Oxford University Press, 2974, p.48.

من ذلك فإن المبشرين لم يستسلموا أو يفقدوا الأمل فى تنصير الأفارقة، وأهمية نشاطات بعثة لندن للتنصير كانت خليقة بأن تدفع المبشرين إلى التحرك إلى مناطق البحيرات، وأيضاً هذه المساهمات أسرعت بعمل المبشرين إلى داخل أجزاء شرق أفريقيا [١].

لذلك فى عام ١٨٦٧م سافرت أول حملة عن طريق المسلك الرئيسى لطرق التجارة ووصلت أوجيجى Ujiji فى أسرع وقت، وفى خلال الخمس سنوات التالية تم فتح محطات تبشير فى أورامبو Urmabo التابعة لاوجيجى Ujiji نفسها، وفى متوا Mtowa على الساحل الغربى من البحيرة، وفى خلال الستة عشرة سنة الأولى للبعثة مات ثمانية رجال، ومن الأعضاء الذين استمروا قاسى بعضهم كثيراً للمحافظة على بقاء طريق الساحل الشرقى مفتوحاً إلى المحطات الشمالية على البحيرة، ولقد فضَّلَ البعض الطريق البحرى للوصول إلى بحيرة نياسا Nyasa كحقل للعمل بين نياسا وتنجانيقا[٢].

وكان من أبرز أعضاء جمعية لندن التنصيرية خلال أوج نشاطها فى شرق أفريقية متقاعدان كانا يعملان فى البحرية، هما ادوراد هور Edward Hore وسوان A.J. Swann اللذان أبحرا بنجاح تنجانيقا لمدة عشرة سنوات، فالأول أصبح مستشار "سير جون كيرك" القنصل العالم البريطانى فى "زنجبار" والآخر أصبح الساعد الأول لجونستون Johnston عندما أنشئت إدارة "نياسالاند" [٣].

---

(1) Okeilo H. Ayot: Topice in East African history 1000-1070, Kenyatta University College, September 1975, p.56.

(2) Lovettem R. : A History of the London Missionary Society, London 1899, pp. 69-70.

(3) Swann, A.J., : Fighting the Salve-Hunters in Central Africa, London 1910, p.44.

وفي عام ١٨٧٦م أرسلت جمعية لندن التنصيرية حملات لاستكشاف المنطقة الممتدة بين الساحل الشرقي لأفريقية وبين بحيرة تنجانيقا واختيار الأماكن التى تصلح لإقامة مراكز للتنصير فيها، وقد نجح الرحالة ادوارد هور Edware Hore قائد الحملة الأولى في الإقامة بأوجيجي وأتخذ منها محطة لأبحاثه على بحيرة تنجانيقا، وحصل على معلومات تفصيلية عن شواطئ البحيرة خلال الرحلات التى قامت بها مراكب صغيرة تخص الإرسالية ، وفضلاً عن ذلك فقد أنشأت جمعية لندن التنصيرية مراكزاً تنصيريا فى أورامبو Urambo عاصمة مملكة أونيا مويرى الأفريقية، وفى عام ١٨٧٩م نُقِلَتْ محطة أوجيجى إلى موقع صحى فى جزيرة كافالا Kavalla إحدى الجزر الواقعة بالقرب من شاطئ تنجانيقا الغربى، وتوجَّتْ أعمال Hore بإنزال الزورق البخارى جود نيوز Good News فى مياه بحيرة فيكتوريا، وكان أول زورق بخارى يشاهد فى مياه تلك البحيرة [١].

وكانت جمعية لندن التنصيرية أول جمعية تنصيرية تتسلل إلى الداخل، حيث وصلت إلى أوجيجى Ujiji على بحيرة تنجانيقا، ومن هناك تحركوا للإقامة على الجوانب الشرقية والغربية للبحيرة، ولقد عملت البعثة ما فى وسعها لكي تكون على علاقة جيدة مع العرب[٢].

وفي عام ١٨٨٠م قام الدكتور مولنز Mulins رئيس الشئون الخارجية لجمعية لندن التنصيرية برحلة إلى شرق أفريقية، لكنه توفى فى مبوابوا Mipwapwa وتولّى قيادة الرحلة الدكتور سوثن Southon وتقدمت القافلة

---

(1) Lovett, R. : Op. Cit., Vol. I, PP. 650-660.

(2) Anderson , William, B. The Church in East Africa 1840-1974, Central Tanganika Press, "CTP" 1977, p.20.

مارّة بطابورة Tabora إلى عاصمة ميرابوا Mirambo أورامبوا Urambo حيث تخلف سوثن وتولى نائبه جريفث Griffith قيادة الرحلة حيث أقام محطة تنصيرية فى متوا Mtowa فى أوجوهو Uguho على الجانب البعيد لبحيرة تنجانيقا (١).

ولقد رسخت العلاقة بين الدكتور سوثون Southon ورئيس ينامويزى Unyamwesi وذلك باستئصال ورم خبيث كان يشكو منه الرئيس ميرامبو Mirambo وبعد ذلك أصبح للدكتور سوثن نفوذ على هذا الرجل القويّ، اذ بات الزعيم ميرامبو Mirambo أقل ميلا للحرب وابدى رغبته فى الحصول على جيش مرتزقة بشروطٍ جيدةن ولقد شجعه سوثن على أن يهتم أكثر بالتجارة وطرد البعثة الكاثوليكية.

وعندما سمعت بعثة جمعية لندن في أورامبو Urambo عن التطور الذى طرأ على أعمال البعثة فى رونجوى Rungwe طلبوا من بعثة مورافيانز Moravians أن تباشر عملها فى اورامبو Urambo وينامويزى، وفى ٢ يناير عام ١٨٨٥م وصل اثنان من المبشرين وهما دالز Dahls وميرز Meiers وفى أكتوبر تم التحاق ستيرن Stern وعائلته الذى تحول من سورينام Surinam ليعمل مشرفاً على البعثة (٢).

ويتضح من رسائل مبشرى جمعية التنصير إلى القنصل البريطانى فى زنجبار وإلى مركز الجمعية فى لندن ، أن الموقف فى منطقة بحيرة تنجانيقا إبان الثمانينات من القرن التاسع عشر ، لم يكن يختلف كثيرا عن الموقف فى أوغندا ففى عام ١٨٨٩ م ألمح تبوتيب زعيم الكونجو المسلم فى مقابلة له مع

(1) Anderson , William, B. : Op. Cit, pp. 20-21.

(2) Erik Sahlberg-Carl :A church History of Tanzania, Kenya, 1986, p.68.

المنصر إدوارد هور E.Hore أحد مبشرى جمعية لندن التنصيرية إلى أنَّ لدية خطة " لتصحيح الأوضاع " حول بحيرة تنجانيقا ، وفى العام التالى أبلغ مبشراً آخر من مبشرى هذه الجمعية وهو جونز D.P.Jones رؤساءه فى لندن ، بأنه قد علم بأن سلطان زنجبار قد كلّفَ رعاياه العرب والسوحلية بالاستيلاء على كل البلاد المحيطة ببحيرة تنجا نيقا ، وفضلا عن ذلك فقد كتب مبشر ثالث وهو سوان A.J.Swann يقول إن أحد العرب أو السوحلية من أتباع تيوتيب ويدعى كابوندا Kabunda قد أطلق على نفسه لقب "سلطان أولونجو Ulungu" وفرض سلطته على كل الأقليم الواقع جنوب بحيرة تنجانيقا(١)

وأيضا كتب Swann عندما لاحظ قاربا شراعيا يسيروا به عبيد من الشباب ، يقول : " إنّهُ من المستغرب أنّ مثل هذه المناظر والأصوات جعلتنى أتضايق من القيود التى بموجبها نحن أعضاء بعثة جمعية للتنصير مجبرين عليها ، لقد شاهدت هؤلاء الناس الشباب الذين يتمّ حملهم بعيدا عن أبائهم ، بعيدا عن منزلهم ووطنهم ، ولقد شعرت بالخجل من لونى وأسم رحلتى وجمعيتى(٢)

وكان لدى جمعية لندن التنصرية ثمانية وكلاء فى بحيرة " تنجانيقا " أربعة منهم متزوجون ومعهم زوجاتهم ، اي كان هناك اثنا عشر أوربيا يعيشون معا ، من هؤلاء تسعة مقيمون ، وثلاثة تم تحويلهم إلى تابور Tabora فى Unyanyembe عند أقصى الطرف الجنوبى للبحيرة .

(1) Oliver, R. :Some Factors inthe British Occupation of East Africa, 1951, pp.54-55.

(2) Anderson: Abrief Account of Christianity in Tanzania, Ufanda, 1975.

وكان وكلاء جمعية لندن التنصيرية في هذه المقاطعة شكر تيبوتيب لإنقاذ حياتهم وثروتهم بعد النزاع مع الألمان فى الساحل ، ولم يكن العرب فى تنجانيقا موافقين على إقامة الأوربيين في وسط أفريقية ، واقترحوا القبض على كل وكلاء بعثة لندن للتنصير وقتلهم ، وتحويل السفينة التجارية وقواربهم وممتلكاتهم إلى القواد العرب ، وكان من الممكن القيام بهذا المشروع ولكن تدخل " تيوتيب " الذى عندما سمع بالمشروع منح المبشرين الحماية ، وعند الضرورة إعلان الحرب على العرب في صالح المبشرين ، وهذا العمل وضع نهاية لمشروع الاستيلاء على المبشرين وممتلكاتهم (١)

(1) Roport By Mr. H.H. Jonhston, Her Majesty's Consul for the portuguse possesions on the East Coast of Africa on the Nyasa-Tanganyika Expedition 1889-1890 Mozambigue, dated 17 March 1890.

انظر ملحق رقم (٥)

(٤) ارسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية :

شهد القرن التاسع عشر تأسيس جمعيات تنصيرية بروتستابتية عديدة وأهمها بالنسبة إلى أفريقية إرسالية الكنائس الحرة المتحدة السكتلندية فى شرق أفريقية [١]

وكان المبشر الأسكتلندى روبرت موفات قد أسس فى عام ١٨٢٠ م مركز للتبشير فى كورومان وفى ذلك الوقت كانت الحدود الشمالية لمستعمرة الرأس يحميها خطٌ من الحصون ، بحيث لم يجرؤ إلّا عدد قليل من البيض على اجتيازه ، لهذا بدت إرسالية كورومان فى نظر الكثيرين من الناس ضربا من الجنون ، ولكن روبرت موفات كان يشعر بأن هذا واجبه ، لذلك عمل مع القبائل المجاورة بحيث كان له تأثير على زعماء المتابيلى[٢]، وكانت بعثة موفات الخطوة الأولى فى نشر المسيحية بين القبائل ، وقد اقتصر نشاطها على منطقة الشرق الأفريقى ، كما أنّ موفات لم يكن له دور كشفى يستحق الذكر .

وتزامن وجود المبشرين فى وسط أفريقية مع بداية الأعمال الأولية للمبشر دافيد لينفجستون من أسكتلندا ، قد كان له دور بارز فى مجال الكشف وفى مجال نشر العقيدة المسيحية ومبادىء الإنجيل بين الشعوب الأفريقية .

" Livingstone Purposes in going to Africa had been to spread the word of God amongn the African people " وقد

(١) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية ، ترجمة دولت أحمد صادق، ص١٥١، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(2) Elspth huxley : Encyclopaedia of Discovery and Exploration the Challenge of Africa "London 1971" pp.63-70.

حضر ليفنجستون إلى أفريقية لأول مرة عام ١٨٤٠م ليأخذ وظيفة مبشر فى بتشوانا لاند Bechuana Land وقد كان ليفنجستون يعتقد بأن نهر الزمبيزى Zambezi هو طريق الله العالى إلى الداخل، وأيضاً نظر إلى الاعتقاد السائد فى أوروبا بأن الرجل الأبيض واستيطانه فى مساحات واسعة فى أفريقية ممكن أن يجعل الناس المواطنين يستفيدون من مبادئ الحضارة الغربية، بجانب ذلك فإن الاستيلاء على الأرض فى أفريقية، ممكن أن يحقق بدائل صحيّة لمساكن الفقراء المزدحمة فى مدن انجلترا، كما أن وادى الزمبيرى Zambezi ممكن أن يقدم القطن الكافى لمصانع لنكشير Lancashire في إنجلترا.

هذه كانت أهدافاً قوية للذهاب إلى أفريقية ولاقناعهم بدأ ليفنجستون يتجول فى أفريقية [١]، حيث ذهب أولاً إلى جنوب أفريقية فى عام ١٨٤١م ليعمل هناك كمبشر، وقم تمّ إرساله إلى الشمال من مدينة "رأس الرجاء الصالح" ليعمل فى محطّة البعثة فى كولوبنج Kolobeng ولقد عمل هناك لعدة سنوات ولكن كان يميل إلى السفر، ويرغب فى كشف طرُق للأجزاء غير المعروفة من أفريقية، حتى يستطيع التجار والمبشرون اتّباعها، وفى عام ١٨٤٩م وصل إلى نهر زمبيزى "Zambezi" ومن هناك قام برحلات مشهورة من أجل أن يجد طريقاً سهلاً إلى وسط أفريقية، وفى عام ١٨٥٣م قام برحلة إلى الغرب وبعد ستة أشهر من أخطار السفر تمكّن من أن يصل إلى لواندا Loanda على الساحل الشرقي لأفريقيّة[٢] وفى عام ١٨٥٩م اكتشف ليفنجستون الأراضى الجبلية شير Shire وبدت له صحية ومناسبة للاستيطان الأوروبى،

(1) Assa Okoth : A History of Africa "1855-1914" " Hien emann Kenya 1979". p.53.

(2)T.R. Batten: Africa Past and present "London 1943", p.57.

وقد كان ليفنجستون مســرورا لاكتشـافه، لأنـه اعتقـد أن المقيميـن الأوروبييـن وكذلك المبشرين والتجار يمكن أن يساعدوا فى القضـاء علـى تجـارة الرقيـق، ولقد قام ليفنجستون بالعديد من الرحـلات الأخـرى إلـى زميـبزى Zambezi والأراضى الجبلية وقرر ترك هذا الجزء من القارة الأفريقية، واكتشاف أرض الشمال حيث يحصل العرب على الرقيق [١].

وفـى عـام ١٨٦٢م زار بحيرتى "نياسـا" و"تنجانيقـا" حيث بـدأ الرحلـى مـن ميكندونى Mikindoni على الساحل الغربى من بحيرة تنجانيقـا، ولقـد وصـل إلى النهاية الجنوبية للبُحَيْرة، وفى السنة التالية وصل إلى قبائل اوجيجى Ujiji فى الشاطئ الشـمالي الشـرقي للبحـيرة، ومـن هنـاك أراد أن يكتشـف البحـيرة ونهر لوالابا Lualaba، للبحث عن منبع لنهر النيل، ورغم أنه فشل فى هدفـه فإنه استطاع أن يصل إلى نياموبزى Unyamwezi وهـى المدينـة التـى كـان يرغب ريبمان Rebmann فى الوصول إليها منـذ عشـرين عامـا [٢]، وكـانت إرسالية الكنائس الحـرّة المتحـدة الأسـكتلندية "United Free Church of Scotland" قد اتخذت من الشواطئ الغربيـة لبحـيرة نياسـا مسـرحاً لنشـاطها التنصيرى ويعزى الّـذي عَمِـل مـع ليفنجسـتون، وقـد عـرض سـتيوارت علـى إرسالية الكنائس الحرّة المتحدة الأسكتلندية أن تقيم محطة تنصيرية ذات طـابع صناعى وتعليمى فى وسط أفريقية [٣]، وقد أختير أول موقع لهذا الغرض عند

---

(1) T.R. Batten: Op. Cit., P. 59.

(2) Ramadas. B. Sc. B.T. : revision History Paper I, History of East Africa, p.60.

(٣) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبـى، ص١٧٥، دار النهضـة العربيـة، ١٩٦٨م.

محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام فى شرقي أفريقيـة ومناهضـة الغـرب لـه، ص ٣٥٥، دار المريخ للنشر ١٤٠٢هـ.

الطرف الجنوبى لبحيرة نياسا ومنه أخذت الإرسالية تعد نشاطها تدريجيا على طول شاطئ البحيرة الغربى، حتى اتّخذت لها فى النهاية مقرا عند ليفنجستون Livingstonia على الشاطئ الغربى للبحيرة بالقرب من طرفها الشمالى، وهناك أقامت الإرسالية مركزاً تنصيرياً، ومدرسةً ومستشفى ومؤسسة صناعيّة، وقد تولى إدارة هذه المنشآت كلها المبشر والطبيب روبرت لوز Robert Laws.(١)

وتم إرسال مجموعة من البعثات التابعة لغرسالية الكنائس الحرة بأسكتلندا تحت قيادة الدكتور "لوز" ونجحت فى الإقامة على بحيرة نياسا، ولقد سمع ويلسون من الدكتور "لوز" خبر غزو أنجونى على "أنونجا" المسالمة والذى يبين لنا مدى خبرة أول بعثة إنجليزية فى "ماجد ميرى" بسبب تأييدها من إنجلترا وبالذات من لورد "أوفرنون" حيث أصبح العلم الإنجليزي يرفرف على نياسا لاند(٢) .

وفى عام ١٨٦٦م بدأت أربع بعثات وهي واكي فيلد Wake Field ، وولنر Woolner واثنتان من سويسرا لتأسيس بعثة فى شرق أفريقية، ولقد ذهب معهم "كرابف" لتقديمهم للبلد وساعدهم على إيجاد المحطات المناسبة لبعثتهم، ولقد أخذ "كرابف" السويسريين إلى "كيوما" فى الجانب الشمالى من مدينة "وانيكا" Wa-Nyika وقد اختار هذا المكان لأنه فى الطريق إلى أرض الجالا فى الصومال، أما بعثات "واكى فيلد" و "وولنر" فقد تمَّ تقديمهم إلى شَعْب يوساميرا، حيث توقفت البعثة، إذْ إنّ الشعور المعادي للأوروبيين بدأ

(1) Roland Oliver : The Missionarg Factor in East Africa, "London 1952" p.35.

(2) George Herbert Wilson : The history of the Universities Missions to Central Africa. "London 1935" p.23.

فى ممباسا بسبب معركة حدثت فى الميناء بين بعض تجار الرقيق من العرب وقوارب البعثات السويسرية، وبذلك أقامت "واكى فيلد" فى رابيا Rabai محطةً حوالي ستة أميال شمال شرق رابيا، وبعد حوالى سنة تم وصول شارلس نيو Charles New لينضم إلى واكي فيلد، وفكروا فى زيادة مساحة عملهم برحلات للداخل (١).

وقد اعتبر المبشر "واكى فيلد" أن بداية العمل بين قابئل "جالا Gala ضرورة ملحة والتزام أدبى بالنسبة لبعثته، ووجه كل جهوده نحو هذا الهدف، وكيرسوب Kirsop الذى كان مسؤولا عن البعثة قال بأن بعثة الاتّحاد أقامت نفسها فى رايبى Ribe لا من أجل العمل بين قبائل الوانيكا Winyika وحدهم ولكن كنقط انطلاق للوصول إلى بلاد "الجالا" وقد اعتقد (تيمو) خطأ وهو أن الفشل الذى واجهه "واكى فيلد" فى Ribe كان بسبب أن المجتمع ضئيل ومنتشر فى مسافات بعيدة (٢).

وفى عام ١٨٧٠م اقترح New على بعثته إرسالية الكنائس الحرة، أن تبدأ العمل بين قابئل شاجا Chagga فى موشى Moshi ولكن لجنة البعثات الأجنبية أجّلت العمل فى هذه المنطقة بسبب المشاكل، وقد واجه نيو New رئيس القبلية بالموقف وعالج الموضوع معه بخشونه، وقد ترتب على ذلك استيلاء الرئيس على كلّ ممتلكات نيو New وقد احتجت لجنة الشئون الخارجية للبعثة لدى السلطان فى زنجبار ولكن بدون فائدة، وفى نفس الوقت توقف العمل مع الرئيس الصديق كيمويري Kimweri فى أوسامبارا

(1) J.W. Gregory: The Foundation of British East Africa, "New York 1901" p.66.

(2) A.J. Temu : British Protestant Missions, "London 1972" p.33.

Usambara كانت تؤيد استمرار مثل هذا العمل [1].

وفى عام ١٨٧١م وصل المبشر نيـو New إلـى وادي تانـا Tana مـن Melindi علـى السـاحل وزار قبـائل جـالا فـي قراهـم علـى بحيرة أشـكابابو Ashaka Babo[2].

وفى ٢٦ أغسطس ١٨٧١م وضع المبشـر نيـو New حـدا للاختلافـات حول خصـائص القمة البيضاء بالوصـول إلى قمة كليمنجارو، وفى الحقيقة كان هذا العمل مـن جـانب نيـو New مهمـا لأن الشـك قد تحـول إلـى حقيقـة كمـا تصورها كلّ من "كرابف" و "ريبمان" فى تقاريرهما، وحيـث إن هنـاك إحدى الجمعيـات انتقـدت ذلـك والتـى كـانت برئاسـة وليفنجسـتون وكولـــي Cooley واستنكرت احتمالات وجود الثلوج [3].

وفـى عـام ١٨٧٤م جـاء رجـال الأعمـال الإسـكتلنديون إلـــى نياســالاند فدعموا مركز الكنيسة بإنشاء شـركة البحـيرات الإفريقيـة، والتـى كـان هدفهـا إعداد البعثات البتشيرية باحتياجاتها لتوسيع رقعة النشاط التجارى وكان عليهـا أن تشد أزر الحكومات الدينية الصغيرة التى انتشرت حول بحيرة نياسا [4].

وفى عام ١٨٧٥م أقامت البعثة بقيادة يونج Young من البحريـة الملكيـة فـى رأس ماكلير Maclear إلى الجنوب من البحيرة على أرض تمَّ تحديدهـا مـن رئيـس يـاو Yao وهـو مبونـدا Mponda والثـاني فـي إدارة البعثـــة كـــان

(1) A.J. Temu: Op. Cit. p. 33.

(2) J.W. Gregory : Op. Cit., pp. 66-67.

(3) J.W. Gregory: Op. Cit., P.67.

(٤) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقية، تقديم د. عبد الملك عودة الهيئـة المصريـة العامـة للتأليف والنشر ١٩٦٤، ص٧٢.

الدكتـور لـوز Dr.Laws الـذي كـان فـي نفـس الوقـت يرعـى المحطـة التـى تحولت إلى الشاطئ الغربـى حيـث بـدأ فـي العمـل بيـن قبـائل تونـجـا Tonga والذين كانوا دائما يتم غزوهم من قبائل نجونى Ngoni واستفاد من نفوذه فى تمهيد الطريق لعمل البعثة (١).

وبعد تحريك البعثة إلى بنداوي Bandawe رفض لوز Dr. Laws أن يقبل أيّ رقيق هارب، وفى كلّ هذه المحطات التى ربّما يمكن إجماليا تصنيفها كسكان مقيمين، فإن البعثات ظهرتْ بمظهْر خـارجيّ لحيـاة النـاس كـان يلفت نظر أيّ مسافر إلى التناقض الموجـود بينهـا وبيـن محطـات غير المواطنيـن، والّتى تبدو أحيانا أقل وغير مرتبة (٢).

وكـانت توجـد مسـتوطنة مهمـة فـى بنـداو Bandawe وهـى المركـز الرئيسى لغرسالية الكنائس الحرة المتحدة الأسكتلندية وهى أيضاً جزيـرة غير مأمونة للقوارب البخارية وعندما تكون ترتفـع ميـاه البحيرة ويصبـح الشـاطئ من الصعب استعماله، ولاشك أنّ العمل الذى أدّتْهُ بعثـة الكنيسـة الحـرة تحت قيادة لوز Dr. Laws كان ملحوظاً، حيث شيدت منازل للسكن مثـل انجلـترا، وأقـامت مدرسـة وكيسـة ليـوم الأحـد والتـى تتسـع لعـدد ٥٠ أو ٦٠٠ شـخص وأيضاً أنشأت ورشة للعمل ومطبعة وترجمة للإنجيل (٣).

لقد استمر كل من ستير Styeer وجونسون Johnson فى العمل تجـاه الشرق إلى بحيرة نياسا Nyasa وتم الإبحار فيها بواسطة كـل مـن سـتوارت

(1) Assa Okoth : A history of Africa "1855-1914" "Kenya 1979" p.55.
Sarrah Geraldina Stock : Missionary Heroes of Africa. "London 1898". p.129.

(2) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa. "London 1952" p. 60.

(3) Report By Mr. Johnston. Her Majesty's Consul for the Portuquse posses sions on the East Coast of Africa. Mozammbique 17 March 1890. F.O. 403/127.

Stewart ولوز Laws من ارسالقي الكنائس الحرة، وقد اكتشفوا الجزء الشمالي للبحيرة وزارو نجوني Ngoni فيما وراء الشاطئ الغربي من البحيرة(١) ، وكل هذه المساهمات تم الاعترف بها من أعضاء الجمعية الجغرافية الملكية، ولقد أكمل هور Hore عمل كاميرون Cameron فى رسم خريطة البحيرة تنجانيقا حتى نهر لوكاجا Lukuga (٢).

وبعد سوء تفاهم خطير نشب بين أعضاء الإرسالية، اضطر المسؤولون لإحلال بلانتير Blantyre بكل من هثرويك Hetherwick وسكوت Scott، ولكن الموقع الذى تمَّ اختياره بواسطة هندوسون Henderson كان أكثر أهمية استراتيجية لإرسالية الكنائس فى نياسا حيثُ إنه مرتفع، ولكن بقيت مشكلة المواسلات فى شير Shire وزامبيزي Zambezi وعندما اقترحت اللجنة المساعدة للكنيسة الحرّة على إرسال سفينة بخارية (٣)، فإن الكنيسة الحرة الأسكتلندية أرسلت باخرة ثمَّ تسميتها باسم ايلالا Ilala ووصلت زمبيزى Zambezi وشير Shire ثم نزلت فى بحيرة نياسا، وهناك أقام الدكتور لوز Laws أول محطة بعثة على تلك البحيرة واسماها لفنجسونيا Livingstonia تخليدا لاسم لفنجستون، بينما الكنيسة أختير لها مكان فى الأرض الجلية فى شير Shire وتم تسمية المحطة بلانتاير Blantyre لأنها أقدم كنيسة فى أفريقية تم بناؤها تحت رعاية المنصر "ليفنجستون" (٤).

فى عام ١٨٧٦م تطورت بعثة بلانتاير Blantyre تحت قيادة سكوت

---

(1) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Africa. p.91.

(2) Cameron: Examination of the Southern half of lake Tanganyika "1875", p.184.

(3) Roland Oliver : The Missionary Factor in East Africa. p. 37.

(4) Eugene Stock : The History of the Church Missionary Society. p. 79. vol. III "London 1899".

Scott، وقم تم مساعدة المبشرين الاسكتلنديين فى بلانتاير Blamtyre ولفنجستونيا Livingstonia من مبشر انجليكاني من جلاسجو Glasqow هو جيمس سيفنسون James Stevenson وهو رجل أعمال أقام شركة تجارية لتطوير تجارة منطقة البحيرة، وهدفُها كان للاستجابة لنداء ليفنجستون لوقف تجارة الرقيق عن طريق انتشار التجارة والمسيحية (١).

وفى عام ١٨٧٨م أرسل ستيفنسون Stevenson رجل الكنيسة موار Moir طأول مدير ، فجعل مركز إقامته فى مونديالا Mandala بالقرب من بلانتاير Blantyre وقد قام بنشر مواقع للتجارة كما فعل كارونجا Karonga فى الحدّ الشمالى من بحيرة "تياسا" (٢).

وفى عام ١٨٨٢م تمكن وليم كوبى William Koyi الذى دفع قبائل الزولو Zulu للتحول إلى المسيحية والذى كان ضمن حملة Livingstonia، تمكن من دخول حدود مومبيرا Mombera وكسب ثقتهم، وبعد ذلك انْضَمَّ إلى كوبى Koui اثنان من المبشرين الأوروبيين هما دكتور المسلى Dr. Elmslie وسذر لاندSuther Land وقد تغلبوا على قبائل Mombera وتم السماح لهم لبناء مدارس والدّعوة للمسيحية، وفى عددٍ قليل من السنوات تم بناء عدد من الكنائس والمدارس والمستشفيات (٣).

ونظم بعض مديرى التبشير فى الشركة البريطانية الأمبراطورية لشرق أفريقية وبالذات ماكينون Mackinnon بعثة فى عام ١٨٩١م، حيث تم

---

(1) Assa Okoth : A History of Africa "1855-1914" p.56.

(2) William B. Anderson: The Church in East Africa, P.62.

(3) Roland Oliver: The Missionary Factor in East Afric, P.170.
Anderson : A Brief Account of Christonity in Tanzania, p.5

تأسيس بعثة اسكتلندا لشرق أفريقية، إذْ إنّ مديرى الشركة كانوا يريدون من البعثة أن تسعى لنشر الديانة المسيحية عن طريق التعليم والطب والصناعة، أى إن الاستعمار بدأ يدرك أهمية التنصير فى تثبيت أقدامه شرق أفريقية، فلجأ إلى توظيف الجمعيات التنصيرية لخدمة أهدافه وتحقيق مصالحه، فامدّها بالمال والمساعدات الأخرى حتى يتمكن من تحقيق أهدافه الاستعمارية، وقد تم نقل دكتور ستيورات Dr. Stewart من "نياسالاند" ليقوم بتاسيس كبويزى Klbawezi ويكون أول رئيس مسئول عن بعثة اسكتلندا لشرق أفريقية، وقد منحت الشركة البريطانية لشرق أفريقية البعثة ١٠٠ ميل مربع بهدف تطوير الزراعة (١).

وهناك وثيقة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية تشرح فيها أن الطلبات الزراعية الاضافية ستأخذ جزءا من وقتهم للاشراف على العمل الزراعى فى المدرسة الخارجية (٢).

وكانت البعثة الاسكتلندية فى تومونوما Tumutumu تقاتل منظمة كيكويو Kikuyu المركزية لمدة ثلاث سنوات ، وكان هذا الهجوم على سياسة البعثة للتعليم الزراعى، ويأخذ فى الاعتبار طلبهم لحديقة المدرسة كخطوة نحو التوسع فى نزع الملكية، وقد كتب أحد رجال التنصير البرسبتاريين Presbyterion يدعى فيليب يقول: "إنه كان يوجد الحكم بالأمر والنهى فى أيدى هؤلاء الناس، ولقد اصبحوا الحكام الحقيقيين للمدينة " (٣).

---

(1) A.J. Temu; British Protestant Missions, "London 1972", p.94.

(2) Keny National Archives, Nairobi

الوثيقة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية فى ملف رقم Ed. 11936

(3) Robert W. Strayer : Op. Cit., P.129.

وفى بداية عام ١٩٠٧م عقد ويليس Willis مناقشة مع الاسكتلنديين من بعثة كنيسة اسكتلندا، وتم إيقاف المفاوضات جزئيا باعتراض Weston أسقف زنجبار، على طريقة إدارة المجتمع المقدس (١)، وكتب الأسقف بأن زيادة القساوسة المواطنيين يجب أن يتحقّق على مدى عددٍ من السنوات بحيث يدفعنا لزيادة عدد القساوسة الأوروبيين (٢).

وبعثة كنيسة اسكتلندا فى شرق أفريقية البريطانية لم تنصب أيّ أفريقي كقسيس حتى عام ١٩١٤م، فى حين كان لوز Dr.Laws فى عام ١٩٠٧م تم منحه الصلاحية لتنصيب ثلاثة من الشباب الفريقي للخدمات الدينية، والذين قدموا نجاحاً ملحوظاً فى الدراسات النظرية وبعدها نُصّب اثنان منهم كقساوسة (٣).

وتمسك الأسقف ويلز من البداية بالفكرة الأوليّة الّتي رأى Willis تقديمها هي مايلى: طالما أن الكنائس الافريقية فى "كينيا" لا تزال فى دولة مسالمة وقابلة للتشكيل فإنه لا لزوم لاختلافات غير ضرورية ممكن أن تصبح عادات بين الإفريقيين المسيحيين، وعلى العطس من ذلك فإن كفاءة هذه الكنائس يجب أن تتقدم فى خطوطملتقيه من خلال الاعتراف من جميع البعثات بقاعدة واحدة لاعضاء الكنيسة، نظام موحّد للعبادة يمكن استخدامه بكفاءة ليصبح نظاماً معتاداً بين الافريقيين المسيحيين، ونظاماً تدريباً موحداً للبعثات الافريقية مؤسساً على الاعتراف العام بالكتاب المقدس والعقيدة، وهذه الفكرة التى طرحها ويليز Willis بمساعدة هنرى سكوت Dr. Henry

(1) D.A. Low And Alison Smith: History of East Africa "Oxfors 1976", p.399.

(2) W.P. Livingstone : Laws, p.309.
Oliver : The Missionary factor in East Africa, p.217.

(3) W.P. Livingstone : Laws, p.347.

Scott رئيس بعثة الكنيسة الاسكتلندية أدّت إلى سلسلة من المؤتمرات الأولية في عامى ١٩٠٨م و١٩٠٩م والتى انتهت بواسطة الأربع بعثات الضخمة للعمل فى الحدود المقترحة لبعثات فدرالية "اتّحادية" التى تم قبولها كمرجع للسلطة المحلية للمقاطعات المختلفة فى مؤتمر كيكويو Kikuyu لعام ١٩١٣م[1] الذى لفت أنظار جميع الناس فى كل العالم المسيحى، وهذه الحركة تمّ تدعيمها عن طريق بعثة كنيسة اسكتلندا فى كيكويو Kikuyu وذلك من أجل الاتحاد مع البعثات البروتستانتية الموجودة فى شرق أفريقية، وبهدف الوصول إلى اتحاد للكنائس، وفى الوقاع أنّ كيكويو Kikuyu وزعت نشرات مهمة جداً فى العالم والتى بدورها أثرت فى الأنظمة الأخرى للاتحاد بين كنائس الأسقفية وكنائس غير الأسقفية، وإنّه من الملاحظ بأن معظم المشاكل الدينية تتبع من نقطة انطلاق الحركة، والمعاهدة المقترحة فى مؤتمر كيكويو Kikuyu من وجهة نظر الكنيسة الإنجيلية أقل شئ يمكن تقديمه فى حقل البعثات فى شرق أفريقيه [2].

وفى عام ١٩١٣م تمكن سكوت Dr. Scott المشرف العام على كنيسة أسكتلندا فى بعثة كيكويو من الدخول فى اتّفاق مع حوالي إحدى وثمانين مستأجرا، كانوا أساساً ملاّك الأراضي قبل امتلاكها من البعثة، وقد وافق المستأجرون على العمل لدى البعثة لمدة شهرين كلّ سنة فى مقابل إقامتهم فى الضيعة، ولقد حصل سكوت على اتّفاق بأن يدفع لهم أربعة روبيات فى الشهر، وفى السنة التالية قدّم نظام الإقامة للعمال فى الضيعة ، وعندما طلب من المستاجرين إرسال أطفالهم إلى المدرسة ، فضل البعض منهم ترك

---

(1) Oliver, R. :The Missionary factor in East Africa, pp. 224-225.

(2) Oliver, R. : The Missioanry Factor in east Africa, p.222.

الضيعة على الموافقة على هذا الطلب (١).

وهكذا رفض العملا الاستجابة لطلبات جمعيات التنصير، وذلك بارسال إطفالهم للمدارس رغم ما قد يترتب على ذلك من طردهم من المساكن التى يعيشون فيها، وقررت بعثة الاتحاد بأنها سوف لا تعتمد على العمال المقيمة فى أراضيها عام ١٩١٤، وايدت معارضتها لنظام العمال المستأجرين المقيمين، ولكن فى بداية العشرينات ١٩٢٠، عندما شعروا بنقص العمال تحت التطور الضخم أجبروا المستاجرين للعمل لديهم، وهذا دليل على أن نقص العمالة معناه رفض العمال الاستجابة لطلبات جمعيات التنصير التى تحاول تنصير أطفالهم بالقوة مبدئيا لأنها فشلت فى تنصير الكبار بعد أن تركوا لهم العمل وفى Jilore حيث تمتلك بعثة الكنيسة ١٠٠٠ فدان من الأراض الزراعية طلبت البعثة من مزراعى البعثة بأن يدفعوا إجار حوالى من واحد إلى خمسة شلنات فى السنة، ولتشجيع الأطفال ليصبحوا مسيحين حدّدت بعثة الكنيسة معدل خاص للأطفال فى أراضيهم، وأنشأت لهم عدة مدارس (٢).

وهناك وثائق هامة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية فى نيروبى تبين لنا مقدار ما عملته البعثات التنصيرية فى شرق أفريقية على وجه العموم، ومقدار ما عملته بعثة الكنيسة الحرة الاسكتلندية على وجه خاص، فمثلا هناك وثيقة من بعثة الكنيسة الحرّة الاسكتلندية إلى مدير التعليم فى نيروبى تبين فيها توزيع المنحة المالية فى Tumu tumu كما يلى:-

(1) A.J. Temu: Op. Cit, P.97.

(2) Keny National Archives. Nairobi

الوثيقة محفوظة فى الأرشيف الكينى فى ملف رقم 2/549 وتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥م.

جناح الأولاد فى مدرسة داخلية	٢١٠ جنية استرلينى
مطبخ الأولاد	٧٢ جنيه استرلينى
أدوات دائمة "مدرسة جديدة"	١٠٠ جنيه استرلينى
منزل المدرسين فى نيروبى	٦٠ جنيه استرلينى
الاجمالى	٤٤٢ جنيه استرلينى

وأيضا تم استكمال المدرسة الدائمة ولكنها كانت غير كافية من ناحية الامكانيات لذلك تمّ دفع ١٠٠ جنية استرلينى إضافية (١).

وأيضا هناك وثيقة مرسلة من بعثة كنيسة استكلندا فى مستعمرة كينيا إلى سعادة مدير التعليم بنيروبى بأنّه سيتم تقديم الايصالات للمعونة من منح مساعدة المدارس الإفريقية لأشهر نوفمبر وديسمبر لعام ١٩٣٠م، وأنه قد زاد فى الصرف، وطبقاً لقاعدة ٤٪ تخصيص للمباني، و ١٠٪ من أجل المعدات فإن ١٤٦٠ شلن قد تم زويادتها (٢).

---

(١) الوثيقة محفوظة فى الأرشيف الكينى بنيروبى فى ملف رقم MAA7/406 وتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٣٠م. انظر ملحق رقم (٦).

(٢) هذه الوثيقة محفوظة فى الأرشيف الحكومى لكينيا فى نيروبى
Kenya National Archives, Nairobi
فى ملف رقم E d I /670 وتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٣٠م . انظر ملحق رقم (٧)

(١) جمعية الروح القدس ومركز الأباء السود فى زنجبار :

ذكر كثير من المؤرخين بأ، أوّل انقسام حدث للكنيسة المسيحية كان فى عام ٤٥١م وقد نشب الخلاف ونتج عن هذا الانقسام ظهور كنيستين بدل كنيسة واحدة وهما الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية (١).

ولم يكن التبشير بالمسيحية غريباً بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية، غير أن النشاط التتصيرى فى أسيا وأفريقية كان مقصورا إلى حد كبير على جهود رجال الكنيسة البرتغاليين، والأسبان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ثم تدهور هذا النشاط فى القرن الثامن عشر مع تدهور الدولتين الايبيريتين، وقد حاول البابا أن يركز النشاط التبشيرى عام ١٦٣٢م فى روما وحدها، وذلك بغنشاء المجمع المقدس للتتصير، ولن نظراً لأنّ مصالح كلّ من أسبانيا والبرتغال كانت تتعارض مع قوانين الكنيسة ، ولأن هذه المصالح كانت أسبق من أيّ تفكير كنسي للتتصير بقرنين على الأقل، فإن هذا التركيز لم يتم ، وقد بدأت أهمّ حركات التتصير الكاثوليكي فى فرنسا وأما بالنسبة إلى أفريقية فقد كان أهم عمل تنصيرى هو إعادة إنشاء مجمع روح القدس عام ١٨٤٨م وكان مجال نشاط أعضائه فى الجابون والكونغو والمناطق الساحلية فى شرق أفريقية (٢).

ويعود تأسيس الكنيسة الكاثوليكية فى أفريقية إلى الوقت الذى وصل فيه الأب لويجى منتورى وفتح مدرسة صغيرة لأبناء الجالية المسيحية بالخرطوم ثم أنشاء كنيسة ، كما حصل على قطعة أرض لإقامة مقبرة مسيحية،

(١) عبد الجليل ريقا: التبشير فى أفريقية، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، المطبعة العسكرية، ص٣٩.

(٢) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية، ترجمة : دولت أحمد صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص١٥١.

وتضاعف هذا الجهد بوصول دفعات من المبشرين البيض تعرضوا لنكبات المرض والموت، وحين لاحظ المسئولون فى الفاتيكان وفاة أربعة وستين مبعوثاً أمر البابا باغلاق هذه الإرسالية والتوجه إلى الساحل الشرقي فى زنجبار [١].

وبعد دخول البعثات الكاثوليكية فى شرق أفريقية، قدم السير هنرى كبل Henry Keppal أميرال البحرية البريطانية فى ميدنة الكاب تقريرا إلى وزارة البحرية البريطانية، جاء فيه أن الفرنسيين : إنهم يقصدون استخدامها كمستشفى، وأرسل هذا التقرير إلى وزارة الخارجية البريطانية، وبناء على هذا التقرير أعطيت التعليمات للمستر ايرل كولي Earl Cowley السفير البريطانى فى باريس بالاستفسار عن ذلك من المسيو ثوفينيل M.Thouvenel وزير الخارجية الفرنسى الذى أبلغ السفير البريطانى بأن المبنى سيكون مؤسسة دينية تضم مستشفى لرجال البحرية الفرنسية، ومدارس وورش [٢]، وفى هذه الأثناء وصل إلى زنجبار الأب فافا Abbe Fava يصحبه اثنان من قسس الجزويت، وست أخوات مكن جمعية القديسة مارى Saint Mary، وصرح المبشرون بعد ذلك بأنهم حصلوا على منحة من حكومة جزيرة الرينيون Reunion فى المحيط الهندي قدرها ١٥٠٠٠ فرنك لتكون بمثابة راسمال لهم، وبذلك يتضح أن وصول أولى البعثات الكاثوليكية إلى أرض زنجبار كان تحت حماية الحكومة الفرنسية ومدعما بالمساعدات المالية اللاّزمة، مما أزعج الحكومة البريطانية التي اعتقدت أن ذلك بداية

---

(١) حسن مكي محمد أحمد: التبشير المسيحي فى العاصمة المثلثة، الخرطوم، ١٩٨٢م، ص٤.

(2) Groves C.P. : The Planting of Christianity in Africa, Vol. II, London 1948. p.285.

لمنافستها فى منطقة شرق أفريقية [١].

وعلى الرغم من النفوذ الكبير الذى أصبح لبريطانيا فى زنجبار نتيجة التدخل فى وراثة عرش السلطنة ليها، فإن استمرار النشاط الفرنسى هناك ظل يؤرقها، ففى عام ١٨٦٠م أيضا أرسل رجبى Rigby القنصل البريطانى فى زنجبار إلى وزارة الخارجية البريطانية خطابا يعرف فيه عن قلقه تجاه قيام الفرنسيين بإقامة ثكنة فى قلب مدينة زنجبار، واشار إلى احتمال أن تكون الحكومة الفرنسية وراء هذا المشروع، وبوصول خطاب رجبى إلى وزارة الخارجية البريطانية بادرت بارسال خطاب شديد اللّهجة إلى الحكومة الفرنسية، أشارت ٠٠٠٠٠٠٠فيه إلى علاقات الصداقة والتجارة الوثيقة التى تربط بينها وزنجبار منذ عهد السلطان سعيد، وأكدت أنّها لن تقف مكتوفة الأيدى أمام أيّ عمل من جانب فرنسا للقضاء على استغلال السلطان ماجد، أو تحويل جزء من اراضيه إلى دولة أجنبية أخرى[٢]، وعلى هذا أكدت الحكومة الفرنسية على الحكومة البريطانية بأن الهدف من المبنى الذى شيد هو هدف تبشيرى فقط، وإذا لزم الأمر فإنّها على استعداد لتوقيع معاهدة مشتركة لاحترام تكامل أرض السلطان، وبالفعل قبلت بريطانيا هذا العرض وصدر بيان مشترك إنجليزي فرنسي عن هذه الحادثة تم توقيعه فى ١٠ مارس سنة ١٨٦٢م فى باريس[٣].

---

(١) جرجس عريان مرقص : التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثره على استعمارها فى الفترة من ١٨٧٤-١٨٩٦م، رسالة ماجستير لم تنشر بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٥م، ص٢٠.

(2) Hertslet. E.: Op. Cit.. 718.

(٣) محي الدين محمد مصيلحى سليمان: الاستعمار الاوروبى فى كينيا وتطور نظام الحكم فيها، سالة ماجستير لم تنشر بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، ص٥.

وقد تمت أول محاول لدخول البعثات التنصيرية الكاثوليكية فى شرق أفريقية سنة ١٨٦٠م وذلك عندما ذهب النجتون Alington لزيارة كيمويرى Kumweri زعيم أوسمبارا Usambara، وزار النجتون كيمويرى مرة ثانية فى العام التالي، وقبل كيمويرى وجود المبشرين فى أراضية، ولكن فى مراكز على الساحل، وبالفعل تأسس مركز على الشاطئ المقابل لزنجبار فى باجامويو Bagamoyo على طريق القوافل الذى يصل بين باجامويو وأوجيجى Ujiki على بحيرة تنجانيقا (١).

ولكن جميع هذه الجهود لزمت الساحل ولم تستطع التوغل فى الداخل إذ كان بالداخل محيط غسلامي قوي، ولم تحقق أيّ نجاح طالما كان اهتمامها متجها للتنصير الديني فقط، ولذلك اتّخذت خطوة مهمة بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، وهي أن تترك لهذه البعثات مجال التعليم والخدمات الطيبة، ومن هُنا فتحت هذه البعثات المدارس والمستشفيات، وبذلك سيطرت بنفوذها على عَدَدٍ من البشر أصبح من السَّهْل التحكم فيهم (٢).

ومن الوثائق الّتي تبين لنا الخطوة الهامّة لبعثة الروح القدس الكاثوليك فى زنجبار الخطاب الذى تمَّ تسليمه إلى Wall بواسطة الاسقف كومبلنج Compling التابع لبعثة الروح القدس الذى جاء فيه " إنَّ هناك عائلات التحقت مع بعثاتنا وهم لم يكونوا فى عيشة راضية، لذلك نأمل تأمين ممرضات للمحطات، مما يساعدنا بسهولة فى أداء المهمة، وأيضاً تعيين

(1) Groves C.P. : Op.Cit., Vol. II, PP. 284-286.

(٢) سيد احمد يحي: التنصير فى القرن الافريقى ومقاومته، طبعت بدار العمير، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٧٤.

أسقف أو رسول لبعثنا [١].

وكان المبشرون الكاثوليك قد ظهروا أوَّلا فى زنجبار عام ١٨٦٠م وبعد ثلاثة أعوان أنشأت جمعية الروح القدس Congregation du Saint Esptir مركزاً تنصيريّاً دائماً في زنجبار عرف بمركز أو محطة الآباء السود، ثم بعد ذلك أنشأ آباء الجمعية ذاتها مستعمرة للعبيد المحرَّرين على الساحل [٢]. ولقيت هذه المستعمرة بعض النجاح، وصار مبشروها يعملون على شراء العبيد وعتقهم بعد تنصيرهم، مما أدَّى إلى انتعاش تجارة الرقيق آنذاك[٣].

وهناك أشياء ساهمت فى دفع جمعية الروح القدس لإقامة مستوطنات للعبيد – ولقد توجهت بعثات الكاثوليك إلى الشرق والغرب فالبعثات التى ذهبت إلى الشرق لم تصادف أيّ نجاح ضخم لأن بعض المبشرين حالوا التعديل فى بناء المسيحية، لكن البعثات التى ذهبت إلى الغرب حاولت استيعاب الهنود من أمريكا إلى اسبانيا، وهذه المحاولات فى الغرب ظهرت بأن تكون ناجحة، وهذا أدّي إلى انحدار بعثة الروح القدس عن الاستيعاب[٤] وأيضاً من الاشياء التى ساهمت فى جعل جمعية الروح القدس تقيم مستوطنات للعبيد هو أن أعضاء جمعية الروح القدس انحدروا اساسا من طبقة الفلاحين المتحدثة بالفرنسية من الساكا، وهي منطقة بين ألمانيا وفرنسا ولقد عايشوا المسيحية مع الحياة الريفيّة إليهم، ولقد أملوا فى أن يقيموا مجتمعا ريفيا فى

(١) هذه الوثيقة محفوظة فى أرشيف الحكومة الكينية بنيروبى، فى ملف رقم Ed 1/529 وتاريخ ١/١٢/١٩٢٥م.

(2) J.C. Sse Kamwa : A Sketch Map History of East Africa, London 1971, p.98.

(3) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, p.21.

(4) William B. Anderson : The Church in East Africa, Central Tanganyika Press "CTP" 1977, p.II.

شرق أفريقية يدين بالولاء والإخلاص للمركز، ولقد اعتقدوا بأن هذه المجتمعات ممكن أن تكون نموذجا برّاقا للاهالى المجاورين لهم ودفعهم لاعتناق العقيدة المسيحية (١).

وفى ٢٤ فبراير ١٨٧٨م أصدر البابا ليو الثالث عشر بانشاء اسقفيتين لتوليا التبشير بالعقيدة الكاثوليكية فى أفريقية الشرقية، وتختص إحداهما بالتبشير فى منطقة بحيرة فيكتوريا، وتختص الثانية بالتبشير فى منطقة بحيرة تنجانيقا، وتكونان تابعتين لأسقفية الآباء، وقد وصل أول فوج من الاباء البيض إلى زنجبار، وكان هذا الفو يتألف من عشرة مبشرين اتّجه نصفهم إلى الشمال الغربى جنوبى بحيرة فيكتوريا، وأندفع نصفهم الآخر إلى بحيرة تنجانيقا حيث عمل المبشرون كلٌّ فى المنطقة الّتي حددت له (٢).

ولقد حصلت البعثة الكاثلويكية – إزاء تقدير البابوية لنجاحها – على تأييد واسع، فالباب بيوس الخامس Pius قام بإصلاح هام، وذلك بتدعيم شئون البعثة وتقْوية التجمعات الدّينية الخاصة فأمدُها بمجموعة من موسوعات البابا بندكت الخامس عشر Bened ict والبابا وتدريب رجال الدين المسيحيين (٣).

وفى عام ١٨٨٠م فتحت جمعية روح القدس بعثة فى Mandra فى منصف Mhonda وفى عام ١٨٨٢م انشأوا بعثة فى Morogoro وكان لكل بعثة مركز مسيحى كبير وبه عدد من العائلات المسيحية، وخارج البعثة يوجد عدد من القري المسيحية، ولكلّ قرية كان لها رئيسها المنتخب مع معلم

(1) Andserson : A Bief Account of Christianity in Tabzania, Uganda, 1975. p.3

(2) Attawater : The white fathers in Africa, London 1957.
Oliver R. : The Missionary Factor in East Africa, p.48

(3) Oliver R. : The Missionary factor in east Africa, p.233.

ديني[١] ، وكان قم تمّ اختيار هيلاريون Hilarion رئيسا فى Mhonda وهذه كانت أوّل بعثة لجمعية الروح القدس فى جزيرة بالقرب من Morogoro وقد كان لدى هيلاريون أنشطة دينية من مدة طويلة [٢].

وقام المبشرون بتعليم الناس المسيحية، وكان الأب هومر Homer وراء نجاح بعثة الروح القدس، فقد كان يعتقد بأن أحوال العبيد المحرّرين ممكن أن تتحسن لو تمّ أن تتحسن لو تمّ تأسيس مستعمرة زراعية لهم، حيث يمكن أن يعملوا فيها كرجال أحرار وأدّىٰ ذلك إلى الإقامة فى باجامويو Bagamouo حيث تمّ تعليم الأفارقة، وذلك عن طريق تقديم كافة المساعدات اللّزمة فى فتح المدارس[٣] وتقديم المدرسين ، ومن الوثائق الهامّة الّتي تبين لنا تقديم المساعدات اللازمة من جمعية الروح القدس الكاثوليكية فى زنجبار هي الوثيقة المرسلة من ويت P.P.Whit المفتش الريسي للمدارس حيث جاء فيها " لقد وجدت أنه يجب إليّ أن أنفق حوالى ١٥٠٠ شلن في إعادة تجديد مفروشات المدرسة الأولية فى كابا Kabaa، وأطلب بأن تزيد منحة المدرسة الأولية ليس فقط هذا العام ولكن بصفة مستمرة، لذلك ألتمس بأه إذا كانت المساعدة لها طبيعة الدوام فإنه يجب أن تزيد بكمية حوالى ٦٣٨٨ شلن" [٤].

ولقد أسس الأسقف المونسنيور دى كومون Mgr. de Coumont مندوبية بالساحل لهذه الجمعية فى "ممباسا" عام ١٨٩٠م ومحطة صغيرة فى بورا

---

(1) Anderson B. : The Church in East Africa , p.12.

(2) William, B Anderson : Op. Cit. P. 57.

(3) H. Okeilo Ay ot: Topics in east African History 1000-1970. Kenyatta university College, 1975, p.56.

(٤) أرشيف الحكومة الكينية بنيروبى في ملف رقم M A A 7/96 وتاريخ ٢٣ يناير ١٩٤٠م .
انظر ملحق رقم (٨)

Bura قريبة من فوى Voi[١]، وفى عـام ١٨٩٩م زار نـائب الاسقف الجيير Allgerer مدينة السكة الحديديـة المتطـورة فـى "نـيروبى" ، وكـوّن بعثـة فـى كيكويو Kikuyu على بعد حوالى ٨ أميال من الغرب منها، وعندما أدرك أن الحقل يزيد من موارد المصلين فـى الكنيسـة، فقد قبل عرضـا للمسـاعدة مـن جمعية قنصولات الإيطالية فى تورينو، وأوّل قسيس إيطالى وصـل فـى يونيـو ١٩٠٢م ووضع فى محطـة كيـامبو Kiambu عـام ١٩٠٢م، محطـة ليمـورو Limuru عام ١٩٠٣م وبقيت بعثة كينيا كمـا هـى كزاويـة اتّصـال للجمعيتيـن حتـى بعـد الحـرب العالميـة الأولـى، رغـم أنهـا انفصلـت عـن "زنجبـار" عـام ١٩٠٥م [٢].

وكان نشوب الحرب العالمية الأولى يعنى فى درجـات مختلفـة بـأن رجـال البعثات وجدوا أنفسهم يواجهون نقصاً فى هيئة الموظفيـن والأمـوال، وبعـض المناطق كانت خالية بالكامل من المنصّرين [٣]، كما انقطع البعض الآخر مـن الخدمة عندما تم استدعاؤهم مـن دولهـم الأم للانضمـام للخدمـة العسـكرية، أو للخدمة كرجال دين مع قوات شرق أفريقية.

ولقد قاست بعثة الآباء والروح القدس من النقص الكبير فى الموظفين أكثر من معظم البعثات، وذلك بنسبة "٤٨٪" كمـا أوضـح جروفـز Groves وأيضـا كانت نسبة النقص فى البعثات الإنجليزية حوالى ٢٠٪ [٤].

ولقـد عمـدت الإرسـاليات الكاثوليكيـة إلـى تنسـيق جهودهـا مـع البعثـات

---

(١) John S. Mbiti : Kenya Churches hand Book, Kenya 1973, p.31.

(٢) Oliver R. : The Missionary Factor in East Africa, p.170.

(٣) Pirouet, M.L. : The First World War-An Opportunity Nissed by the Missions. 1969, p.8.

(٤) Groves: Op. Cit., P.290.

البروتستانية المتنوعة. واتّخذ هذا التعاون مظاهر شتى، كان من بينها توحيد خطط التعامل مع حكومات المستعمرات والتأقلم حسب الظروف والأحوال، فإن الإرساليات المختلفة تتعامل ماليًا مع تلك الحكومات معاملة موحدة، وهي وضع برامج التعليم فى مدارسها تفرض مناهج تتضمن موادّ دراسيّة متقاربة، ولقد كان من نتائج هذا الشعور بالمصلحة المشتركة والخطر المشترك أن اتَّفقت كبريات الجمعيات المسئولة عن التنصير مع الفاتيكان على عقد مؤتمرات تنصرية عامة فى أوقات متقاربة للتشاور وعرض الجهود، ودراسة الأخطاء وتقدير النتائج وتعديل الخطط وسد الثغرات.... إلى آخر مظاهر التعاون المنسق وقد كان ذلك يستتبع العمل على أسس علميّة دقيقة منظمة، حتى تستطيع كلُّ إرسالية أن تقدم صورة واضحة لأعمالها، ونتائج جهودها ، ولهذا فقد حرصت الإرساليات على تدوين إحصائيات منضبطة تُبينَ بالأرقام كلَّ جانب من جوانب نشاطها [1].

ويحاول مجلس الكنائس باستمرار أن يلُمَّ شمل الكنيسة وأن يوجه حركات التبشير فى العالم، وبصفة خاصة فى منطقة شرق أفريقية، ولإنْجاح هذا المخطط تم الاتفاق على خلق مرتكزات لها فى شرق أفريقية على الوجه التالى:

١) ضرورة إنشاء مجالس وطنية لخدمة مصالح الكنيسة، وأعضاؤها يمثلون شتى الطوائف المسيحية الموجودة في أي قطر فى شرق أفريقية.

٢) ايقنت الحركة التبشيرية ضرورة وجود نفوذ لها داخل الحركات الوطنية فى تلك البلدان.

---

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقية، تقديم د.عبد الملك عودة، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ١٩٦٤، ص١٢٢.

٣) انشاء قوة عسكرية فى شرق أفريقية بالعقيدة النّصرانية يكون لها تطلعات فى إدارة شئون البلاد.

٤) تحل المنظمات والهيئات والإرساليات فى مساعدة الحركات بتقديم العون العسكرى والغذائى.

٥) محاربة الفكر والحضارة الإسلامية العربية فى المناطق المختلفة من شرق أفريقية بإحياء اللّهجات القديم، وابتكار أحرف الهجاء، لتصلح لتلك اللّهجات ، وفى الغالب كانوا يستخدمون الأحرف اللاّتينية (١).

---

(1) Pirouet. M.L. : The First World War-An Opportunity Nissed by the Missions. 1969. p.8.

(٢) ارسالية الآباء البيض فى منطقة بحيرة فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا :

فى بداية القرن التاسع عشر كونت هيئات تنصيرية متعددة فى شرق أفريقية، من أهمها وأقواها إمكانيةً الجمعية التنصيرية المعروفة باسم Thodist Mission Society Theme كما انشئت الجمعية البرلينية كما أسست جمعية أفريقية iety of Africa thisoc وكانت تلك الجمعية تعرف فى البلدان الأفريقية وغيرها باسم هيئة الآباء البيض white fathers وقد بدأت حملتها فى ساحل شرق أفريقية، كما ظهرت فى المنطقة نفسها هيئات عديدة تابعة للمذهب الكاثوليكى (١).

ومنذ عام ١٨٥٠م كانت تنجانيقا أكثر مناطق أفريقية تتنازعهما المشاكل، والاضطرابات. لذلك شيدت قبائل واباري Wapare مخابئ تحت الأرض كحماية لهم ولماشيتهم تختفي فيها عن الأعين عند تعرضها لغزو قبيلة أخرى، وقد قام Kaswa بزيارة Wafipa فى جنوب غرب تنجانيقا، وتنبأ ليس فقط بالغزو الأوروبى ولكن بالإفساد الاجتماعى وتمرُّد الاجيال الشابة كذلك، وظهر كاسوا Kaswa مرة أمام حاكم Wa Fipq وهو رابط طفّيه، ولقد فتح إحدى يديه وكان بها دودة وقال إن ذلك غشارة الفساد، وعندما فتح القبضة الأخرى ليده طار الجراد، وأوضح كاسوا Kaswa ان الجراد طار ولكن سيعود ليزحف وينظف الأرض، وساعدت تنبوءات Kaswa فى انتشار المسيحية (٢).

---

(١) سيد أحمد يحي: التنصير فى القرن الافريقى ومقاومته، طبعت بدار العمير الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٧٠.

(٢) William B. Anderson : The Church in East Africa 1840-1974. Central Tanganyika Press. 1977. p.51.

وكانت أولى البعثات الكشفية فى تنجانيقا بقيادة الكابتين ريتشارد فرنسيس بورتون Richard Francis Burton، وفى عام ١٨٥٤ أصطحب بورتون الملازم جون هاننج سبيك John Hanning Speke للبحث عن البحيرة أو البحيرات العظمى التي قيل إنّها تقع فى قلب أفريقية وأوضحت أن الغرض الرئيسي للحملة هو التوغل من ساحل أفريقية الشرقة سوب الداخل (١).

وسافر كلٌّ من بورتون وسبيك فى نفس طريق التجار العرب من باجامويو على الساحل ووصلا إلى بحيرة تنجانيقا عند اوجيجى (٢)، ومكثا العديد من الأشهر لاكتشاف نهايتها الشمالية، وترك سبيك Speke زميله بورتون فى تابوره Tabora وقام بزيارة سريعة للساحل الجنوبى لبحيرة فيكتوريا نيانزا، وفى عام ١٨٦٠م رجع سبيك مع جرانت Grant لاكتشاف هذه البحيرة بالسير على شاطئها الغربي من الجنوب إلى الشمال لتحديد منبع نهر النيل عند شلالات ريبون Ripon Falls وجعل عودته لوطنه من شمال أوغندا حيث نزل فى النيل الأبيض (٣).

وكان بيرتون وسبيك أول أوروبيين اكتشفا أكبر بحيرة فى العالم ذات مياه عذبة، وتمثل هذه البحيرة فوهة بركانية ذات لون أزرق جميل تقع وسط صخور رملية صفراء، وفى تلك اللّحظة تبدد الاندهاش من عينى سبيك، وكتب من قمة القرن الشرقي من البحيرة يقول : لا يمكن لأي فردٍ سواي أن يرى جمال وبهاء بحيرة تنجانيقا " (٤).

(1) Barer. J.N. : "Sir Richard Burton and the Nile Sources". Uganda Journal, vol. 12, 1948, p.62.

(2) Sswkamwa, J.C. : Op. Cit. p.93.

(3) Oliver, R. : The Missioanry Factor in East Africa, p.27.

(4) Josephine Kamm: Explorers in Africa. 1980, p.263.

وواصل سبيك وبيرتون مسيرهما من خلال الطريق اساحلى الذى يوصل إلى بلدة تابورة الواقعة فى وسط تنزانيا فى الوقت الحاضر، وكانا قد مرا من خلال منطقة ساحلية مليئة بالأدغال الكثيفة، الموجودة فى وسطها، كما وجدا بها مستنقعا عميقا مليئا بالطمى، ومغطّى بجذور سمكية للأشجار وهناك فى تابورة أكد لهما التجار العرب إشاعة مفاذها أنهم سمعوا من قبل عن عدم وجود بحيرة واحدة ضخمة فقط، كما توضح خريطة رهادت، ولكن يوجد العديد من البحيرات، منهم اثنتان كبيرتان، ومن المرجح أن تكون هذه البحيرات متصلة بنهر، ولكن لا أحد يعرف ما إذا كانت متصلة بنهر أو لا، وقد قرر بيرتون أن البحيرة القريبة خى هدفهما الرئيسى لذلك فى العاشر من شهر فبراير ١٨٦٠م سجل بيرتون خط الأفق ، الذى يلامس الحافة الذهبية للبحيرة، وقد تسلق حافة التل الصخري، ورأى بيرتون شيئاً ما يلمع من خلال خط الضوء الذى يقع أسفله، فسأل مرشده عن ذلك فأجاب المرشد بالقول ما نصه: " إن هذا فى رأيي هو الماء، وأضاف أنه فى الواقع بحر أوجيجي (بحيرة تنجانيقا) [١].

وبذا كانت بحيرة تنجانيقا أول بحيرة يستكشفها الأوروبيون من تلك البحيرات العظمى الثلاث، إذْ لم يشاهد سبيك بحيرة فيكتوريا إلاّ بعد بضعة شهور، وعلى كل حال فقد واصل سبيك بمفرده رحلته وشاهد من قمة تل مجارو للبحيرة التى أسماها بحيرة فيكتوريا بأنّها لابد أن تكون أحد المنابع الرئيسية للنيل [٢]، حيث سار بحذاء الجانب الشرقى لخليج تونزا حتى تحققت

---

(1) Josephine Kamm: Op. Cit. p.261.

(٢) السيد رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى، دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص١٥٦.

له اللّحظة التى طالما تمناها حين رأى البحيرة تمتد تحت قدميه، فكتب يقول: "لست أشك لحظة فى أنّ هذه البحيرة الّتي تمتد عند قدمي هى التى تلد ذلك النهر المدهش الذى كان منبعه موضوعا لكثير من الأساطير... وهدفا للعديد من المستكشفين المغامرين"(١). وأعد بمجهوده الخاص خريطة فى شكل كروكي، وقد ظهر على تلك الخريطة بحيرة تنجانيقا، والمجاري التى تغذيها، والتى كانت تمثل المصدر الرئيسيّ للنيل، وأوضح أيضا على الخريطة الموقع المفترض لبحيرة فيكتوريا، كما وضح أيضا نهر روسيزى The River Rusizi الذى تتدفق مياهه من بحيرة تنجانيقا إلى جهة الشمال، وتصّب فى بحيرة البرت، ومن الممكن أن يقال عن سبيك وبيرتون أنهما حاولا أن يريا الحافة الشمالية لبحيرة تنجانيقا ولكنهما لم يتمكنا من رؤية النهر بأنفسهما يصب فى بحيرة تنجانيقا ولايخرج منها (٢).

وفى عام ١٨٦٥م غادر ليفنجستون إنجلترا ووصل إلى زنجبار وبدأ رحلته إلى داخل القارة فى ٦ ابريل من مكتدانى (٣)، وتألفت قافلته من بعض الجمالين الأفريقيين ونفر من الأرقاء المحررين، ولم تمضى بضعة أسابيع على سير القافلة حتى هرب بعض الحمالين واضطر ليفنجستون أن يطرد البعض الآخر منهم لرفضهم تنفيذ أوامره، ولمّا وصل إلى الشاطئ الشرقي لبحيرة نياسا حاول أن يعبرها فى أحد مراكب العرب الشراعية، ولكن العرب رفضوا التعاون معه، وبعد أن التفّ حول بحيرة نياسا من الجنوب ضرب بقافلته فى الاتجاه الشمالي الغربي قاصدا الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيقا فى

---

(1) عبد الرحمن صالح : الاتصالات الاوروبية الاولى بالشرق الافريقى، مجلة نهضة أفريقية ، العدد ٧٣ السنة السابعة، ديسمبر ١٩٦٣، ص٣٤.

(2) Josepune Kamm: Op. Cit., p.281.

(3) Simmons. J. : Livingstone and Africa, London 1955, p.118.

أراضى لم يستكشف معظمها من قبل [١].

ولقد فقدت أوروبا اتصالها مع "ليفنجستون" لمدة سنة وخشيت أن يكون قد مات لذلك تمّ غرسال الرحالة "ستانلى" فى رحلة لكي يجده، ولاكتشاف ما إذا كان ليفنجستون لا يزال على قيد الحياة [٢]، ولقد بدأ رحلته مع شعوره بالضياع، واستمع إلى نظرية اكتشاف "ليفنجستون" لنظام النهر فى وسط أفريقية، وطبقا لهذه النظرية فإن النهر يقع فى النهاية الشمالية من تنجانيقا، لذلك قرر ستانلى عمليًا أن يذهب بنفسه ويرى ، فاستأجر مرشدا وسافرا معا حول البحيرة حتى نهايتها الشمالية [٣]، وتخيل أنّه من المحتمل أن تكون هذه البحيرة مصدر النيل، ولكن لم تكن هذه التصورات كافية بالنسبة لستانلى، الذى اصدر أوامره لأفراد بعثته بأن يعيدوا تركيب أجزاء المركب ليدى أليس LADY ALICE، وفى ٨ مارس ١٨٧١م ترك ستانلي اثنين من الانجليز المسئولين عن المجموعة الأساسية فى البعثة، وشرع هو ومعه عشرة من الأفارقة المختارين للسير على سطح مياه البحيرة، وكان هؤلاء الرجال فى حالة من اليأس بحيث أنهم كانوا يجدفون وهم على مضض، وكتب ستانلى فى هذا الصدد يقول : " لقد كان لدينا تنبؤات محزنة تقول إنّنا سنغرق فى البحيرة، أو ربما سنموت بأيدى الرجال المتوحشين النازلين على شواطئ بحيرة تنجانيقا وواصل رجال البعثة إبحارهم وتجديفهم على التوالى بحذاء الشاطئ الشرقي للبحيرة [٤]، واستطاع ستانلى فيما بين ٢٦ نوفمبر و ١٥

(1) Sykes, P.: The Story of Exploration and adventure, vol.III. p.1073.

(2) Ssekamwa J.C.: Op. Cit., p.95.

(3) Greogroy, J.W. : The Foundation of British East Africa. University Melbourne, 1901, p.106.

(4) Josephine Kamm : Op. Cit., p.338.

ديسمبر من عام ١٨٧١م أن يستكشف الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا، وتـأكد مـن أن نهـر روسيزى RUSIZI يصـب فـى البحيرة ولا ينبـع منهـا، ثـم عـاد ستانلى بصحبة ليفنجستون إلـى تـابورة وأقـام معـه هنـاك إلـى ١٤ مـارس ١٨٧٢م وذلك عندما بدأ ستانلى رحلة العودة إلى ساحل شرق أفريقية (١).

ولفهم النتـائج السياسية لاكتشـاف سـتانلى يجـب أن نتذكـر حقيقـة علـم الانثولوجيـا "السـلالات البشـرية" فـإن المواطنيـن مـن جنـوب خـط أفريقيـة الإستوائية من الكاميرون فى الغرب إلى جوبا JUBA فى الشرق ينتمـون إلـى مجموعة من الزنوج السود تعرف باسم بانتوBANTU والقليل من القبائل مثـل الزولو ZULU والميتابيلى METABILI تبنت نظاما عريبا جيّدا، ولكن البـانتو كانت تعيش فى قبائل مستقلة فى قرى يتم حكمها مجتمعة فى قرية الرئاسة أو مجموعة الكبار، والقرى الصغيرة منعزلـة، وعـادة يغيرون علـى جيرانهم، وحيث إنه لا يوجد اتّحاد بين القرى المستقلة فهم ضعـاف وتحـت رحمـة أى مجموعة من القبائل التى تعجم عليهم، وبينما كان ستانلي يسير من "باجـامويو BAGAMOYO إلى نياسا من حول مقاطعات بانتو الأصليـة لـم تعـرض عليـه أي مساعدات متاحة (٢).

ومن أشهر الرحالة الذين خلفُوا ليفنجستون وستانلي فى استكشاف المنطقـة الواقعـة إلـى جنـوب مـن بحيرة فيكتوريـا، الرحالـة والجيولوجـى جوزيـف طومسون JOSEPH THOMSON وكان طومسون قد جاء إلى أفريقية الشرقية لأول مـرة عـام ١٨٧٤ كجيولوجـي فـى حملـة كيـث جونسـتون KEITH JOHNSTON التى كـانت تمّولهـا الجمعيـة الجغرافيـة الملكيـة، وكـانت مهمـة

(١) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبى ص١٦٤.

(2) Gregory, J.W. : Op. Cit., P.108.

الحملة فحص المنطقة الواقعة بين دار السلام وبحيرة نياسا طبوغرافيا، وذلك بهدف استكشاف طريق يصل ساحل أفريقية الشرقي بالبحيرات العظمى، وفى ١٩ مايو عام ١٨٧٥م غادرت الحملة بقيادة طومسون (بعد وفاة جونستون) حيث سار بحذاء شاطئ بحيرة تنجايقا الغربى، وحاول أن يشق طريقه إلى الكونغو ولكنه أخفق، ثم بدأ فى إبريل رحلة العودة عبر طريق القوافل العربية إلى زنجبار (١).

وقد قام طومسون بعدد من الرحلات إلى شرق أفريقية كان منها الرحلة التى قام بها إلى الشمال من نهر الزمبيزى حتى وصل إلى المنطقة الواقعة عند بحيرة نياسا، وعقد اتفاقيات تجارية مع الشيوخ المحليين (٢)، وإن أهم رحلة من رحلات طومسون فى أفريقية الشرقية، كانت رحلته التى قام بها لاستكشاف أسهل طريق يربط الساحل بإقليم البحيرات، ففي ديسمبر ١٨٧٥م غادر طومسون ممباسا واتّجه رأسا صوب منحدرات كليمنجارو ووصل إلى بحيرة نيفاشا NAIVASHA ولم يلبث أن واصل سيرة شمالا، وزار جبل كينيا ثم اتجه غربا عبر ناندى Nandi ووصل إلى بحيرة فيكتوريا، وحاول طومسون أن يستكمل رحلته إلى النيل ولكنه عدل عن ذلك بسبب مرضه، وقد أبلغ كيرك قنصل بريطانيا فى زنجبار جرانفيل وزير الخاجرية فى حكومة جلادستون الثانية. بأن رحلة طومسون قد نجحت نجاحاً كبيراً وأن الطريق من ممباسا إلى بحيرة فيكتوريا قد أصبح الآن معروفا، وأن المسافرين والتجار لن يجدوا أيّة صُعُوبة فى عبوره (٣).

(1) Tomson. J. : The Narrative of the Roual Geographicol Society's East Central Africa Expedition. Vol. II, "London 1881", p.172.

(2) Josephine Kamm : Op. Cit., P.199.

(3) Coupland. R. : The Explaitation of East Africa. London 1939. p.370.

ولم يتخلف الكاثوليك عن اتّباع تقاليدهم القديمة الرامية إلى التصير ففى عام ١٨٧٠م أنشأ كبير الأساقفة الذى صار فيما بعد الكاردينال لافيجرى معه والذى كان من أكبر المتحمسين للاستعمار الفرنسى أنشأ تنظيم "الأباء البيض" وكان لهذا التنظيم نصيب كبير فى تمهيد الطريق أمام فرنسا فى شرق أفريقية[١].

وقد اكتسبوا هذا الاسم من غطاء الرأس الأبيض الذين يرتدونه، والأرواب البيضاء، ووضع فى نهايتها طربوش أحمر وذلك لتفرقتهم عن عرب شمال أفريقية [٢].

وكان لافيجيري Lavigerie قد ولد فى بايون Bayonne فى فرنسا فى ٣١ اكتوبر عام ١٨٢٥م وكان والده ضابط جمارك كاثوليكى وجعل ابنه يلتحق بمنهج تعليمى دينى عمره ١٥ سنة، وقد كان لافيجرى طالبا غير عادى ومجتهد واستمّر فى المنهج والجامعة، وتمّ تنصيبه كقسيس، وسنة ٢٣ سنة، وحصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ وتمّ تعيينه فى وظيفة هامة فى روما وبعد سنتين عاد إلى وطنه فرنسا فى وظيفة أسقف نانسى Nancy وفى عام ١٨٦٧م تم تعيينه كرئيس للأساقفة فى المستعمرة الفرنسية بالجزائر [٣].

ومضر المنصّرون الفرنسيون فى مزاولة أعمالهم، ولقوا تأييد وتشجيعا من الأسقف شارل لافيجرى الذى كان يعمل وقتئذ أسقفا فى الجزائر، وفى عام ١٨٦٨م وضع لافيجرى نظام الأباء البيض التنصيرى تحت اسم (جمعية

(١) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة افريقية، تقديم د. عبد الملك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤، ص٧٣.

(2) Kigging. Tom. : Serving Peple. Oxford University Press 1974. p.50.

(3) Ibid. p.49

نوتردام الأفريقيــة) Societede Notre Damed' Afrique ثـم راح يشـن حملة صليبية للقضاء نهائيا على تجارة الرقيق فى وسط أفريقية (١).

وقد كان لافيجرى يهتم بمشكلة تجارة الرقيق التى جعلها قضية عامـة مـن خلال كتاباته، وفى الحقيقة أن دعايته ضد الرق بدات فترة طويلة وذلك عندما تم التوقيع على القانون العام لإلغاء الرق، وقد كان بالنسبة إليـه شيئاً عظيمـاً، وهو كذلك كذلك كان متأثراً بفكرة ملك بلجيكا ليوبولد لانشاء محطات تنصـير من زنجبار إلـى بنجويـلا Benguela بيـن ١٠ درجـة شـمالا إلـى ٢٠ درجـة جنوب خط الساتواء، هذه المحطـات يجـب أن يتـم انشـاؤها بواسـطة المؤسسـة الدوليـة الأفريقيـة، والّتـي مــن المفــروض أن تكــون مهمّتُهــا فــي الابحــاث الجغرافية، ولكن أيضـاً لها أهداف سياسية، وقد نظر لافيجرى إلى الحماية فـى المستقبل التى يمكن أن توفرها مثل هـذه المؤسسـة المنصريـن، ولذلـك خطـط للعمل فى نفس منطقة هذه المؤسسة (٢).

وكانت طموح "لافيجرى" لكنيسته كبيراً وكان مستعدا لاستخدام أي وسـيلة لتوسيعها، وطبقا لوظيفته كرئيس كنيسة فقد استخدم ذلـك لمصلحـة الاسـتعمار الفرنسى، ولفت نظـر البابـا بيـوس التاسـع Pius IX إلـى الجمعيـة الافريقيـة الدولية التى أسسها الملك ليوبولد الثانى ملك البلجيك التى كانت تتــابع وتسـجل نتائج الاكتشافات ، وتؤسس محطة علمية على طـول الخـط مـن زنجبـار إلـى بنجويلا Benguela (٣).

وفى ٢ ينـاير ١٨٧٨م أرسل لافيجرى Lavigerie مذكرة سرية إلى البابـا

---

(1) Attwater, D. : The White Fathers in Africa. London 1937, p.19.

(2) Kigging, Tom : Op. Cit. p.50.

(3) Oliver, R. : The Missionary Factor in East Africa, p.46.

بيوس التاسع Puis IV متضمنة أنه يجب على الكنيسة الكاثوليكية أن تذهب إلى وسط أفريقية قبل غلق الباب أمامها، وبعد موت هذا الباب كرر نفس النصح إلى البابا ليو الثالث عشر Leo XIII، وكانت السرية التى أرسلت بها لامذكرة ذات أهمية دبلوماسية من أجل حماية الحياة الكاثوليكية فى العالم، وأصبحت هذه المذكرة فيما بعد أكثر الوثائق التى بحثت على نطاق واسع من الهيئات التى اهتمت بالتنصير، وبعد وصول المذكرة الثانية بيومين وافق عليها الكاردينال فرانكى Cardibal Franchi المسؤول عن نشر العقيدة، وقدمها إلى البابا ليو الثالث عشر الذى وافق عليها بتاريخ ٢٤ فبراير ١٨٧٨م، وكانت موافقته هي أول عمل رسمى يقوم به البابا الجديد وبعد ذلك بأسبوعين كانت أول قافة من الآباء البيض فى طريقها إلى أفريقية المدارية[١].

وكانت البعثة مؤلفة من تسعة قسس وكان خط سيرها هو أن تدخل القارة حتى تابوره Tabora فى وسط تنجانيق حيث تنقسم القافلة إلى مجموعتين أحداهما تتجه شمالاً إلى بحيرة فيكتوريا والأخرى تتجه غربا إلى بحيرة تنجانيقا، وكانت خطة لافيجرى تهدف إلى إنشاء "ابروشيات" أي كنائس صغيرة بأسرع ما يمكن فى وسط القارة، وقد أعطى لافيجرى رجاله تعليمات شخصية عن سلوكهم أثناء الرحلة آمرا إيَّاهم بمراعاة تنفيذ هذه التعليمات فى جميع الأوقات، وعندما كانت القافلة فى طريقها إلى أفريقية ذهب لافيجرى إلى بلجيكا ليخبر الملك ليوبولد الثانى عن القافلة، ودهش ليوبولد ولم يملك إلا أن يرجو القافلة حظّاً سعيداً[٢].

(1) Kittler. G. Lennd: The white fathers. New York 1957. pp. 106-109.

(2) Kittler G. Lenn D. : Op. Cit.. pp.113-115

وفى ١٦ يونيو عام ١٨٧٨م ترك رجال البعثة باجاموبو Bagamouo وبصحبتهم ٥٠٠ رجل حمالين وجنود حمالين وجنود حماية تم تأجيرهم من "زنجبار"، وتعرضت الحملة للامراض وكل الحمالين ورجال الحماية والحراسة عانوا من العطش، وتحرك القساوسة البقون إلى أوجيجى Ujiji وفيها قابلوا هور Hore في ينـاير ١٨٧٩م وهو البحار الذى سبق أن اصطحب بعثة لندن إلى بحيرة تنجانيقا، ولقد تمتعوا بحسن استقباله واستفادوا من نصيحة (١).

وكانت السيدة هور Hore آسفة لاحضار ابنها للساحل الأفريقى حيث أخذهما معا، وذلك لبدء حياة جديدة مرة أخرى على بحيرة تنجانيقا، وقد كان عمر الطفل "جاك" سنتين عندما بدأ رحلته، وبعد السفر لمدة ٢٩ يوم وصلوا إلى مدينة مبوابوا Mpwapwa (٢)، وبعد أن استراحوافى مبوابوا استمروا فى السير بسبب شدة الحرارة والجفاف وهم يعملون أن كل يوم يمر بعد ذلك من الصعب الحصول على مياه، ثم أصابت السيدة هور صدمة عندما رأت جثة رجل ملقى على الأرض هلك من الجوع والعطش، وبعد ترك مبوابوا مروا من سهل يوجوجو Ugogo وعلى طول الطريق كان من الصعب الحصول على طعام ، ولقد قاسوا ايضاً من نقص المياة، وأخيراً وصلوا مدينة تابورة Tabora حيث استراحوا لعدة أيام ثم استأنفوا المسيرة مرة أخرى وبعد وصولهم إلى أوجيجى Ujiji كانوا قد قطعوا حوالى ٨٠٠ ميل فى ٩٠يوما(٣).

(1) Kigging, Tom: Op. Cit. p.51.

(2) Stock, Sarrah Geraldina : Missionary Heroes of Africa, London 1898, p.153.

(3) Stock, Sarrah Geraldina : Op. Cit, P. 155.

وبعد وصول كابتين هور إلى أوجيجى Ujiji كان قلقا على زوجته وولده، ثم بحث عن مكان جميل يمكن أن يتخذه كمقره الرئيسى حيث يمكن منه الوصول إلى الاجزاء المختلفة للبحيرة، وهذا المكان كان عبارة عن جزيرة صغيرة تسمى كافلا Kavala التى تواجه اوجيجيى Ujiji (١).

ان حركة التنصير هنا وهناك متشابة ولكنّها تختلف من حيث الحجم والانتشار وما نرى بلدة أو قرية من قرى تنجانيقا إلاّ وفيها مركز ضخم يحتوى على كنيسة ومدرسة ومستشفى حتّى إنّ عدد الكنائس فاق القدر المعقول ومما يثير الدهشة أن نرى قرية لا تحتوى على أكثر من عشرة بيوت نصرانية ومع هذا فيها كنيسة ومدرسة ومستشفى تابعة لها، ولذلك أشارت إحصائية لبعض الكنائس أن عدد الكنائس كان يبلغ ٣٦٠٠ كنيسة مع أن النصارى لا يتجاوزون عشرين فى المائة فى أغلب التقديرات من حجم السكان، وهذا الحجم لا يتناسب مع حجم عدد الكنائس وبخاصة إذا علمنا أن نسبة المسلمين هى خمسة وسبعون بالمائة تقريباً (٢).

وفى عام ١٨٧٩م وصلت بعثة الآباء البيض إلى بوغنده Buganda بقيادة لافيجرى Lavigrie أسقف Nancy ومؤسس بعثة الآباء البيض (٣).وقد باشرت إرسالية الأباء البيض مهمّتها فى جهات يونيورو ثم فى تورو وفى معظم بوغندا جنبا إلى جنب الإرساليات البروتستانتية (٤).

---

(1) Stock, Sarrah Geraldina : Op. Cit. PP. 157-158.

(٢) على الشيخ أحمد ابو بكر: الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الأفريقى دار أمين للنشرن الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ص٢٧٨.

(3)Kavulu, David : The Uganda Martyrs, Uganda 1969, p.13.

(4) Johston, H. : The Uganda Protectorate, Vol. I, London 1902, p.272.

وفي يونية ١٨٨٠م وصل بقية الأباء البيض إلى روباجا تحت قيادة الأب ليفنهاك Livinhac ولم يجد الاباء البيض ترحيبا كبيرا من أخوانهم مبشري جمعية الكنيسة التنصيرية الذين ساءهم أن يزاجمهم الكاثوليك في بلاد كانوا يحاولون أن يستأثروا هم وحدهم بنشر البروتستانتية فيها ، والواقع أنه بوصول الاباء البيض إلى بوغندا ، بدأ تزداد متاعب المبشرين الانجليز ، كما أن الخلافات الدينية التي سرعان ما نشبت بين الطرفين في بلاط الكاياكا ملك أوغنده ، أضعفت من مركز المبشرين البروتستنت وأستفزت طباعهم (١) ، وجعلت الأيام الأولى للمسيحية في بوغندا أياما صعبة (٢) .

ومهما يكن فانه كان يوجد في بوغندا أربع مجموعات مختلفة للتنصير لها وجهات نظر مختلفة ، وهذا بدون محالة ادى إلى نزاعات ، فقد كان يوجد المسلمين والكاثوليك ، والبروتستانت ، والوثنين والنزاع لم يقتصر على حقل الديانة وحده ولكنه شمل السياسة أيضا ، لذلك ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تم تأسيس مجموعات مختلفة في شرق أفريقية (٣) .

غير أن البعثات الجديدة التي شكلتها بعثات " الاباء البيض " لم تحدث انقساما ملحوظا في حقل العمل ، ولكن وجودها ساعد البعثات الأولى على توحيد وتقوية موقفهم في الجزء الغربي من المستعمرة وبعد ذلك انتشرت في اتجاه الشمال من مكان وجودهم لبسط نفوذهم بين قبائل الباجا مويو Bagamoyo والمورجور Morogoro حتى المنطقة المكتظة بالسكان في كليمانجارو ، وعند فرض الحماية على أوغندا عام ١٨٩٤م تم تقسيم مقاطعة

---

١ - أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية بلندن ، رسالة من ماكاي في ١٤ يوليو ١٨٧٩م وهي مصورة ميكروفيلم تحت رقم **Ca6 / 016**

2- Eliot , C, : The East Africa Protectorate , 190 , P. 28 .

3- Okeilo , H, Auot : Op. Cit ., P. 57 .

اسقفية نيانزا Nyanza Vicariate القديمة ، واقتصر الاسقف هيرث Hirth على محطته حتى حدود الشاطئ الألماني لبحيرة فيكتوريا في جنوب نياسا [1] ، وكانت تنجانيقا منذ عام ١٨٨٠م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى مستعمرة ألمانية ، حيث بدأ التسرب إليها على يد المغامر الألماني الدكتور كارل بيترز الذي استطاع أن يستحوذ على مساحة كبيرة ، وذلك ببذل سلع تافهة للزينة اعطاها لزعماء القبائل .

ولم يستكن أهل تنجانيقا للغزو الألماني منذ البداية ، بل قاموا بثورات هائلة وكان أعظم تلك الثورات ما قام به الزعيم كواوا الذي أضطر في النهاية إلى الانتحار خوفا من ذل الهزيمة بعد التسليم ، وحدثت فيما بين عامي ١٩٠٣م و ١٩٠٥م ثورة ' الماجي ماجي ' Maji Maji التي قامت بها قبيلة "أنجوني" [2] بسبب قسوة النظام والسخرة والعمل بالقوة حيث في عام ١٩٠٣م كانت تدفع الضرائب على الذرة والماعز ولكن بشكل نقدي ، وكان من الصعب الحصول على الأموال ، وكان على الرجل أن يمشي مسافة ضخمة للعمل في المزارع الألمانية في مورجور Morogoro وارينجا Iringa ومبوابا Mpwapwa وذلك للحصول على الثلاثة روبيات لدفع الضرائب ، كذلك بأمر الألمان كان الرؤساء مضطرين لدفع الرجال للعمل في الطرق والمزارع والسكك الحديدية وهذا العمل يتطلب منهم البعد عن مواطنهم لمدة طويلة قد تصل بضعة أشهر وكان العمل في ضيق شديد لأن الاجور المدفوعة لكل رجل تقل عن ثلاث روبيات التي يدفعها للضرائب ، وكان عصيان الضابط

1- Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , PP. 164 - 165 .

٢ – عبد الغني عبدا لله خلف ا لله : مستقبل أفريقية السياسي ، تاريخ شعوب القارة الحديث وأوجه التطور المحتملة فيه ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الثانية ١٩٦١م ، ص٢٠٨ .

الألماني يعني الضرب بالسوط ، حتى الرؤساء كان يتم ضربهم بالسوط أمام الناس عند فشلهم في تنفيذ تعليمات أوامر الضابط الألماني (١) .

لذلك فإن العديد من الرؤساء الكبار ورجال الطب من الرجال والنساء استشعروا الخطر من تفكك كل القواعد للحياة الأفريقية وبالطبع فهم كانوا في حالة غضب وترقب فهم يعلمون أنه إذا ما بدأ الألمان في الاقامة وأسسوا مركزهم الرئيسي في وسطهم ، فإن التهديد للحرية الافريقية والثقافة سيصبح عظيما جداً (٢) .

وكان رجال ونساء الطب طبقا للعادات الأفريقية أقوياء حيث كانوا في مركز محترم لدى الرؤساء ورعاياهم ويتم استشارتهم من الجميع فيما يتعلق بأمور العلاج وقد رسم رجال الطب في كوليلو Kolelo خطة على أمل أن تزحزح الألمان ليس فقط من منطقتهم ولكن من كل تنجانيقا والدواء الغامض يتم صنعه من الذرة وماء وقد قيل أنه يعطى حصانة من جرح الرصاصة ، ورغم أنه من المحتمل أنهم كانوا يعلمون بأن مثل هذا الاختراع ليس لديه القوة التي يدعونها بالنسبة له ، فان رجال الطب شعروا بأنه إذا الإغلبية من الأهالي نهضوا مسلحين ضد الألمان ، فانهم سيتفوقون على الأجانب في العدد، وحتى إذا ما جرح عدد كبير من الأفارقة ، فانهم يبقوا قوة متفرقة في الحرب ، وهم ربما ينجحوا لو أرهقوا الألمان في الحصول على بعض الامدادات من الرصاص حتى يصبح ليس لديهم رصاص لاطلاقه ، وفي الحال استطاع رجال الطب اقناع أتباعهم بقوة الدواء وقدرته على مساعدتهم في طرد الألمان من تنجانيقا والخطوة التالية كانت اقناع الرؤساء الذين

---

[1] - Sse Kamwa , J. C. : Op. Cit ., P. 160 .

[2]- Ibid ., P. 161 .

سيتولون قيادة الناس ، وكانت الفكرة تستهوي بعض الرؤساء وذلك بعد مصادرة أراضيهم من الألمان لذلك وافق الرؤساء على التمرد ورحبوا بفكرة توجيه ضربة ضد الألمان حتى يستردوا مكانتهم (١) .

ورغم أن ثورة ماجي ماجي Maji Maji طردت الألمان من مساحة ضخمة من جنوب ووسط تنجانيقا ، فإن المحطة الحربية الرئيسية لم يتم الاستيلاء عليها ، وعندما هاجم المحاربون من قبائل Matumbi المحطات الحربية الهامة للألمان ، فان ثوار ماجي Maji فشلوا في مواجهة المدافع الألمانية (٢) .

وتسبب ثورة ماجي Maji في مصرع حوالي ٧٥٠٠٠ أفريقي ، وكان الأثر الاقتصادي سيئا للغاية نظرا لأن الحرب حطمت حياة الكثير من الناس وهرب أهالي القرى ، ولذلك فان المحاصيل قد درمت وبذلك أصبح يوجد نقص ضخم في الغذاء ، وكان رد الفعل أنه في عام ١٩٠٨ إنعدام أي مقاومة للألمان في تنجانيقا ، وأصبح الأفارقة الذين كانوا يعملون عند الألمان ، أصحاب نفوذ قوي حيث حصلو على خدم ، والألمان بدورهم تعلموا من الدرس وحسنوا وسائلهم في إدارة المستعمرة والتي سابقا ضايقت الأفارقة (٣) .

وانتشر الإسلام منذ ذلك الحين بين الأهالي في المناطق الداخلية ويعود ذلك إلى أن غالبية المدرسين كانوا من المسلمين وكذلك التجار فأنتشر الإسلام في مراكز كثيرة في تنجانيقا بل وفي كنيا وأوغندا ، وقد حدث هذا

1- Ibid .

2- Anderson , William : The Church in East Africa , 1840 - 1974 , Centeral Tanganyika Press " CTP " 1977. P. 59 .

3- Sse Kamwa , J, C. : Op. Cit ., P. 164 .

في الوقت الذي نشطت فيه بعثات التبشير الكاثولكيــة فـي نشـر المسـيحية بيـن الزنوج [١] .

وفي أواخر العشرينات ١٩٢٠م بدأت بعثة الاباء البيض مـن تنجانيقـا العمل في منطقة أوروندي Urundi وأيضا مدوا حدودهم الجنوبية إلى مـا بعـد بحيرة روكـوا Rukwa إلـى شـمال حـدود روديسـيا ، وفـي عـام ١٩٢٦ دخـل القسـيس سـينود Synod الحقـل البكـر إلـى الشـمال مـن مركـز تنجانيقـا للسـكة الحديدية وبدأ العمل بين قبائل ايرامبا Iramba وتورو Turu .

وفي عام ١٩٣٠م ملأت بعثة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الفجوة بين مجال نفوذ بعثة الآباء البيض ، وبعثة جمعية روح القدس حيث استولت علـى فيكتوريـــا ، وهـذه الحقـول الجديـدة اسـتوعبت معظـم الزيـادة فــي البعثــات الفرديـــة [٢] .

وفي عام ١٩٣١م تم تكوين المجمع الكنسي المركزي في تنجانيقا مـن المجمع الكنسي في " ممباسا " وفي عام ١٩٣٣م ركز اساقفة الاباء البيض في أنحاء تنجانيقا حيث تم انشاء مدرسة تدريب للتنصير وذلك لـلأولاد والبنـات ، وكذلك مستشفى جديدة تم انشاؤها في كليماتندا Kilimatinde ولمواجهة الحاجة إلى محاضرين في التبشير للمسيحية وأعمال التعليم تـم انشـاء مركـز تنجانيقـا للطبع [٣] .

---

١ – عبـد الرحمن زكـي : الإسـلام والمسـلمون في شـرق أفريقيـة ، مطبعـة يوسـف بالقـاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٩١.

2- **Oliver , R: The Missionary Factor in East Arica , P. 238 .**

3- **Erik Sahlberg , Carl , : A Church History of Tanzania , Kenya 1986 , P. 129**

وفي نهاية الثلاثينات أصبحت تتجانيقا من أراضي الانتداب يقوم على ادارتها البريطانيون باسم عصبة الأمم القديمة ، وفكرت الحكومة البريطانية جديا عام ١٩٣٨م في اعادة البلاد إلى الالمان بقصد شراء رضاء أدولف هتلر الدكتاتور الالماني ، ولكن الدكتاتور كان يطمع في الامبراطورية البريطانية في أفريقية بأكملها فرفض الهبة ، وفي عام ١٩٣٩م حاول البريطانيون إيجاد مستقر ليهود ألمانيا الفارين من وجهة هتلر في نجانيقا[١] ، وكان أعضاء الكنيسة الانجليزية في مركز " تتجانيقا " حتى عام ١٩٤٤م حوالي ٢٠,٠٠٠ ثم نقص هذا العدد حتى أصبح ما يقارب النصف في عام ١٩٦٠م [٢] .

وحصلت تتجانيقا التي يبلغ عدد الأوروبين فيها ٢٨,٠٠٠ على الاستقلال بأسهل مما حصلت عليه كينيا التي يبلغ عدد الأوروبيين فيها ٥٨,٠٠٠ والحقيقة أن التاريخ قد قدم لنا معادلة وهي أنه كلما زاد عدد المستوطنين كان تقدم الأفريقيين نحو الاستقلال بطيئا ، ولذلك فلا عجب أن أدرك الشعب الأفريقي أنه إذا كان عليه أن يقطع شوطا على طريق التقدم فلا بد أن يضع حدا للسيطرة الأوروبية [٣] ، وهذا هو ما تحقق في النهاية .

---

١ – عبد الغني عبد الله خلف الله : مرجع سابق ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

2- **Erik Sahlberg , Carl : Op. Cit ., 129 .**

٣ – جاك ووديس : أفريقية على طريق المستقبل ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣م ، ص١٨ .

الفصل الثاني

مبادرة الإرساليات للتلخص من النفوذ العربي الإسلامي في شرق أفريقيا

أ- الوقوف ضد التجار والسواحليين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي في أوساط الأفارقة .

ب- محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية .

(أ) **الوقوف ضد التجار العرب والسواحليين وعرقلة نشاطهم التجاري والإسلامي في أوساط الأفارقة**

يلتقى الإسلام التقاء مؤاخيا وممازجا للفطرة الإنسانية المودعة في كل انسان ، وأن هذه الفطرة إذا التقت بالإسلام التقت به التقاء عضويا لا سبيل إلى انفصالها عنه ما دام في الإنسان نفس يتردد في صدره .

ذلك هو السر الذي تحطمت على صخرته كل قوة غاشمة وكل دعاية مضللة إلى العقول دون أن يكون من بين يديه أو من خلفه جيوش زاحفة أو حملات تبشير غازية ، وإنما كان الإسلام بذاته هو الذي يفتح أوطانا بأسرها على أيدي بعض التجار الذين لم يكن قصدهم الدعوة إلى الدين وإنما كانت تأتي هذه الدعوة عرضا في حديث عابر ، فإذا هي تسري بين الناس سريان الحياة في الأحياء [١] .

وكان التجار المسلمون يوطدون صلاتهم بكل الناس وكان الأمراء والحكام يرحبون بهم ترحيبا عظيما ، وكانوا يساعدون التجار على تصريف ما معهم وشراء ما يحتاجونه منهم وكانت الصداقات تتقلب إلى دعوة للإسلام وكثيرا ما كانت تنجح فيعتنق الأمير الإسلام وتتبعه حاشيته ثم تتأسي به الرعية [٢] .

ولقد كان التجار المسلمون عدة الدعوة الإسلامية ، اذ لعبوا الدور الأول في نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يخالطون الناس

---

١ – عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد رقم ٤٠٣٣ بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨هـ .

٢ – توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم وآخرين ، طبعة ثالثة ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٣٨٥ – ٣٨٦ .

وينشرون الإسلام بينهم ويتزوجون منهم ، وكان الأفريقيون يرحبون بهذا التصاهر لتفوق المسلمين [1] .

وكان التجار العرب يتعاملون مع القبائل الأفريقية التي كان رؤساؤها يتجهون إلى الساحل بقصد التعامل معهم ومع غيرهم من العناصر الأخرى التي كانت تفد على الساحل الشرقي لأفريقية ولكن بمضي الزمن بدأ تجار العرب يتوغلون في الداخل حيث كثرت الجاليات العربية في كثير من المقاطعات الأفريقية [2] .

وبينما أزدهرت التجارة في شرق أفريقية وأخذت أشكالا جديدة ، بدأ الإسلام ينتشر ، وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت مناطق شرق أفريقية جزءا من العالم الإسلامي .

ولقد زار الرحالة العربي ابن بطوطة المحيط الهندي والساحل الشرقي لأفريقية ولاحظ أن المواطنين كرماء ويتبعون المذهب السني ويتبعوا الشريعة الإسلامية وقرر العديد من التجار الاقامة في المدن الساحلية بصفة دائمة وتزوجوا من النساء الوطنيين .

والإسلام لم يكن عقيدة فقط ولكن أيضاً حضارة ، وكان أيضا عاملا حيويا في تكوين المجتمع السواحلي (السواحلي نسبة إلى السواحل وهي جمع ساحل) والسواحلية لغة جديدة ظهرت بعد اختلاط العرب بالأهالي لأن الناس

---

[1] – توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام – مرجع سابق ص ٣٨٥ – ٣٨٦ .

[2] – جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٢ .

المحليين كانوا يتحدثون فقد لغات قبائلهم في حين كان المقيمون على الساحل يتحدثون اللغة العربية (١) .

ولم يفرض الإسلام على الشعوب الوثنية فرضا ، إنما حمله قوم من أهل أفريقية نفسها ، وكان بعضهم تجارا أو معلمين ، فلم يكن غريبا ان يلقى قبولا منهم فهو في نظرهم دين فريد لم يتعرض لنظمهم المحلية ، إنما أكسبها شكلا جديدا بحيث تنسجم مع التعاليم الإسلامية ، ويضاف إلى هذا أن الإسلام عقيدة سمحة ملائمة لطبيعة الأفريقي وبيئته (٢) ، وهو بهذا يرفع من شأن الفرد والجماعة ، ويحاول الفرد إلى قوة ذاتية ، والجماعة إلى حركة ودأب ونشاط وعمل وعلم وثقافة (٣) .

ويوجد في شرق أفريقية ستة طرق تجارية هامة ، فأول طريق منها يبدأ من باجامويو Bagamoyo على الساحل إلى تابورة Tabora أوجيجي في الداخل ، والطريق الثاني كان يمتد بين تابوره Tabora إلى كاراجوي Karagwe ويمتد حتى بوغنده Buganda بينما غطى الطريق الرابع المسافة بين كيلو Kilwa وبحيرة ملاوي Malawi مارا بالعديد من الأماكن أما الطريق الخامس فيبدا من تانجا Tanga حول جبل كليمنجارو إلى بحيرة فيكتوريا ، والطريق الآخر كان يصل ما بين ممباسا أرض قبائل المساى Masai على طول الطريق بوينورو Bunyoro (٤) .

1- **Wakhunqu , Josephkaki : An Attempt At Fostering Mutual Under Standing Between Christons and Muslims , Kenya 1980 , P. 54 .**

٢ – عبد الله نجيب محمد : ظاهرة التوفيق التدريجي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأفريقية المحلية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الخامس ، السنة ٤٣ ، جماد الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٧٩ .

٣ – نفس المرجع .

4- **Okeilo , H, Ayot : Op. Cit. , P. 44 .**

وكان العرب الوافدون من شبه الجزيرة العربية قد استقروا مـن زمـن طويل على الساحل الشرقي لأفريقية وكونوا مارات عربية وكان لعرب عمـان بالذات نشاطهم الملحوظ في هذا المجال (١) .

وأستمرت سيطرة العمانيين على ساحل شرق أفريقيـة سيطرة أسـمية إلى ما يزيد عن مائة عام ، ولما مات الإمام (سلطان بن سيف عـام ١٧٤١م نشبت حرب أهلية في عمان انتهت بالقضاء علـى حكم اليعاربـة ونشـأة دولـة البو سعيد ، وقد نشأ عن ذلك ان اسـتقلت " أسـرة المزروعـي " بحكم ممباسـا بحجـة ولانهـم للعمـانيين اليعاربـة ، وأسـتمرت زنجبـار وكيلـوا تحـت حكـم البوسعيديين .

ورغم ضعف السيادة العمانية على شرق أفريقية قبل عهد السيد سـعيد بن سلطان فقد حرص سلاطين البو سعيد على انعاش العلاقات التجاريـة بيـن عمان وشرق أفريقية ، وعندما تولـى الحكـم ' سلطان بـن أحمـد ' أتجـه إلـى تثبيـت السـيطرة العمانيـة الفعليـة علـى مـدن السـاحل وجـزره ، حيـث نمـت العلاقات بين مسقط والساحل الافريقي إلى حد كبير ، وعندما تولى سـعيد بـن سلطان " ١٨٠٦م – ١٨٥٦م " شهد المحيط لاهنيد قيـام دولـة عربيـة أفريقيـة موحدة أمتدت من عمـان إلـى شـرق أفريقيـة فـي زنجبـار ، وفـي تلـك الفـترة ازدهرت التجارة وكثرت الهجرة من عمان إلى الساحل الأفريقي بحيـث تمثـل دورا جديدا وهاما في حاية سكان الساحل (٢) .

وعندما كان السيد سعيد في عمان عقد العديد من الاتفاقيـات التجاريـة مـع الحكـام الوطنييـن ففـي عـام ١٨٣٣م وقـع اتفاقيـــة مـــع قبـــائل نيـــامويزي

---

١ – شوقي عطا ا لله الجمل : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، ص ١٥٠ .

٢ – عبد ا لله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، معهد البحوث والدراسات الأفريقيـة ، جامعـة القاهرة ، ص٨١ .

Nyamwezi في وسط تنزانيا وبعد سنتين ارسل السلطان سـعيد تجـاراً للداخـل في شرق افريقية والتي كانت تحت حكمه للاتجار مع الأهالي ، وكـان الهـدف الأساسي لهذه القافلة هو ضمان وصول امدادات منتظمة من العاج ، ولقد وقع السيد سعيد اتفاقية مع رئيس مقاطعة نيامويزي Nyamwezi ويدعى فوند يكيرا Fundikira وبموجب هذه الاتفاقية سمح للسـطان سيد سـعيد أن يتوغـل داخـل أراضي نياموزيزي Nyamwezi بدون اعتراض (١) .

وبعد موت الرئيس فوند يكيرا Fundikira خلفه الرئيس سيلي SEle وكان صديقا حميما للعرب ، وطبقـا لهـذه الصداقـة أصبحـت قبـائل نيـامويزي Nyamwezi قادرة على أن تقدم وسائل الراحة في الطريق للعرب (٢) .

وأمتدت أملاك السلطان " سيد سعيد علي طول ساحل شرق أفريقيـة ، وأصبحت المنطقة مركـزا لتجـارة واسـعة ، حيـث أقـامت مجموعـة مـن عـدة مئات من التجار الهنود ويسمون البانيـان Banians ، ومـن كوجـرات Gyjerat في غرب الهند هناك ، وأيضا كان لسهولة الملاحة في البحر العربي والمدعـم بالرياح الموسمية الثابتة في الخريـف أثـر كبير فـي ازدهـار التجـارة ، وكـان على البحـارة أن يفيدوا مـن هبـوب الريـاح الموسـمية الشـمالية الشـرقية لكـي يسيروا أسرع من أي مركب بخاري من الهند إلـى ساحل أفريقيـة الشـرقي ، وكان أيضا عليهم أن ينتظروا حتـى قدوم فضل الصيـف ليفيدوا مـن هبـوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تعود بهم إلى شواطئ الهند (٣) .

---

[1]- Okeilo , H, Ayot : Op. Cit., PP. 39 - 40 .

[2]- Ibid ., P. 42 .

[3]- Stock , E : The History of the Church Missionary Society , London 1899 , P. 460.

لا شك أن تزايد التبادل التجاري على الساحل قد شجع التجارة الداخلية فكثر عدد القوافل التي تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصمغ والواقع أن العرب كانوا يعرفون داخل افريقية منذ أزمنة بعيدة ولكن في عهد السيد سعيد وخاصة منذ عام ١٨٤٤ نظمت الرحلات الدورية للقوافل ووصل نشاطها إلى البحيرات ، ولقد شاهد الرحالة ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات أفريقية مثل بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، ومن أهم الطرق التي أتبعها العرب لمسير القوافل الطريق الذي يبدأ عند باجاموبو Bagamouo في مواجهة جزيرة زنجبار ويتجه جنوبا ثم ينحني في اتجاه شمال شرقي لتجنب المرتفعات ، وتقع عليه أكبر المراكز العربية على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنجانيقا [١] .

وقد نجح العرب نجاحا كبيرا في تنظيماتهم الاقتصادية ، خاصة فيما يتعلق بايجاد منتظمة من القوافل التجارية التي تصل بين الساحل والداخل ، كما أنهم أسسوا على طول طرق القوافل مراكز تجارية نمت وأزدهرت وغدت من الوسائل الهامة التي أعتمد عليها العرب في نشر نفوذهم في الكونغو وشرق أفريقية ، ففي عام ١٨٤٥م أسس التجار العرب مركزا تجاريا هاما في تابوره ، وأيضا نجح التجار العرب في تأسيس مركز تجاري هام في أوجيجي Ujiji ، ثم عبروا بحيرة تنجانيقا وبدأوا يسيطرون على منطقة البحيرات الاستوائية سيطرة اقتصادية معتمدين على القبائل الافريقية في نقل العاج إلى الساحل [٢] ، واستطاع السلطان سعيد أن يحقق لنفسه السيادة على طول الساحل الشرقي لأفريقية وذلك من خليج عدن شمالا حتى موزمبيق

---

[١] – جاد محمد طه : دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م ، ص ٩٩ .

[٢] – جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية ، ص ٢٣٣ .

جنوبا فضلا عن المناطق الواقعة بين الساحل وبحيرتي فيكتوريا وتنجانيقا في الداخل ، وكان يدير كل هذه الممتلكات من جزيرة زنجبار التي تقع على خط عرض ٧ درجات جنوبا بالقرب من الساحل ولا يفصلها عنه إلا بضعة كيلو مترات [١] ، وتعتبر زنجبار بلدا إسلاميا عريقا ذات تاريخ مجيد ، وهي من الناحية الجغرافية مفصولة تماما عن الأراضي الرئيسية لتنجانيقا بقناة عرضها الأدنى أثنان وعشرون ميلا ونصف وهي من ناحية أخرى الجزيرة الوحيدة الكبرى على الشاطئ الأفريقي الشرقي وتغطي مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا وتلحق بها جزر واقعة ضمن مياهها الاقليمية وكبراها جزيرة " لاثام " الواقعة على مسافة ٤٠ ميل إلى الجنوب الشرقي من الجزيرة الأم " زنجبار " [٢] .

وتعتبر زنجبار بمثابة الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن الكبيرة في تلك المنطقة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مركز تجاري هام إذ كانت تنتهي إليها جميع القوافل القادمة من داخل القارة ، وكانت أيضا أكبر سوق تجاري للرقيق في أفريقية وكانت التجارة رائجة موفورة [٣] .

ولقد أصبحت التجارة واحدة من أهم الوظائف الأساسية للناس في شرق أفريقية في القرن التاسع عشر حيث يتم نقلها من الساحل إلى الداخل في منطقة البحيرات رغم عدم وجود خط تجاري بين ممباسا وتلك المناطق .

ومن الذين ساهموا في التجارة بعد العرب أهالي كامبا وباجندا وأهالي كيكويو وأهالي شاجا ، وقبائل مختلفة أصبحت متخصصة في انتاج أنواع

---

١ – محمد سيد محمد : سلطنة زنجبار الإسلامية بين الانجليز والألمان ، في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني – جمادي الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٧٣ .

٢ – السيد محمد أحمد مشهور : حقيقة الأوضاع في زنجبار قبل وبعد مقتل الطاغية كرومي ، جريد أخبار العالم الإسلامي العدد ٢٧٥ ، الصفحة السابعة في ١٣٩٢/٣/٢٨هـ .

٣ – محمد سيد محمد : مرجع سابق ، ص ٧٣ .

مختلفة فمثلا قبائل زنزا Zinza في شمال تنزانيا كانوا متخصصين في انتاج محراث الأرض الحديدي ، وأدوات واسلحة الحرب ، بينما قبائل لو Luo نالت شهرة في صناعة الأدوات الفخارية ، ولم تتعامل قبائل زنزا فقط في حراث الأرض ولكنها تاجرت أيضا في الملح ، وهذه الأدوات – كانت مهمة لأنه كان يمكن استخدامها بدلا من النقود ، ومن جهة أخرى ، فإن قبائل كيكويو Kikuyu بادلوا الطعام مقابل البقر مع قبائل المساى Masai بينما قبائل البكومو Pokmo حصلوا على العاج من قبائل الجالا Galla مقابل الطعام ، ونتيجة هذه النشاطات التجارية فقد تم انشاء الأسواق في كل مكان (١) .

وكانت فترة الأربعينات من القرن الماضي فترة سلام ورخاء ، وازدهار التجارة ، ولقد ساهم العرب مع هنود البانيان Banyans في التطور الاقتصادي فهم الذين نظموا التجارة ، وهذا بدوره اعطى زنجبار نوعا من الاستقرار وهيأ لها نظاما اداريا ناجحا وقد وقعت زنجبار معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٨٤٤ ، وبعد ذلك مع ألمانيا ، وأهم صادرات ' زنجبار ' كانت العاج ومحارات الودع والثوب وجوز الهند ، وكان يوجد في زنجبار اتصالات تجارية مع أجزاء أخرى من العالم وبالذات بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا .

وبسبب جهود سيد سعيد أستمرت تجارة زنجبار في نمو وازدهار حيث توجهت قوافل كثيرة للداخل في أجزاء شرق أفريقية (٢) .

ومع تقدم وتطور السكك الحديدية في الأزمنة الحديثة ، فإن العديد من التجار المسلمين تحركوا إلى الداخل لتأسيس مراكز تجارية في أماكن على

1- Okeilo, H, Ayot : Topics in East African , History 1000 - 1970 , Kenyatta University 1975 , P. 41 .

2- Okeilo , H, Ahyot : Op. Cit . P. 40 .

طول خط السكك الحديدية من " ممباسا " إلى كيسومو وذهب معهم مدرس القرآن الكريم لتدريس الشريعة ، وبعض هؤلاء المسلمين الذين كانوا اما تجارا أو عمالا كانوا هم أيضا أما مدرسين أو شيوخا حملة القرآن الكريم منهم : الشيخ بكراني Bakarani وسالم باجردة من تنجانيقا حيث ذهبوا إلى شرق الكنغو ، وأيضا من التجار الشيوخ ماليمو متوندو Maalimu Mtondoo من تنجانيقا حيث قام بتعليم الناس أركان الإسلام ولقد بنى قرية صغيرة تسمى الآن بوموانى Pumwani ، وأيضا شيد مسجدا صغيرا يعظ فيه الناس حيث استطاع تحويل العديد من أهالي واكومبا Wakomba وكيكويو Kikuyu إلى الإسلام .

وكما أن الأخوين التاجرين عبيد مبارك دوماني ومحمد مبارك دوماني رحلا إلى أرض كيكويو حيث شيدا جامعة في قلعة التل وعلموا الناس أمور دينهم ، ولقد أصبح من العادة أن ترى جوامع ومدارس في تلك المناطق البعيدة جدا على الساحل [١] ، لذلك حاول الأوروبيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربي الإسلامي في مناطق شرق أفريقية ، فحاربوا الإسلام وأدعوا عليه ادعاءات شتى وأفتروا على أهله ، ورموهم بكل نقيصة [٢] ، وقد استهدف الاستعمار الغربي في المقام الأول من ذلك ، قطع الطريق البحري المار بالبلاد الإسلامية ، وحرمان المسلمين من أهم مصادر الثروة

---

[1]- **Islamic Religious Education , Kenya Institute of Education , Nairobi 1988 , P. 98.**

[٢] – عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، مجلة الأزهر ، السنة الثامنة والخمسون ، الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٥٣٦ .

التي ظلوا يملكونها ويتحكمون فيها عبر العصور ، فعمد الاستعمار إلى الاستيلاء على الجزر والمواقع الحاكمة في مناطق شرق أفريقية [١] .

وقد حاولت أوروبا منذ وضعت أقدامها في منطقة شرق أفريقية على ازاحة العناصر العربية ومحاربتها لأنها اعتبرتها عائقا أو حائلا دون الانفراد بشرق أفريقية ، خاصة بعدما وجدت أن هذه العناصر أقامت تجارة وحركة ورواجا في الأقاليم التي وصلت إليها ، وبعد أن أنفردت أوروبا بالقارة كانت الإدارة الاستعمارية توحي دائما للأفريقيين بأن العرب هم النخاسة الذين ساقوا أجدادهم بالسياط [٢] ، وأن الإسلام يبارك الرق ويدعو اليه ، وصدق الأفريقيون من البسطاء والسذج في وسط القارة وشرقها هذه الدعاية دون أن يدركوا أن التجار الأوروبيين هم الذين جلبوا العبيد من غرب افريقية بواسطة أوروبيين تخصصوا في جلبهم ، ولم يفكر أحد من الغربيين طبعا أن يقول لهم هذه الحقيقة ، أو يصف لهم الطرق البشعة التي كانوا يستخدمونها في جلب العبيد وحملهم وشحنهم ، كما أن العرب لم يشتركوا من قريب أو بعيد في الغارات وحملهم وشحنهم ، كما أن العرب لم يتشركوا من قريب أو بعيد في الاغارات التي كانت تقع في الغابات لاقتناص العبيد ، وإنما اقتصر دورهم على شرائهم من بائعيهم من الأوروبيين أو الوطنيين ، ثم حملهم في سفنهم كما أن المسلمين كانوا يعاملونهم بما امرهم به الإسلام فكان منهم الفقهاء والعلماء والحكام كما يشهد بذلك التاريخ الإسلامي القريب والبعيد [٣] ، والاسترقاق كان أمرا شائعا في جميع أمم العالم منذ القدم عند قدماء المصريين وعند الفرس وبلاد الهند والصين واليونان حتى عند فلاسفتهم مثل

١ – عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في الريقية ، ص ١٥٣٦ .

٢ – محمود خيري عيسى : العلاقات العربية الأفريقية ، دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨م ، ص٢٦٢ .

٣ – عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، ص ١٥٣٩ .

أرسطو كان العبد ما هو إلا آلة ذات روح فقط ولما جاءت اليهودية والنصرانية أيدت مسألة الاسترقاق بل أغلظت فجعل للأرقاء حقا وللسادة حقا وحرم الاساءة والتعذيب بلا سبب وحصر الاسترقاق في دائرة محصورة ، أما العصور الحديثة فأكثر دول العالم كانت تتجر في الرقيق ، وليس تعمير أوروبا وأمريكا الا كان في البداية على أيدي الأرقاء المأخوذين من سواحل أفريقية الشرقية والغربية فكان يأخذ منها كل عام مئات الآلاف من العبيد إلى أوروبا وأمريكا لتعميرها (١) .

ولا ينبغي أن نتفق مع ما ورد ذكره في بعض المصادر التي تقول أن مدن شرق أفريقية الإسلامية قام اقتصادها على أساس تجارة الرقيق ، وإنما كان لتلك المدن نشاط اقتصادي آخر لم يقتصر فقط على هذه التجارة ، ويمكن أن نؤكد بأن من العوامل التي ساعدت على ازدهار العلاقات الاقتصادية أن العرب كانوا سادة المحيط الهندي إلى أن جاء البرتغاليون في أوائل القرن السادس عشر (٢) ، ومن المعروف أن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أوروبا والشرق كانت تعتمد على وساطة العرب التجارية الذين كانوا يحملون بضائع الهند والشرق الأقصى إلى الخليج العربي والبحر الأحمر ومنها إلى البحر المتوسط (٣) .

---

١ – حسن أحمد بدوي : تاريخ شرق أفريقية ، ص١٠ ، وقد وضع المؤلف مذكرة صغيرة عن تاريخ شرق أفريقية لمدرسته التي أسسها وسماها مدرسة النجاح الإسلامية في جزيرة لامو على الساحل الشرقي لأفريقية وفي اثناء رحلتي العلمية تم اجراء مقابلة معه حيث اخبرني عن تاريخ الجزيرة " لامو " وعن المدرسة التي مضى عليها أكثر من خمسين عاما .

٢ – لضلو حوراني : العرب والملاحة البحرية في المحيط الهندي ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص٤٢٩ .

3- **Coupland : East Africa and Its Invoders , PP. 18 - 20 .**

أما تجارة الرقيق فالواقع أنها لم تصل إلى درجة كبيرة من الانتعاش الا منذ القرن السادس عشر الميلادي أي في نفس الوقت الذي شهدت فيه أفريقية طلائع الاستعمار الأوروبي ، وفي اعتقادي أن الدول الأوروبية هي التي شجعت على استفحال تلك التجارة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وحقيقة لا أنكرها وهي أن تجارة الرقيق كانت معروفة لدى العرب من أقدم العصور ولكنها كانت تسير في نطاق ضيق ، ثم أخذت هذه التجارة تزداد عندما عرفت أوروبا القارة الأفريقية وبدأت عمليات الاستيلاء على الرقيق من ساحل غرب أفريقية ، وفيما يبدو أن مناطق غرب أفريقية لم تشف غائلة الأوروبيين على الرغم من أنها صدرت خلال القرون الثلاثة من السادس عشر حتى الثامن عشر ما يقرب من مائة مليون أفريقي تظهر المراكز والمحطات التجارية في شرق أفريقية خاصة على سواحل موزمبيق لاقتناص رقيق شرق أفريقية أيضا (١) .

وإذا أتفقنا على أن العرب عملوا في تجارة الرقيق فيصبح الجدل عندئذ في كيفية معاملة الرقيق وفي مسئولية نزح الأعداد الضخمة من القارة واستنزافها ، وفي هذا التساؤل يذكر لنا دافيد سن حيث يقول : " أن العرب تركوا أثرا حقيقيا على وجه تكلم الأرض (يقصد بأرض شرق أفريقية) حيث أزالوا فدادين من الغاب وزرعوا عليها محاصيل متنوعة ، ولم تكن تجارة العرب للرقيق ، بأبشع من تجارة الأوروبيين ، ولعل من محامد العرب في هذا السبيل هي أن العلاقة بينهم وبين رقيقهم كانت انسانية إلى حد بعيد ، فكان حال الرقيق في ممباسا تدل على ما لا سيادهم العرب هناك من انسانية،

---

1 - Coupland, R, : The British Anti-Slaver Movement , London 1938 , P.77.

يعجز الواحد أحيانا أن يميزهم عن أسيادهم ، إذ يبيح هؤلاء لهم أن يقلدوهم في اللباس وفي غيره من شئون العيش (١) .

لذلك نستطيع أن نقول إلى أن تجارة العرب في الرقيق لم تضر الرقيق مثلما أضرته تجارة الرقيق الأوروبية ، فقد كانت تجارة العرب تقوم على جهود فردية أم تجارة الأوروبيين فكانت تقوم على خطط محكمة لاستغال الثروة البشرية الافريقية ، وقامت من أجل ذلك شركات كبيرة ، كما تأسست الكثير من المراكز التجارية التي عقدت الاتفاقيات ووضعت الخطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الافريقية ، وقامت من أجل ذلك شركات كبيرة ، كما تأسست الكثير من المراكز التجارية التي عقدت الاتفاقيات ووضعت الخطط ودبرت الفتن وعرضت القبائل لأسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث .

والجدير بالذكر أن كوبلاند Coupland وغيره من الكتاب الأوروبيين حاولوا تحميل العرب وزر تجارة الرقيق في شرق أفريقية باعتبارهم الوسطاء الذين كانوا يمدون المراكز التجارية بالعدد اللازمة من الرقيق ، ولكن هذا التقدير بني على اسس غير سليم ، فلو طبقنا نفس تلك النظرية على مأساة الرقيق في غرب أفريقية ، وكما يعترف كوبلاند Coupland (٢) ، بأن هذه التجارة أفقدت القارة عشرات الملايين ، ومما لا شك فيه فان القبائل الأفريقية تتحمل جانبا من المسئولية عن تلك التجارة في سواحل غرب القارة لأنها كانت تقدم الأسرى من الأفريقيين للتاجر الأوروبي .

---

[1] - بازل دافيدسن : أفريقية تحت أضواء جديدة ص١٧ .

[2]- **Coupland, R: The British Anti-Slavery Movement , P. 77 .**

وقد كتب الباحث الأنجليزي دافيدسن عن تجارة الرقيق التي قام بها الأوربيون حيث قال : " لم تكن تجارة العرب للزنوج إلا نكبة خفيفة على أطراف القارة وفي داخلها ، ولكنها أتخذت معنى جديدا حين شرعت السفن الأوربية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل ، وأصبحت بين يدي الأوربيون تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود ، حيث قضى على ما يقرب من ثلث أهاليها [1] .

وإذا تركنا بازل دافيدسن إلى غيره من الباحثين مثل الأستاذ أن فيج Fage ، وأوليفر Oliver اللذين يعتبران من عمد الدراسات التاريخية لأفريقية في الجامعات البريطانية ، حيث يذكران فيما يختص بالعرب في كتابهما (موجز تاريخ أفريقية) ما يلي : " كان من نتائج الفتح العربي لافريقية ، وما تبع ذلك من انتشار الإسلام في القسم الشرقي من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة في صميم التاريخ أكثر من أي فترة أخرى وفي نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقاء شعوب قارات أفريقية وآسيا وأوربا تلتقي عندها آراء أبناء هذه القارات وأفكارهم ، ولم تخسر أفريقية نتيجة لهذا كله ، بل ما كسبته أفريقية من حضارة الإسلام في القسم الشرقي من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة في صميم التاريخ أكثر من أي فترة أخرى وفي نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقاء شعوب قارات أفريقية وآسيا وأروبا تلتقي عندها آراء أبنا ء هذه القارات وأفكارهم ، ولم تخسر أفريقية نتيجة لهذا كله ، بل ما كسبته أفريقية من حضارة الإسلام يفوق كثيرا ما كان يمكنها أن تكسبه من اتصالها بأوروبا ، والتي كانت تمر في تلك

---

[1] – بازل دافيدسن ، أفريقية تحت أضواء جديدة ، ص١٩٣ – ١٩٥ .

الفترات فيما يمكن تسميته بالعصور المظلمة التي لم يكن هناك ما يضـئ فيها الاشعاع الديانة المسيحية (١) .

وقد أثارت فظائع تجارة الرقيق في شـرق أفريقيـة اهتمـام مجموعـات متعددة من رجال المال والأعمال في جميع أنحاء بريطانيا ، وقد حـاولت هـذه المجموعـات الدفـاع عـن أحـوال الرقيـق ومـن ذلـك خطـاب تيـو دور بـورت Theodore Burtt إلى جماعة مكافحة الرق في جمعية الاصدقاء ، وقـد أعلـن في لندن عـن تشـكيل لجنـة مختـارة برئاسـة راسـل جورنـي Russel Gurney وكلفت اللجنة باستقصاء الحقائق عن تجارة الرقيق في شرق أفريقية ، وبحـث تفاصيل المعاهدات القائمة المنظمة لتجارة الرقيق ، وبحث كيفية القضاء علـى هذه التجارة كلية ، وقد استمعت اللجنة إلى نحو أربعة عشر شاهدا مـن بينهـم عدد من موظفي البحرية البريطانية ، وكتبت اللجنة تقريرها بعد ذلك وتضمـن عددا من التوصيات (٢) أهمها :

١- ضرورة القضاء نهائياً على تجارة الرقيق .
٢- دعوة السلطان برغش سلطان زنجبار إلى التوقيـع علـى معـاهدة جديـدة لتحقيق هذا الغرض .
٣- زيادة عدد الطـرادات البريطانيـة التـي تعمـل فـي ميـاه المحيـط الهنـدي بهدف احكام الرقابة على السفن العربية .

---

١ - رولاند أوليفر ، وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، يونيه ١٩٦٥م ، صفحات متفرقة .

2- **Stock , Missionary Heroes of Africa , London 1898 P. 125 .**

وتنفيذا لتوصيات اللجنة أرسلت الحكومة البريطانية بعثة خاصة برئاسة سيربارتل Bartle Frere [1] حاكم بومباي السابق لحث السلطان برغش على عقد معاهدة بريطانيا للقضاء على هذه التجارة ، لذلك أنذرت الحكومة البريطانية السلطان برغش في الخامس عشر من مايو عام ١٨٧٣م بأنه إذا لم يقبل التوقيع على المعاهدة المقترحة فان الاسطول البريطاني سوف يفرض الحصار على زنجبار وبقية موانئ ساحل شرق أفريقية ، ولم يجد برغش بدا من الامتثال لمشيئة بريطانيا واضطر للتوقيع على المعاهدة ، وكانت تقضي بما يلي :

١- يتعهد السلطان برغش باتخاذ الاجراءات الضرورية في جميع أملاكه من أجل منع تجارة الرقيق والغائها ، وحظر تصدير الرقيق من الساحل الشرقي لافريقية ابتداء من تاريخ عقد هذه المعاهدة .
٢- يتعهد السلطان باغلاق جميع أسواق الرقيق العامة في ممتلكاته .
٣- يتعهد السلطان بحماية كل العبيد المحررين ومعاقبة كل من يحاول اعادتهم إلى الرق .
٤- تتعهد الحكومة البريطانية بمنع رعاياها الهنود من اقتناء الرقيق أو الحصول على عبيد جدد ابتداء من هذا التاريخ .
٥- يتم التصديق على المعاهدة ويتم تبادل وثائقها في موعد أقصاه الخامس من يونيو عام ١٨٧٣م [٢] .

1- Lyne , Robert Nunez, : Zanzioar in Contemporary times ; Ashort History of Southern East in the Ninteenth Century , London 1905, PP. 73-75 .

2- Lyne , R, N. Op. Cit., P.83; Viole Also, Coupland, R, : Brithish Anti Slavery Movement , PP. 216-217 .

وفي ظرف أربع وعشرين ساعة من توقيع المعاهدة صدرت الأوامر باغلاق جميع أسواق الرقيق في زنجبار وأرسلت التعليمات إلى ضباط السلطان لتنفيذ شروط المعاهدة .

وهناك وثيقة في دار السجلات العامة P. R. O. في لندن تبين الحصول على توقيع من السلطان برغش بالغاء تجارة الرقيق ومما جاء فيها:

" بالاشارة إلى رسالة كيف Gave رقم ٢٤٤ في ١١ يوليو ١٨٧٣ بشأن الغاء الرقيق في زنجبار ومحمية شرق أفريقية ، تم توجيه سيراجري Sir Grey أن ينقل مسودة من الميثاق الذي سيتم اصداره في هذا الموضوع في زنجبار وبمبا ، وقد تم اخطار حاكم محمية شرق أفريقية لاخبارك عن التاريخ الذي سيبدأ فيه الالغاء الرسمي لرقيق في المحمية ، وبذلك تمكن الحصول على توقيع السلطان على الميثاق المرفق لكي يكون على استعداد للتمشي مع الميثاق البريطاني لشرق أفريقية [١] .

ولقد بذل فرير Frere أقصى ما يستطيع من جهد للفت نظر بريطانيا إلى الفرص التجارية في شرق أفريقية بعد الغاء تجارة الرقيق ، وقال وزير الخارجية أنها لفكرة جديدة ورحب بعرض فرير بامداد وزير التجارة والمالية بمذكرة عن النمو المحتمل للتجارة البريطانية في شرق أفريقية وقد أشارت المذكرة إلى أن هناك طلبا ثابتا على المصنوعات الاوروبية على طول الشاطئ الشرقي لافريقية وعلى المواد الخام الأفريقي في أوروبا ، وإذا زادت بعثة شرق أفريقية فليس هناك شك في أن تقريرها سيؤدي إلى ازدهار تجارة مباشرة مفيدة لكل من بريطانيا وأفريقية وقادرة على مد مساعدة أساسية لمنع

---

[1]- **F. O. 403/396 Further Correspondence Respecting East Africa .**

منافسة تجارة الرقيق (١) ، وقد عبر السفير البريطاني في واشنطن عن رغبته في مد التجارة الأمريكية إلى شرق أفريقية ، عندما كان يشرح الهدف من بعثة فرير لوزارة الخارجية الأمريكية .

وبذلك يظهر بوضوح أن الحكومة البريطانية لم تكن تفكر في ميزات اقتصادية فقد في شرق أفريقية ، بل دعت الدول الغربية الأخرى لمد تجارتها في شرق أفريقية (٢) .

ويتضح أيضا مدى ارتباط الحركات التنصيرية بالتجارة بسبب أن التبشير والتجارة يعدان امتداداً طبيعيا للمدنية الغربية فالتجارة الغربية كانت تقدم المعونات المالية التبشيرية كي تساعدها في الاستمرار في عملها التنصيري ، أو في حركتها الصليبية .

وكانت الجمعيات التنصيرية أول من لفتت الأنظار إلى أهمية منطقة شرق أفريقية من الناحية التجارية ، وكانت جمعية الكنيسة التنصيرية Church Missionary Society رائدة الجمعيات التنصيرية في تلك المنقطة ، فأرسلت Kraph وريبمان Bebmann وتبعهما منصرون آخرون أمثال تشارلز ماكنزي C. Mackenzi ووصلت بعد ذلك جمعيات تنصيرية أخرى .

وأستجاب بعض التجار لنداء ليفنجستون Livingstone وبدأ السيروليام ماكينون William Mackinnon رئيس شركة شرق افريقيا البريطانية الأمبراطورية في تسيير سفن شركة الملاحة التجارية البريطانية الهندية إلى زنجبار ، بالإضافة إلى تقرير انشاء طريقين من الساحل إلى بحيرة نياسا

[1]- Coupland , R. : The exploitotation of East Africa , 1856 - 1890 , New York , 1947 , P. 185 .

[2]- A. E. M. Anderson : The History of the Universities Mission to Central Africa , London 1909 , P. 245 .

وبحيرة فيكتوريا بعد اجتماعه برجال الأعمال في جلاسجو ، واكتتب تجار جلاسجو بمبلغ عشرة آلاف جنيها لتسيير أول باخرة في بحيرة نياسا [١] ، وترتب على ذلك ظهور ألمانيا وفرنسا وإيطاليا في المنطقة للحصول على نصيب فيها ، وتحول الامر إلى صراع دولي .

ويمكن القول بأن مجرد وجود بعثات تنصيرية من جنسيات مختلفة سواء كانت بروتستانت أو كاثوليك في مناطق مثل شرق أفريقية ، يمكن أن تصبح واحدة من العوامل الأساسية للنزاع طالما أن مشكلة الحدود أصبحت موضوع منافسة بين القوى الأوروبية المتنافسة ، ولتقدير مدى نفوذ العبثات لتقوية مثل هذه المنافسة يمكن وضع تعميم عام على البعثات لتحديد مدى نفوذها ، فإن هناك بعثات حاولت الاستعانة بمساعدة القوة المادية لحكومتها وذلك لزيادة نفوذهم على مواطني شرق أفريقية من أجل تحويلهم إلى المسيحية [٢] .

وحين أنتقلت مقاليد الأمور في الدول الكبرى الصناعية إلى طبقات التجار والرأسماليين أصبحت الأغراض التجارية والصناعية والمالية تتحكم في سياسات هذه الدول ، عندها سعت الرأسمالية الأوروبية إلى البحث عن مجالات أخرى لاستثمار رؤوس أموالها ، وكان المجال أمامها واسعا في القارة الأفريقية ، وترتب على هذا تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي ذاع صيتها في ميدان الاستعمار في أفريقية فقد اكتشفت هذه الشركات في أفريقية مستودعا كبيرا للمواد الخام فاندفعت لاستنزاف موارد القارة حتى كادت تنضب مواردها النباتية والحيوانية لاستنزاف موارد القارة حتى كادت تنضب

---

[1]- Oliver , R. and Mathew , G. : The History of East Africa , vol I, Oxford 1960, P. 355.

[2]- Oliver. R. : The Missionary Factor in East Africa , P. 161.

مواردها النباتية والحيوانية والمعدنية ، وكانت الشركات كثيرا ما تبدأ العمل في القارة ثم لا تلبث أن تترك المجال للحكومات ، لذا فإن القاعدة القديمة القائلة بأن التجارة تتبع الاستعمار The Trade Follows the Flag انقلبت فأصبحت الأقرب للواقع أن يقال The Flage Follows the Trade والأمثلة على ذلك كثيرة فالاستعمار البلجيكي للكنغو كانت بدايته الشركة التي أسسها ليوبولد Leopold ملك البلجيك برأسمال مليون فرنك ، كذلك فان الشركات الاستعمارية الألمانية كشركة كارل بيترز K. Peters التي بدأت نشاطها في شرق أفريقية عام ١٨٨٤م مهدت للاستعمار الألماني لتلك الجهات [١] .

وقد اهتمت الشركة الاستعمارية الألمانية بصفة أساسية بالتوسع في الداخل وتأسيس المحطات التجارية [٢] وأستطاعت في المدة من سنة ١٨٨٥م إلى سنة ١٨٨٧م تأسيس عشر محطات زراعية وتجارية ، وقد تبين للشركة في سنة ١٨٨٧م أن انشاء تلك المحطات عملية فاشلة مرتفعة التكاليف، وفي تلك المحطات حاولت الشركة التعامل في المنتجات الوطنية ، ولكنها لم تستطيع منافسة التجار [٣] ، وأدركت الشركة أن نجاحها يتطلب التحكم في إدارة الشريط الساحلي الملاصق لاراضيها حتى تتمكن من استغلال مصادرها ، وعلى أساس تلك النظرة بدأت ألمانيا نشاطها في المنطقة بارسال وكلائها إليها لعقد اتفاقات مع شيوخ وسلاطين بعض مناطق شرق أفريقية مما أفزع جون كيرك J. Kirk قنصل بريطانيا العام في زنجبار ، فأرسل برقية لوزارة الخارجية البريطانية يخبرها بنشاط الوكلاء الألمان وضعف سلطان زنجبار

١ – شوقي عطا الله الجمل : تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر ، ص ٣٦ .

2- **Oliver , R. : History of East Africa , P. 386.**

3- **Harlow , V., and Chilvern , E. M. : History of East Africa , London 1956 , P.128.**

السلطان برغش بن السلطان السيد سعيد وعدم مقدرته على وقوف ذلك النشاط ، بالاضافة إلى وجود جهود مستترة من الحكومة الألمانية لوضع السلطان تحت نفوذهم (١) .

وكانت الحكومة البريطانية لا ترغب في التصادم مع الحكومة الألمانية طالما أن الألمان لم يعتدوا على مصالحها التجارية ، بل أن حكومة صاحبة الجلالة تؤيد جون الألمان في مناطق غير محتلة بدول متحضرة (٢) وشرح مستر ليستر Mr. Lister أحد موظفي الخارجية البريطانية موقف بلاده السياسي من ذلك بقوله أن أية معارضة للوكلاء الألمان في شرق افريقية سيحول المسائل التجارية إلى مشاكل سياسية ، ومن المحتمل أن يجد الوكلاء الألمان هذه المنطقة مخيبة لآمالهم التجارية ، ولكن إذا عارضنا النشاط الالماني فإن ذلك سيلفت نظر الحكومة الألمانية زنجبار ويتدخلون في شئونها السياسية بطريقة لا ترضي السلطان الذي يخشى أي تدخل أجنبي (٣) .

وقد أرسلت مؤسسة أوزفلت الألمانية مبعوثا من قبلها إلى منطقة شرق أفريقية لبيان الاحتمالات التجارية بها وترتب على ذلك افتتاح بيت أوزفالت التجاري فرعا له في زنجبار لمبادلة البضائع الأوروبية بسلع شرق أفريقية والاتجار في الأصداف ، ولم يلبث بيت أوزفالت أن اشتغل بتوريد الفحم للأسطول البريطاني في شرق أفريقية ، ونظرا لأن نشاط التجار الألمان في شرق أفريقية كان محدودا بالمنطقة الساحلية فقد تولى المنصرون الألمان ورجال البعثات الدينية التنصيرية مهمة البحث والتأكد من الاحتمالات الاقتصادية للمنطقة الداخلية من شرق أفريقية وكان الدكتور لودفيج كرايف

---

[1]- F. O. 403 / 93 : Sir J. Kirk to Earl Granville , 28 May 1885.

[2]- F. O. 403 / 93 Earl Granville to Sir . J. Kirk , 20 May 1885.

[3]- F. O. 403 / 93 Mr. Lister to Sir J. Kirk , 20 May 1885 .

L. Krapf أول رجال الدين الألمان الذين وصلوا إلى المنطقة ثم تبعه يوهانز ريبمان J. Rebman [١] .

وقد اتخذ كرايف وزميله من راباي قاعدة للتوغل داخل القارة لاقامة مراكز للتبشير بها ، وعملوا على دراسة اللغات الأفريقية ، ووضعوا معاجم للسواحلية والوانيكا لاستخدامها في محاربة الإسلام والقضاء على نفوذ العرب المسلمين داخل القارة ، بخاصة كرايف الذي بذل جهودا كبيرة للاحاطة بنفوذ التجار العرب [٢] .

وهناك وثيقة من الكولونيل Colville إلى Hardinge يبين فيها أن هناك عجزا ماليا كبيرا عند العمال السواحليين [٣] ، وكان قد قام الحاكم الألماني بتصفية المركز الاقتصادي والاجتماعي للاقلية العربية والسواحلية بعد اخماده ثورة بوشير بن سالم على الساحل ، ونتيجة للسيطرة الألمانية على طرق التجارة الداخلية واحتكار التجارة الخارجية وتحريم تجارة الرقيق وأخذت حقوق سلطان زنجبار السياسية على ساحل تنجانيقا تتضعضع ، وبهذا هبطت الأقلية العربية السواحلية وقد استمر هبوطها الاقتصادي في ظل الحكم الألماني ، وقد اتخذ الألمان اجراءاً إدارياً حكوميا يؤدي أيضا إلى القضاء على الوجود المتميز للأقلية العربية في البلاد ، فقد قسموا البلاد إلى وحدات إدارية تابعة للعاصمة ، وعينوا في الجهاز المحلي والأقليمي عمالا أجانب وطردوا الموظفين العرب [٤] .

---

[1]- Groves , P. : The Planting of Christianity in Afrcia , Vol . II, London 1954, PP. 95-100 .

[2]- Oliver , R. ; The Missionary Factor . In East Africa , PP. 6-8 .

[3]- F. O. 403/196 Colonel Colville to Hardinge , 19 August 1894 , أنظر ملحق رقم (٩)

[٤] – عبد الملك عودة : مرجع سابق ، ص٨٩ .

وهناك وثيقة تبين أبعاد العمال العرب من وظائفهم واحلال محلهم عمال من الهند ، وفيما يلي نص الوثيقة المرسلة من وزارة الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية : " لقد تم اعلامي من قبل سكرتارية حكومة الهند لتوضيح أمر استلام بيوسي أندرسن Percy Anderson (من موظفي وزارة الخارجية) الرسالة المؤرخة في ١٠ مارس ، وتحويل نسخة من الاشارة الشفهية من السفارة الألمانية (في لندن) باحترام رغبة السلطات الألمانية في شرق أفريقية للحصول على عمال الهند ، هذا وأن نسخة من خطابكم مع مرفقاته سوف تحول فورا للحكومة الهندية لكي يتم اعتماداه في أقرب فرصة ممكنة [١] .

ولا شك أن السياسة الخرقاء التي أتبعها الألمان أثارت عليهم الوطنيين ، فقد فرضوا ضرائب جديدة وحرموا العرب من وظائفهم [٢] .

لذلك قام العرب بثورة بسبب استيلاء شركة شرق أفريقية الألمانية على المنطقة الساحلية وانزالها علم سلطان زنجبار ورفع علم الشركة الألمانية بدلا منه وأيضا عزل الموظفين العرب ، وفقد أن العرب لأرباحهم التي كانوا يحصلون عليها من التجارة ، وكان العرب يستخدمون الوطنيين لزراعة قصب السكر والقرنفل في مزارعهم ، وفي نفس الوقت لم يرضى الوطنيون المقيمون بالقرب من الساحل عن إدارة الشركة ، لما يترتب على وجودها من فقدهم مما يحصلون عليه من فوائد مادية من القوافل التجارية المارة

1- F. O. 403 / 194 India Office to Foreign office , April II 1894 . أنظر ملحق رقم (١٠)

٢ – محمد سيد محمد ، سلطنة زنجبار الإسلامية بين الانجليز والألمان ، ص٧٩ .

بمنـاطقهم، وبذلـك يمكـن القـول أن نشـاط الشـركة قـد أثـر علـى المصـالح الاقتصـادية (١).

وعمد الأوروبيون إلى قطع التجارة الصحراوية ، التي كانت كشـريان الحياة تمتد مـن البحـر المتوسـط إلـى وسـط القـارة الافريقيـة ، تمدهـا بـالثروة وتبادل الاراء والخبرة ، وذلك لاضعاف المسـلمين اقتصاديـا وقهرهـم ماديـا ، حيث تحولت التجارة إلى أيدي الأوروبيين (٢) .

وقد كون بعض الرأسماليين البرطانيين شركة خاصة للمحافظـة علـى النفوذ البريطاني في شرق أفريقية ، ونظر الرأي العام البريطـاني إلـى تكويـن هذه الشركة على أنه عمل وطني عظيم (٣) .

وحصـل السـير وليـام مـاكينون William Mackinon رئيـس شـركة الشرق أفريقية في ١٨٨٧/٥/٢٤م على أمتياز استغلال المنطقة البريطانية في شرق أفريقيـة وبموجـب هـذا الامتيـاز أصبـح لتلـك الشـركة الحق فـي شـراء الأراضـي وتنظيم التجارة وفرض الضرائب ، كما أصبح من حقهـا إدارة هـذه المناطق ، والتحفظ الوحيد الذي أخذه السلطان برغش علـى هـذه الشـركة هـو أنه مسئول عن المصاريـف الناتجة عن نشاطـهم فـي تلـك المنطقـة أو عـن ايـة نزاعات أو حروب تدخل فيها الشركة مع رؤساء تلك المنطقة (٤) .

1- **Hollings worth , L. W. : Zanzibar Under the Foreign Office , London 1953 , PP. 26-27.**

٢ – عبد ا لله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، مجلة الأزهر السنة الثامنة والخمسون الجـزء العاشر ، شوال ١٤٠٦هـ / يونيو ١٩٨٦م ، ص ١٥٣٨ .

3- **Lugard , F.D. : The Rise of our East African Empire , Vol II, London 1893 , PP. 592-595.**

4- **F.O. 403 / 101 , Znzibar and East African Trade , Draft Prepared Concessions , May 24 , 1887.**

وفي ٣ سبتمبر ١٨٨٨م حولت الحكومة البريطانية هذه الشركة إلى شركة مساهمة تدعى شركة شرق أفريقية البريطانية [١] ، وذلك بمرسوم ملكي وضعها تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية التي تولت حسم أي نزاع ينشأ بين الشركة وبين سلطان زنجبار أو أي زعيم وطني في المناطق الواقعة في دائرة نفوذها ، ولم تكتف الشركة بالامتياز الممنوح لها من سلطان زنجبار بل أرسلت مندوبين عنها لعقد اتفاقات مع زعماء المناطق الواقعة في منطقة النفوذ البريطاني ، وكانت ترسل تقارير دورية عن نشاطهم إلى وزير الخارجية البريطانية طبقا لنصوص مرسوم تكوين الشركة السالفة الذكر [٢] .

ولقد أسست الشركة مركزها في ممباسا ، التي كانت مركز عائلة المزروعي في الساحل الشرق [٣] ، ولوصول الشركة إلى هدفها رأت أنه من الضروري أن تهدئ الوضع السياسي في الساحل ، وقد تم ذلك بكثرة عدد البعثات في المنظمة ، فضلا عن ذلك كانت هناك ثورات في جنوب الساحل لمقاومة الشركة ، مما جعل الشركة البريطانية تتبع سياسة معادية وذلك للقضاء على الثورة ، فقررت أن تتدخل في شئون العرب [٤] ، حيث قامت في السنوات الأولى إلى النظر في تحويل العرب المسلمين إلى المسيحية وذلك بوضع ضغوط للاستفتاء عن الرؤساء غير المتعاونين ، وقد تم القبض على

---

[1] - عين السير ويليام ماكينون رئيسا للشركة واللورد براسي **Brassey** نائبا للرئيس وكل من السير ستيورات **D. Stewart** وسيربوكستون **Buxton** وسيرجون كيرك وجورج ماكينزي **Mackenzie** وغيرهم أعضاء في مجلس الإدارة .

[2]- **F. O. C. 6817 , Charter granted to the Imperial British East Africa Company , 3 Sep . 1888 .**

[3]- **Oliver , R, and Mathew , G: History of East Africa , P. 386 .**

[4]- **Temu , A. J. : British Protestant Missions , London 1972 , P. 44.**

كابوجا Kabuga وهو رئيس محلي بالقرب من الشركة لأنه كان معارضا ، وحل محله رجل آخر أكثر صداقة وتأييدا لمجهودات الشركة .

وتم طرد اخر يدعى كيروجا Keroga في مقاطعة كيكويو Kikuyu وقد تم الاستغناء عنه لأنه لم يوافق على عمل تم بواسطة الشركة (١) .

لذلك نشب الخلاف بين العرب والبعثات التنصيرية في الساحل ، وهذا الخلاف أثار مشكلة الحدود في شرق افريقية بين الأوروبيين أنفسهم في خلال سنة ، كما استقر مقاومة العرب ضد الحكم الأوروبي الأجنبي في شرق ووسط أفريقية والذي قال عنه أوليفر Oliver بأن كان مألوفا وسريع الانتشار في شرق أفريقية عام ١٨٨٨م (٢) .

ومقاومة العرب للوجود الأوروبي في شرق ووسط أفريقية تم توجيهه أولا ضد البعثات التي بسبب اختلاف ثقافتها فكان لا محالة من نشوب صراع مفتوح معهم ، وثانيا ضد الشركة البريطانية التي تأسست للتجارة في المنطقة (٣) .

وكان الكابتين لوجارد Lugard وهو ضابط استعماري انجليزي قد اخترق بحيرة نياسا في قارب بخاري للشركة الأفريقية للبحيرات وأغرق معظم القوارب الشراعية للعرب التي كانت تحاول الحصول على امدادات عسكرية لنقلها من الشرق للغرب في البحيرة ، كذلك أيضا قام مديرا الشركة

1- **Leonpharr Spencer , J. R. : Christian Missions and African Interests in Kenya , 1905 - 1924 , Nairobi , 1974 , P. 102.**

هذا المرجع عبارة عن رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ومحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة نيروبي " كينيا " قسم شرق أفريقية .

2- **Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , P. 116 .**

3- **Hanna , A. J. : The Beginnings of Nyasaland and North Eastern Rhodesia 1859-1895, Oxford 1956 , PP. 16 - 30 .**

بهجوم على مخازن العرب وتم الاستيلاء عليها ، ورغم أن العرب قد قاسوا من خسائر ضخمة فان كرامتهم وشجاعتهم لم تسمح لهم بالمطالبة بالسلام ، وفي نفس الوقت أرسل بعض مستشاري الشركة في بريطانيا ، اسوء عناصر الموظفين لمكاتبها للقيام بشن حرب عامة ضد العرب في أرض نياسا وطردهم من البحيرة ، وقد قامت الحامية العسكرية في كاروجا Karouga بتحطيم كامل لكل محاصيل العرب ومصادرة امدادات الطعام مما جعل العرب يقاسون من شدة المجاعة (١) .

لذلك قامت البعثات البروتستانية البريطانية بفتح أبوابها بالنسبة للرقيق الهارب من أسيادهم العرب وكذلك لأي أفريقي يريد أن يقيم هناك على أساس أنه مع مرور الوقت سيصبح مسيحيا (٢) .

وبدأ العرب يفقدون القوة العاملة التي استخدمها المبشرون كقوة عاملة ، وأستخدمت بعثة الكنيسة التنصيرية بصفة خاصة هذه القوة الحصول على عمال من المقيمين لتطوير ممتلكاتها ومزارعها ، ولقد سمحت لهم بعثة الكنيسة بالاقامة ، ومنحتهم الحماية وعلاجهم في حالة مرضهم وذلك بشرط أن يصبحوا مسيحيين في المستقبل (٣) .

أن امتداد بعثة الكنيسة إلى أراضي في الساحل الشرقي لأفريقية ، حدث بسبب عدة تغييرات من ذلك المحاولات البريطانية لانهاء تجارة الرقيق، وهبوط قوة العرب بسبب تدهور اقتصاديات مزارعهم التي كانت تعتمد على

1- **F. O. 403/127 , Report By. Mr. Johnston , Her Majesty's Consul For the Portuguse Posses - Sions on the East Coast of Africa , on the Nyasa Tanganyika Expedition, 1889 - 1890 .** أنظر ملحق رقم (٥)

2- **Trimingham , S. : Islamin East African Oxford 1964 , PP. 23 - 25 .**

3- **Temu , A. J. : Op. Cit ., P. 20 .**

الرقيق ، وقيام الشركة البريطانية الاستعمارية في شرق أفريقية ، كل هذه كانت عوامل مؤثرة في توسع البعثات ، ومسألة انتشار بعثة الكنيسة في هذه المنطقة حدث بسبب علاقة البعثة مع أكبر مجموعتين من مجتمع جيرياما Giriama فالأول يشمل اتصالات عديدة بشأن العبيد الهاربين والمعروفين باسم واتورو Watoro ، والثانية كانت وجود مجموعة قليلة من المسيحيين من قبائل جيرياما Giriama والذين طوروا أعمال البعثة الأولى في المنطقة وبحلول عام ١٨٨٩م كان هناك حوالي ٣٠ مواطن يعيشون في Godoma تحت قيادة أبيسيدي Abesidi وحيث أن البعثة فشلت لمدة أكثر من ٣٥ سنة لشق طريقها بين قبائل ميجيكندا Miikenda إذ كانت متلهفة على بذل نشاطها بين هذه المجموعات ، ومهما يكن فقد وجدوا صعوبة في أي عمل على نطاق واسع (١) .

لذلك في عام ١٨٩٠م هاجم العرب في ممباسا علنا محطات بعثة الكنيسة () وقد بالهجوم على فولادويو Fulladoyo وبتاجوا وماكنوجين Makangeni وكلها مستعمرات مستقلة من العبيد الهاربين إذ العبيد يهربون من أسيادهم العرب ليؤسسوا اقامة خاصة بهم مستقلة في داخل البلاد ، ومثل هذه المستعمرات أصبحت مألوفة وعادية خاصة عندما منع القنصل العام البريطاني Kirk البعثات من ايواء العبيد الهاربين من أسيادهم العرب ، ولقد تعهدت البعثات بالامتناع عن ذلك رسميا (٢) ، وهناك وثيقة من سكرتير الجمعية البريطانية لمقاومة تجارة الرقيق Buxton إلى وزارة الخارجية ، جاء فيها (أن الجمعية أبدت اهتماما كبيرا في مسألة الغاء الرقيق في زنجبار لعدة

1- **Robert W. Strayer : Op. Cit , P. 37 .**

2- **Lugard , F, D. : Op. Cit., Vol I, PP. 222- 230 .**

سنوات ولقد اتفقت مع لجنة مكافحة الرقيق في جمعيــة الاصدقـاء فـي الرغبـة ليروا العبيد الرقيق كمؤسسة قد أنتهت [١] ، ولكن رغم ذلك استمرت البعثـات في القيام بايواء العبيد سرا .

ولقد أثار العرب كل القنوات القانونية والشرعية المفتوحــة أمامـه قبـل هجومهم على البعثات ، وايضاً قدموا احتجاجا إلى والي ممباسا يخبرونه بأن البعثات تأوى العبيد بصـورة غير قانونيـة ، لذلك أرسـل والـي ممباسـا عـدة تقارير بالوضع للسلطان [٢] .

وقد وصل النزاع إلى القمة عندما أرسـل العـرب وممثلـو أثنـى عشـر من أرباب الأسر العربية في ممباسا مذكرة إلـى السلطان برغش وممـا جـاء فيهـا : " خدمنـا أصبحـوا ... يقدمـون كـل شـيء إلـى أيـدي المسـيحيين الذيـن ضربوهم ، والكبار والرؤساء في المدينة ذهبوا إلى المسيحيين للتحـدث معهـم في الموضوع ونحن أمرك وحمايتك [٣] .

وقد حضر كيرك إلى ممباسا لمحاولة ايجاد حل للمشكلة ، وعقد عـدة اجتماعات مع ممثلي العرب والبعثات ، وقدم النصح للبعثـات بالنسـبة لموقـف بشأن العبيد في ممباسا وقد وجه إليهم الانتقـادات لا يوائهـم العبيـد الهـاربين ، وهناك وثيقة كتبها كيرك Kirk ينشد فيها البعثات التنصيريـة لا يوائهـم العبيـد وممـا جـاء فيهـا : ' لا يوجـد شك بالنسبة لوجهـة نظـري التي اتخذتهـا فـي الموقف حيث أن القانون الأن في صف العرب ويصف الرجل الانجليزي بأنه

1- F. O. 403/368 Travers Buxton to Foreign office , 11 July 1906 . أنظر ملحق رقم (١١)

2- F. O. 84 / 1575 Governor of Mobasa to Sayyid Barghash , September 8 , 1880.

3- F. O. 84 / 1574 Trom the Arabs and Twelve Families of Mombasa , Septermber 22 ,1880 .

ليس له الحق في الاحتفاظ بالعبيد وتحريضهم ضد رغبات أسيادهم وسلطات السلطان هي المسئولة عن هؤلاء الناس ونحن لسنا في موقف لاعطائهم أي شيء [١] .

لذلك في عام ١٨٩٥م اتخذت جمعية مكافحة الرق خطوة في دعايتها للالغاء ، وكان ضمن ممثليها بيرس Pearse وهو محامي قديم ينادي بالغاء الكامل والفوري للرق ، فقام باثارة الموضوع في البرلمان [٢] ، وقد لقى تأييدا من الرأي العام البريطاني القوي لذلك فان المجلس العموم البريطاني وافق على مبدأ الالغاء الفوري ، ولقد أرسل لورد Kimberley برقية إلى Hardinge يستعجله في ابداء رأيه بشأن الألغاء ، ولقد قال بأن الحكومة البريطانية لديها رغبة في أن تحقق عجزا في الموارد [٣] ، وأشار إلى أن مثل هذه الخطوة ممكن أن تحطم صناعة الثوم التي يعتمد عليها اقتصاد جزيرة زنجبار ولقد قدر بأن سلطنة زنجبار ستواجه عجز مقداره ٣٥,٠٠٠ جنيه استرليني في السنة .

وأشار ماكينزي Mackenzi بأن الالغاء الفوري للرقيق سيتسبب في تحطيم اقتصاد البلد [٤] .

وفي عام ١٩٠٠م تم مراعاة المصالح العربيةي في الساحل ، وقد أدعى الأسقف تاكر Tucker بأن نقل Hardinge إلى إيران كان تحت ضغط والحاح منه ، وأيضا وافقت وزارة الخارجية أن تعوض العرب عن الخسارة

1- F. O. 84 / 1574 Kirk to Lord Salisoury , January 9 , 1888.

2- F. O. 84 / 1973 Salisoury to Euan - smith , February 1 , 1889 .

3- F. O. 107/40 Kimberley to Hardinge , March 1895 .

4- Holling Sworth , L, W. : Op. Cit ., P. 139 .

بسبب تحرير عبيدهم وتم إعداد محاكم لهذا الغرض في المدن الكبرى للساحل[1] .

لقد ركزت بعثات البروتستانت على الزراعة حول الأماكن التي بها المحطات كوسيلة للتدريب المنصرين من جهة وللوقف ضد التجار العرب من جهة أخرى ، وهذا الخطر هو الذي حدده ليفنجستون ، ولهذا فان البعثات البريطانية كانت في حاجة إلى مساحات واسعة من الأرض حتى تستطيع أنتاج محصول تجاري ، وكانت الأراضي المملكن الحصول عليها على الساحل تختلف من مكان لأخر ، وهناك أرسالية الكنائس الحرة أستولت على مساحات كبيرة لاستغالها في الزراعة للتجارة ، فأصبح لديهم ٦٠٠٠ فدان في مقاطعة تانا Tana و ٧٥٠ فدان في ريبي Ribe وكذلك ٥٠٠ فدان في مازيرا Mazera ، ولقد زرعوا أشجارا للمطاط وشجر جوز الهند في ثلاثة مقاطعات وفي مازيرا زرعوا فواكه للبيع في ممباسا ، وبمرور الزمن حققت الارسالية نجاحا ملحوظا في الزراعة التجارية ، وأفاد الحاكم العام لمقاطعة ماليندي وهو سكين Skene بأن ممتلكات الارسالية في ريبي يعد الانجاز الأمثل في المقاطعة حيث زرعت ٢٢٠٠٠ فدان من أشجار المطاط على أمل أن تحصل منها حوالي ١٠٠٠٠ جنيه استرليني خلال سنة [2] .

ولم تبدأ بعثة الكنيسة أعمال الزراعة والصناعة بصورة جدية الا مع بداية القرن العشرين حيث أنه خلال النصف الثاني من التسعينات من القرن التاسع عشر بدأت فكرة تطوير الصناعة في شرق أفريقية على مستوى

1- Ibid ., P. 158 .

٢ – تقرير عن الارشيف العمومي للحكومة الكينية في نيروبي تحت اسم :
Kilifi Political Records , Vol II , Annual Report 1910 - 1911 , Kenya National Archives Nairobi .

تجاري مع ارسالية الكنيسة عندما وصل الاسقف بيل Peel إلى المحميات ليتولى الاشراف على المجمع الكنيسي في ممباسا حيث شعر بالحاجة الملحة لمشروعات صناعية وحسب اعتقاده أن ذلك سيوفر فرص عمل للمواطنين في اقتصاد المستعمرات الجديدة ، ولقد كتب يقول : ' عند وصولي إلى شرق أفريقية البريطانية في عام ١٩٠٠م كان هناك حقل ضخم من المشروعات الصناعية يفرض نفسه ، فمدينة فرير تاون Frere town محل اقامة بعثة الكنيسة كان عندها العديد من المسيحين الذين ليس لديهم إلا قطعة أرض صغيرة لزراعة بعض محاصيل الذرة والفاصوليا ، وفي راباي Rabai يوجد العديد من المسيحيين في نفس الوضع ، وهذه الأوضاع تولد الكسل الذي يساهم في الفقر ويعجز عن دفع الناس إلى النشاط رغم أنهم أصحاب المجتمع ' [1] .

وفي عام ١٩٠٥م وافقت شركة شرق أفريقية الصناعية المحدودة على تأسيس صناعات في مدينة فرير تاون ، وفي ممباسا ، وتم منح شركة شرق أفريقية الصناعية المحدودة ٢٠٠٠ فدان من الأرض الزراعية .

ونصح الحاكم العام اليوت Eliot ومستشاره التجاري مارسدن Marsden بقيام بعض الصناعات الصغيرة لتسكين مخاوف الأسقف بيل Peel من أنهم سيقعوا تحت ضغط نظام الشركات في المستقبل ، وقد كتبل بيل Peel عن هدف الشركة ما يلي : " ... من السهل الاعتماد على الوعد بوفرة الأيدي العاملة من المنصرين الرجال والأطفال ، بينما في نفس الوقت يجب العلم بأن

---

[1] - رسالة من الأسقف Peel في ٢٧ أغسطس ١٩٠٣م محفوظة في الأرشيف العمومي للحكومة الكينية بنيروبي ، انظر :

Bishop W. G. Peel to Hatch , 27 August 1903 Kenya, Natianal Archives Naiobi.

هذه التسهيلات في العمل سوف تتأثر بعقيدة الالــه عنـد الرجـل الأبيـض الـذي سيسعى لاشغال هؤلاء العمال بالتفكير في عظمة المسيح [١] .

وعندما وجدت البعثات التنصيرية أن الإسلام متقدم جدا فـي زنجبـار أمام بطء تقدم المسيحية ، قام أحد أعضاء البعثات بوضع حل وذلـك للتخلـص من النفوذ العربي الإسلامي في شرق أفريقية ، حيث كتب يقول : " اعتقد أننـا سوف نحقق الفوز في هذا المضمار لأنــه عندمـا توجـد الكنيسـة مـع مدارسـها والصيدلية والمستشفى وغيرها فانه لا يمضـي وقت طويـل حتـى يـدرك أهـل المدينة أن هناك من يهتم بهم كثيرا تعاليم المسيحية وليس الإسلام " [٢] .

أن هدف الارساليات التنصيرية هو التنصير التام والتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق أفريقية ، وقد عبر الدكتور هارسـون Harrison عنـد هـذا الرأي بوضوح إذ قال : (أننا نريد أن يصبحوا مسيحيين) [٣] .

والتنصير هو تقديم الانجيل ورسالته إلى العالم أجمع ، والأعمال التــي تؤدي إلى تحقيق هذه الرسالة هي صلـب العمـل التنصـيري ، وهـذا الأسـلوب يتصـل اتصـالا وثيقـا بـالخلق المسيحي أيضـا والـذي ينـص علـى أن الوسـيلة الأسياسية لنشر المسيحية في العالم هـي التنصـير بـالانجيل وقـد أكـد الأنجيـل على هذه الرسالة أكثر من مرة .

إذا التنصير في المفهوم المسيحي هو نشاط دينــي يهـدف إلـى تنصـير غيـر المسـيحيين وقـد عـرف بعضهـم التنصـير كمـا يلـي : " العيـش والعمـل والحديث عن أجل المسيح " [٤] .

---

[1]- Ibid.

[2]- Maynard , Smith : Frank , Bishop of Zanzibar , Kife of Frank Weston , 1871- 1924 , London 1926 , P. 107 .

[3]- Harrison , P : Doctor in Arabic , 1942 , P. 30.

[4]- Zwemer , M. S. : Evangelism t0 - day : Message not Method , London 1912 , P. 14.

وذهب آخر إلى أبعد من ذلك معتبرا التنصير مطلبا دينيا أساسيا حيث قال : " التنصير يعني تحويل الناس عن الأمور الدنيوية إلى ملكوت السموات، أن هذا التحويل ضرورة مطلقة لأنه بدون ايقاظ الجوع الروحي فليس هناك أمل في المجتمع أو الجنس أو الأمة " (١) .

وقد أعتبر أحد المبشرين أن هدف التبشير هو : " أحداث تغيير في الحياة بحيث يصبح الإنسان مخلوقا جديدا يعيش حياة يمكن أن تصفها بأنها انتقال من الموت إلى الحياة (٢) .

والواقع أن جميع هذه التعريفات تتفق على أن التنصير كفكرة نصرانية تعني نشر المسيحية في العالم ، ولقد رأيت بنفسي (٣) في منطقة شرق أفريقية وبالتحديد في الطريق بين نيروبي وممباسا ، مركزا للتنصير تقوم به سيدة منذ ثلاثين سنة في منطقة جبلية نائية تقيم في منزل أنيق تحيط به حديقة صغيرة ولديها طائرة عمودية " هيلوكوبتر " وضعت هي وطيارها تحت أمرتها لكي تنقلها وقتما تشاء إلى وسط الغابة فتخاطب سكانها وتتحادث معهم بلهجاتهم التي أصبحت تتقنها اتقانا تاما وتقدم الهدايا إليهم وتعيش بينهم، ثم تصحب المجذومين منهم بطائرتها إلى مركز علاجي أقامته وزودته بالأطباء ، وفي تلك المنطقة رأيت القوة الروحية للإسلام أمام ضخامة القوة المزودة بها البعثات التنصيرية ، فالقسيس الذي كانت هذه المنصرة قد أعدته من أهلي المنطقة ووضعت الانجيل المكتوب باللهجة المحلية بين يديه لكي يسير داعيا وسط أهله وعشيرته ويعاونها في جذب المزيد من السكان إلى حظيرة الكنيسة ، هذا القسيس نفسه تحول إلى الإسلام عندما التقى بواعظ من

---

[1]- **Ibid .**

[2]- **Ibid .**

[3] - تم ذلك أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها في نهاية شهر ذي الحجة عام ١٤٠٩هـ .

أهل بلده وعاشره دون أن يقدم إليه الواعظ شيئا في مقابل ذلك ، ودون أن تكون لديه وسائل الانتقال إلى الغابة بالطائرة أو علاج المجذومين أو تقديم الكساء لمن يريد ، ولكن الذي استطاعه هو أن عينه بعد اعتناقه الإسلام مؤذنا بمسجد القرية الذي يؤم المصلين فيها [١] .

وعندما وضع رجال التنصير أيديهم على الشرق كانت أوطان المسلمين أول ما أحكموا قبضتهم عليها ، وذلك ليحققوا أكثر من غرض :

أولا : أستغلال تلك الأوطان أرضا وبشرا لامتصاص خيرات الأرض ، وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتهم .

ثانياً : وراء هذا الغرض أمر آخر خاص بالبلاد الإسلامية ، وهو محاربة العقيدة واجلاؤها من قلوب المسلمين ومحاولة تنفيذ ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل ، وذلك لما يعلم المنصرون من خطر هذا الدين على مخططاتهم التنصيرية التي عملوها على أساس قتل معاني الانسانية ي الأوطان حتى تموت مشاعر الناس هناك ، ويضيع وجودهم ، فلا يحاول احد أن يخرج من هذا الحصار المضروب عليه ، ولا أن يثور في وجه المنصرين ، الامر الذي لا يصبر عليه المسلم الذي يستظل براية التوحيد ، ويهتف من أعماقه مرات كل يوم : لا إله إلا الله ، ويستمع إلى صوت المؤذن وهو يؤذن فيهز أجواء السماء بهذا النداء السماوي الله أكبر ، الله أكبر .. كل هذا من شأنه أن يبعث في نفس المسلم العزة والكرامة [٢] .

---

[١] – اسم القسيس قبل الإسلام كاهندي ، أما الان فاسمه بلال كاتاتا وهو يؤذن في مسجد مصلان وقد تم مقابلته أثناء الرحلة العلمية وذلك في يوم الجمعة وفي مسجده المتواضع لاموافق ٧ محرم ١٤١٠هـ .

[٢] – عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد رقم ٤٠٣٣ بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨هـ .

وقد نشرت صحيفة نيو فيزيون New Vision الناطقة باسم الحكومة الأوغندية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٨/٦/٨م مقالا أو بمعنى أصح خطابا من أحد قراءها المسيحين تحت عنوان : طفي صراخكم " يهاجم فيه الإسلام ويندد بالأذان ، ويدعي كاتب الخطاب ريتشارد M. Richard حسب ما نشر ، ومحرر هذه الصحيفة اسمه وليم بيك Willam Pike وهو انجليزي ومعروف عنه بعداوته للإسلام ومقالته المتعددة التي يهاجم خلالها الإسلام والمسلمين بطريق مباشر ، وقد حاول الداعية احمد محمد الطيب ناظر مدرسة بومبو الإسلامية والمعلم الرئيسي للغة العربية بأوغندا نشر رد على الخطاب في الصحيفة التي نشرته والتي تدعي أنها تمثل روح الصحافة الحرولكنها رفضت أن تنشر الرد وحاول في صحيفتن آخرتيين ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأخيرا أدرك أن الصحيفة الوحيدة التي قد ترحب بنشر رد الخطاب هي جريدة (الشريعة الشيعية المذهب) [١] .

لقد اعتبر المبشرون الإسلام دينا أجنبيا عن القارة وأعتبروا الأفريقيين وثنيين يجب على حملة الكتاب المقدس من أوربا أن يسوقوهم إلى حظيرة الإيمان بالمسيحية طبقا لتعاليم ومذاهب الكنائس الأوروبية ولهذا يوجد العديد من المبشرين الذين قاموا بجذب بعض أهالي بوسوجا Basoga ليصبحوا مسيحيين [٢] ، وكان للمجاعات والأوبئة في أقليم بوسوجا Basoga اثر كبير في نمو الكنيسة حيث تم استخدام المحطات الرئيسية للبعثة كمركز لتوزيع الطعام للناس التي تكاد تموت من الجوع في الأقليم وكل المبشرين تطوعوا للاشراف على توزيع الطعام ، وقبل توزيع الطعام فان المنصرين يعقدون في

[1]- **The Shariat , July 1988 , A. D. (Zulkaada 1408 A. H.) .**

[2]- **Tom Tuna A, D, : Op. Cit ., 61 .**

العادة صلوات دينية قصيرة مع من يحضر لاستلام الطعام ، وهذا من المحتمل قد ساعد لخلق الشعور بأن الله الذي يتحدث عنه المنصرون هو الذي جعل من الممكن لهم أن يظلوا أحياء ، والاله الجديد كان ناجحا فيما فشل فيه الاله القديم ، وكنتيجة لذلك بدأ العديد من أهالي Basoga في تأسيس علاقات مع الاله الجديد [١] .

ان أكثر المناطق النائية معرضة للضغط الصليبي المركز ، خاصة إذا كانت فقيرة حيث أن هيئة التنصير تدخل المنطقة باسم الاغاثة ومحاربة الجهل وهذا ما يفتك بالمواطنين في تلك المنطقة النائية ، ومن ثم تقوم هذه الهيئة بمساعدة الناس بما يحتاجون إليه في مجال التربية والتعليم والعلاج ولاعناية بالمعوقين لتصل في النهاية إلى توزيع الكتاب المقدس ومن ثم تفرض عليهم حضور الكنيسة إذا ما أراد أن يحصل على المساعدات [٢] .

1- **Tom Tuma , A. D. : Op. Cit ., P. 63 .**

٢ – تقرير الشيخ علي حافظ إبراهيم الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في " نيروبي " عن مشاكل الدعوة وما يواجهه المسلمين في منطقة كينيا وخاصة في المناطق النائية ، رقم التقرير ن / ٩٥ / ٨٧ ، بتاريخ ١٤٠٠/٨/٥هـ .

اللغة	أول سنة الطبع			جزء ماتيوس	أنجيل مارك		الأنجيل كامل
Gusii	١٩٢٩م			٢٤١٧	١٨٢٨		٣٤٢٦
Kalenjin	١٩٥٠م			٤٥٠٨	٢٥٠١		١٩٩٦
Kamba	١٨٥٠م		١٩٥٠م	٤١٢٧	٤٣٦١		٢٤٢٢٤
Kikyu	١٩٠٣م		١٩٥٠م	١٣٥٤٢	١٨١٣٠		٦٣٢٨٧
Ragoli	١٩١١م		١٩٥٠	٣٧٥	٨٧٢		١٣٩٣٤
Luo	١٩١١م		١٩٥١م	٦٨٨٠	٤٧٤٨		٧٢٦٤٤
Mombasa	١٨٧٨م		١٩١٤م	لم يستمر			
Uhion	١٩٣٤م		١٩٥٠م	١٩٦٠	١٨٠٤٩		٤٤٩٠٧٠

وهناك مبادرة من البعثات للتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق أفريقية وفيما يلي احصائية بعدد المحطات التنصيرية في أرض شاجا Chagga بتنزانيا (١) ومنها يتضح الازدياد المضطرد في عدد المسيحين .

السنة	مجموع المسيحيين	المحطات
١٨٩٨م	١٢	٣
١٨٩٩م	١٢	٤
١٩٠٠م	٤٢	٤
١٩٠١م	٦٨	٤
١٩٠٢م	١٤٦	٤
١٩٠٣م	٢٥٤	٤
١٩٠٤م	٣٩٤ .	٤.
١٩٠٥م	٥٠٧	٤
١٩٠٧م	٧٤٠	٦
١٩٠٨م	١٠٦٣	٦
١٩١٠م	١٤٧٨	٦
١٩١١م	١٧٤٣	٦
١٩١٢م	٢٢٨٠	٦
١٩١٣م	٢٩٦٩	٦

[1]- **Erik Sahlberg , Carl , : A Church History of Tanzania , Nairobi 1980 P. 77.**

وهناك جدول يبين نسبة انتشار المسيحية في كينيا لعام ١٩٠٠م كما يلي :(١)

السكان	١٩٠٠م	النسبة المئوية
مجموع سكان كينيا	٢٩٠٠٠٠٠	١٠٠٪
أفريقي	٢٨٦٤٥٠٠	٩٨,٨٪
عرب	٨٠٠٠	٠,٣٪
أسيوي	٢٧٠٠٠	٠,٩٪
أوروبي	٥٠٠	

وعندما بدأت بعثة ليبزيج Leipzig في البحث عن قاعدة جديدة لبعثتهم ، وجدوا مقاطعة ماشامي Machame حيث نصبوا خيامهم والاحصائية التالية توضح تطور بعثة ليبزيج Leipzig في كليمنجارو كما يلي :

المحطة	السنة	بدء التنصير (٢)
مامبا Mabma	١٨٩٤م	١٨٩٨م
ماشي القديمة Old Moshi	١٨٩٤م	١٨٩٨م
شيرا Shira	١٩٠١م	١٩٠٤م
مويكا Mwika	١٩٠٦م	
ماساما Masama	١٩٠٦م	
أوسوا Uswaa	١٩٠٧م	١٩٠٧م
مارانجو Marangu	١٩١٢م	

1- John S. Mbiti : Kenya Churches Hand Book , Publis hed by Evangle publishing house Kisum Kenya , August 1973 , P. 160.

2- Erik Sahlberg , Carl : Op. Cit ., P. 74 .

وفي عام ١٩١٤م كان عدد المسيحيين في ماشامي Machame ٥٩١ ، وفي بعثة ليبرنج Leipzig كانوا ٤١٢٥ ، أما في بعثة لوثر Lutheran فكانوا ١٠٤٩١ ، وكل المسيحيين في شرق أفريقية الألمانية في عام ١٩١٤م بلغوا ٨٠٥٩٨ ، والجدول التالي يوضح أرقام مختلف المنظمات في عام ١٩١٤ كالتالي [١] :

البعثة	العدد
الروح القدس The H G F	١٦٠٠٠
الآباء البيض The WF	٣٣٦٨٥
البنتكيين The Benedictines	١١٦٠٩
الكاثوليكيين The Catholics tatal	٦١٠٠٠
بعثة الجامعات The Umc . A	٥٠٠٠
بعثة الكنيسة التنصيرية Ghe CMS	٥٠٠٠
بعثة ليبزج The Leipzig Mission	٤١٢٥
برلين ١ Berlin I	٣٦٥٤
بيثيل Bethel	٤٨٤
مورفاين Moravians	٢٢٢٨

وأيضا كان عدد الكاثوليك ضخما وذلك للتخلص من النفوذ الإسلامي في شرق أفريقية على النحو التالي [٢] :

[1]- **Tom Tuma , A. D. : Op. Cit ., 70 .**

[2]-**Erik Sahlberg , Carl , : Op. Cit , P. 132 .**

السنة	الكاثوليك
١٩١٨م	٦٠,٠٠٠
١٩٢٨م	١٧٥,٠٠٠
١٩٣٨م	٤٠٠,٠٠٠
١٩٤٨م	٦٧٥,٠٠٠
١٩٥٨م	١٢٥٠,٠٠٠

وعندما أصبحت السلطة في يد المبشرين دخل العسكريون إلى القارة بكل الوسائل الممكنة للسيطرة التامة على القارة على كل أقليم ، وبعد ذلك أدخلوا نظام التعليم المرتبط تمام الارتباط بالكنسية وهو ما يسمى (سيميناري) الذي يهئ للدارسين جميع ما يحتاجون مقابل الطاعة العمياء فقد استغل المنصرون الفقر والعوز والحاجة لتنصير المجتمع وأدخل المنصرون المدارس الابتدائية والثانوية وانتظروا حتى استطاعوا خلق جيل قادر على التدريس في التعليم العالي فأوجدوا الجامعة .

وهناك تعاون بين كل الارساليات للعمل على تحطيم الإسلام [١] ، فان الصراع الذي تفجر على الحكم المستقر في زنجبار ، ليس في الحقيقة سوى مشهد ثانوي من مسرحية مثلث في دار السلام وأستهدفت في أبعادها محو الحكم الإسلامي من الجزيرة والعمل بكل الوسائل على اضعاف العقيدة الإسلامية في النفوس وجعل أهمها في المخلفات من سبل الحياة تتناوشهم

[١] ـ محمد سمير الشمعة : بين التبشير وواقع المسلمين ، مجلة البلاغ ، العدد ٤٥٦ ، بتاريخ ١٣٩٨/٨/٣هـ ، ص٢٧.

المذاهب الهدامة وتتابهم المحن والفواجع فيكون دائماً وأبدا أمة الفواجع والتخلف (١) .

وقد كتب جورج كمبل George Kimble محللا الاضطراب الذي أصاب نفسية الأهالي بعد اعتناق المسيحية يقول : " كان للمسيحية أثر كبير في تفكك المجتمع الأفريقي فقد قدم المنصرون للتلاميذ في المدارس مبادئ تعد خليطا من المسيحية ومن النظام الأوروبي المعاصر ، وعاد التلميذ للبيت ليجد أسرته في حياة مختلفة عما تلقاه بالمدرسة ، فحصل صدع كبير في المجتمع وذلك بخلاف الإسلام الذي كان يقدمه الدعاة للبيت كله أو لبطن من بطون القبيلة فيصبح عاملا جديداً من عوامل التعاون والالتئام ، ومما زاد في الصدع والتفكيك الذي خلفته المسيحية أنها فرضت على معتنقيها نظما وتشريعات تتنافى مع طقوس الدينية لقبيلته ومع تقاليدها (٢) .

وفي الواقع كانت أصعب مشكلة واجهت الارساليات التنصيرية هي تدخلهم في العادات الأفريقية (٣) ، فقد جاء في خطاب كمبرلي إلى هاردنج في ١٥ نوفمبر ١٨٩٤ ما يلي : " بالاشارة لخطابكم رقم ٢١٣ في ٣٠ أغسطس الماضي المرفق به نسخة خطاب أسقف أفريقية الشرقية يطلب تفسيرات مختلفة عن الوطنيين ، وزواجهم وعن التبعية لسلطان زنجبار ، فيما يتعلق

[1] – السيد محمد أحمد الحداد : حقيقة الأوضاع في زنجبار قبل وبعد مقتل عبيد كرومي الطاغية ، جريدة أخبار العالم الإسلامي ، العدد ٢٧٥ ، بتاريخ ١٣٩٢/٣/١٨هـ ، ص٧ .

[2]- **George Kimble : Tropical Africa , P. 269 .**

[3]- **Jomo Kenyatta : Facing Mount Kenya , London 1938 , P. 175 .**

بالزواج المسيحي فهو زواج قانوني وبدون شك فإن المواج لابد أن يتم برجل كنيسة وبطقوس مقدسة (١) .

وهناك تقرير من المفوض سادلر Sadler حاكم أوغندا إلى اللورد لانسداوان Landowne وزير الخارجية يقترح فيه تطبيق نفس القواعد التي تطبق على المواطنين المسيحيين على المسلمين أيضا وتعيين زعيم المسلمين مبوجو Mbogo ومعه بعض القضاء كمسجلين ويكونون مسئولين عن جمع الرسم " روبية واحدة " مقابل قسيمة الزواج مع منع المسلم المتزوج من واحدة من الزواج بأكثر من ذلك رغم أن الإسلام يبيح ذلك (٢) .

وفي ٦ يناير ١٩٠٣م صدر مرسوم من ويلسون Mr. Wilson إلى القنصل سادلر Sadler جاء فيه أن المرسوم الجديد سوف ينتهك عادات المسلمين التي تتفق مع شريعتهم عقيدتهم وضرب مثلا بزعماء بوسوجا Busoga في أوغندا ، حيث بعضهم يملك ٣٠٠٠ امرأة يطلق عليهم زوجات ومن الصعب التنبؤ بما سوف يحدث ، ولابد أن نقنع الاهالي بأي تغيير طبقا لهذا المرسوم (٣) .

ولقد زار البابا الحالي " جان بول الثاني " ست دول أفريقية وقام بدراسة عميقة قبل القيام بهذه الجولة وذلك ليضمن نجاح الجولة ، وقد عمد أثناء جولته تسعة أساقفة للعمل في دول شرق أفريقية كما عمل في تطوير الطقوس الدينية حسب التقاليد الأفريقية ، وقد أدوا صلواتهم في كاتدرائية مع دق الطبول ، وهذه الخطوة أساسية جديدة لاستمالة الافارقة للنصرانية ووسيلة

---

[1]- **F. O. 403 / 196 : The Earl of Kimberley to Mr. A. Hardinge , November 15 , 1894.** انظر الملحق رقم (١١)

[2]- **Sadler to lord Lansdoune . Foreign office , II June , 1903 .**

[3]- **F. O. 403 / 332 Wilson to Sadler , 6 January 1903 .** أنظر ملحق رقم (١٣)

جديدة لاحتواء القارة كما حرص البابا على اظهار اهتمام الفاتيكان بالمشاكل الاجتماعية فركز خلال خطبة على وحدة الكنيسة كما هاجم تعدد الزوجات والمساعدات الاقتصادية التي تخفي ورائها نوايا سيئة كما يزعم الباب ، والمتتبع لرحلات البابا الحالي منذ توليه كرسي البابوية نجد أنه أعطى بحركاته وجولاته دفعة جديدة للمسيحية وأخرج الكاثوليك من الأنزواء مما نشط الحملات التنصيرية ، وقد قال بوضوح في يوم الاحتفال العالمي بيوم التنصير " أن الأنجيل يجب أن يكون معروفا لجميع البشر من غير المسيحيين والذين يعيشون معهم ويتصلون بهم بطريقة أو بأخرى لاستمالة قلوبهم ولتضعهم أمام تعليم وقدسية الأنجيل [١] .

وهناك تقريب وصفه مجلس الكنائس العالمي عن وقائع وأحداث الاجتماع المسيحي الذي عقد في مدينة ممباسا في كينيا في الفترة من ١٢ – ١٨ محرم ١٣٩٠هـ الموافق ١-٧ ديسمبر ١٩٧٠م وحضره أكثر من مائة مسيحي ممثلين لأربعين دولة في العالم ومن بينهم ٢٥ عضوا مسيحيا من الكنيسة الكاثوليكية والبقية من الكنائس البروتستانتية المختلفة وخاصة التي توجد في البلدان الافريقية وكان عنوان المؤتمر " الوجود المسيحي والشهادة " أو الدعوة ' المسيحية وعلاقتها مع الجيران المسلمين ' وناقش المؤتمر التطورات الحديثة في البلاد الإسلامية في طليعة القرن الخامس عشر الهجري ، وكان من أهداف المؤتمر البحث عن الطرق والوسائل الجديدة للقيام بالدعوة المسيحية التي تنادي بأن المسيح إله مصلوب وذلك بطرق

---

[١] – تقرير عن جهود رابطة العالم الإسلامي لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام في افريقية – اعداد : ادارة مواجهة التنصير والتيارات الهدامة .

ووسائل لا تثير الشكوك وسوء الفهم لدى جيراننا المسلمين كما جاء في تعبيرهم .

وأيضا كان من أهداف المؤتمر التقييم الوضعي لحركة التنصير في البلدان الإسلامية في ضوء تجارب رَجال التنصير الذين يقومون في الأقطار الإسلامية (١) .

وهناك كثير من المصادر تعطي للقارئ انطباعا مؤداه أن النشاط العربي في داخل شرق أفريقية كان يستهدف في الدرجة الأولى عمليات التسلط والاستغلال فضلا عما كان يتميز به من القسوة (٢) .

لكن الدراسة المنصفة والموضحة للحقائق تستطيع أن تدفع هذه الاتهامات جانبا ، ويمكن الرجوع بصدد ذلك إلى كتابات الرحالة والرواد الأوروبيين الذين وصلوا إلى المناطق التي سبقهم اليها العرب ، وقد اعترف كثير من أولئك الرواد الأوروبيين بأن العرب كانوا عنصرا هاما من العناصر التي حملت لواء الحضارة إلى أواسط القارة الأفريقية ، فقد نظم التجار العرب قوافل التجارة ، ووصلوا بها إلى مناطق بعيدة كما أقاموا مستودعات لخزن بضائعهم ولم يحاولوا اخضاع القبائل الافريقية بالقوة أو التسلط عليهم انما حرص العرب على توثيق العلاقات التجارية بينهم وبين زعماء القبائل الافريقية .

ومن الأوروبيين المنصفين الذين نوهوا بدور العرب الحضاري في افريقية يمكن أن نذكر جيروم بيكر أودولف بوردو ، وقد ركز الأخير على

---

١ – تقرير عن جهود رابطة العالم الإسلامي لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام في افريقية – اعداد ادارة مواجهة التنصير والتيارات الهدامة .

2- **Ruth Slade : King Leopold's Congo , London 1962 , P. 84 .**

الجهود الزراعية التي قام بها العرب في سهل طابورة فذكر أنهم نشروا الأمن وقضوا على الفوضى والاضطراب (١) .

وذكر هتشنز Hichens أنه لا تخلو قرية من مناطق شرق أفريقية من مسجد للمسلمين ، وأن معظم سكان المراكز التجارية كانوا مسلمين ، وأنه يمكننا احصاء اكثر من ستين مركزا تجاريا في شرق أفريقية كان الاسلام بها متنشرا ولا يزال ، وكان القضاة المسلمون منتشرين في كل مكان يحكمون بين الناس وينشرون الإسلام وثقافته بينهم ، ويؤسسون المدارس والمساجد مما قوى مركز الإسلام بين القبائل الداخلية التي كانت تحافظ على شعائر الإسلام (٢) .

وشهد قسيس غربي آخر هو سينسر ترمنجهام عن سمو الإسلام وجلاله وروعته ، حيث قال أن جلال الإسلام وروعته هما اللذان دفعا الاهالي إلى أن يصبحوا هم أنفسهم دعاة له بعد أن كانوا من خصومه الكارهين ولم تسكت السلطة الاستعمارية على ذلك ، وهي التي أتت مضطرة ومجبرة بالمسلمين جبرا وكرها إلى تلك المناطق وأدخلتهم إليها ضمن ادارتها التي كان صغار موظفيها جميعا من المسلمين اذ لم يكن أمامها غيرهم كي تستخدمهم ، فبالاضافة إلى العقبات التي وضعت في طريق الاسلام والدعايات التي أحاطت بالعرب لتنفير الأفارقة منهم وأبعادهم عن طريقهم فقد تعرض للكثير من ضروب المقاومة والمحاربة ولكن في النهاية كان النصر له ، ومن أمثلة ذلك ما فعلته السلطة الاستعمارية في منطقة شرق افريقية عندما ذهب إليها أول الموظفين الملونين في الادارة الأجنبية ويدعى كارانا ، حيث أقام

---

[1]- **Burton , R. : Lake Region of Central Africa , Vol. I, London 1860 , P. 324 .**

[2]- **Hichens , W. : Islam To - Day , London 1942 , P. 116 .**

مسجدا صغيرا ليمارس الصلاة فيه ، وعندما أوشك هذا المسجد أن يصبح وسيلة لنشر الدعوة إلى الإسلام وجذب المواطنين إليه ، هبت السلطة على الفور وأتهمته بالأختلاس من أموال الحكومة ، وأبعدته [١] .

وقد كتب جونستون Johnstion تقريرا عن الساحل الشرقي لأفريقية وفي كلامه عن العرب ونزاهتهم حيث يقول : " أينما سافرت في شرق ووسط أفريقية فان الزنوج تحدثوا لي عن المعاملة التي يلقونها من القبائل الزنجية الأخرى أو من عرب " نياسا " ففي وادي الزمبيزي Zambezi تحدثوا عن قسوة الأوروبين وعمن دمر وخرب كل القبائل ونشر السرقات في شرق أفريقية الاستوائية هل هم العرب ؟ الجواب : لا ، والعرب في هذه المناطق يحصلون على الرقيق من الرؤساء المحليين الذين بيعوا أسرى الحرب أو المقبوض عليهم أو المجرمين ، وأحيانا من الشباب الصغار ، وهؤلاء الرقيق يتم معاملتهم بطرق سيئة ، ولكن الأعمال التي ارتكبها العرب لا تكون جزءا من مائة من البؤس وأوراقه الدماء الذي تم احداثه من قبائل المساي Masai[٢].

ويواصل كاتب التقرير كلامه عن العرب في شرق افريقية بقوله : " يجب استنتاج بأنني لم اجد أي خطأ في سلوك هؤلاء العرب في شرق ووسط أفريقية ، بل على العكس ، أنا لا أوافق على الكثير من أعمالهم ، وكنت أفضل إذ لم يذهبوا إلى هناك بالمرة ، لأننا كنا سنجد المواطنين الأصليين من السهل التجارة معهم وفي حكمهم إذا لم تكن لدينا لاتجارة المنافسة للتجار

١ – سينسر ترمنجهام : الاسلام في شرق أفريقية ، ص٢٦ .

2- **P. O. 403 / 127 , Report By Mr. H. H. Johnston , her Majesty's Consul For The Portuquse Posses sions on the East Coast of Africa on the Nyasa - Tanganyika Expedition 1889 - 1890 Mozambique 17 March , 1890 , P. 37 .**

السواحليين ، ويجب أن نتذكر بأن العرب في وسط أفريقية كتجار ومقيمين وحكام ومستعمرين ، وكان علينا أن نتعامل معهم كما هم ، وليس كما يجب أن يكونوا عليه ومن خلال ما أعرفه عنهم أنا أعتقد أنه بالقليل من العمل والصبر فان لديهم نوعية جيدة وممكن أن تستفيد من نشاطهم وخبرتهم وتحويل موقفهم لصالح تطوير افريقية وأنا أعتقد بأنهم ممكن أن يعملوا شيئا مفيدا ، أما بالنسبة للدعاية الإسلامية فانه من الصعب القضاء عليها [1] .

وأيضا هناك شهادة من " جرنفيل " الذي كان وزيرا للدولة الكونجولية في حكومة " لومومبا " في أوائل الستينات من القرن الحالي بقوله : " لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكنغو ، فليست مدينة " ستانلي " ، وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا ، وتركوا لنا لغة مولدة من لغتهم ، ودينا وحضارة وسماحة تسوى بين كل الناس [2] .

وتكفينا كل هذه الشهادات من هؤلاء الأجانب عن سماحة الاسلام والعرب .

---

[1] – انظر ملحق رقم (٥) Ibid

[2] – عبد الله نجيب محمد : حصاد الدعوة الإسلامية في وسط أفريقية ، مجلة الأزهر ، الجزء الثاني ، السنة التاسعة والخمسون ، صفر ١٤٠٧هـ – اكتوبر ١٩٨٦م ، ص ٢٠١ .

(ب) محاربة اللغة العربية والسواحلية وتشجيع اللهجات المحلية

عرفت اللغة العربية طريقها إلى شـرق أفريقيـة قبـل الإسـلام ، وذلـك لاختلاط التجار والمهاجرين العرب بالافريقيين ومصاهرتهم منذ أقدم العصور فقد ذكر صاحب دليل البحر الارتري الذي زار شرق أفريقيـة فـي القـرن الأو الميلادي ، أن الأفريقيين كانوا يتطلعون إلى تعلم لغة العرب وكـانوا يتكلمـون بها ، لما تتيحها لهـم مـن آفـاق واسـعة فـي التبـادل التجـاري ، ودخلـت اللغـة العربية في صراع معا للغات المحلية ولكن اللغة العربيـة تغلبـت علـى معظـم تلك اللغات في المنـاطق التـي أنتشـر فيهـا الإسـلام انتشـاراً واسـعاً وزاد فيهـا اختلاط العرب بالأفريقيين [1] .

وساعد اللغة العربية على هذا الانتشار عدة عوامل منها :

العامل المهني : فحيثما انتشر الإسلام ورسخت قواعده انتشرت اللغـة العربية.

– القرابة السامية : اذ بين العربية وأخواتها الساميات قرابة في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية ، واللغة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة ديـن وحضـارة راقيـة ، وقـد أتخـذ انتصارهـا مظـاهر عـدة : فقـد تكلمتهـا بعـض الشعوب بجوار لغتها الأصلية ، مثل شعب مملكة أوفات الذين كـانوا يتكلمـون العربية ، وأكتسبت اللغات الأخرى نسبة كير من الألفاظ العربية [2] .

وأيضاً من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشـار اللغـة العربيـة في شرق أفريقية هو احساسهم بالحاجة إلى تفهم القـرآن ، ورغبتهـم الصـادقـة

[1] – حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص ٤٦ – ٤٨ .

[2] – المرجع السابق ، ص ٥١ .

في تعليم اللغة العربية ، وهجرة فقهاء المسلمين إليهم من الحجاز لتثقيفهم وتعليمهم حتى يفهموا أصول دينهم .

والهجرات العربية أشعلت الرغبة في تعلم اللغة العربية وانتشارها ومنها هجرة بعض العناصر الحضرمية والعمانية إلى سواحل شرق أفريقية [1] .

وكان من نتيجة انتشار الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل ، أن اهتم السكان على اختلاف عناصرهم بالعلوم الدينية واللغة العربية ، فمن كلوا سافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة وبخاصة في الدين والفقه ، وكان من بينهم الأمراء ، فقد تنقل السلطان أبو المواهب ' ١٣٠٨ - ١٣٣٤ ' قبل ارتقائه عرش السلطنة في كلوا بين عدن ومكة لطلب العلم ، وكان قد وصل إلى مكة وهو لم يزل في الرابعة عشرة من عمره [2] ، ومما يؤكد شدة حاجة سكان الساحل إلى تحصيل العلوم العربية ، وما رواه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الميورقي " المتوفي ٤٧٤هـ " الذي زار البصرة في سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م إذ ركب ثم عمان إلى بلاد الزنج زنجبار ، وكان معه من العلوم أشياء ، فما أتفق عندهم إلا النحو ، وقال لو أردت أن أكسب منهم ألوفا لأمكن ذلك ، وقد حصل لي منهم نحو ألف دينار وتأسفوا على خروجي من عندهم [3] .

١ - محمد مختار أمين مكرم : أضواء حول أفريقية ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص١١٦ .

٢ - محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى القاهرة ١٩٧٧م ، ص٥٢ .

٣ - ياقوت الحموي " شهاب أبو عبد الله الحموي الرومي " : معجم البلدان الجزء الخامس بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٤٧ .

ونظرا لاختلاط سكان ساحل شرق أفريقية بالعرب وغيرهم نشأت في مناطق هذا الساحل لغة عرفت باللغة السواحلية [١] .

وقد أنتشرت اللغة السواحلية على طول الساحل الشرقي للقارة الأفريقية ويرى البعض أن اللغة السواحلية هي نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء البانت ولغاتهم ، فقد تزوج العرب من نساء البانتو " وسمى النتاج بالأمة السواحلية التي تكلمت اللغة السواحلية هذا وقد انتشرت هذه اللغة بين السكان الأصليين مثل الديجو Digo واليا و Yao والجالا وأصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية ، والسواحلية لغة رقيقة وقد جاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية ، كما أنها أخذت تعبيرات فارسية وهندية وهي اللغة الرسمية القومية على طول الساحل الشرقي لافريقية وكانت تكتب بالأبجدية العربية حتى منتصف التاسع عشر [٢] .

والدليل التاريخي على أن سكان الساحل الشرقي لأفريقية ينتمون إلى أصل واحد منفرع إلى قبائل كثيرة هو وحدة اللغة ومقاطعها الأصلية وكيفية الاشتقاق وأدوات الايجاب والنفي وغير ذلك ، وقد سمى المؤرخون هذه اللغة لغة البانتو ومنها نشأت اللغة السواحلية [٣] واللغة السواحلية تنتشر في شرق أفريقية وهي لغة تبناها أبناء العرب المسلمين الأوائل الذين أنجبتهم الأمهات الأفريقيات حيث كان الاباء يتكلمون العربية والأمهات يتكلمن لغة البانتو فزاوج الأبناء اللغتين فتولدت السواحلية ، فثلث كلمات السواحلية من اللغة العربية وثلثها الاخر من البانتو ، والثلث الثالث من البرتغالية والفارسية

1- **Morgan , W. : East Africa , London 1968 . P. 68 .**

٢ – أحمد إبراهيم دياب : مرجع سابق ، ص ٧٣ ، وأيضاً سليمان عبد الغني مالكي : سلطنة الكوة الإسلامية ، دار النهضة ١٩٨٦م ، ص ٧٦ .

٣ – حسن أحمد بدوي : مخطوط سابق ذكره ، ص ٢ .

والانجليزية والفرنسية والألمانية ومن اللغات المجاورة لشرق أفريقيـة ، وهـي لغة حية وغنية بألفاظها ولها تراكيبها الخاصة .

وللسواحلية لهجات منها ' كيامو ' نسبة إلى مدينة لامو وهـي أم السواحلية وأجمعها للألفاظ والتعبيرات وتسمى اللهجة الراقية ، ولهجـة كيتكؤ أي الأرض الشريفة وهي لغة الباجون وفيها دقة التعابير والنبرات وتبدأ هذه اللغة من كسمايو إلى فازه ، ولهجة كثيتا لهجة أهـل ممباسا وتكاؤنع وكوالـي وما جاورها [١] .

وتمتاز هذه اللغة بهجاء يزيد من هجاء أكثر اللغـات السائدة فقد يبلـغ هجاؤها ازيد من خمسة وأربعين حرفا وبعض مخارجها متقاربة [٢] وتعد اللغة السواحلية في شرق أفريقية من أقدم اللغـات الأفريقيـة التي استخدمت ، ولا يزال بعض سكان المنطقـة الساحلية يتمسكون باستخدام تلك اللغـة فـي كتاباتهم ويكتـب المهاجرون إلى الساحل وجنوب القارة الافريقيـة لهاجاتهم السواحلية بالحروف العربية [٣] .

ونظرا لأهمية اللغـة السواحلية فقد ألفت فيها الكتب ، وعملت لها المعاجم وترجمت إليها التوراة وغيرها من الكتب المسيحية ، ونتشرت بها عدة رسائل من الامثال الدراجة [٤] ، وفضلاً عن ذلك أصبحت تلك اللغـة أداة

---

١ – محمد شريف سعيد البيض : طي المراحل في تاريخ السواحل ، مخطوطة مكونة من ٢٧ صفحة كتبت بخط يد الكاتب وهي موجودة في أقدم مسجد في جزيرة لامو وهو مسجد الرياض ، ص٢٥ . وأيضاً حسن أحمد بدوي : مخطوطة سابق ذكره ، ص٥ .

٢ – حسن أحمد بدوي : نفس المخطوطة ، ص ٥ ج .

٣ – إبراهيـم جمعـة : قصـة الكتابـة العربية ، عدد ٥٣ من سلسلة أقرأ ، القاهرة بدون تاريخ ، ص٤٤ – ٤٥ .

٤ – محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٠١ .

لغوية سهلت المعاملات التجارية والمالية ، أي لغة مشتركة وسائدة Lingua Franca يتفاهم الجميع بها (١) .

لذلك يلاحظ أن اللغة السواحلية بدأت في التفوق وفرضت نفسها كوسيلة للتعبير واداة للحديث بين الشعوب الملاصقة للساحل منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي إلى أن جاء القرن التاسع عشر فحلت محل العربية ، وقامت بمهمتها التاريخية في التعبير عن الافكار ونقلها (٢) وإذا كانت اللغة السواحلية قد بدأت في الانتشار بين سكان المناطق الساحلية والمدن الرئيسية خاصة في زنجبار وممباسا ، فقد أمتد نفوذها على أيدي التجار في داخل القارة غربا حتى المناطق الشرقية من حوض الكنغو وفي جميع أرجاء نياسلاند ، وفي تنجانيقا حيث لا نجد قرية من قراها لا يتكلم أهلها اللغة السواحلية وايضاً في كينيا (٣) .

ولما سيطر البرتغاليون على الساحل في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كان من الطبيعي أن تأخذ اللغة السواحلية من اللغة البرتغالية ، ولكن تأثير الأخيرة كان ضئيلا ، لا يمكن مقارنته بما أحدثته اللغة العربية من أثر (٤) ومما يدل على ذلك أن اللغة السواحلية لا تزال تحتفظ بكلمة مسجد العربية لفظا ومعنى ، في حين أن الكلمة السواحلية Gezeza المشتقة من الكلمة البرتغالية Lgreja أي " كنيسة " لا تحمل معناها الحقيقي في اللغة السواحلية وإنما تعني سجين والسبب في ذلك أن البرتغاليين كانوا يبنون

1- **Fitzgerald , W. : Africa : Asocial , Economic and Political Geography of its Major Regions , London 1955 , PP. 122 - 123 .**

2- **Fage , J , A History of Africa , London 1979 , P. 126.**

٣- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الأفريقية وغربها ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٦٤ .

4- **Morgan , W. : Op. Cit., 168 .**

كنائسهم وسجونهم داخل القلاع التي شيدوها على طول الساحل [١] ، ومهما يكن من أمر فان الثقافة العربية الإسلامية اكسبت الساحل لغة قومية متولدة من اللغة العربية قامت بدور هام في مقاوماته السياسية والحضارية ، وان كان هذا لا ينفي وجود اللغة العربية في الساحل كلغة قائمة بذاتها .

وأخذ تيار العروبة يزحف إلى الكثير من أجزاء القارة الأفريقية حتى اصطدم بالاستعمار الأوروبي ، وقد وجد رجال الاستعمار أن أخطر ما سيواجههم في السيطرة على القارة هو تيار العروبة ، فأخذوا الثقافة الأفريقية وصنفوها ، ووجدوا أنهم أمام نوعان منها ، ثقافة عربية تستند وتتساند على تراث فكري وديني وأدبي يجعلها لا تخضع ولا تلين أمام الثقافات الأخرى بل تستطيع مقاومة هذه الثقافات والسيطرة عليها ، وبعد هذه الدراسة واجه المستعمرون هذه اللغة القوية بأكثر من أسلوب تبعا لاختلاف جنسية المستعمر ، فقد أنفرد الأنجليز بأسلوبهم المتميز في محاربة اللغة العرببية في شرق أفريقية ، فقد أقاموا سدا في وجه اللغة العربية ، تلى ذلك تسلل تدريجي لاحلال اللغة الانجليزية ، ونشر الثقافة الانجليزية وقد رسموا لذلك تخطيطا استعماريا لغويا ، يبدأ بتشجيع دراسة اللغات الأفريقية على يد المنصرين [٢] لتحقيق المعرفة الأولية بهذه اللغات ، ثم محاولة تصنيفها ، ويأتي بعد ذلك تشجيع اللغة الانجليزية كتمهيد لسيادة الانجليز وأخرا ادخال اللغة الانجليزية كلغة أساسية في مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الأساسي .

---

[1]- **Knappert , J. : Swahili Islamic Portry , Vol L, Leiden 1971 , P. 4.**

[٢] – محمد مختار أمين مكرم : أضواء حول أفريقية ، المطبعة الفنية ، ص ١١٧ .

وعندما وفد المستعمرون الأوروبيون إلى شرق أفريقية ، وجدوا السواحلية هي اللغة العامة للتفاهم بين السكان ، فتعلمها الكثيرون منهم ، خاصة بين القبائل الداخلية البعيدة عن مجال التأثير الإسلامي [١] .

وهناك مبادرة من الارساليات التنصيرية في شرق افريقية وذلك بالغاء اللغة العربية التي كانت اللغة الرسمية لأهالي شرق أفريقية ، وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم بجميع فروعه وفنونه ولم يطرأ أي تغيير في هذا الاتجاه حتى جاء الاستعمار الأوروبي فبذل مجهودات جبارة في تغيير الاتجاه وحاول فرض لغته على الشعب واظهارها بمظهر اللغة الراقية التي لا غناء عنها في المعاملات والتعليم وغير ذلك كما فعل مع كثير من الشعوب الإسلامية حتى يقطع الرابطة بين الشعوب الإسلامية وبين لغة القرآن [٢] .

ونظمت الكنيسة ارسال البعثات التنصيرية وسلحتها بامكانيات كبيرة وأيدتها وساندتها القوى الاستعمارية ، وعملت هذه البعثات على احياء اللغات المحلية وتدعيمها لوقف انتشار اللغة العربية ، وكتبت الأناجيل بهذه اللغات ووضعت لها نحوها وقواميسها ، وأعدت رجال الدين من بين الأهالي وأقامت الكنائس والمدارس التنصيرية التي عملت على اجتذاب السكان بكل الوسائل وادخالهم في حظيرة النصرانية [٣] .

---

[١] – عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، مكتبة النهضة ، ص ١٠١ .

[٢] – على الشيخ أحمد أبو بكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي دار أمين ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٥هـ ، ص٧٢ .

[٣] – عبد الله نجيب محمد : أهداف المسيحية العالمية في أفريقية ، مجلة الأزهر ، السنة الثامنة والخمسون ، الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦هـ – يونيو ١٩٨٦م ، ص ١٥٣٦ .

ولعل أهم المنظمات التنصيرية العاملة النشطة ضد الإسلام واللغة العربية في المنطقة هي جمعية حملة المسيح التبشيرية ويرأسها البروفسير دون مير ومقرها كينيا ولها مراكز في كل من غانا ، أريتريا ، جيبوتي ، وهي تعمل على محاربة اللغةا لعربية في مناطق الناطقين بغيرها ، وايضا من المنظمات التنصيرية ، العاملة النشطة ضد الإسلام واللغة العربية هي منظمة مراكز الشبيبة المسيحية ومقرها ألمانيا الغربية [١] .

ولقد قام الألمان بالغاء اللغة العربية في صالح استخدام لغتهم الوطنية، وهذا تسبب في زيادة تفهم عقيدتهم وحرك طموحاتهم ، والمعروف أنه تم ترجمة الانجيل إلى اللغة الألمانية بواسطة مارتن لوثر Luther في القرن السادس عشر وكان له تأثير ضخم على الناس في ألمانيا ، وقد ركز العمل الأولي لبعثات الألمان على قيمة اللغة الوطنية العامية ، والتأكيد عليها لاستخدامها في عمل المبشرين [٢] " المنصرين " ، حيث قرر المنصرون العمل على وقف انتشار اللغة العربية التي هي أداة انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقية ، وهي في ذات الوقت عامل من أهم العوامل في توحيد الشعوب المختلفة اللغات واللهجات وتعمل على جمعها على ثقافة واحدة، باعتبارها أداة الوصل والاتصال بينهم ، والمحققة للاندماج الوطني بين قبائلهم ، وهذا مالا يرغب فيه المنصرون .

وعمد المنصرون من خلال مدارسهم التنصيرية إلى اكتساب ثقة الوثنيين ، وحتى يتم لهم الاتصال بهم كان لابد في نظرهم من استخدام اللغة

---

١ – عبد الجليل ريفا : التبشير في أفريقيا ، المطبعة السكرية ، الطبعة الأولى ، ١٨٩٣م ، ص٣٧ .

2- **William , B. Anderson : The Church in East Africa , Central Tanganyika Press 1977, PP. 48 - 49 .**

العامية ، وعدم استخدام أو تدريس اللغة العربية في محاولة منهم للوقوف فـي وجه انتشار الإسلام (١) .

فقد عمد المنصر الألماني " كرايف " إلى تدوين اللغة السواحلية بحروف لاتينية بدلا من العربية وقام هو ومن جاءوا بعده من المنصرين بوضع قواعد لتلك اللغة ، وكان الهدف من ذلك افراغ الثقافة السواحلية من مضمونها العربي الإسلامي ، وقد تحقق لهم هذا الهدف بقدر ما ، ثم عمدوا مرة أخرى إلى جعل اللغة الانجليزية هي لغة العلم والثقافة ونجحوا في ذلك إلى حد ما أيضاً ، وأصبح معظم الكتاب والشعراء يكتبون انتاجهم بها ، ومع ذلك لازال البعض يصرون على الكتابة باللغة السواحلية ولازال البعض أيضاص يكتبها بالحروف العربية (٢) .

ولم يكن كرايف عادلا خلال فترة اقامته في نمطقة شرق أفريقية ، حيث سلم إلى مطبعة توبنجن Tubingen في ألمانيا ما هو معروف من مفردات ومعاني اللغة التي هي ليست من اللغات الأفريقية وكذلك ترجمة الأنجيل ، وكان أعماله هذه كلها لمشروع تنصير المنطقة (٣) " شرق أفريقية " وعندما كانت إدارة البعثات الألمانية ترسل معلومات لألمانيا ليتم تعليمها في المدارس فان مؤتمر بعثة القارات في برلين قرر بأن المساعدات إذا تم منحها يجب أن يتم رفضها ما لم يكن الهدف يشتمل على ضرورة تقديم التعليم ، وكان هدف البعثات هو تدريب الأفريقيين بالطريقة الأوروبية ، وذلك إلى

١ – عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الثامن ، السنة الرابعة والأربعون ، شعبان ١٤٠٦هـ ، أبريل ١٩٨٦م ، ص٩٧ .

٢ – المرجع السابق نفسه ، ص ٩٩ .

3- **Eugene Stock. : Op. Cit ., Vol II , P. 129 .**

محتويات اللغة الانجليزية وباستخدام سياسة مستديمة يمكن أن تصبح اللغة الأوروبية هي اللغة السائدة في شرق أفريقية (١) .

وقد جلبت جمعية برلين إلى جنوب المرتفعات الجبلية في تنجانيقا بقواعد لغة وطنية مع تدريبات عليها استخدم أعضاء البعثة لهجة اوبينا Ubena في عباداتهم وهذا جزء من مبادئ اللغة المحلية الدارجة بجانب هذا التأكيد على اللغة العامية كان يوجد اتجاهات خاصة لمختلف البعثات ، فبعثة جمعية الروح القدس غيرت اللغة من أجل جعل المستعمرات المسيحية تدرس عدة لغات متنوعة في مدارسها ، وقد أيدت جمعية برلين هذه المدارس (٢).

وقرر المشرفون على جمعية برلين بالاجماع وباصرار عدم الاستخدام الرسمي اللغة السواحلية كلغة للمعلومات في المدارس ، وعرضوا أن يساهموا في التعليم على أساس أن الأولاد الذي يتم ارسالهم للمدارس ينبغي ألا يكون لديهم مسبقا عن اللغة السواحلية .

وقد صرح رئيس البعثة بوخنر Buchner بأن قلبه لا يرق للسواحلية وذهب إلى أبعد من ذلك في خطابه أمام المؤتمر الاستعماري Kolonial Kongress في عام ١٩٠٥م وذلك باعلان أنه لا يفضل الاختلاب بالاسلام وكل ما يفضله هو انه يجب ان يعوق انتشاره ، وعلى هذه المبادرة قدم المؤتمر حلاً وهو أنه يجب أن تقدم المدارس اللغة الالمانية بدلا من اللغة السواحلية ، وتمت الموافقة عليه لمنع الإسلام من الانتشار وأقترح أحد المشرفين على التدريس في شئون اللغة وقواعدها بأن البعثات أخذت فكرة عدم استخدام اللغة السواحلية في التعليم وهذا الاقتراح نال موافقة مدير بعثة "

1- **Oliver , R. : The Mission ary Factor in East Africa , P. 181.**

2- **William B. Anderson : Op. Cit ., P. 49 .**

يلبزج Leipzig وهو شفارتز Schwartz حيث أعترف بأن التعليم يقدم في كسروي Kisserawe بالقرب من دار السلام باللغة العامية ، بدلا من اللغة السواحلية [١] .

وفي تابورة Tabora أوضح المشرف الألماني شترن Stern بأنه لا يسمح بتقديم المعلومات باللغة السواحلية ، وأن الحاكم قد استجاب لذلك والفائدة الكبرى التي تعود على الادارة عند اتفاقها مع البعثة هو تحطيم اللغة السواحلية .

وبحلول عام ١٩٠٥م بدأ تبعثه برلين تستجيب لطلب التعليم المدني ، لذلك تم تحويل المدرس كليف Cleve من مدرسة كيسيراوي Kiserawe إلى بينا سينود Benasynod ليشرف على التدريس في كديوجالا Kidugala ' في منطقة تنزانيا والتي أنشئت عام ١٩٠٤ كمركز للتدريب على التبشير للمسيحية وقد طور كليف نظام المدرسة في كديوجالا فقسمها على إلى قسمين واحد منها للتعليم المدني العادي ويشمل التعليم باللغة الألمانية وذلك لاعداد الأولاد للحياة العامة ، والقسم الآخر للعلوم الدينية الابتدائية بهدف تدريب التبشير للمسيحية ولحث الإدارة على تشجيع هذا التطور والديلع لى ذلك أنها قدمت لها منحة بل تكفلت بالصرف على أدوات المدرسة رغم أن الرغبة في تغيير مستوى المنهج التعليمي تم اعلانه ، وقد علق على ذلك أحد المنصرين بأن السبب الهام للمعارضة للسواحلية هو أن المبشرين لا يتحدثون هذه اللغة[٢] .

---

[1]- **Marcia Wright : German Missions in Tanganyika 1891 - 1941 , Oxford 1971 P. 113.**

[2]- **Marcia Wright ; Op. Cit ., P. 114.**

وحلل منصر آخر وضع البعثات الألمانية في شرق افريقية بمنهج دقيق ، حيث رأى أن مضاعفة اللهجات العامية في المنطقة يعتبر اغراء للمنصرين لمواصلة عملهم بحوية نشطة وأن المدرسة الجيدة يجب أن تتخلى عن التدريس بلغة الأم الوطنية في تدريس القواعد الأساسية للتنصير ، وقد أشار بأنه رغم ذلك فان المعاهد المركزية لتدريب المبشرين للمسيحية لا محالة ستؤدي إلى انتشار لغة تخص المجمع الكنسي ، وهذا سيؤدي ببساطة إلى خلق جيل مسيحي يتحدث لغة شبه عامية بدلا من اللغة السواحلية ، ولقد اقترح بأن مثل هذا الاتجاه يجب أن ينمو عندما يصل المجتمع إلى حوالي أكثر من نصف مليون وكجزء من هذا الشعور ، يجب على المبشرين أن يتعلموا اللغة العامية في برنامج اللغات الشرقية في برلين (١) .

وبعد فتح المدارس الأولية والابتدائية والمدارس الصناعية عام ١٩٠٨م كانت هناك آراء وهي أي لغة تستخدم في تعليم الأطفال هل العامية أم السواحلية بحروفها اللاتينية ، ولقد كانت اللغة السواحلية لمدة مئات السنين تكتب بالحروف العربية ، كما كان هناك أدب سواحلي ضخم لا سيما في الشعر حيث يمتد عبر سبعة قرون من الزمان وكان يتناول كل فكرة يدركها العقل أو حالة تدخل في نطاق التجربة السواحلية (٢) ، وكان التلاميذ يتعلمون الخط العربي منذ نعومة أظافرهم في الكتاب خلال دروسهم القرآنية ويشجعهم آباؤهم على ذلك ومن ناحية أخرى كانت البعثات التنصيرية تصطنع في كتبها وترجمتها السواحلية للكتاب المقدس الحروف اللاتينية ، وكان من رأي سير جون كيرك وسير جونستون Johnston اللذين استشارتهما وزارة الخارجية أن

---

[1]- **Marcia wright : Op. Cit , P. 122 .**

[2]- **Hichens : Al-Inkishafi , London 1939 , P. 41.**

الحروف اللاتينية أنسب الحروف لكتابة السواحلية ، وقد أشار سير جونستون إلى أن الحروف الهجائية العربية أبعد ملاءمة من أي حروف اخرى لكتابة أي لغة سوى العربية ، وحتى حين محاولة تيسييرها بادخال بعض حروف فارسية قليلة وعلامات تحريك اضافية ، لذلك تقرر استعمال الحروف اللاتينية في جميع مدارس الحكومة (١) رغم المعارضة المحلية لهذا القرار . وعملت السياسة التنصيرية إلى أبعد من ذلك في محاولة صبغ التعليم بصبغة أوروبية ، فاتجهت إلى كلية غوردون التذكارية في الخرطوم في محاولة لحرمانها من الصبغة العربية ، وذكر في ذلك احد رجال الأرساليات حيث قال : " لقد أمكن عن طريق نظم كلية غوردون التذكارية وضع أسلحة الجامعةا لأزهرية في أيدي الشباب بديلا عن الاشراف الغربي على تلك الكلية ، وكان من شان هذا الاشراف المدعم بمعرفة تامة لأحوال الجماعات ، أن يمهد السبيل تدريجيا وضمنيا للتوغل الإسلامي الدموي الذي يستخدف السيطرة كليا على القارة الأفريقية ، والقضاء النهائي على كل النفوذ المسيحي ، والدين الإسلامي المتسامح من الناحية الأخلاقية يوافق عواطف ومزاج الرجل الأسود ، مثلم يوافق كل الأمم غير المتحضرة ومن الخطورة فيما يختص بالعقائد الدينية للرجل الأسود الذي ينتمي لأي قبيلة من القبائل أن تحتفظ بذاتيتها " (٢) .

وهكذا يتضح من مثل هذا الخطاب وغيره كيف قامت الارساليات التنصيرية بالضغط على الحكومة الانجليزية لتفريغ كلية غوردون من محتواها العربي الإسلامي .

1- Holling Sworth , L , W ; Op. Cit , P. 224 .

٢- عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد الثامن السنة ٤٤ ، شعبان ١٤٠٦هـ / أبريل ١٩٨٦م ، ص ٩٨ .

وقام المنصرون في شرق أفريقية بانشاء معهد أسموه معهد اللغات ، وتحت هذا العنوان برئ يرسل المنصرون رجالا متخصصين في اللغات العامية التي لا تقرأ ولا تكتب ويقوم هؤلاء بوضع قواعد اللغة المحلية وقاموس لها ، ويترجمون إليها الأنجيل ثم يدخلون تلك الترجمة في صلب تدريس الأطفال حتى تتحول القبيلة التي لا تقرأ ولا تكتب ويقوم هؤلاء بوضع قواعد اللغة المحلية وقاموس لها ، ويترجمون إليها الانجيل ثم يدخلون تلك الترجمة في صلب ترديس الأطفال حتى تتحول القبيلة التي تتكلم الهجة المسيحية [١] .

وهناك وثيقة مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية إلى السيد سنكلير Sincair فيما يتعلق بنظام التعليم في زنجبار ، أن يضع الملاحظات فيما يتعلق بالموضوع في تقرير لمدير التعليم ، ولقد ناقش Smith عدة بدائل وهي :

أ- تقديم اللغة الانجليزية كوسيط للمعلومات .

ب- محو اللغة العربية من الكتب المدرسية .

جـ- استخدام كتابة اللغة السواحلية في الشكل الأوروبي .

وأيضاً مما جاء في الوثيقة أن الموضوع ذو اهمية في تطوير التعليم في المحمية ، ولقد فكرت في أنه من المنطق الحصول على رأي هؤلا الناس في الدولة حيث عملوا دراسة خاصة في اللغات الأفريقية وبصفة خاصة اللغة التي يتم استخدامها في شرق أفريقية ، وأنا أخبرك بأنه يجب أن تدرس اللغة السواحلية بالحروف الرومانية ، بالاضافة إلى ذلك فان الحروف الابجدية العربية هي غير مناسبة لتقدم أي لغة ، بينما الحروف الرومانية ممكن أن

1- F. O. 403 / 396 : Foreign office to sinclair 16 Nov. 1908.

تمثل اللغة السواحلية لذلك أي محاولة لامتداد اللغة العربية في كتابة اللغة السواحلية عدم النظر اليها واسقاطها [١] .

ولقد أثرت هذه الفكرة بدون شك على Smith ولجنته ، اذ أنه لو أمكن اقتباس هذه التوصيات فان الاطفال سيصبح لديهم فقط حروف أبجدية واحدة للتعليم والذي سيتم استخدامها من أجل الديانة ، ولكن في المقاوم الأول يجب التبعية بأن الحروف الأبجدية المقترحة هي ليس لها أي أرتباط بالحروف المستخدمة في القرآن ، وفي المقام الثاني فانه من المرغوب فيه المحافظة على التعليم الدين المسيحي بقدر الامكان ، ومن أجل ابعاد احتمال أي خطر وأي محاولة ممكن الاهتداء إليها تقرر أن أي فرد يرغب في تعليم القرآن يجب أن يعرف الحروف الرومانية حتى يعتبر نفسه غير قادر على قراءة القرآن [٢] .

وأنشأت البعثات التنصيرية مدارس الغابات ، وظلت تخضع لاشرافها دون ان تمتد إليها يد الحكومة المركزية ، بسبب وجود هذه المدارس في مناطق الغابات البدائية وبعدها عن مراكز العمران ، ولم تكن هذه المدارس تتلقى اعانات مالية من الحكومة ، ولم تطبق بها النظم الأوروبية الحديثة في التعليم لقلة الامكانيات المادية لهذه المدارس ، ولم يشترط لدخول هذه المدارس سن معين ، وكانت للغة التعليم بها هي اللغة العامية ، ولم تعرف هذه المدارس نظام النقل من صف إلى آخر ، وإنما كانت عبارة عن عدد من الفصول الجماعية تضم مختلف الأطفال الأفريقيين الملتحقين بها .

1- **F. O. 403 / 396 : Foreign office to sinclair 16 Nov. 1908.** أنظر ملحق رقم (١٤)

2- **Ibid .**

وأيضاً أنشأت البعثات التنصيرية مدارس القرية ، وكانت الحكومة تعين مدارس القرى التي أسستها البعثات ، وكانت مدة الدراسة اربع سنوات ويشترط للانتقال من صف إلى آخر بها أن يجتاز الطفل امتحانا خاصا في التربية الدينية المسيحية يعقد في آخر العام ، وكان التعليم في أول الأمر باللغة السواحلية ثم حلت محلها فيما بعد اللغة الانجليزية (١) .

وعلى الرغم من أن المبشرين وجدوا أن اللغة الدارجة وسيلة نافعة لنشر الدين المسيحي ، فان تعليم اللغة الانجليزية كان ضرورة أساسية لهم في التعليم ونتيجة لهذا كانت اللغة الانجليزية لغة التعليم في جميع المدارس (٢) .

وقد ساعد التعليم على خلق طبقة جديدة تحولت إلى المسيحية وأخذت بالعادات الغربية وبعدت عن تقاليدها الوطنية ، ووضعت نفسها فوق السلطات الأفريقية التقليدية وبدأت تسعى إلى السيطرة السياسية ، والسبب في انفصال هذه الفئة المتعلمة عن تقاليدها الأفريقية يرجع إلى طبيعة الدراسة ذاتها في المدارس الكينية التي أهملت التقاليد والعادات الوطنية ، وأظهرت احتقارا واضحاً لها ، وحاولت ابعاد التلاميذ عنها بدعوى عدم تقدمها وفي الوقت ذاته كانت هذه الفئة المتعلمة تعطي اهتماما واضحا للهجات المحلية وتحاول جذب التلاميذ إليها للتقلد بها .

وقد حدث أو أول سؤال تم اختياره بواسطة اللجنة الاستشارية في وزارة المستعمرات كان عن موقع اللغة العامية الأفريقية في التعليم وهذا له علاقة على مستوى عالي بتصنيف القواعد والاملاء والتي يجب ان يتم عرضها على المعهد الدولي للثقافة والذي يعمل كمؤسسة توضيحية بين

1- A guide to Kenya , London 1962 , PP, 80 - 81 .

2- Coleman : Op. Cit . PP. 114 - 115 .

حكومات البعثات ويدعم وتأييد مؤسسة فيشر Vischer والتي يرأسها لوجارد Lugard أما البعثات الكاثولوكية فقد كونت لجنة عن طريق الدعاية لكي تنضم إلى الاجتماع وقد كان احدهم القسيس ديبوا Dubois حيث اقترح بأن هذه السلطة من الدعاية للتعاون النشط في اعتماد البعثات للغة العامية في علاقاتها أمر لابد منه ، وكذلك أيضا تأييد الباب بيوس Pius XI الحادي عشر بقوله بأنها السياسية العصرية (١) .

وقررت بعثة الكنيسية تقديم الانجيل للناس باللغة العامية (٢) ، ولا تباع تلك السياسة فان اثنين من المنصرين في بعثة الكنيسة وهما كرابتري Crabtree وروولنج Rowling وصلا إلى يوسوجا Busoga ، حيث عكفا في الحال على طبع صفحات للمطالعة وترجما الانجيل إلى لغة البوسوجا Busoga العامية (٣) .

ورغم أن مبشري الباجندا Baganda كانوا يدرسون في أوغندا فان المبشرين الأوروبيين استمروا في طبع صفحات المطالعة والكتب باللغة المحلية وبحلول عام ١٩٠٨م قاموا بترجمة انجيل ماثيو Matthew ومرقص Mark باستخدام اللغة العامية (٤) .

أن الدعوة للمسيحية أصبحت من الوسائل الأولية لبعثة بيتل Bethel والأشخاص المحولون في معظم الحالات اعتبروا ذوي أهمية في أن يكونوا قادرين على قراءة الانجيل ، وطبقا للأحكام العامة يمكن القول بأن المبشرين

1- Dubois , H, : Repertorire Africain , Rome 1932 , P. 157 ; Oliver , R, : The Missionary Factor in East Africa , P. 272 .

2- Tucker : Eighteen Years in Uganda and East Africa , Vol II, London 1908, P.50.

3- C. M. S. : Extracts , Annual letters of Missionaries 1896 , P. 231 .

4- Bruton , : Somenotes on the Basoga " in Uganda Journal , 2 April 1935 , P94.

حاولوا معرفة اللغة المحلية ، ولكن عندما كانت اللغة الدارجة في المنطقة هي اللغة السواحلية فقد استخدموا اللغة العامية (١) .

وفي عام ١٩١١معقد مؤتمر دار السلام (٢) وتم الاتفاق على مشكلة اللغة ، وتم انتقاد الترجمة القديمة إلى السواحلية لأنها كانت في متناول الغالبية من السكان بسب استعمال بعض الكلمات العربية ، وقد أصرت بعثة بيتل Bethel في هذا المؤتمر على أن العهد الجديد (الانجيل) يجب أن يتم ترجمته بدون استخدام العربية (٣) ، وهذا يوضح لنا أن المبشرين أنشغلوا بقلوبهم بمسألة محاربة اللغة العربية .

وفي عام ١٩٣٩م تشكلت لجنة من ممثلي جميع الاقاليم في شرق أفريقية لوضع كتابة اللغة السواحلية ، ولكن لم تنج من دنس المنصرين فقد أوعزوا إلى عملائهم بأن ينادوا باحلال العامية محل اللغة السواحلية تدريجيا ، ولقد قررت البعثة التنصيرية التي وصلت إلى شرق أفريقية لدراسة الأوضاع اللغوية بأن تعليم اللغة السواحلية مضيعة للوقت ، وكذا تدريس الحصص القرآنية ، وحتى تنال من اللغة السواحلية روجت للغات محلية ، وجعلتها لغة التعليم في المرحلة الابتدائية ، وأخيرا قررت أن تكتب السواحلية بالحروف اللاتينية ، لتقطع كل خيط يتصل باللغة العربية ، وقللت عدد الحصص لتنهي كل صلة بها (٤) .

---

[1]- Carl - Erik Sahlterg : Achurch History of Tanzania , Nairobi 1986, P. 103.

٢ – مؤتمر دار السلام عقد في سنة ١٩١١م وعقده جمعيات التنصير الالمانية وكان هدفه هو انتقاد الترجمة القديمة للانجيل والتي كانت باللغة السواحلية وأنه يجب الا يستخدم اللغة العربية في المنطقة .

[3]- Ibdi ., P. 104 .

٤ – محمد مختار أمين مكرم : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

والغريب في الأمر أنه بذلت المحاولات الكثيرة لتحويل كتابة العربية نفسها إلى الحروف اللاتينية ، قد أدعوا فيما أدعوا أن الحروف العربية لا تلائم التطور وتؤدي إلى صعوبات في النطق الصحيح والكتابة المضبوطة ، مع أن الحروف اللاتينية لا يمكنها التعبير عن كثير من أصوات العربية ، وكثرة أخرى من الأصوات الأفريقية التي لا نظائر لها في اللاتينية مثل أصوات الحلق والأصوات المركبة وغيرها ، كما أن الكتابة اللاتينية نفسها تحتاج إلى اعادة النظر في اصلاحها لتعبر عن أصوات اللغات المكتوبة بها في أوطانها [١] .

وحاولوا أن يدفعوا الناس إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية وساقوا المبررات ، ولذا فقد انفعل الشاعرِ حافظ إبراهيم فأشاد باللغة العربية بقوله : [٢]

رجعت لنفسي فأتهمت حصاني ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم اجزع لقوم عداتي
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

إن التعليم بلغة المستعمر أو باللغة العامية أفسح المجال للنقد من جانب المثقفين الأوروبيين فيقول أحدهم بخصوص التعليم في المستعمرات من يستطيع أن يكشف الاحتيال والنصب في فرض لغة أجنبية على الشباب الافريقي وكأنها لغة أمهم ؟

في حين يذكرنا آخر بأنه في الكنغو البلجيكي تتربي كل مجموعة من سلالة واحدة وعلى أن تنطق لغة خاصة بها فكان نتيجة لتلك التربية عزل كل

[١] – عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، ص ٩٩ .

[٢] – محمد مختار أمين مكرم : مرجع سابق ، ص ١١٨ .

مجموعة من تلك المجموعات عن الأخرى فتتسع الهوة بينها لتزداد الفرقة بينها [1] .

ولقد استرعى نظر المثقفين كلام بعض الأوروبيين عن قصر وقلة مفردات اللغة العربية وأن هذه اللغة لا تصلح للاستعمال إذا قورنت باستخدام اللغات الأوربية وخاصة في المجالات الفنية ، فإذا كانت ترجمة التوراة إلى لغتي يوروبا أو كسوزا لم تعترضها أي صعوبات إلا أن الأمر يختلف اختلافا تاما في ترجمة الكتب العلمية ، ولقد عارض المثقفون الأفريقيون الرأي القائل بفقر اللغة العربية الذي أدعاه الأوروبيون ، وقد دافع الأب "بولات " في مقدمة كتابه ' تخطيط سنغالية ' حيث اختتم مقاله الذي فند ومحص المزاعم الموجهة ضد اللغة العربية فقال : " عجيب أن نجد أناسا ليسوا مثقفين ولا علماء نحو وصرف ولا أعضاء مجمع لغوي ، ولكن شيئا واحد مؤكدا ومحققا هو أن هؤلاء الناس من أبناء آدم خلقهم الخالق وكفر دم السيد المسيح عن ذنوبهم " [2] .

لذلك نجد أن من أسلحة المبشرين في الحروب الخفية للإسلام هو محاربة اللغة العربية واجلاؤها من الألسنة ، حتى تتقطع الصلة بين المسلمين وبين كتاب الله الذي هو دستور دينهم ولسان شريعتهم ، وكان من وسائلهم لتحقيق هذه الغاية أن قربوا إليهم كل ما يحسنون لغة المستعمر وأن يمكنوا لهم من تولي المناصب العالية ، وأنه بقدر انسلاخ المسلم من لغته يكون حظه من الجاه والسلطان عندهم ، الأمر الذي دعا كثيرا من أبناء المسلمين إلى الاقبال على تعلم لغة المستعمر وحذقها في الوقت الذي أنصرف فيه عن لغته

---

[1] – كلود فوتييه : افريقية للافريقيين ، ترجمة أحمد كمال يونس ، دار المعارف ١٩٧٨م ، ص٣٣ .

[2] – كلود فوتييه : مرجع سابق ، ص٣٨ .

معتقدا أن ذلك لا ينقص من دينه ، ولا يمس شيئا من عقيدته التي انعقد عليها قلبه ، والتي لا سبيل للمستعمر عليها ، وبهذا أصبحت دول كثيرة من الدول الإسلامية جاهدة وبكل وسعها بعد أن جلا الاستعمار عنها أن تسترد لسانها العربي بعد تلك الغربة الطويلة التي أنقطعت فيها الاسباب بينها وبين لسانها العربي لسان دينها وترجمان شريعتها [1] .

أن الحرب على العربية دائمة ومستمرة ، ولن تتوقف ولا علاج لهذا الأمر دون الاهتمام باللغة العربية ، ونشرها والعناية بها والعمل على تطوير الكتابة بها لتلائم الاصوات الأفريقية غير الموجودة بها ، والأفريقيون أنفسهم شديد والحرص على تعلم اللغة العربية والكتابة بها [2] .

وعلى أي حال فلم يكن في الامكان أن تتغلب اللغة السواحلية على اللغات الأخرى ، ما لم تكن لغة الثقافة والحضارة الأعظم شأنا في ذلك الوقت، كما أنها تمتاز بقدرتها على اشتقاق كلمات ومفردات جديدة نظرا لطبيعتها الالصاقية ، وبذا استجابت للتطور ، وأستطاعت أن تستمد من اللغة العربية معينا لا ينضب من المصطلحات الحضارية ، فهيأ لها ذلك أن تكون لغة الثقافة والعلوم ولغة التأمل ، فساعدها ذلك على التغلب على اللهجات واللغات الأخرى [3] .

[1] – عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام ، جريدة عكاظ ، عدد رقم ٤٠٣٣ ، تاريخ اصدار الجريدة ١٣٩٧/٦/٢٨هـ .

[2] – عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقية ، ص ٩٩ .

[3] – عبد الله نجيب محمد : دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٠٢ .

الفصل الثالث

طبيعة ومناهج العمل التنصيري

أ- التنصير عن طريق الخدمات العلاجية .

ب - التنصير عن طريق التعلم .

(أ) التنصير عن طريق الخدمات العلاجية

كانت الأمراض أشياء ثقيلة على الحياة كما يمكن أن نراها بالقاء نظرة على ماحدث في دار السلام حيث يوجد صفوف فوق صفوف من صغار السن الذين ماتوا بأمراض المناطق الاستوائية [١] .

وبما أن المرض والصحة مرتبطان بحياة الإنسان فإن هيئة الارساليات التنصيرية قد اتخذت العلاج وسيلة للتوصل إلى الهدف ومع أنها تضع في اعتبارها الهدف الاساسي وهو نشر المسيحية في ربوع هذه المنطقة (شرق أفريقية) ، ولكنها تتحدث عن أنها تقوم ببناء المستشفيات لغرض إنساني لخدمة الشعوب المتخلفة [٢].

وكان قد تمت محاولة وعظ الناس لادخالهم في المسيحية وذلك عن طريق المنصرين في الشوارع ولكنهم فشلوا، فارتأوا أحسن مكان يتم فيه نشر المسيحية والتنصير هو في المستشفيات حيث أن الوعظ لرجل مريض يمكن أن يعطي فائدة [٣].

لذا استغلت مؤسسات التنصير فرصة عدم وجود مستوصفات ومراكز طبية في تنزانيا، وقامت بتأسيس عدد من المستوصفات والمراكز الطبية بحيث يستفيد بالدرجة الأولى من تلك المستوصفات النصاري ومن رضى

---

[1] -Timkigging : Aserving people Oxford University Press 1974, p.148

[٢] – تقرير غير مطبوع لمبعوث رابطة العالم الإسلامي في نيروبي الشيخ علي محمد صالح كيني الجنسية، وقد تم إجراء مقابلة معه أثناء الرحلة العلمية وذلك يوم الجمعة الموافق ١٤٠٨/٢٢/٢٣هـ.

[3]- Maynard H. Smith : Frank Bishop of zanzibar , life of Frank Weston, D.D. 1871-1924 , London Society forPromating Christian Knawledage , New York and Toronot, 1926,P.105.

اعتناق الديانة النصرانية، كما يستفيد من مستوصفات النوادي الصهيونية من يقوم بخدمة أهداف هذه النوادي .

أما المسلمون فمتأخرون في هذا المجال لعدم وجود الامكانيات المادية وهو يعتمدون على مستشفيات عامة، وهى تعاني من نقص الأدوية واللوازم الطبية ، والواقع أن المسلمين في تلك المنطقة يحتاجون إلى مستوصفات ومراكز طبية حتى يتمكنوا من رفع مستواهم الصحى [١]

وفي الأيام الأولى للتوسع الأوربي لم يكن هناك من الخدمات الاجتماعية غير ما تقدمه الارساليات، فالخدمات الطبية الوحيدة التى يقدمها الارسالي تقتصر على العقاقير البسيطة، ومع نمو المصالح الحكومية وتوسعها لم يعد الأرساليون هم المدرسون والأطباء الوحيدون، ورغم هذا فإن مستشفيات الأرسالية في كثير من الأمكنة تشكل جزءاً هاما، وكذلك اسهمت الأرساليات المسيحية بقدر كبير في تعلم اللغات الافريقية، وإذا كنا نوازن بين كل هذه الخدمات وما كان منها من احساس يقيمة العادات القديمة، وذلك التزمت الشديد، والقيام في بعض الأحيان بنشاط سياسي ملتو فأنا نجد أن ميزان خدمات الأرساليات المسيحية أنما هو من طبيعية ومناهج العمل التنصيري وذلك بالتنصير عن طريق الخدمات العلاجية [٢].

أن الشعوب الأفريقية تختلف في المجال الاقتصادي والصحي وتقع فريسة الأوبئة خاصة الأطفال منهم، بالإضافة إلى سوء التغذية ومن هذه

١ - تقرير غير مطبوع للشيخ سليمان عبد الله صالح شقصي، من مواليد دار السلام " بتنزانيا" عام ١٩٢٠ م وهو رئيس جمعية المسلمين، ص٦

2- Anthont Sillery : Op. Cit ., P.85

النقاط دخلت ارساليات التنصير في كافة أرجاء شرق أفريقية، وأسرعت إلى بناء المستشفيات المتطورة المزودة بالمعدات الحديثة والأطباء المهرة في مختلف التخصصات، وحتى تلك التى شيدت في المناطق البعيدة عن خطوط الموصلات والتى لا تصل اليها اية وسائل النقل الحديثة ومع ذلك تنافس تلك التى شيدت في المدن الرئيسية، وتستخدم في الوصول إليها الطائرات العمودية، وتجرى العمليات الجراحية المعقدة في تلك المستشفيات البعيدة ولاتحتاج إلى نقل المرضى للمدن الرئيسية للعلاج لأنها مزدوة بالأطباء المهرة والأدوات الحديثة [1].

وكان المنصرون يشيدون المستشفيات المتطورة في أرض فقراء لا وجود فيها للإنسان، فهى تحل في تلك البقعة ثم تقوم بعمل بناء المدارس والمستشفيات والملاجئ ودور الحضانة وبعد ذلك تقوم ببناء وحدات سكنية لتوزيعها على القبائل الرحل أو الفقراء المعدمين وبعد فترة يكثر طلاب العمل اليومي فى المنطقة، وبحصولهم على العمل يشعر الجميع من مواطنى تلك المنطقة بارتياح منقطع النظير، وبعد ان جهزت تلك المباني للعمل تفتح أبوابها لقبول أكبر عدد من الأطفال والكبار لتنصيرهم، أما إذا كان شعب المنطقة يدين بالإسلام فإن التنصير يكون بالتدريج [2].

ولقد جاءت جمعية (بيتل) Bethel من المانيا بخلفية في الخدمة والعمل الاجتماعي حيث تقرر أن يكون العمل الطبي هو الشكل الرئيسي للخدمة مع الوعظ عن المسيح في القرى، وأول اثنين تم تحويلهما إلى

---

[1] --تقرير غير مطبوع بعنوان " عمل المنصرون في كينا " للشيخ علي محمد صالح مبعوث رابطة العالم الإسلامي في نيروبي " كينيا " ، ص ١١.

[2] --تقرير الشيخ علي محمد علي، المرجع السابق، ص ١٢.

النصرانية على يد البعثة بتيل بين قبائل الواشامبا Washambala كان مصابين بمرض البرص (١).

وفي عام ١٨٤٩ ناشد كل من الدكتور كرايف Krapf وريبمان Rebmann جمعية الكنسية التنصيرية لتقوية البعثة وذلك بأرسال ارهات Erhardt وفاجنر Wagner اللذين وصلا إلى راباي Rabai وحولا منزل بعثة الكنسية إلى مستشفي وفي هذه الحالة كان كرايف يباشر حالة العلاج وقد تحدث يقول : في بداية الأمر ظهر بيننا مرشد تم أخذه سرعة منا (يقصد توفى) ولكن موته أحضر البركة إلى جماعة الوانيكا Wanika، حيث رغم موته فهو لا يزال يتحدث إليهم لأنهم الان لأول مرة يرون الموت والدفن لمسيحي والأمل في مقابلة المسيح وقيام المسيح من قبرة، وبعد تلاوة صلاة الجنازة تمت ترجمتها إلى اللغة الكنكا kinika وتحدثت للموجودين الذين حضروا الدفن بعض من آيات الأنجيل والأناشيد الدينية (٢).

إن الأغراق في استخدام الخدمات الطبية كمدخل للتنصير يحظي دوما بالتشجيع من القيادات التنصيرية، وقد نقده البعض على أنه مغامرة باهظة الكلفة يمكن أن تؤدي إلى انحراف كبير عن أهداف التبشير الأساسية، وهى التبشير بالأنجيل ونشر الإيمان المسيحي، ويرى البعض أن الأغراق في الخدمات الطبية يؤدي إلى تورط كبير في إدارة المستشفيات والعيادات المحلية ويتطلب مجهودات جبارة، وهذه المجهودات تستغرق وقتاً وتستنزف طاقة مما يعنى الحد من المجهودات المبشر الرامية إلى التبشير بالأنجيل، وقد بلغ الأمر

1- Anderson , A.Brief Account of Christianitg in Tanzania Makerere University, Kampala 1975.P.7.

2-Eugene stock : Op . Cit, Vol . I, p .128

بالدكتور هاريسون Harrison وهو أحد كبار رجال الأرسالية التنصيرية حيث ذكر (ان المبشر لا يكتفي بتطوير المستشفيات حتى لو غطت خدماتها جميع أطراف الأقليم، إن الهدف من وجودنا هو أن نجعل الرجال والنساء مسيحيين[١].

لذلك كانت الخدمة الطبية كوسيلة للتنصير تحظى دوما بالأولوية ضمن مهمات المبشرين وقد لعبت دوماً الدور الأكبر بين أنشطة الأرسالية الاجتماعية وكان تقدم مثل هذه الخدمة جزءا من الخلق المسيحي الذى يدعو لمساعدة الناس وشفائهم، وقد تحدث الدكتور بنجز Pennings عن السبب الذى يدعو الارساليات التنصيرية لاختيار هذه الوسيلة طريقاً للتنصير بقوله:(من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلماً ومداويا، وفي الواقع كان طبيبا، أن ما تفعله هو تأثر خطاه).

أن المداواة في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور تبدأ مع بداية معجزات المسيح الذى شفي المرضى، لكن في الحقيقة ان المسيح لم يكن طبيبا أو مداويا بالمعنى الذى تألفه في المستشفيات فهو لم يستخدم أى نوع من الدواء لشفاء الناس، ان مافعله المسيح في هذا الميدان هو القيام بالمعجزات[٢].

إن الأوليوية التى حظى بها هذا المدخل والأسلوب تعتمد على اشباع حاجة الأهالي الملحة إلى العلاج الطبي.

1- Harrison, P. Doctor in Arabia , 1943, P .277 .

2- Kelly , D,N,J : Early Christian Doctrines , London 1958 , P.312.

أن للمدخل الطبي مزايا عدة أهمها الأثر النفسي الذى يتركه في المجتمع وبالأضافة إلى حاجة أهالى البلاد الماسة إليه فقد كانوا أيضاً ينظرون إلى الطبيب القدير نظرتهم إلى إنسان متفوق يستخدم أحدث الوسائل الطبية التى كانت أرقي بكثير من الوسائل التى يملكها المعالجون المحليون، لذا فقد كان الأهالى يرغبون دائماً الألتصاق به وطلب النصح والمشورة منه ومن يكون على أيه حال أحق بالثقة من مداو قدير ؟ كما أن المدخل الطبي يجد قبولا لدى العربي الذي يحمل اعجابا كثيراً بالخدمة الطبية وقد أكد أحد الرحلة وهو يندل فليبس Wendell Phillips على ذلك بقوله :(في الواقع أن لدى العرب شغف كبير بالطب والعلاج الطبي)(١).

ولم يكن المجتمع في ذلك الحين ينعم بالرعاية الطبية الحديثة والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الأيام هو العلاج بالطب الشعبي، أضف إلى ذلك ان العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قربا إلى النفوس، فقد كان مدخلاً وأسلوباً انسانيا يحظي بتقدير الشعب ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أو سياسية.

وقد ذكر ستورم Storm لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة (٢).

ولقد كان المبشرون يؤكدون على هذا المدخل كوسيلة رئيسية للتنصير وأسلوب لكسب قلوب الأهالي وخلق جمهور متعاطف معهم، والأهم من ذلك كله تهيئة الفرصة للتبشير بالأنجيل وقد ذهب صموئيل زويمر إلى

1- Phillips , W.: Unknown Oman , 1966,P.58

2- Storm, H.: Doctor in Arabia 1943, p .43.

القول :(أن جميع العاملين في ميدان التبشير متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازا يفتح الأبواب المغلقة، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة أن المستشفيات هى مكان تلتقى فيه الرحمة بالخلق ويتعانق فيه الصلاح والسلام [١].

وأكد المنصر جيرت فان بيرسم Gerrit D.van peurseum ذلك بقوله: (ان المنصر الطبيب لا يجب ولا يمكن أن يتخلى عن العمل التنصيري فالطب ليس هو غاية الطبيب في حقل العمل التنصيري ٠٠٠بل يجب أن يتضمن العمل التنصيري بالأضافة إلى غيره من أعمال)[٢].

وهذا خلاف ما يساور بعض كبار قادة التنصير من أن الأغراق في النشاط الطبي قد يؤدى إلى موقف تتحول فيه الوسائل إلى غايات وتفقد بذلك الغرض الأساسي منها كوسائل إلى غاية رئيسية وهى التبشير بالأنجيل، وقد عبر الدكتور بيرسم عن ذلك بقوله :(ارجو أن لا يعتقد أحد بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنها ليست غايات في ذاتها ولكنها وسائل نبيلة تستحق الأعجاب لتقحيق غاية لقد كان الرب (يعنى المسيح) ينتقل لفعل الخير ولكنه نادراً ما كان يبرئ المرض أو يحى الموتي إلا عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الروحي[٣].

1- Zwemer , S. and Cantine : The Golden Milestone , London 1900, P.68.

2- Girrit D.van Peursem : Doctor in Africa, 1916,p.9

3- Peursem , G, D.:O[.Cit., P.10.

إن الخدمة الطبية كانت الوسيلة تبشيرية وليست خدمة طبية مجردة ومهما يكن فإن الفكرة التى تقول بأن الخدمة الطبية يجب ألا تتجاوز الحد الضروري لتكون وسيلة وليست غاية هى أيضاً موضع خلاف .

ويعلق أحد أطباء الأرساليات التنصيرية بقوله (لابد ان السيد المسيح قد ترك بعض المرضى بدون شفاء ليقوم بعمل ما يعتقد أنه أهم وترك هؤلاء ليقوم أتباعة بمهمة علاجهم، أن العمل في المستشفيات مكرس لجعل من يأتيها من المرض المسلمين يحسون بوجود حقيقى للسيد المسيح، أنهم يأتون للتحرر من الالام الجسدية او العجز ولكنهم يجب أن يسمعوا عن المسيح الشافي الذى يشفي الذى لا يشفى فقط من الآم الجسد بل من عذاب الروح أيضاً، وأننا لسنا هنا لنجعل من الأرساليات مؤسسات محترمة في خدماتها الأجتماعية فقط ولكن لنقيم كنيسة السيد المسيح حتى ولو عن طريق الخدمة الطبية (١).

ويعتقد المبشرون بأن المستشفيات لا تنفصل عن الكنيسة وليست أهم منها بل يجب أن تكون امتدادا لها والمبشرون البروتستانت سعوا لأستخدام الوسائل الطبية لكسب غير المسيحيين والنقطة الأساسية في الجدال هى أن أطباء الأرساليات يعتقون بأنهم يؤدون بأنهم يؤدون واجبهم الدينى عن طريق الخدمات الطبية، لأن هذا النوع من النشاط هو جزء من الخلق المسيحي واقتداء بسنة المسيح كشاف للأمراض، ويعتقد البعض، بأن المدخل الطبي هو العمل الوحيد الممكن للوصول إلى الناس والتأثير عليهم (٢).

1- Van Ess ; History of the Arbabian Mission, 1026-1957,p.39.

2- Barny,F:The History of Arabian Mission, 1926, P.11.

ويذكر الدكتور طومس Thoms (بأن طموحهم كان بالأضافة إلى شفاء أجساد المرضى منحهم شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية بأخبارهم عن الطبيب الأعظم) .

ويربط الدكتور طومس بين الخدمة الطبية والخدمة الدينية، وهو يعبر عن رأى المبشرين في الإسلام، وذلك بقوله بأن يستطيع أن يقدم للمسلمين شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية وقد عبر الدكتور هاريسون Harrison عن ذلك بقوله : (أننا نأمل أن يكون المستشفي المزدحم والقذر وسيلة أفضل لنشر الانجيل من مستشفي نظيف وخال من الناس) ، ويتفق الدكتور هاريسون مع الدكتور طومس من أن المستشفي يجب أن يكون مكاناً للتبشير بالأنجيل والشئ الذى كان يقلق المبشرين هو أن بعض الأطباء كانوا يعطون العلاج الطبي أهمية أكبر والذى من شأن أن يؤدي إلى صراع بين الكنيسة والمستشفى، وهذا حتما يؤثر على العمل التبشيري بأكمله.[١].

لقد أشتركت كل البعثات التنصيرية في العمل الطبي أذ اراد والتأكد من أحياء المسيحية، أما على يد طبيب مؤهل أو رجل دين لدية معلومات طبية، وعندما أقامت بعثة آباء الروح القدس Holy Ghost Fathers في زنجبار كان أول شئ اقدمت عليه من ضمن الكثير هو أنشاء مستشفي للأفريقيين، وزيادة على ذلك فإن ممارسة الطب أصبحت مهمة جداً في تأسيس العقيدة المسيحية في المجتمع الأفريقي وبالتالي أصبحت وسيلة هامة للتبشير للمسيحية [٢].

1- Van Ess: Op . Cit ., P.36.

2- Tom Kigging: Op .Cit., P.147.

لذلك تم فتح مصحة اتيمان Atiman في كاريما Karema على شواطئ بحيرة تنجانيقا، ومن خلال مجهودات ليفنجستون Livingstone تم بناء مستشفي بواسطة بعثة الكنيسة في مامبويا Mamboia في مقاطعة أوكاجورو Ukaguru بين الساحل وبحيرة تنجانيقا، وبالمثل في عام ١٨٧٥٦م بنت بعثة الجامعات التنصيرية مستشفي على أرض الأفريقية من ميناء تانجا Tanga وعند دخول الألمان دار السلام في عام ١٨٨٠ م قامت كل من بعثة البندكتيين Benedictines وبعثة اللوثريين Lutheran في تنجانيقا، وفي نفس السنة تم أنشاء مستشفى جديد في باجامويو Bagamoyo على الساحل من أجل السيدات الأفريقيات اللاتى يعانين من الأمراض [١].

وقامت الكنيسة البروتستانتية وحدها بالأشراف على خمسة عشر مستشفي، واحدى وعشرين عيادة طبية وتقوم بتقديم المساعدات المالية لها للمحافظة على هذه الخدمة الصحية أما ما يتعلق بالأعانات المالية فإن المجلس الكنسي قد صرف مبلغ ٢,٢٤٣٣,٠٠٠ شلن (عملة كينية) إلى أكثر من مليوني شاب وذلك لبناء وأقامة ملاجئ للأطفال وتسهيل الخدمات الطبية، وقد وجهوا مجهودات كبيرة إلى المناطق الإسلامية وخاصة المناطق الشمالية الشرقية من كينيا التى ركز عليها المنصرون لما أصابها من مجاعات شديدة وحروب مدمرة خلفت عشرات الأيتام الذين لا يجدون الرعاية المطلوبة كما خلفت فقراً شديداً، لهذا أقامت الهيئات التنصيرية مراكز وقدمت مساعدات للأطفال وهيأت ملاجئ لهم تقدم الوجبات الغذائية من خلالها [٢].

---

[1] - Ibid ., p .148.

[٢] - تقرير من جمعية الشبان المسلمين عن المسلمين في كينيا، أعده رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي، ص ٥.

وفي مايو ١٨٨٥م تم وضع حجر الأساس لبناء مستشفي في زنجبار وقد كان الموقع محدداً من قبل الكنيسة، ولقد تم وضع الحجر بحضور ممثلين أوروبيين ومجموعة من المنشدين في الكنيسة الذى غنوا الأغانى الدينية، وفي خلال سنتين تم بناء المستشفى وتم فتحها في احتفال خاص، وممن حضر الأفتتاح الأسقف سميز Smythies والأسقف هورنجي Hornngy ولقد تم اسناد التمريض الى جماعة سانت بارناباس St. Barnabas ويعمل أعضاء تلك الجماعة بالتمريض في المستشفي على أساس نشر المسيحية والفوائد التى يمكن تحصيلها هى محاولة إبعاد المرضى الذين يأتون إليهم عن الإسلام، وذلك بتشوية نظرة الإسلام وفي المقابل تأييدهم للمسيحية وتنصيرهم (١).

ففي قاعة الأنتظار في المستشفيات تلصق على جدرانها مقتطفات من العبارات الدينية بالإضافة إلى صور العذراء وصور السيد المسيح وهى على الصليب، كما ان الصليب نفسه لا يغادر أى غرفه من غرف المستشفى بالإضافة إلى بعض العبارات مثل (أعتمد على المسيح فإنه يشفيك) وما شابه ذلك (٢).

وهذا ما رأيته بنفسي في مستشفى للعيون في ممباسا أثناء رحلتى العلمية من محرم ١٤٠٩ هـ حيث أنه عندما تريد الكشف لابد أولاً من دخولك غرفة خاصة يعرض فيها فيلم سينمائي عن المسيحية وفضلها على الإسلام .

[1]- Anderson - Morshead : The History of Universities Mission to central Africa.1859-1909,London 1909, pp.251-252

٢- تقرير الشيخ علي محمد صالح " عمل المنصرون في كينيا " سبق ذكره ، ص ١٤

وفي عام ١٩٠٠م تم أفتتاح محجر صحى على جزيـرة صغيرة تبعد قرابة ثلاثة أميال من زنجبار، وتعتبر محطة كبيرة كافية لسد الأحياجات، إلـى جانب أنها تتسع للحالات التى قد ترسل إليها من أفريقيـة الشـرقية البريطانيـة، وكـانت هـذه المحطـة تلقى معونـة جزئيـة مـن تـبرع سنوي مـن جـانب تلـك المحمية وبعد سنة من أنشـائها افتتحـت مسـتعمرة للجـذام فـي ويلـزو Welezo شرق مدينة زنجبار، وعهد بادراتها إلـى البعثـة الرومانيـة الكاثوليكيـة مقبـل هبة حكومية سنوية، وكان في بمبا أربع مستعمرات أخرى أصغر منها للجـذام ايضـاً تمدهـا البعثـات بالطعـام والـدواء وهـى تحـت الإشـراف الأوروبـي المباشر(١).

ولم تكن الأسعافات الصحية متوفرة إلا في مدنية زنجبار وبمب، لكـن كانت توجد عيادات اقليمية في مكوكوثوني Mkoktoni وشواكا Chwaka فـي زنجبار، وظهر ازدياد ثقة الأهالى في العلاج الطبي الأوروبي من تزايد عـدد المرضى السنوى الذين أخذوا يترددون على العلاج في تلك العيادات وقد بلـغ مجمـوع مـن دخلـوا المستشـفيات ٦٩٤ ومـن تـردد علـى العيـادات ٢١٣١ ثـم ارتفع العدد إلى ٨٤٠٩(٢).

وكان هناك بطبيعة الحال الأمراض العادية المترتبة على الأقامـة فـي الأجواء الأستوائية، بيد أن عدد الحالات المميتة قد تناقص تناقصـاً محسوسـاً،

1- G.C., File No 4818, Despatch From H.M Agent and Consul- Gdeneral at zanzibar, 1909 No.4.

2- Holling sworth , L,W. Op . Cit ., P.218.

وكان معظم الموتى في مدنية زنجبار يموتـون بالسل، من ذلك مثلاً ان من كانوا يموتون بين يوم وآخر فريسه لهذا الداء بلغوا ١٨٣ (١).

ويوجد في أوغندا العديد من ممارسي الطب التقليدين الذين يشفون الناس عن طريق الأعشاب، وكانت لجنة المسيح توعظ وتشفى، لذلك جاءت أول مجموعة من المبشرين الذين تم أرسالهم من بعثة الكنيسة كانت استجابة لالتماس الرحالة المعروف (ستانلي) فكانت تشمل على طبيب شاب اسمه سميث John Smith وأصيب بالدسنتاريا على الشاطئ الجنوبي لبحيرة فيكتوريا، ثم استدعت بعثة الكنيسة طبيباً آخر اسمه رايت Wright الذى وصل إلى منجو Mengo وقد أصبح لديه العديد من المرضى، ولقد رأى رايت أنه في حاجة ملحة إلى المستشفي (٢).

ولقد أهتم الدكتور رايت بالشئون الصحية ولكن حتى وصول الدكتور كوك Cook لم تكن هناك أى محاولة جادة قد تمت للقيام بعمل المستشفي(٣).، وكوك هذا ابن طبيب في لندن وبعد دراسة جيدة في الطب عام ١٨٩٥م أعطى حياته للمسيح كرجل شاب، وعندما تم منحه الدرجة العلمية عرض نفسه للعمل مع بعثة الكنيسة وترك لندن في عام ١٨٩٦ م ووصل منجو Mengo في أوغندا وبدأ العمل بعد ذلك وأول عملية له تم أجروها على سرير في معسكر بغز مخدر والنتيجة تبدو سحرية، وكانت العملية لأعمى من اثر جرح أمامى في العين، وقد قطع كوك جفن العين، وبعد إجراء العملية انبهر الرجل المريض بكوك وقال له :(أنك لابد أن تكون الله)، وذلك يبين لنا.

1- C.C. File No .688 , Zansibar Government Annual Roports 1910 and 1912.

2- Holling Sworth , L, W.Op .Cit,. P.218.

3- Tucker , R,:Op .Cit,p .158

مدى التأثير الكبير للعلاج الطبي للأرساليات التبشيرية على نفوس بعض الناس إذ أنه انبهر الرجل بعد اجراءه العملية على يد منصر الذى ملأ في قلبه ان الذى شافاه هو المسيح عيسى وببركته نجحت العملية وبدأ يبصر بعد أن كان أعمى .

ولقد عمل كوك مع جيش أوغندا في لوبا Luba بالقرب من جنجا Jinja ولقد عالج العديد من الجرحي مستخدما أرض خيمته كمنضده علميات جراحية [١]، حيث أجرى ٥٠ عملية ولقد شخص أول حالة من مرض النوم وتم تسجيلها في أوغندا، وبينما كان يعد رسالة الماجستير عن الملاريا اكتشف مصل لحشرة الحمى، وقد افتتح الدكتور كوك مستشفي بعثه الكنسية في منجو Mengo [٢]، وبدأ في تدريب المساعدين للطب، وأول مركز طبي حكومي في أوغندا تم أفتتاحة كان يهتم أساساً بعلاج أمراض الجذام، ونفس القصة ممكن تكرارها في كل أجزاء شرق أفريقية .

وكان قد تم بناء مستشفي منجو Mengo بأوغندا بتكاليف ٢,٣٠٠,٠٠٠ شلن وكل الهيئة الطبية من رجال والنساء من كل أنحاء شرق أفريقية كانوا حاصلين على مؤهلات طبية معترف بها من المجلس البريطاني العام للطب [٣].

وفي عام ١٩٠٠ الحق البرت كوك Albert Cook اخاه جاك كوك معه وهو جراح أيضاً، وكان الأخوان متفاهمين فهما أول من سجل مرض

---

[1]- Tom Tuma : Op .Cit ., P.90

[2]- Dr . Merrick Posnansky and Mrs .Valerie vowles and Mr. Sekintu. C.M: Islam and the Early Christian Missions Uganda 1844-1910 Uganda,1960.p.11.

[3] - Low ..D.A. : History of Eat Africa Vol III .Oxford 1976. P.410 .

النوم في أوغندا والسجلات الطبية لمرضاهما توجد الآن في مكتبة ألبرت كوك بالمدرسة الطبية في ما كريرى في أوغندة، حيث يعتبر مرجعاً للمعلومات عن أوضاع الأمراض في تلك الأيام، وكذلك كان هناك مبشرون متخصصون اعترفوا بأن مثل هذه الأعمال يجب أن تكون لأطباء لديهم حب عظيم للمسيح عيسى بن مريم ولديهم رغبه في كسب أرواحهم من أجله (١).

وفي حياة البرت كوك تم بناء مستشفيات للكنيسة في أجزاء مختلفة وقد ذهب الدكتور بوند Bond أولاً إلى Toro في أوغندة في يناير عام ١٩٠٢م نقل نشاطه إلى كابارولي بتنزانيا حيث وضع ١٢ سريرا في مصحة قديمة، وبحلول عام ١٩٠٤م كان بوند يرعى ٢٥٠٠ مريض في العيادة الخارجية بالسنة ويجرى العديد من العمليات وقد أقام دكتور بوند في كابارولي حتى تم احلاله بدكتور شوفيلد Schofield (٢).

وبعد أضطرابات ماجي ماجي(١٩٠٥-١٩٠٧م) تعاونت البعثات في مقاومة الأمراض وبدأوا بالعمل في تطوير الخدمات الطبية.

وفي عام ١٩٠٧م كان من بين ٥٣ طبيباً مؤهلاً، أربعة من القساوسة تم انضمامهم إلى بعثة الكنيسة وبعثة الجامعات، وفي قائمة مساعد الطبيب كان يوجد عدد من الرجال مثل اتيمان Atiman في بعثة الأباء البيض.

1- Tom Tuna :Op . Cit ., P.91.

2- Tom Tuma : Op .Cit., P92.

ومنذ عام ١٩٠٨ م باشر أسقف زنجبار دكتور هاين Hine هو طبيب ذو خبرة في أرمراض المنطقة الاستوائية، الإشراف على المرضى في ماجيلا Magila بالأضافة إلى عمله كأسقف.

وقد تم بناء مستشفى لوثران Lutheran في ماكامي Machame في جبل كلمنجارو Kilimanjaro في كينيا، وكذلك فإن البعثات حول جبل كليمنجارو وجبال يوسامبارا Usambara كانت تحيط بها مصحات صغيرة ومعسكرات لعلاج أمراض البرص والجذام .

وقد أصرت بعثه الأباء البيض الكاثوليكية على ان يدرس كل المبشرين منهجاً طبياً، وفي ألمانيا كان المبشرون من غير الأطباء أو غير الممرضات المتدربات ، يدرسون منهجاً تعليمياً طبيا لمدة عشرة شهور في مدينة توبنجن بواسطة المعهد الألماني لطب البعثات (١).

وبجانب التدريب في المعاهد، كان هناك العديد من الممرضات تم تدريبهم في مراكز البعثات، فضلاً عن وجود مدارس للممرضات في مستشفى بعثة الكنيسة في لوثران Lutheran ومستشفى الجامعات في ماجيلا لوتندي Magil Lutindi وبالقرب من شينيانجا Shinyanga بوكوبا Bukoba الواقعتين في دار السلام وقد قدمت مستشفيات البعثة أعدادا كبيرة من الممرضات (٢).

لذلك كان العلاج الطبى الأوروبي مبهرا لدرجة أنه كان في قدرة المنصر أن يحقق نجاحاً في أى عملية (٣)، وقد كان هذا تعبيراً عاليا للثقة

[1]- Tom Kigging : Op .Cit, p.149.

[2]- Tom Kigging : Op .Cit, p.149

[3]- Alpert Cook : Uganda Memories 1897-1946.pp .50-51

والصراحة التى يمكن منحها لأى مواطن، وهذه الثقة والصراحة كانت بوضوح شرطاً أساسياً للتحويل للمسيحية .

وفي بوسوجا Busoga بدأ العمل الطبى على مستوى جيد حيث كان لعبثة الآباء البيض صيدلية، وكان يتم تقديم الدواء بدون مقابل يومياً، وكان لبعثة الكنيسة التنصيرية سياسة مماثلة لتلك الخاصة ببعثة الآباء البيض، حيث قامت ببناء مستشفى في ايجانجا Iganaa بأوغندا عام ١٩٠٨ م ويتكون المستشفي من جناحين وكل جناح سعة عشرة سرير وقد تم بناء المستشفي بمساعدة تبرعات تم جمعها في بريطانيا (١).

وبين عام ١٩٠٠ - ١٩١٠ م قضت على جنوب بوسوجا Bosoga مجاعتان، وطبقاً للتقاليد المتبعة فإن المجاعة الأولى تم تسميتها موجودياً Muqudya اى التعقب لأنها تعقبت الناس من منازلهم لأنهم اضطروا لترك بوسوجا للبحث عن الطعام، أما المجاعة الثانيه فقد تم تسميتها موتاما Mutama وهو اسم نبات استوردته الحكومة لاطعام أهالى بوسوجا الذين كانوا يموتون من الجوع، وقد نشأ من المجاعة مرض النوم الخطير، فكان لهذه الفواجع الطبيعية أن أمدت بعثة الكنيسة التنصيرية والأباء البيض، فرصة لممارسة رسالتهم الطبية أكثر من ذى قبل، فمثلاً كان هناك ٩٠٠ مريض في مستشفي يوسوجا على العناية بهم مبشرو بعثة الكنيسة (٢).

1- Biermans ,.: Medical Policy, Sja Winter Quarter 1980 Vol V,No .10

2- Bishop Biermans , Ashort History of the Vicaiate of the upper Nile , Uganda,Kampal,1921,p.24.

خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م تم التحاق طبيبين شابين مع البرت كوك هما سميث Smith وشارب Sharp ، حيث قاما بالوعظ والعلاج باسم عيسى المسيح وقد بدأ الأثنان بالعمل في كابالي Kabale بالقرب من حدود رواندا Rwanda حيث شيدا مستشفي وعكفا على بناء كنائس في أنحاء المنطقة، وعندما تم لهما السماح بدخول روندا قاما ببناء مستشفى الهدف منها الوعظ والتعليم للمسيحية، لذلك كانت مباني الكنيسة والمدرسة والمستشفى متقاربه مع بعضها البعض، ونفس الشكل تم انتشاره إلى بوروندي Burundi في مستشفيات بواما Bwama على بحيرة بونيوني وجذبوا العديد من المرضى(١).

وفي عام ١٩١٥ م تم انشاء مدرسة للمساعدات الطبييات، وقد عملت كاترين كوك Katharine Cook زوجة البرت كوك رئيسة الممرضات وقد دخلت في نفس السنة التى تم فيها المدرسة ٢٥ فتاة اجتزن الأمتحان وبعد ذلك عملن في مراكز الرعاية .

وايضاً فتحت السيدة كوك مدرسة تدريب للتمريض في نديجي Ndejje التابعة لأوغندا وحصلت بعض السيدات الأوغنديات على شهادة التمريض (٢).

وقد عملت زوجة المنصر هور Hore في التمريض بعض الناس في زنجبار، ففي يوم تركها زوجها مع ابنها جاك، عندها فكرت السيدة هور في زيارة زوجة رئيس القبيلة وكانت جارة لها ، لأنها عملت أنها تشكو من ألم

---

[1]-Tom Tuma ; Op . Cit , 92.

[2]-Ibid ., p.91.

في أسنانها لذلك ذهبت اليهـا واعطتهـا بعـض الأدويـة وقـد تمكنـت مـن شـفاء زوجـة رئيـس القبيلـة وبذلـك تمكنـت السـيدة هـور نمـن كسـب ثقـة النـاس والمواطنين حتى باتت تجد تأييداً من عدد كبير منهم، فقد كانت تعالجهم مجانـاً مع تبصيرهم بالمسيحية (١).

ولقد استطاعت الأرساليات أن تحصل على اكثر مما تريده من مـال، فتوسعت في أنشاء المدارس الخاصة ما يسمى منها مدارس الغابة واصبح لهـا مورد تستطيع أن تنفق من بعضه لدواء والعلاج وقد تدرب أكـثر مـن القسس في مراكـز التبشـير علـى وسـائل الاسـعاف الأولـى وطـرق الوقايـة ومكافحـة بعض الأمراض الأستوائية المعروفـة كالملاريـا وغيرهـا مـن الحميـات، هـذه التطورات في أساليب التتصير التنظيمية حدثت على وجة محسوس منذ أوائـل القرن العشرين، وفي فترة كانت الأرساليات تنال الحماية السلطات الأوروبيـة الأسـتعمارية الحاكمـة فـي المسـتعمرات الأفريقيـة، ولكـن الحمايـة والتعضيـد اقتصرت في مبدأ الأمر علـى تعزيـز مكانـة الأرسـاليات بيـن الأهـالي وحفـظ أرواح أفرادها من الأعتداء ومنحهم بعض الامتيازات فـي السـفر والـترخيص لهـم فـي الأسـتيلاء علـى الأراضـي اللازمـة لمنشـآتهم، وأخـذت الحكومـات الإدارية الأستعمارية تمد الأرساليات بالأعانة فكان على الأرساليه أن تقدم إلى الحكومة ببيان عن عدد المدارس والمصحات التى تريدها وتقـدر لهـا ميزانيـة معينة، ويصل الطلب إلى الحاكم البريطاني فيلقى عليه نظرة ثم يأمر بأن تمنح الأرسالية المبلغ الذى تقدمت بطلبه (٢).

---

[1]- Sarrah Geraldina Stock : Missionary Heroes of Africa London 1898 ,P.158.

٢ - محمد عبد العزيز اسحاق : مرجع سابق ، ص ١١٥.

وهناك دليل قوى على تأييد الحكومات الإدارية الأستعمارية لدعم عمل المنصرين من ناحية الخدمات العلاجية وهى برقية مرسلة من وزير الخارجية البريطاني Salisbury إلى السيد Garaufurd رئيس مستشفي ممباسا، حيث يقول له أن وزارة الخارجية البريطانية وافقت على المساهمة في تكاليف سفر ممراضات راهبات إلى المستشفي ممباسا وأنها سوف تتحمل كافة مصاريفهم أيضاً دفع ملبغ ١٥٠ جنية استرليني سنوياً لكل ممرضة(١).

أن الأدعاء بأن عمليات التنصير كانت تتم على أيدي جمعيات خاصة متحمسة لنشر المسيحية غير صحيح لأنه تبين لنا من الوثيقة التأييد والدعم المطلق من الحكومة البريطانية لها وهذا مما يؤكد أن الحكومة البريطانية كانت ضالعة في تكوين العمليات التصيرية .

وكان لدى الكاثوليك نشاط طبي متطور، حيث فتحت بعثة الأباء البيض مستشفى في موانزا Mwanza وبوكوبا Bukoba وأعادت ترميم بعض المستشفيات، وفي هذا التقدم الطبي الكاثوليكي يجمع الطبيب والممرض خلال تلك الفترة بين التنصير والعناية الطبية، وقد أوجد العمل الطبي للكاثوليكية في تلك المنطقة ما يقارب من ٢٣ مستشفي بها ٢٤٢٦ سرير، ٨ وحدات صحية للدرن، ٦٨ مكتب صحى، ٧٤ سرير بالمصحة الخارجية، ٦٤ مركز أمومة، ٧١ مصحة لمرض الجذام (٢).

---

[1] - F.O.403/227 Salisbury to Mr Carafurd , 6August 1896.

[٢] - انظر ملحق رقم(١٥)

ومن بين المستشفيات التى أنشئت من قبل الكاثوليك والتى لا زالت موجودة حتى الان هى مستشفى سانت ليكس St,Lakes Hospital في كاليليف Kalalew وتقع على الطريق بين ممباسا ومالنيري، وهذا المستشفي بين عام ١٩٢٠ م وذلك بشهادة الصيدلي الذى يعمل في المستشفى ويدعى ناتانيل جيفوا Nathaniel Jefwa.

وأيضا مستوصف سان جوزيف St, Joseph Dispensary الذى أسس في نفس تلك الفترة ويعمل فيه طبيب اسمه (ستيفن كنقا) وممرض اسمه صمويل[١].

وهناك أيضاً الشئون الطبية العلاجية التى تقوم بها جماعة الأدفنتشت وهى (منظمة بروتستانتية عالمية) تمتلك عشر طائرات مهمتها نقل الأطباء والممرضات لعلاج المرضى في الأحراش، وقد أنشأت خمسة عشر مستشفى، تضم ١٧٧٦ سريراً وخمسة من تلك المستشفيات خاصة لعلاج الجذام بجانب ذلك فهناك اكثر من ١٠٩ عيادة مخزن ادوية[٢].

لذلك نجد أن المستشفي والمستوصف يستخدمان استخداماً جيداً للعمل التبشيري، وكان الأطباء يقومون بالوعظ وكذلك مساعدوهم ورجال الدين

---

١ - قمت بزيارة هذه المستشفيات في حي موايايانيودو وذلك في منطقة تانجا Tanga في دوله تنزانيا واجريت مقابله مع المسئول ويقوم بعمل الطبيب والممرض وصيدلي من المستشفي وذلك أثناء الرحلة العلمية وذلك يوم الأثنين العاشر من محرم لعام ١٤٠٩ هـ انظر ملحق الصور

٢ - مقال بعنوان المسيحية تكتسح القارة الافريقية ، في مجال :

To the Point International بتاريخ ٢٣ مايوم ١٩٧٧ ترجمة إدارة مواجهة التنصير برابطة العالم الإسلامي

الذين كانوا يجلسون بين المرضى، عند أسرتهم ويحدثونهم عن موضوعات دينية وقد قال أحدهم :(لقد كان لزيارة المرضى قيمة كبيرة)[1].

وكان الطبيب أيضاً يلعب دوراً مزدوجاً، إذ كان يعالج المرض من ناحية ويحدثه بضع دقائق عن الدين من ناحية اخرى وعند خروج المريض من المستشفي كان المنصرون يحاولون زيارته في منزله وكثيراً ما كانوا يدخلون معه في نقاش ديني واجتماعي [2].

هذه هى اسلحة المبشرين في الحرب الخفية ضد الإسلام وهى تجنيد جيوش مكثفة من المنصرين الذين دفعوا بهم إلى أوطان المسلمين وأقاموا عليهم حماية من جيوشهم المستعمرة، ومكنوا لهم من التغلغل في القرى بين العامة وامدوهم بالمال الوفير ليقيموا باسم الرحمة الكاذبة الملاجئ والمستوصفات والمستشفيات لتخذوا منها شباكاً حتى ينفثوا سمومهم في صدور العامة من الناس وليمثلوا لهم دور رسل الرحمة المبعثوين الهيم من عند الله لأنقاذهم من الفقر والمرض باسم المسيح [3].

وقد قدمت أحدى الخبيرات تقريراً حينما دعتها هيئة الصحة العالمية بالأشتراك مع هيئة أغاثة الطفولة الدولية لجولة في أقطار شرق أفريقيا ضمن ستة أطباء للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحبة واجتماعية وفي تقريرها نجد مزيدا من الحقائق عن حجم التنصير ونشاطه المتزايد في

1- Storm , H.: Cit., P.50

2- Storm , H.: Cit., P.6

3 – عبد الكريم الخطيب : دور الاستعمار والتبشيرين التيارات المعادية للأسلام، جريدة عكاظ عدد ٤٠٣٣ بتاريخ ١٣٩٧/٦/٢٨هـ

المنطقة حيث تقول :(إن هذه البلاد وأن كانت مفتقرة عموما إلى معاونة كثيرة للأرتقاء بالتعليم على أنواعة، والنواحي الاجتماعية والصحية واستصلاح الأراضى، وزيادة الدخل، إلا أن البعثات التصيرية تغلغلت في كافة أنحاء هذه البلاد حيث تبنى المستوصفات والمستشفيات وتساندها الهيئات الدولية المختلف، وكل هؤلاء يعملون على نشر المسيحية [١]).

وهكذا نجد ان التبشير يمثل الأرساليات التنصيرية بمختلف عقائدها ومذاهبها، وهى تملك المستوصفات والمستشفيات والمدارس وجميع وسائل التعليم والتوجيه، وهى مفتوحة للذين يدينون بعقيدة تلك الأرساليات التنصيرية والذين يطمحون إلى ضمهم من الوثنين، ومغلقة في وجه المسلمين حتى يرتدوا عن دينهم إو يظهروا الممالاة على الأقل في سبيل قبولهم وليس أمام المسلمين إلا ان يبقوا على ماهم عليه يتحكم فيهم المرض في سبيل المحافظة على عقيدتهم أو أن يسايروا التنصير، وغالباً ما يختارون الطريق الأول ورغم الجهود المضنية التى يبذلها المسلمون فهم لا يزالون دون المسيحيين بشكل عام [٢].

وقد أقام الأتحاد الوطنى لمسلمي كينيا مستوصفاً صغيرا في مدينة ممباسا بكينيا ويدير هذا المستوصف شخص اسمه عبد الحميد أحمد موسى، الذى اخبرني أن أكثر القبائل التى تنزل في هذا الحي من ممباسا هى قبيلة كرياما وقد بنى لهم المنصرون كنائس ومدرسة ومستشفي وبعد كل هذا يقولون لهم كونوا على المسيحية وتخلّوا عن الإسلام.

وايضا قال ان المنصرين قدموا احتجاجاً شديد اللهجة لصاحب الأرض الذى باعها لنا لعمل هذا المستوصف [٣].

---

١ - سيد أحمد يحي : مرجع سابق ،٨٤ .

٢ - محمد عطوة : المسلمون في أوغندا يواجهون الفقر والتبشير والصهيونية مجلة الفكر الإسلامي، شعبان ١٤٠٥هـ ص ٥٥.

٣ - قمت بزيارة هذا المستوصف في حي تكونغ الذى يبعد عن ممباسا حوالى خمسة عشرين كيلو متر، واجريت مقابلة مع مدير المستوصف وذلك أثناء الرحلة العلمية في يوم السبت الموافق الثامن من محرم لعام ١٤٠٩ هـ

(ب) التنصير عن طريق التعليم

اعتاد المسلمون لمدة طويلة استخدام مدارس القرآن الكريم فى القرى لتعليم الدين الإسلامى ، وهذه المدار يتم قيادتها من المدرسين المهتمين بالقرآن ، وكان الطلبة يتعلمون بواسطة الحفظ عن ظهر قلب (١)

ولم تخل منطقة شرق أفريقية فى يوم من الأيام من مدينة إسلامية خاصة منطقة الساحل التى أغلب السكان فيها من المسلمين، وجزيرة لامو كانت فى الماضى مركز الإشعاع الإسلامى التى انبثق منها النور الإسلامى فى المنطقة وقد كان يؤمها طلاب العلم من مناطق مختلفة فى شرق أفريقية ، كما أنها كانت مصدراً لتخريج المعلمين إلى المدارس الاسلامية (٢).

إن إحصاء عدد المدارس الإسلامية فى البلاد بصورة دقيقة من الأمور الصعب حصرها ، إلا أنني أحاول قدر الإمكان أن اكشف عنها النقاب حيث قمت بزيارة عدد كبير منها، ولذا فمن الممكن القول بأن عدد المدارس الإسلامية تقدر بحوالي مائتين وستين مدرسة ، وأكثر من ثلاثمائة من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم وكل هذه المدارس فى حاجة إلى مدرستين ، لأن مشكلة المدارس الإسلامية فى المنطقة تنحصر فى النقص فى عدد المدرسين وقلة الفصول المدرسية (٣).

---

(1) J. C. Seckamwa : Asketch map History of East Africa, London 1971, P. 185

(٢) على حافظ ابراهيم : تقرير عن مشاكل الدعوة ومايواجهه المسلمين فى منطقة كينيا وخاصة فى المناطق النائية ، رقم التقرير : ت / ٨٧/٩٥ بتاريخ ١٤٠٠/٨/٥ هـ ، ص ١٣ محفوظ فى دار الافتاء بسفارة المملكة فى نيروبى .

(٣) قمت بزيارة بعض المدارس أثناء رحلتى العلمية لشرق أفريقية عام ١٤٠٩ هـ انظر ملحق الصور لبعض المدارس الاسلامية.

واعتبر المنصرون التعليم أحسن وسيلة لنشر المسيحية بين المجتمعات الأفريقية ورسم ماكاى Mackay هذه السياسة بخلق نخبة أفريقية متعلمة بدلاً من المجهود الضائع فى إقامة محطات ضعيفة ذات وجود مزعزع ، وغير قادرة على أن تمد نشاطها أبعد من المكان الذى توجد فيه ، ذلك فى أحسن الحالات ، ولذلك راى انه يجب اختيار عدد من الأماكن ذات البيئة الصحية حيث يتم فيها انشاء معاهد لنشر التعليم [1]

وكان التعليم يُعَدُّ من أقدم الوسائل لنشر روح العلمانية ولا يزال أهمها ، وذلك لأن التعليم فى البلدان الإسلامية كان يقوم قبل الغزو الفكرى الصليبى لها على المنهج الدنيى ، ولم يكن إبعاد المسلمين عن دينهم مع بقاء التعليم على اساسٍ من المنهج الديني.

وكان أول من تنبه لذلك اللورد كرومر إذ قال : " إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى البلدان الإلامية كان فى قبضة علماء الاسلام في المساجد ، وكانوا شديدي التماسك بمبادئ دينهم التى كانت أساليبها الجافة القديمة (حسب زعمه) تقف حاجزاً فى طريق أيّ إصلاح تعليمي ن وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه المساجد يحملون معهم قدراً عظيماً من التعصب الدّينى " ([2]).

إنّ التحديات التى يواجهها المسلمون فى منطقة شرق أفريقية كثيرة ومتشعبة منها :

([1]) **Apter, D,E . : The political kingdom of uganda , new jersy 1961 , p. 74**

([2]) سيد أحمد يحيى : مرجع سابق ، ص١١٩.

إصطياد الشبان المسلمين فى المجال التعليمى والحرف اليدوية التى قد تساعدهم فى معيشتهم فى المستقبل ،ومن أجل تحقيق ذلك فتحت المدارس المتطورة التى تقل فيها كل طالب بدون إستثناء لتسهل له كل وسائل التعليم والتدريب المهنى ،مقابل تقليدهم أخلاقا بدعوى التمدن والتطور،ومن هنا يبيعد هؤلاء عن قيم الإسلام وأخلاقيته السامية ([1])

ووجد التعليم فى المدارس الأجنبية فرصته الذهبية فى ظل الإحتلال الذى أطلق أيدى غلاة المبشرين والقساوسة فى وضع مناهج التعليم ،فكانوا يلقنون أطفال المسلمين مادئ المسيحية وتعاليمهما ويحفظونهم صلواتهم ونصوص كتبهم الدينية ،ومن أبرز ما يمثل هذا ما كتبه أحد المنصرين فى كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٥م إذ قال فى أول الكتاب : " كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية فى نفوس الطلاب "

والمؤلف يفرق بين المدارس المسيحية والمدارس التبشيرية ،بإن الأخيرة تحاول نقل الطلاب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هى ،أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهيئ للطالب من أى يذهب كان جواً مسيحياً ، وتحمله فيه على التقوى المسيحية ،والسلوك المسيحى ،وخصوصاً إذا كان طفلاً وهكذا الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة ([2]) .

ويظن الكثيرون أن مجال الخدمات التعليمية أكاديمي محض ،ولكن الواقع غير ذلك ،إذ إن مؤسسات التعليم تحركها دوافع وأهداف تنصيرية ،فعندما تم قهر الدولة المهدية ،وتمكنت سلطات الحكم الثنائى من وضع يدها

([1]) الشيخ على محمد صالح كينى الجنسية ،بعنوان " عمل المنصرون فى كينياً سبق ذكره ،ص٥.

([2]) سيد أحمد يحيى : مرجع سابق ،ص١١٧.

تماماً على السودان لم تشأ أن تفتح الباب للتبشير المسيحي فى السودان الشمالي ،خوفاً من ردة فعل المسلمين ،ولكنها تنازلت شيئاً فشيئاً عن ذلك،وفتحت الباب للإرساليات فى أمر التعليم ،ويقول أحد القساوسة الذى جاء بعد إستعادة الإنجليز للسودان ،ليباشر تنظيم جمعية الكنيسة التنصيرية :

" وبينما كنت مهموماً فى دارى على أثر عدم التصريح لي بتنصير المسلمين ، إذ جاءني رسول يدعوني مستعجلاً من الحاكم العام ،وذهبت والدينا مظلمة أمامى ،وإذ بي أتلقى معاملة

مذهلة ،فقد قال لى الحاكم العام مبتسماً : لقد صرح لك بإفتتاح مدارس فى الشمال ، ورقص قلبى فرحاً ،وأيقنت أن الله إستجاب لدعائى ،فما الفرق بين عدم السماح لي بتنصير المسلمين والسماح لى بتعليم أطفالهم " (١).

هذا التصريح من القسيس يبين لنا أن زرع الحركة التنصيرية بين الناس لابد أن تكون أولاً للأطفال ،وذلك بتعليمهم فى المدارس مبادئ الدين المسيحى ،وأن المدارس هي أساس

تنصير المسلمين ،وهذا عبر عنه القسيس عندما تلقى خبر تصريح فتح مدارس ،عندما قال ليس هناك فرق بين تنصير المسلمين والسماح له بتعليم أطفالهم ،وأوضح باسيل ماثيو Basil Matthew كنة التعليم المسيحى بأنه تعليم يكشف عن أسرار الكون ،وهو روح قاهرة كشف عنها السيد المسيح ، وهو تعليم لحقيقة المسيح وما يعنيه للفرد والمجتمع (٢) .

(١) حسن مكي أحمد : مرجع سابق ،ص ٨.

(2) **Matthew, B. : Young Islam and Trek , London 1927, PP.191-192**

وإنطلاقاً من تلك المفاهيم للتعليم كان المنصرون يعتقدون أن من واجبهم تعليم الإيمان المسيحي ،متخذين من التعليم وسياة للتأثير على غير المسيحيين ،ويتضح من تعريف ماثيو للتعليم بأنه يشكل أساساً التعليم دينى يهدف إلى نشر الفكر المسيحى ،وفي مقدمته الإنجيل ،وهناك آراء مختلفة وربما أكثر تحديداً حول التعليم من قبل قادة التبشير المسيحي منهم القس هوتون Hoton إذ حدد رأيه بالنقاط التالية :

أ) يجب أن يكون الهدف التبشيرى غالباً على التعليم

ب) يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول فى الدروس اليومية ،وحضروا هذا الدرس ، وأن يكون شرطاً للقبول فى الدارسة.

ج) يجب أن يكون الهدف التبشيرى ظاهراً ،وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية.

د) يجب بذل الجهود للحد من إستخدام المدرسين غير المسيحيين وتزويد المؤسسة بهيئة قادرة على التأثير الفردى المباشر.

هـ) يجب على خبراء التبشير أن يضعوا في حسابهم أهمية هذه الأمور وإرتباطهم بالنشاط التبشيري الآخر (1) .

هذه السياسة أو الإستراتيجية للتعليم لاقت حماساً من قبل قادة المنظمات التنصيرية إذ إعتبروا وسيلة هامة مباشرة لنشر الدين المسيحي ، لذلك بدأ الهيئات والمنظمات المسيحية بتدعيم البعثات التنصيرية مادياً،

(1) H. Hoton , S,W. : The Missionary Campaignm, London 1927, PP. 191-192.

فجاءت بجحافل من المبشرين المدربين (1) ، وأخذوا فى بناء كنائسهم وتشييد مدارسهم ،وهيئوا الفرص لنشر المسيحية بين تلاميذ مدارسها ،وأستغلوا العديد من الوسائل ضد إنتشار الإسلام وعرقلة الدعوة الإسلامية (2) إستغلوا أيضاً جميع الظروف والمناسبات ليواصلوا تصويرهم المشوه للإسلام ،ليعوقوهم عن الدخول فى الإسلام ، فأنشأوا المدارس ،وعقدوا الندوات وألفوا الكتب ونشروها ،وأنشأوا دور النشر والطباعة ،بل إنهم أجمعوا على أن جميع الوسائل يجب أن تستغل لخدمة التنصير.

ويسير المبشرون فى تحقيق هدفهم وفق خطط مدروسة بدقة ، ويعتقدون من أجلها المؤتمرات الدورية ،لتنسيقعملهم وتنظيمه ،وقد عملوا لها الدراسات ،وقدموا الإقتراحات والتوصيات ،ليحققوا من عملهم الثمرة المرجوة، ومن ذلك ما جاء فى أحد المؤتمرات عن الإسلام والإرساليات ، الذى جاء فيه " المهم هو العمل الطبى والمدارس ،لأن المسلمين يفهمون أن العلم الطبيعى عند الأوروبيين أكثر تقدماً منه عند الشرقيين" (3) .

إن المدارس والمتشفيات يلعبان دوراً فى تنصير أبناء المسلمين فى شرق أفريقية ، ذلك أن المدارس لابد أن يكون بجوارها الكنائس حيث تقام فيها الطقوس الدينية ،ويحضرها إجبارياً كل الطلبة ،وبجانب ذلك فهى مزودة بآثاث فى غاية الجودة والأناقة ،إذ يجل الأطفال مجرد الرؤية ، كما أن المدارس لابد أن تكون مزدوجة، وحتى العلوم العصرية تطعم بمواد دينية ،

(1) **Samra Mahmud:Christian M issions and Western Ideas in Syrian Muslim Writers 1918-1960 London 1958,P.35**

(2) سيد عبد الحميد بكر : مرجع سابق ،ص ٢٠

(3) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ،ص ١٠٨-١٠٩.
وأيضاً محمد البهي : الفكر الإسلامى الحديث ،ص٥١٩

رغم أن المادة علمية لأن الأساتذة من رجال التنصير ،وهدفهم هو نشر المسيحية فى ربوع منطقة شرق أفريقية (١) ،وأيضاً يفرض على الطلاب ، حضور ومتابعة دروس الإنجيل ،والإشتراك فى القداسات والطقوس الكنسية ، ولا يسمح للطلة بأداء صلاة الجمعة والعصر حيث الدروس مستمرة (٢) ، وهذا مالاحظته أثناء الرحلة العلمية لكينيا إذ قمت بزيارة جامعة نيروبي وشاهدت الدراسة متواصلة يو الجمعة إلى ما بعد العصر بكثير ،وهذا ما يضايق الطلبة المسلمين ،إذ إنه لا يسمح لهم بالخروج من المحاضرة لأداء صلاة الجمعة ،وإذا تغيب يفصل ،هذا ماسمعته من بعض المسلمين الذين تمت مقابلتهم ، فمن هنا ندرك أن أبناء المسلمين فى تلك المدارس أو في جميع مدارس الإرساليات يقفون بدون حماية أوأي وقاية ،لأن أوضاع المسلمين الإقتصادية متردية جداً ، وأيضاً لم يتمكن المسلمون فى تنزانيا من إقامة مؤسسات إجتماعية ومشاريع تتيح لهم فرص رفع مستواهم الإجتماعى بسبب الفقر وعدم الحصول على الإعانات الكافية ،والتقصير فى تنسيق جهودهم الذاتية.

لذلك فالخطر الذى يهدد الجيل المسلم الجديد فى المجتمع التنزانى هو أن هذا الجيل يتربى على الثقافة الغربية التى تفتح له أبواب الإنحلال الخلقي ، وإنصهار الشخصية الإسلامية ،فالمؤسسات التنصيرية الموجودة فى تنزانيا نشطة فى تقديم المساعدات الضخمة لإقامة مراكز ومشاريع إجتماعية وتربية أبناء تنزانيا على التربية الغربية ،كما تقدم لهم تسهيلات فى مجال التعليم (٣).

(١) الشيخ على محمد صالح : تقرير عن " عمل النصرون فى كينيا سبق ذكره ١٣.
(٢) نفس التقرير : الشيخ على محمد صالح : سالف الذكر ،ص ١٤.
(٣) تقرير الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصى رئيس جمعية المسلمين بتنزانيا (غير منشور).

وبالفعل تم تأسـيس أول مدرسـة فى تانجـا Tanga وكـان لديهـا ثلاثـة أقسـام ،منهـا قسـم للأطفـال ،وثـان لتدريب الكتبـة ،وثـالث لتدريـب الخدمـة الخاصـة، والمدرسة أصبحت مألوفة فى المقاطعة ،ولرفع مسـتوى التعليـم بيـن الطلبة ، ثم إضافة مدارس العذراء التى تأسست فى المقاطعة ،والإلتحاق بهـذه المدارس كان إجبارياً للأولاد فى Tanga (1) .

لذلـك تستطيع أن تقـول : إن مـدارس التنصـير رغبـت إجباريـاً فــى تنصير أبناء المسلمين فى كثير من المناطق ،وإفسـاد أخـلاق الكثـيرين ،وكـان جل إهتمـامهم جمـع أكبر عـدد مـن الأيتـام وأبنـاء الفقـراء وإيوائهـم فـى تلـك المدارس ، ليقوموا بتربيتهم تربية عصرية ، وهذا مـا شـاهدته فـى كينيـا فـى ملجأ ماما نجينا ،حيث يأخذون الأطفال ويربونهم.

فى عام ١٨٥٧م كان لـدى السـيدة جيروم Jerrom وهـي أرملـة أحـد المبشرين مدرسة لليتامي ،وإستلمت بعض بنـات العبيد وقـد تـم تنصـيرهن ، كذلك ديملر Deimler الذى كـان يعمـل بيـن المسـلمين فقـد تمكـن مـن تنصـير العديد من هؤلاء العبيد المحررين ،الذين أصبحوا موظفين فى السك الحديدية، وأمـاكن أخـرى (2) ،وفـى الوقـت نفسـه أسـس برايـس Price منـدوب جمعيـة الكنيسـة التنصيريـة القريـة المسـيحية فـى شـارانيور Sharanpur بـالقرب مـن نـازيك Nasik التـى فيهـا العديـد مـن الصناعـات ،وتـم إقامـة معظـم العبيـد المحررين هناك ليتم تدريبهـم علـى المسـيحية ،ويتعلمـوا العديـد مـن الأعمـال بمساعدة مالية من الحكومة البريطانية ،ولقد لخص برايس سياسـية البعثـة فـي المناطق المحررة من العبيد كما يلي : " يمكن النظـر إلـى مقـر البعثـة كمكـان

(1) **Harolw , E .M : History of East Africa vol II , Oxford 1965 , P. 20**

(2) **Eugene Stock Op. Cit . , vol II , P.431.**

مفتوح بقدرة العناية الإلهية ... لقد وافقت على إقتراح الحكومة بأن حوالي ٢٥ أو ٣٠ ولداً وبنتاً موجودين فى الساحل يمكن تحويلهم فى الحال إلى شارانبور Sharanpur وكان ذلك يمثل البداية بالنسبة إلى مقر البعثة ، على أنه بات ملجأ للافريقيين ،وقد حضروا إلينا في مجموعات تختلف فى السن من طفل سنة سنوات إلى شاب وشابة فى حدود ١٨ سنة (١) .

وتم تدريب العبيد المحررين فى نازيك Nasik على المسيحية ، ولجعلهم يعتمدون على أنفسهم فى معيشتهم أعطتهم البعثة تدريبات على المهارة الصناعية ،بينما البعض تم تدريبهم على أعمال النجارة ،الحدادة ، والخياطة ،ولقد أحدثت تطوراً العبيد ففى عام ١٨٦٩م أوضح برايس Price بإن خمسة صبيان قد نجحوا في إمتحان القبول وأصبحوا مدرسين (٢) .

ويعتبر برايس أول مشرف لمستوطنة فرير تاون Freretown وقد أسس مدرسة للأطفال والكبار ،حيث يتعلم الأطفال الحروف الأبجدية ،ويتعلم الكبار قراءة الإنجيل ،وقد تم إتخاذ خطوة فى عام ١٨٧٠م وذلك بفتح مدرسة الألوهية للتدريب على التبشير للإنجيل ،وكتب برايس ما يلى : " لقد أخذنا الخطوات الأولى فى تكوين فصل تدريبى للشباب من الرجال المتوقع تخرجهم كمدرسين ومبشرين للإنجيل ،ولقد دأبنا بعدد متواضع ،ولقد أصبحت مدينة فيرتاون Freretown بعد ذلك مدرسة التدريب لكل رجال المستقبل من المدرسين وقراء الإنجيل ورعاة الكنيسة لبعثة الكنيسة فى شرق أفريقية " (٣).

---

(١)

(2) **A , J , Temu : Op . Cit , pp . 64 -65**

(3) **C.M.S. file No . G B A5/O5 , Price to Long , 29 . 8 . 1888 .**

وفي وسط إستخدام القوانين المحلية لالغاء الرقيق ،ناقش سادلر Sadler مع وكيل وزارة المستعمرات فى ذلك الوقت " تشرشل " إلتزامهم التعليمى للمواطنين المسلمين فى الساحل (١) ،يعنى ذلك إسهام الدولة فى التنصير ولم يعد الأمر مقتصرا على جمعيات التنصير وحدها.

وتم فتح بعض المدارس بتمويل من وزارة المستعمرات وذلك تحت قيادة بايب pipe الذى أكتشف أن غالبية الناس فى زنجبار من الهنود والعرب ،وأن القليل من العرب أرسلوا أطفالهم إلى المدارس (٢) ،وقد ظن بايب pipr بأن عدم إرسال العرب أطفالهم إلى المدارس هو عدم مقدرتهم لدفع الرسوم ،لذلك جادل بأن مسألة الرسوم التى تتراوح بين ٢ روبية فى الشهر فى الفصلين الأولين ،و٤ روبيات للفصول الباقية قد أثرت فى التخرج ،وتعتبر تلك المصاريف عبأ كبيراً بالنسبة إلى الآباء الفقراء الذين يتقاضون ٢,٥ جنية إسترلينى لذلك أوصى بايب pipe بإلغاء المصاريف ،ولقد إعتمد على ذلك الإجراء كوسيلة لإغراء الأولاد العرب للإمتناع عن الذهاب إلى المدارس للمدارس العربية (٣) .

وينظر المبشرون إلى التعليم كواحد من أهم أدوات التأثير لخلاص الرجل وتغيير المجتمع ولقد رأوا أن كنيسة التبشير للإنجيل لديها مسؤوليات فيما يتعلق بالتحويل إلى المسيحية وتنصير أتباعها من الأعضاء الجدد ، وبعد ذلك يجب من خلال التعليم نمية العضو الجديد على الأخلاق المسيحية ،ولذلك فإن العديد من البعثات يرون أن التعليم أهم داعية إلى المسيحية ، فهو مقدمة

(1)F .O. 533/33 , Sadler to Elgin 16-12-1907 No .548

(2) Keny a Archives , File Cp. 3/290 , Pipes Report.

(3) Ibid.

لحقيقة الإنجيل ،فالكاثوليك كان لهم إهتمام وتركيز أكبر على حقل التعليم أكثر من البرتستانت ،فقد نشروا التليم وخاصة فى الأماكن التى يوجد بها مسلمون، فالمدارس هي الوسيلة التى لابد لها لنشر المسيحية (١) .

وكتب القسيس ديبوا Dubois الذى يملك عدة مدارس ،فـى كتابـه عـن البعثات الكاثوليكية بأنها يمكـن أن تمتلـك أفريقيـة ،وفـى غيـاب المنافسـة فـإن المدارس البدائية تفى بالغرض للتحويل إلـى المسـيحية فـالرجل العـادي يمكـن تحويله إلى المسيحية (٢).

وفى إحدى مؤتمرات بعثة الرومان الكاثوليك قـرر أسقف دار السـلام بأن طلبة التعليم الدينى يجب أن يتم إرسالهم لمدة سنة فصول إستماع ،ويتبع ذلك لمدة سنتين فى مدارس تعليم الدين ،ومن خلال ذلك فإن ملاحظـاتهم عـن القواعد المسيحية يمكن مشاهدتها بكل دقة (٣) .

ولقد برهنت المدارس بأنها هى رأس الحربـة ،فقـد كـان واضحـاً منـذ البداية للمواطنين المحليين بأن الذهاب إلى المدرسة يعنى إحتمالات إقتصاديـة أفضل للمسـتقبل ،فـالحصول علـى العلـم هـو الطريـق للحصـول علـى إحـترام الأوروبييـن ،فالعلاقـة بيـن التعليـم والوظـائف الجديـدة أصبـح ظــاهراً ،بينمــا التنصير أصبح مألوفاً للدخول فى المجتمعات الجديدة ،والمبشرين نموا بسرعة فيما يتعلق بأهدافهم (٤).

---

(1)Carl - Erik Sahlberg : Op. Cut. , P .99

(2) Dubois , H . : Repertoire Africain Rome 1932 , P .133

(3) Oliver , R. : The Missionary Factor in East Africa , P.210.

(4)C.M.S , File No. 53/1919, MCGregor to Manley , 10.6.1916

ولقد ظهر للبعثة بأن تلاميذ التعليم الإبتدائي فقط لديهم الفرصة للإستماع عن الإنجيل فى ممباسا ،وأن الأحوال الإستراتيجية المتوقعة للتعليم هو التنافس ،لذلك كتب الأسقف بيل Peel : " أنا أصلى للرب بأن يساعد بعثة الكنيسة لتتولى مسئولية التعليم فى ممباسا ،وهي بوابة شرق أفريقية ،لأنه لو أن الإسلام أصبح قوياً وعلم الناس ،فإننا سنواجه فيما بعد مقاومة فى الداخل"([1])

وكانت علاقة بعثة الكنية مع طلابها بسيطة ومبنية على قاعدتين:

أولاً : إستمرار إحتكار البعثة للتعليم العلمانى.

ثانياً : تتمثل فى رغبة البعثة أن تقدم معلومات باللغة الإنجليزية ،وذلك على نقيض سياسية اللغة فى مكان آخر من نظام التعليم فى بعثة الكنيسة فى ذلك الوقت ،وأساس هذا الإستثناء هو إجتذاب أى طالب والذى رغبته الوحيدة هو أن يتعلم فقط اللغة الإنجليزية لكى يستطيع الحصول على بعض الأعمال فى الحكومة. ([2])

وقد بدأ نوع من التفاهم بين الطلبة والعثة ،إذتستطيع البعثة تقديم التعليم بالإنجليزية فى مقابل فرض التعاليم الدينية المسيحية فى المدرسة ،وفى الواقع فإن الكتاب المقدس (الإنجيل) كان أحد موضوعات الإمتحان ،بينما الإنجيل الإنجليزى كان أهم كتاب مدرسي ([3]).

([1]) **C M S File No 313/1897 , Peel to Baylis, 12.4.1901.**

([2]) **C M S File No 1895/44. Parker to Binns , 30. 10.1897.**

([3]) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية خطاب السيدة **Bazett** فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩٣م.

وكانت مواد الدراسة الأساسية فى مدارس البعثات هى الدين والقراءة والحساب واللغة الإنجليزية ،وخطبت مدارس البعثات بتأييد حكومة المستعمرة ،لأنها كانت المصدر الأول لتخريج الكتبة للإدارات الحكومية المختلفة (١) وفضلاً عن ذلك كانت تلك المدارس وسيلة لمد نفوذ الحكومة المركزية إلى بعض المناطق القبلية فى الداخل ،حتى إن منطقتى تيتا Teita ودلتا نهر تانا Tana كانتا تداران عن طريق مدارس البعثات (٢).

وركزت مدارس البعثات التبشيرية إهتمامها أول الأمر على إستيعاب أبناء الزعماء الأفريقيين بصفة رئيسية ،وترتب على ذلك حرمان نسبة كبيرة من أطفال العامة من الأفريقيين من التعليم ،وحظى هذا الإتجاه بتأييد الحكومة المركزية ،التى كانت ترغب فى خلق جيل من أبناء الزعماء على قدر ضئيل من التعليم يمكنهم من تصريف الأمور المحلية فى مناطقهم بعد وفاة آبائهم (٣) ونتيجة لقلة موارد تلك المدارس إنحدار مستوى التعليم بها لإفتقارها إلى الوسائل التعليمية الحديثة ،وإنخفاض مرتبات مدرسيها ،وإنعدام الإشراف الفني عليها ،يضاف إلى ذلك أن مدرسي تلك المدارس كانوا من القساوسة ، وهؤلاء كان يعوزهم التدريب اللازم الذى يؤهلهم للتدريس بتلك المدارس ، وكانت قراءاتهم تكاد تنحصر داخل نطاق التعاليم الدينية ،وكان إلمامهم بالمواد العلمية الأخرى ضئيلاً ،وأسهم فى إنخفاض المستوى العلمى بتلك المدارس إنعدام الحوافز المادية بالنسبة للأكفاء من المدرسين ،لذا كان من

(1) **Eliot , Charles : East Africa Protectorate , London**

(2) **Oliver ,R : The Missionary Factor ,PP .268-269**

(3) **Kinghall , Robert and Lauwerys , J . : The Year Book Education, London 1956 , P.81.**

الطبيعى ألا تحس تلك المدارس بالحاجة إلى التنافس فيما بينهما لتخريج جيل من الأفريقين على مستوى عال من التعليم .

ومنذ بدء عهد الإستعمار البريطانى فى كينيا كان التعليم الإبتدائى إجباريا بالنسبة إلى الأطفال الأوربيين الذين يبلغون سن السادسة ،بينما كان إختيارياً بالنسبة إلى الأفريقيين ،وفى عام ١٩٠٠م أصبح هذا التعليم إجبارياً لأطفال الأفريقيين فى ممباساً ،وكانت البعثات التبشيرية هى التى تتولى مهمة تعليم الأفريقيين كلياً ،حيث كان يوجد أربع مدارس إبتدائية (١).

ولقد إستخدمت السلطات الإستعمارية أولئك الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات فى الوظائف الحكومية ،بحجة أنهم تلقوا قسطاً من التعليم الأوروبى ورفض المسلمون إلحاق أبنائهم بمدارس الإرساليات ،وبقيت الوظائف قاصرة على غير المسلمون ،وهكذا تسلل تلاميذ مدارس الإرسالية للسلطة وظلت البعثات التنصيرية تشرف على التعليم (٢).

ولم يكن هناك مجال لتعليم الدين الإسلامى فى المدارس الحكومية العامة والكنيسة ،غير أن تلك المدارس الكنيسة أخذت تدرس المسيحية فيها ، بينما لم يكن للمسلمين إمكانية مالية لإنشاء وتمويل مدارسهم العادية ،وفى الأونة الأخيرة أعدت الحكومة الكينية منهجا تعليمياً جديداً فيه عدة حصص لتعليم الدين فى المدارس الحكومية العامة كل أسبوع ،ولكن بينما يستفيد المسيحي من هذا القرار الحكومي ظل المسلم على حاله ،لأن المدرسيين المسلمين فى تلك المدارس الحكومية قليلون للغاية ،ثم إنهم لايعرفون شيئاً عن

(1) Padmore , Geroge : Pan Africanism or Communism ,PP.240-241. London 1948

(٢) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص٩٩.

هذا الدين وحتى لو كانوا يعلمون العلوم الإسلامية إفتراضاً فإنهم قد درسوا نسبة ضئيلة جداً من مجموع الطلبة المسلمين فى تلك المدارس ،وبعكس المسيحيين الذين يجدون المدرسين الأكفاء لهذه المادة ،هذا ولا يملك المسلمون ما يكفي لتوظيف المدرسين المحليين لأن سياسة الحكومة ألا توظيف مدرساً لمادة الدين وحدها ،والمشكلة الأخرى حتى لو وجد المعلمون لهذا الدين الحنيف تلقاهم غير مدربين ،وكثيراً ما تراهم لا يعرفون شئياً من اللغة الإنجليزية التى هى لغة التدريس فى تلك المدارس (1).

من ذلك يلاحظ أن الإرساليات كانت تخصص التعليم للديانة باللغة الإنجليزية ، فى حين لم تخصص للغة القومية أى درس وكان أجدر بها أن يكون إهتمامها باللغة القومية لايقل عن إهتمامها باللغة الإنجليزية إن لم يزد ، وكانت الإرساليات قد بدأت نشاطها فى تعليم البنات من سنة ١٨٩٥م ،وفى سنة ١٩٠٠م كانت المدارس الإبتدائية تضم ٧٨٠٠ تلميذه وفى سنة ١٩٠٢م أفتتحت مدرسة داخلية لبنات الرؤساء فى جايازا ،فى أوغندا ،كما افتتحت مدارس لتعليم الرؤساء فى روباجا تحت إشراف إرسالية الآباء البيض (2).

وفكرة إنشاء مدارس للرؤساء إنتشرت فى كل الأنحاء إلى نجورا Ngora فى تيسو Teso وإلى ماسينو Maseno فى كافيرندو Kavirondo إلى يوشيرومبو Ushirombo فى مفوضية تابورا Tabora وإلى كل من بعثات الكاثوليك واللوثريين Lutheran فى شاجا Chagga فى جبل كليمنجارو (3)،

---

(1) سالم محمد بلعلا ،رئيس المجلس الأعلى لمسلمى كينيا : جمعية المسلمين فى نيروبى تقرير عام عن أحوال المسلمين فى كينيا _مشاكل وحلول ،ص٢.

(2) **Ingham , K . : The making of Moderm Ugande , London 1958,p.124**

(3) **Oliver , R . : The Missionary Factor , P.213.**

وتم إقامة مدرسة من هذا النوع بواسطة بعثة آباء ميل هيل Mill Hill Fathers في ناميليا نجو Namilyango وقد كتب الأسقف بيرمانز Biermans يصفها كالتالي : بدأت المدارس فقط بأبناء رؤساء القبائل ،وقد ساهم رؤساء القبائل في مصاريف تعليم الأولاد ،وأن العديد من الأولاد من الممكن أ، يصبحوا رؤساء قبائل في المستقبل ويتولوا مسئوليات هامة،ولذلك كان من الأحسن إعدادهم في مدارس متقدمة (١).

كان رئيس كيونجاني Kiungani قف فرانك Frank ،وقد تم تزويده بتعليمات منتظمة يلقيها للصف الأول في المدارس ،وذلك عن حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم،والتعريض به ،ومن يحرز مستوى متفوقاً في الإختبار السنوي في هذا الموضوع يتم تعيينه في الأماكن التي توجد بها دعاية ضد الإسلام ،وقد تم تطوير كل ذلك العمل بواسطة المدرس كانون ديلي Canon Dale (٢) .

وقد قال سميث Smith : عندما ترى الطفل يسير في طريق التعليم فإنه سيستمر ،أنت ترى الشئ الحسن الذي لاتستطيع أن تقرره إلا في النهاية، وربما يوجد في المجموع والمجتمع الخاص بالأطفال أطفال مثل ذلك الطفل وهذا سيستمر إلى نهاية الأجيال ،فأنت تزرع الزرع بوضع البذور التي سوف تملأ الأرض ببهجة متزايدة من الصلاحية ،هذا كله إذا تم عمله في شكل تنظيم مؤثر للتعليم في أوغندا ،ولايجب أن ننسى بأن أول شئ ضروري وهام هو تعليم المسيحية ،إذ يجب الإهتمام بهذا الجانب للتعليم بين الأطفال (٣).

---

(1) **Tom Kigging : Op . Cit., P .125**

(2) **H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.101.**

(3) **Alfred .R . Tucker : Op . Cit., vol II , P.150**

وأعلن كانون دالي أن التعليم مجاناً على أساس أن يلتحق الطالب إجبارياً بدروس الإنجيل،وكان يأمل ألا تكون البذور وضعت فى أرض غير خصبة وهو يعتقد فى التطور الهادئ،وقد وضح ذلك فى مقر الكينيسة إذ قال: أنا أريدكم أن تكونوا صابرين جداً بالنسبة إلى عمل البعثة ،وأعتقد أنه كلما تحدثنا قليلاً عن البعثة ،وكتبنا قليلاً أو أعلنا عنها فى الجرائد فالأفضل أن تكون هادئين ،ولقد عرض فى مؤتمر أصدقاء إنجلترا الرغبة فى شراء منزل ضخم فى زنجبار ،وفي هذا المنزل بدأ بمدرسة خاصة بالدراسات على مستوى عالي ،يتم التدريس فيها على مستوى جامعات أكسفورد وكمبردج ، ولقد عين مدرس كفء كناظر للمدرسة ،جمع لكفاءته القدرة على الإتصال بكل من العرب والهنود ،إذ حضرت أعداد كبيرة ،وفى تلك المدرسة يتم دراسة الديانة المسيحية (١) ، واقترح كانون دالي أن المدرسة العليا يجب أن تشتمل على دروس فى فلسفة الأديان ،والطلبة يمكن التدريس لهم عن فكرة المسيح ،وهذه المحاضرات يجب أن تكون إيجابية وليس بها تناقض ،ويأمل أن يعبدوا الطريق إلى مبادئ الثالوث " الأب - الإبن - الروح القدس " ورغم أن مثل هذه الدراسات يجب أن يتم تدريسها فى المدرسة ،لكن فى المدرسة العليا لهما أهمية كبيرة للاستفسارات .

ولقد كتب كانون ديلي : يجب ألا نيأس بأننا لانستطيع هزيمة الإسلام، ولكننى أشعر بأننا يجب أن نحصل على قدر ما نضمهم تحت نفوذنا ، ونعطيهم الحق فى التفكير فى أصول الأديان قبل أن ندفعهم للاختيار (٢).

---

(1) **H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.102.**

(2) **H . Maynard , Smith : Op . Cit., P.103.**

لذلك يتبين لنا أن عمل المدرس كانون ديلى وهو فتح مدرسة عليا لجذب شباب المسلمين لتدريسهم الإنجيل وتشويه الإسلام لم تفلح ،ولم تنجح وذلك بشهادته عندما كتب يقول :يجب ألا نيأس بأننا لا نستطيع هزيمة الإسلام.

وبعد وصول الأسقف سميتز Smythies إلى زنجبار ،بدأ بتحسين التعليم الصناعى وبالذات بين البنات ،إذ كان يوجد ١٢ بنتاً من مدرسة تاكيرى Thackeray غير راغبات فى التعليم ،وتم وضعهن تحت رعاية الآنسة آلن Allen والآنسة بيركلي Berkeley التي باشرت إشرافها مع أختها التى أصبحت فيما بعد تعرف بإسم مدام كي.

وعندما تم وضع البنات تحت إشراف الآنسة بيركلي ،سكنوا فوق سطح المدرسة حيث يعشن ويتعلمن صناعات مختلفة (1).

وبعد بلوغ البنات سن الزواج يسمح لهن بزيارة الأولاد وذلك فى جناح جميل تم بناءه بمعرفة الآنسة تاكيري ،وعندها يتم تزاوج الأولاد والبنات تحت رعاية وإشراف البعثة (2).

هذا دليل على الفساد .. إذ إن هذا العمل يؤدى إلى أفساد أخلاق البنات فى سن المراهقة ،وذلك بترتيب لقاءات بينهن وبين صبية مراهقين فى نفس السن ،وهو لاتقره الشريعة الإسلامية.

وفى أكتوبر ١٩٠٢م تم إصصدار أول عدد من مجلة المدرسة تم تحريره بواسطة البنات أنفسهم ،وكانت أول مجلة تصدر من المجلات المحلية وتحمل إسم مسيولايزى Msimulizi وعند إفتتاح الجناح الصناعى فى

---

(1) A .E .M . Anderson - Morshead : Op . Cit., P.234

(2) Ibid ., P .236 .

اليوبيل السنوى ،قامت البنات بتزيين المكان بـأعلام اليوبيـل ،وأصبـح المنظـر جميـلاً وسـط أشـجار النخيـل ،وفـى القمـة عمـل صليـب الكنيسـة أهدتـه مسـز جوردون وكتوب عليه : فى ذكرى جوردن ولد فى٢٨/١/١٨٣٣م ،عمل فـى مصـر ،وهنـاك حمـل صليـب سيده ،ولقـد مـات أثنـاء عملـه بـالخرطوم فبـي ٢٦/١/١٨٨٤م (١).

وفى عام ١٩٠٣م ظهر معرض صناعي فـى كيونجـانى Kiungani إذ قام الأولاد والبنات بالعرض ،فعرضوا مراتب ملونة تم تعليقها علـى الحوائـط ،بينما أعمال الإبرة تم تعليقها فى السقف ،والعديد مـن المنـاضد كـانت مغطـاه بالأعمال المختلفة ،التـى تـم عملهـا فـى مبونـي Mbweni،وقـد حضـرت مسـز سميث Smith زوجة القنصل العام لترى وتقدم الهدايا (٢).

وهناك وثيقة تبين أن هناك منحة لتلك المدرسـة وهـى مدرسـة البنـات فـى ميونـي Mbweni التـى قدرهـا ١٢٠ جينـة إسـترلينى ،وقـد جعـل المسـتند يستحق الدفع إلى بنك كينيا فيلد (٣) وقد أسهمت حكومة المستعمر فى تكاليف التعليم ، وفى ذلك دليل على أن الأمر لم يقتصر فقط على بعثات التنصير بـل شاركت الدولة بنفسها .

وهناك دعم ملحوظ للتعليم تّم إعطائه من لجنه ثم تكوينها من جمعيات المبشرين، وتم تمويلها مـن صنـدوق فيلبـس – سـتوكس Phelp-stokes للدعـم المالى ، وقد تم رصد مبلـغ ضخـم مـن المـال من الانسـة كـارولين فيلبـس –

---

(1) A , E , M , Anderson - Morshead , :Op . Cit., P.238

(2) A , E , M , Anderson - Morshead , :Op . Cit., P.238

(3) Kenya Arctives , File No. ED1/431

انظر ملحق رقم (١٦) .

ستوكس Cardline phelps stokes لمساعدة تعليم الأفريقيين وكان هدفها تقديم التعليم المسيحي ، وكانت قد لاحظت أن هناك مساهمةً قليلة من التعليم من ادارة المستعمرة ، لذلك انفقت ١٤,٠٠٠ جنية إسترليني فى كينيا، وفى أوغندا ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

ولقد أقامت لجنة دائمة لتعجيل إدخال المحاضرات الدينية فى تعليم المواطن الأفريقى ، وتحت عنوان الإنجيل ، وضع للاعتراف بالاخلاق الاجتماعية الضرورية للحياة الأفريقية (١) .

وقد قررت الحكومة البريطانية أن تفعل شيئاً بخصوص التعليم فى حدود المستعمرات التابعة لها ، وتّمت مناقشة العمل من خلال نظام التعليم الحالى ، وتمت الموافقة على اقتراح وهو أنّ البعثات التنصيرية والحكومة يتعاونان معا لتطوير التعليم ، وفى عام ١٩٠٥م تم اجتماع فى لندن بحضور ممثلى الحكومة البريطانية ، ولجنة فيلبس – ستوكس وممثلى بعثة البروتستانت وحاكم المستعمرات ، وقد تقرر كنتيجة لذلك إقامة لجنة دائمة فى لندن للنصح والارشاد للتعليم فى شرق أفريقية ، وتم تشجيع المبشرين على التعاون مع المجلس العالمى للمبشرين ، وهى أكبر هيئة لها تأثير على البعثات ، وقد وقع كل المبشرين البروتستانت للتعاون الكامل ، وكذلك فإنّ الكاثوليك قدموا ماعدتهم ، وفى عام ١٩٠٥م تم تعيين قسيس أمه هنسلي Hinsley كمستشار للبعثات الكاثوليكية فى المستعمرات البريطانية ، وفى مؤتمر للأساقفة تم عقده فى دار السلام فى عام ١٩٠٧ م قال : لابدّ من التعاون بكل قوتكم ، وعندما يكون من المستحيل عليكم أن تتحملوا العمل

(1) **Smith , E.. : The christian Mision in Africa, London 1926, p. 108 . Oliver , R : The Missienary Factor in East Africa, P. 270.**

والتوفيق بين عملكم للتبشير للمسيحية وللتعليم أهملوا أعمال الكنيسة واعتنوا بعمل المدارس ([1]).

هذا القرار الذى تَّم اتخاذه من كل مجموعات المبشرين كان علامة مميزة فى تاريخ التعليم فى شرق أفريقية ، وأدرك المؤتمر أهمية التعليم فى نشر النصرانية وأيقن أن النشاط الكنسي لن يحقق ذلك ، ورأى من الأصوب التركيز على التعليم لأنه يحقق الهدف النهائى فى النهاية .

وقد شيدت السيدة هور **Hore** وهي من إرسالية الآباء البيض في بحيرة تنجانيقا في كفالا **Kavala** ، مدرسة صغيرة للبنات بجوار منزلها ، ولقد علمتهن القراءة والكتابة والخياطة وأيضا الأناشيد الدينية ، وعندما كثر عدد الطالبات أخبرت زوجها أنها تريد منزاً صالحاً للمدرسة أذ أصبح لديه ٤٠ طالبة ، ولقد تم بناء مدرسة مناسبة لها ، وبجوارها تم بناء كنيسة صغيرة([2])

وكانت الآنسة كينون **Kenyon** تقضي ساعتين يومياً مع البنات الصغيرات في القرى المجاورة ، ممن لايستطعن الحضور إلى المدرسة مع الآخرين ([3]) وبلغ اهتمامها بتدريس الفتيات من أجل نشر النرانية ، إذ أنها كانت تتحمل مشقة الانتقال بنفسها إلى القُرىّ المجاورة لتدريس الفتيات اللآتى يعجزن عن الحضور للمدرسة ، وكانت هيئة التدريس دائماً تضّم العديد من

([1]) **Tom Elgging : Op. Cit., P. 128**

([2]) **Sarrah Geraldina Steek : Op. Cit ., P. 160 .**

([3]) **A.E.M. Anderson-Morshead : Op.Cit, p.285**

الأوروبين الذين فرضوا رأيهم باجراء تعديل على سياسة ومفهوم ومنهج التعليم التبشيرى بما يتلاءم وظروف المناطق الّتي يمارسون بها نشاطاتهم.

ويتضح المفهوم الجديد مما يلى : " كانت مدرسة التبشير فيما مضى تستخدم بشكل أساسي الوسيلة لأشكال أخرى من العمل التبشيري ، ولكن هذا الموقف لم يعد ضروريا الآن بسبب تغير الظروف ، لذلك يجب أن تؤكد على ضرورة توجيه الطلبة نحو دراستهم التاريخية والعالمية (١) ، ولتحديد الهدف الأساسي للتعليم التبشيرى يقول أحد قادة التبشير : إن الهدف الاساسى الذى يجب على التعليم التبشيري أن يحققه هو تدريب الكنيسة المحلية على تحمل أعبائها... ويجب أن ينْصَبَّ تفكيرنا أولاً على المعاهد الخاصة بالمسيحيين وحدهم ، كالمدارس الداخلية ومعاهد التدريب وكليات اللاّهوت (٢) ، وان الكليات المسيحية لاتهدف فقط إلى كسبِ المنتصرين من بين الوثنيين فحب بل تُساعِد على تحقيق الوظيفة الهامة وهى إعداد القادة للكنيسة (٣) وبهذه الغاية التبشيرية التّي حَّددَت التزام هذا النوع من التعليم بالخط التبشيرى، أصْبَح التعليم وسيلة لتحقيق الأهداف وهو تنصير الآخرين وتحويلهم إلى المسيحية.

وكان للحركة الضخمة لمجموعة المبشرين أثر كبير فى أن تحولت أوغندا إلىَ دولة مسيحية (٤)

وفى عام ١٩٠٥م استلم ماكاى Mackay التماسا خاصا بتعليم المسيحية من تلميذه القديم سمبارا Sembara وقد دفعه حماسة إلى خوض

(1)Poul Monroe, : The Meslem World of to- day London 1925, pp. 177-178.

(2)Hoton , S, W, : The Misionary Campaign, London 1912, P. 108

(3) Ibid .

(4)Low, D,A, Religion and Society in Suganda 1875-1900 London 1956,P.9.

معركة تعليم الكبار أيضا ، فبدأ بتعليم إحدى النساء أصول القراءة والكتابة(١)، وفى نفس السنة وصلت أول امرأة مبشرة إلى أوغندا ، حيث ساعدت فى التدريب على التعليم وكان مستوى القراءة فى البعثة هابطاً ، فإن أول مدرسة يتم إنشاؤهما على الأساس الرسمي كان فى نهاية عام ١٩٠٥م. (٢)

وعندما وصل أول وفد من النساء للعمل فى أوغندا كان تأثير النساء ضخما وفعالا بالنسبة إلى الأطفال ولاسيما البنات ، أو الكثير تعلمن هذه الدروس التى تدرسها سيدة واحدة ، وكان تأثير النساء فى وسط أفريقية يتقدم باضطراد ، وبذلك تحسَّنَ وضع الاطفال حيث كانت تقدم لهم خدمات أفضل(٣) وفى عام ١٩٠٦م وصل عدد الطاليات فى المدرسة الابتدائية حوالى ٧٨٠٠ طالبة ، وقد زاد العدد بعد سنتين إذ وصل ١٤٣٠٠ طالبة ، ومهما يكن فقد تم الشعور بأنه لابد من عمل مجهود للاهتمام ببنات الطبقات العلْيا، وبذلك تم انشاء مدرسة داخلية على أساس التمويل الذاتى فى مينجو Mengo تم فتحها لمصلحتهن ، وقد تمَّ تحقيق بعض النجاح بسبب عناية الآنسة آلن Allen وتم إقامة مدارس مشابهة فى عواصم تورو Toro وبينورو Bunyoro وكان الهدف من ذلك ماقيل هو ازدياد اهتمام النساء بالكتاب المقدس (٤) .

وفى بداية ١٩٠٧ م تم التخطيط لمدرسة للتعليم المتوسط ، وكان المحرك الأول لهذا المشروع فريزر Fraser الذى اضطر للرجوع الى وطنه نظرا لسوء صحة زوجته، ومهما يكن فقد تولى الإشراف بدلا منه ويذرهيد

---

(1) **Macky : Op. Cit., pp. 139-140.**

(2) **Merrick Posnandky & Valerie vowles ekinty, C.M,Islam and the EarlyChritian Missions ons in Ugands 1844-1910, Ugenda 1950,p.11**

(3) **Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 33o .**

(4) **Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 331 .**

Weather head وتـم تحديـد المكـان وهـو حوالـى ثمانيـة أميـال مـن مينجـو Mengo علـى تـل بـودو Budo وترجـع شـهرته إلـى التـاريخ الملكـى فـى أوغندا، نه لعدد من الأجيال كان ملوك أوغندا يقيمون على قمة التل احتفـالات اشبه بالمهرجانات ، وقد أعطى الملك هذا الموقع كهدية لبنـاء المدرسـة التـى سميت " مدرسة الملك " ولقد تم انشاؤها بـالتمويل الذاتـى والرسـوم السنوية ، وتم استكمال بناء المدرسة فى ثلاثة طوابق وحجرة واسعة طولها حوالـى ٥٠ قدما وعرضـها ٤٠قدما ، وثلاثة أجنحة فى شكل مربع (١).

وهكذا انتشر التعليم لدرجة أنّه في نهاية عام ١٩٠٧م بلغ عدد القـراء حوالى مائـة الـف قـارئ فـى البلـد ، وأول خطـوة خطـيرة لتنظيـم التعليـم فـى أوغندا كان بوصول مجموعة من السيدات منهن الآنسة شادويك Chadick فقد كونت مدرسة مختلطة في تومست Thomett وعندما زاد عـدد الهيئـة العاملـة تم تكوين مدرسة مشابهة فى جايازا Gayaza باشراف الآنسة برد Bird وعنـد وصول هاترسلي Hattersley وضع قواعد للنظام العام للتعليـم وقـد كـان لديـه رأى عن طاقة الاستيعاب عنـد الأطفـال فـي أوغنـدا إذ قـال : إنـه ممـا يجلـب السرور ان تُعلّم عدداً ضخمـاً مـن الأطفـال ، لأن ذكـاءهم فـى تقـدم وتطـور، وانهم باعطائهم نفس التعليم للأطفال فى إنجلترا ، فانَّه يمكن بسهولة مقـارنتهم بالأطفال فى انجلترا ، وإنه من المستغرب أن ترى كيف يتعلم الاطفـال الديـن المسيحى بسرعة ، وأنه بموجب هذا الاستعداد فـان التعليـم للأجيال الناهضـة فى أوغندا يتحق الاهتمام ، ولايمثل أيّ صعوبات لايمكن التغلب عليها (٢).

---

(1) Al Fred, R. Tucker : Op. Cit., vol II, P. 329

(2) Ibid., vol II, P. 151.

لقد اضطلع بمهمة التعليم بادئ ذى بدء الارساليات المسيحية منذ قدومها إلى أوغندا ، وقد بذلت جهودها فى هذا الميدان إذ كانت مصاريف هذه المدارس تدر من الأموال التى ترصدها الارساليات لهذا الغرض بجانب هبات الكنائس الوطنية ، وأنشأت الارساليات نظاما للتعليم أنتشر فى كل أجزاء المحمية دون الاستعانة الحكومة.

وقد انتشرت المدارس فى مختلف الجهات ، وتركز عمل تلك المدارس أساسا فى التبشير بالديانة المسيحية ، كما اضطلعت بعض المدارس بمهمة تعليم اللغة الانجليزية مادة أساسية ، واستمر هذا الوضع حتى عندما تألفت لجنة التعليم الأفريقى وزارت أوغندا ، وأشارت إلى أن التنظيم الذى أدخلته الإرساليات للتعليم الوطني كان صالحا كنظام تعليمى ، وجاء فى تقرير اللجنة مايلى: " مع أن هذه الارساليات التبشيرية قد أحرزت نجاحاً ملحوظاً إلاّ أنه يجب أن يكون مفهوماً تماماً أنّ ماقامت به لم يكن إلاّ بدايةً فى عمل التبشير " التنصير " (1).

وتحدث الأسقف تاكر Tucker عن التعليم فى أوغندا حيث قال : " إنّ تخطيط النظام التعليمى فى أوغندا لايكتمل بدون عمل حساب للتعليم الصناعى والذى يصورة أو بأخرى مٌنذ أيام ماكاى Mackay ساهم فى تطوير الحياة والعادات للعديد من الناس فى باجندا Baganda ومن الإنجازات الضخمة لبعثته أنّ كان ماكاى Mackay مركزا على خدمات الله " الصلاة " التى لها عمليات تدريب ميكانيكية ، التى من خلالها فكر بأنه بموجبها ستجد بعثة

(1) **Thonas and Scott : Uganda, London 1935, p. 314 .**

أوغنده فرصة كافية ليستطيع مهندس شاب تقديم خدمة تطوعا ، ولكن بكل تأكيد لا يوجد حقل صالح للبعثة غير أوغندا[1] .

لكن القلاقل التي سادت بوسوجا Busoge في الفترة من ١٩٠٠/١٩١٠ جعلت من الصعب إلى المبشرين أن يباشروا بكفاءة سياستهم التعليمية ، ومهما يكن فإنه بنهاية العشر سنوات الأولى أصبح واضحاً أن تعليم القراءة والكتابة كانت إحدى المهارات المطلوبة ، فأهالي بوسوجا رغبوا في ذلك لأن الناس المتعلمين يلْقَوْن احترامهم ويحصلون على وظائف[2] توفرها الدّولة ، لأن الدولة في حاجة إلى تكوين هيئة إدارة يوسوجا من كتّاب متعلمين ومترجمين ، كذلك الأعمال العامّة للدّولة ، والشركات فمثلا الشركات الأوروبية التي يوجد ١١منها في يوسوجا حلول عام ١٩١٤م كانت تحتاج هي الأخرى إلى كتاب متعلمين [3].

---

(1) Al.fred,R, Tucker: Op. Cit., vol II , P.153.

(2) Editorial Uganda, vol IV , April 1913

(3) A,D Tom Tuma : Op . Cit ,. p.65.

وقبل استقلال أوغندا كان عدد المدارس الا بتدائية الكاثوليكية فى أوغندا ١٤٠٧ مدرسة وبلغ عدد المدارس البروتستانتية ٩٨١ مدرسة فى حين لم يزد عدد المدارس الابتدائية الإسلامية على ١٧٩ مدرسة ، وجاء فى إحصاء عدد المدارس الثانوية فى المقاطعات الأوغندية الأربع :-

مقاطعة بوجندا	المقاطعة الشرقية	المقاطعة الغربية	المقاطعة الشمالية	المجموع
للكاثوليك ٤٦مدرسة	٣٠	٣٠	٤٦	١٢٥
للبروتستانت ٣٢ ،،	٣٨	٣٠	٣٠	١٣٠
للمسلمين ٨ مدارس	٦	٢	٢	١٨

ويتضح من تلك الإحصائية أنَ البعثات التنصيرية تمتلك ٢٨٢ مدرسة ثانوية، فى حين ليس للمسلمين اكثر من ١٨ مدرسة وحصة المسلمين من المدارس لاتتفق مع نسبتهم التى تصل الى الثلث (١) .

إنَ التخالف بين البعثات أثمر وقدم لها أفضل النتائج ، وبفضل التقدم فى المدارس الثانوية للبعثات خلال خمسة عشره سنة أصبحت حكومة شرق أفريقية قادرة على أخذ أول خطوة نحو ترقية المدارس المهنية لحكومة أوغندا فى ماكريري ، لتصبح جامعة كلية شرق أفريقية (٢) .

وتعتبر كليَة ماكريرى من أهم المؤسسات التعليمية فى أوغندا ، وهي كلية ذات مستوى

جامعي ، واسمها الرسمي كلية شرق أفريقية الجامعية University College Of East Africa وهي تابعة لجامعة لندن ، ويرجع تأسيسها إلى سنة ١٩٢٢م وتضم طلاباً من كلَ أنحاء شرق أفريقية، كما أنها لاتفرّق بين المذهب الدينى الذى يعينقة الطالب ، ففيهم الكاثوليكى والبروتستانتى وغيره ، وكان أول افتتاح لكلية ماكريرى مدرسة تجارة ، ثم اتسعت كنواه لكلية الجامعة الأفريقية ، وقد اعترف بها المجلس المشترك للجامعات Inter University Council كليَة جامعية (٣) ، وتعتبر المدار الصناعية التى أنشئت فى سنة ١٩٢١م أساس كليّة ماكريرى ، إذْ رعان ماتبين أن هذا النوع من

(١) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص١٣٦

(2)Oliver , R , : The Missionary Factor , P .288 .

(3)ailey : An African Survey ,London 1957 , P. 181 .

العليم لايمس إلاّناحية واحدة من احتياجات التعليم فى البلاد ، وعلى ذلك اتّسع مجال الدراسة سنة ١٩٢٢م وفى أول أغسطس من تلك السنة تغير اسم تلك المدرسة الى كلية ماكريرى .

كانت كليّة ماكريرى خاضعة لجامعة لندن ، فهى التّى كانت تضع لها برامجها ، وتعّين هيئة التدريس فيها التدريس الذين يلقنون التلاميذ التعاليم المسيحية ، وقد بلغ الطلبة فى السنة التالية لتأسيسها نحو ١٤٠ طالباً ، كان منهم ٧٣ بروتستانتيا ، ٦٥ كاثوليكيّاً ، واثنان فقط من المسلمين ، وتمَّ تأليف رابطة لكلية ماكريرى تحت اسم : جمعية اتّحاد كلية ماكريرى Makerere College Union Society تعمل على استمرار اتّصال الخريجين بالكلية ، ولبثّ الولاء نحو تلك الأم الروحية ويبلغ عدد أعضاء هذه الرابطة حوالى ١٠٠ عضو [1] .

وحصلت بعثة الكنيسة التبشيرية وبعثه الأباء البيض على مساعدات مالية من الحكومة البريطانية ، لمساعدتهما فى تقديم التعليم العالى ، وتسهيلات كبيرة لمقابلة الطلب المتزايد على التعليم ، فمثلا قدَّمت الحكومة البريطانية معونةً قدرها ٣٥٠٠ جنية إسترلينى (حوالي ٩٥٠٠٠ شلن) وذلك لمساعدة بعثة الكنيسة لمواجهة مصاريف بناء مدرسة ، كذلك قدّمت منحة سنوية حوالى ١٠٠ جنية إسترلينى للمدرسة ، وذلك لمساعدتها فى إعطاء منحة تعليمية للطلاب الممتازين ، وأيضا قدّمت الحكومة منحة ٤٠٠ جنية إسترلينى للطلاب الذين لايستطيعون دفع المصاريف ، كذلك طلبت بعثة الكنيسة منحةً إضافية حوالى ٢٠٠ جنية إسترليني ، لتطور المدرسة اليومية

---

[1] **Mukherjee , R, : The Problem of Uganda, Berlin 1956, P. 32**

للبنات فى اجنجا Iganga ([1]) وكان لدى بعثة الكنيسة مدرسة فنّية فى Iganga تم انشاؤها فى عام ١٩١٠ لتدريب الأولاد الأيتام الذين فقدوا ذويهم بعدَ المجاعة ، وأيبضا بعثة الآباء كان لديها فصل فنّي صناعى فى كل من محطاتها الأربعة ، ويبين الجدول التالى نمو المدارس بين عام ١٩٠٠ – ١٩١٤م حيث أصبح عدد الطلبة فى مدارس بعثة الكنيسة أكثر من الضعف بينما فى مدارس بعثة الآباء أكثر من ثلاثة أضعاف ، والجدول كما يلى :–

السنة	جمعية الكنيسة للتنصير		بعثة الآباء البيض	
	اتباع الكنيسة	اطفال فى المدارس	اتباع البعثة	اطفال فى المدارس
١٩٠٠	٥٧	٢٠	ارقام غير معروفة	أرقام غير معروفة
١٩٠٢	٥٣٨	٣٠	ارقام غير معروفة	ارقام غير معروفة
١٩٠٤	٨٠٦	١٠٣٩	٤٠٧	٩٢
١٩٠٦	١١٩٨	٢٠٣٩	٢٤٠٠	٢٠٦
١٩٠٨	١٩٦٧	٧٥٨	ارقام غير معروفة	٧٥
١٩١٠	٢٣٩١	٣٤٥٠	٣٦٦١	٥٩٩
١٩١٢	٥٣٦٣	٨٠٦٨	٣٤٩٠	١٩٤٢
١٩١٤	٢٥٦٤	٣٧١٠	٥١٦٥	٦٨٥٣

والجدول السابق يوضح التطور الذى طرأ على عدد الأفراد من أتباع الكنيسة وأطفال المدارس ، ومما يلفت النظر أن بعثة الآباء البيض الكاثوليك كانت تكثف من نشاطها، بدليل أنّ عدد الأفراد والأطفال يتجاوز ضعف عدد الأفراد والأطفال فى جمعية الكنيسة التنصيرية البروتستنتية .

([1]) C.M.S. ,File No C3, A 7/ 0 .

إنّ السباق مع الإسلام أصبح موضوع مناقشة للمبشرين فى أدنـبره([1]) باسكتلنده عام ١٩٢٠ م فالإسلام وانتشاره كان يعد اكبر مشـاكل المبشـرين ، لذلك بدأت بعثة الكنيسة فى تنزانيا تشجيع الحكومة على العديد من المعـاملات المؤيدة لها ، فهم يريدون العديد من المسيحيين لقبولهـم ويتـمٌ تدريبهم لـلإدارة وفـى عـام ١٩٢١ أقـامت بعثـة الكنيسـة وبعثـة برليـن وبعثـة موراڤيـانس Moravians نسبة إلى مورافيا فى تشيكوسلوفاكيا مدرسة فى جبال موروجورو Morogoro للتدريب على التعاليم المسيحية ، وقد تمكنـت مـدارس البعثـة مـن استلام إعانات الحكومة الاستعمارية ([2]) .

وهنـاك وثيقـة تؤكـد أن هنـاك إعانـات ماليـة كبـيرة مـن الحكومـة الاستعمارية لمدارس البعثات التنصيرية ، ومن ذلك منحة لمدرسة جديـدة فـى نيانجورى Nyangori قّدم لهـا منحـة ٣٠٠ جنيـة اسـترليني ، وأيضـا قدمـت منحـة لإتمـام بنـاءِ الـدور الثـانى مـن المدرسـة ، إذ انفـق عليـه ٤٠٠ جنيـة استرليني ([3]) .

وهذا التعاون اثمر عددا مـن المـدارس والكليّات الدينيـة ، وأبعـد مـن ذلك على المستوى القومى ، فإن الجمعيات كان لديها نظامها الموحـد ، وكـان مقرها أدنبره ، حيـث مارسـت لجنـة شـرق أفريقيـة العمـل ، ووضـع الخطـط لتطوير الخدمة المسيحية فى شرق أفريقية ، ويوجد أيضا لجنة دوليـة لـلآداب المسيحية لأفريقية ، وتخدم فى تطور الأدب بما في ذلك الكتب والمكاتب ([4]).

([1]) **A.D. Tom, Tuma, : Op. Cit., PP. 67-69**

([2]) **Anderson : Abrief Account of Christianity in Tanzania Uganda 1975,p.8.**

([3]) **Kenya Archives , Fileno . ED 1/1212.**

([4]) **Conference of Missionary ocietien in Great Britain to Lordlloyd, Secretaryof state for the colonies .**

والجدول التالى يوضح مدى اهتمام البعثات بـالتعليم ، وذلـك فـى عـام ١٩٢٤م ([1]).

وهو يبين التطور الكبير الذى شهدته الحركـة التعليميـة ، التـى كـانت ترعاها البعثات الدينية : ،

البعثات	المحطات	المدارس	التلاميذ	المدرسين	هيئة الموظفين
Bethel	١٢	٥٦	٣٠١٠	١٠٠	٢٩
Berlin	١٧	١٠٠	٣٧٣٢	١٥٤	٥٢
Moravian	١٥	٧٣	٦١٢٨	١٦٧	٣٢
Leipzig UMCA	١٣	٨١	٨١١٥	١٠٨	٣٣
بعثة الجامعات CMS	١٦	١٧٩	٥٩٠٦	١٥٩	٣٢
الكنيسة التنصيرية HGF	٨	١٣٥	٧١٧٥	٧٤	١٥
الروح القدس	٢٣	٦١	١٢٧٦٦	٣٠٠	١١٨
Benedict WF	١٤	١٧٤	١٢٢٠٦	٩٩	١٠٧
الاباء البيض	٤٨	٢٤٥	٢٧٧٠٩	٤٢٣	١٨١

([1])Carl-Erik Sahlberg : Op. Cit., P. 99

وكل العلوم الدينية يتم تدريسعل بواسطة رجال الدين ، أو مدرسين تحت التدريب ، ولكن كانوا بمثابة أدوات كافية لتزويد الأعداد الضخمة من التلاميذ بالمعلومات عن المسيحية ، والاحصائيات التالية توضح مساهمة الكاثوليك [1] فى الأنشطة التعليمية فى شرق افريقيا :

نوع التعليم	عدد التلاميذ	عدد المدارس
مدارس ابتدائية	١٦٨٩٢٣	١١١٦
مدارس ثانوية	١٧٩٥٣	١٢٩
كليات تدريب وتعليم	٧١٨	١١
مدارس تجارة للأولاد	٤٩٩	١٢
مهن حرفية وعلوم محلية	١٨٦٢	٣٧

وفى عام ١٩٣٠م كان التلاميذ فى مدارس الكاثوليك يكونون ٤٨٪ من مجموع التلاميذ فى المدارس المركزية ، و ٦٦,٥٪ من مجموع مدارس البنات الداخلية و ٥٠٪ من مدارس القرى ، وتوضح الأرقام التالية نسبة مساهمة الكاثوليك فى برنامج التعليم [2] بالنسية للجمعيات البروتستانتية .

(1)Ioid . , P . 34.

(2)Ibid . P . 135 .

نوع المدارس	مجموع التلاميذ فى المدارس	مجموع التلاميذ فى مدارس البعثات الكاثوليكية	النسبة المئوية
الابتدائية	٤٥٠٦٤٤	٢٨٠٨٥١	٥٤,٩٪
المتوسطة	٥٥٥٧٨	٣٠٤٥٨	٥٣٪
الثانوى	٦٠٣١	٣٤٠٦	٦٤,٣٪
التدريب	١٣٨٦	٢٠١	١٤,٥٪
تدريب المدرسين	١٦٩٨	١٢٥٠	٧٣,٦٪

ومن هذه الاحصائية نستنتج أن هناك عـاملاً هاماً خلف تويـع الكـاثوليك ، وهو أن الحرب العالمية الأولى لم تؤثر . بدرجة كبيرة على بعثة الكاثوليك فى تنجانيقا ، فبالإضافة إلى أن عمل المبشرين الكاثوليك كان غاية فى الدّقة والنظام والانضباط نجد أنّ بعض البعثات البروتستانتية كانت تتبع ألمانياً ، مما أثّرعلى نشاطها الذى كاد أن يتوقف تماماً بسبب الحرب .

ويلاحظ أن مدارس البعثات التبشيرية أهملت العادات القبلية ، وحاولت إبعاد الإفريقيين عنها ، فى الوقت الذى لم تحاول فهم عقلية الأفريقي أو تعمل على تنمية شخصية تلاميذها عن طريق المواءمة بين البيئه المحلية المواد العملية التى تدرس لهم ، وانحصر اهتمام هذه المدارس فى حشوذهن التلميذ الأفريقى ببعض المواد النظرية التى لاتتصل ببيئته ، وأظهر مدرسوها احتقاراً واضحا لعدات الأفريقيين ، ولذا كانت هذه المدارس هدفا لثورة القبائل الأفريقية التى اعتبرتها تجسيدا لإدارة المستعمر البريطانى (1) ، يضاف إلى

(1) Jomo Kengatta : Op. Cit., PP. 121-124.

ذلك أم مقدار ماكان يستوعه معظم التلاميذ الأفريقيين بتلك المدارس كان ضئيلا، نتيجة عدم انتظامهم فى حضور برامج الدراسة بسبب اضرارهم للتغيب لمساعدة أبائهم فى مجتمع المحصول والأعمال المنزلية ، وظلت كينيا بدون إدارة للتعليم حتى عام ١٩٢١ م وفى هذا العام انشئت أول إدارة للتعليم بالبلاد ([1])، وكانت هذه الإدارة تتبع المجلس التنفيذى للمحمية وقتذاك ، وعهد إلى هذه الإدارة بوضع سياسة التعليم وتطويره فى كينيا ، وألحق بها عدد من الأقسام الفنية فكلفت هذه الأقسام الإشراف على تنفيذ سياسة التعليم ، وعملت هذه الإدارة على بناء عدد من المدارس الحكومية بجانب مدارس الإرساليات، ويعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت هذه الإدارة تشرف على مدارس الإرساليات بعد أن علت الشكوى من انخفاض المستوى العلمى بها ، وجعلت هذه المدارس تابعة لها مباشرة من الناحية الفنية ، وقدمت لها إعاناتٍ ماليةً سنوية بلغ حجمها فى عام ١٩٢٣م ٣٠٠ ألف جنيه إسترليني ، وأسهمت الإدارة في دعم كلية جينز Jeans ([2]) ، التى أسستها إحدى سيدات التنصير فى كليتى بكينيا وقد جعلت إدارة التعليم تقديم العون المالى لمدارس البعثات مشروطا بضرورة تَلقّي مدرس هذه المدارس التدريب اللازم فى مراكز تدريب المدرسين، التى أنشأتها الإدارة خصيصا لإعداد مدرس الابتدائية .

([1])Stanley and Cthers : The Trans formation o East Africa, P. 499.

([2]) أنشئت كلية جينز Jeans فى نهاية العشرينات فى كابتى Kabete على يد سيدة من سيدات التنصير وعرفت الكلمة باسمها ، وكانت الكلية مخصصة أول الأمر لتوجيه وارشاد المدرسين الوافدين إلى كينيا لتدريب مدرس المدارس التنصيرية وقد تولت ادارة التعليم المركزية تطوير هذه الكلية فيما بعد وحولتها الى مركز لتدريب المشرفين الفنيين على مدارس البعثات التبشيرية ، انظر :

Buell, Op. Cit., PP. 388-389.

والجدول التالى يوضح الزيادة فى المنح والمعونات المالية السنوية بالجنية الاسترلينى ([1]):

السنة	كينيا	أوغندا	تنجانيقا
١٩٢٣م	٣٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٢٨,٠٠٠
١٩٢٥م	٤٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠

وكنتيجة لهذا التغيير تمّ التطور فى كلّ مستوىّ تعليمي ، فالمانى تمّ تحسينها وتمّ استقدام أفضل مدرسين ، وصرف مرتبات عالية ، والاشراف المباشر من المنصرين ومفتش الحكومة ساعد المدرسين وساعد فى تسهيل إدارة المدارس ، والكثير من مدارس رجال الدّين أصبحت كليّات تدريب لمدرسى التعليم الابتدائى.

ويشير الجدول التالى إلىَ التطور فى التعليم الابتدائى فيما بين عامى ١٩٤٠-١٩٥٠م([2]) .

السنة	عدد المدارس الابتدائية	عدد المدرسين	عدد المدرسات	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	نسبة عدد التلاميذ لكل مدرس
١٩٤٠م	٢,٥٠٠	٥,٥١٩	٧٠٠	١٨٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٤٠
١٩٤٥م	٣,٠٥٠	٦,٩١١	١,٣٠٧	١٧١,٥٨٥	١٠١,٥١٩	٤٥
١٩٥٠م	٣,٥٨٨	٨,١٣٦	٢,٠١٩	٣٣٨,٦٢١	١١٤,٠٦٦	٤٢

(1) Tom, Kigging : Op. Cit., P. 129.

(2) Unesco statistical Year Book , 1970, P. 178.

وكان عدد المدارس المهنية فى عام ١٩٤٠ ثلاث مدارس ومدة التدريب بمدارس الحرفيين كالحذادين والنجارين أربع سنوات ، ويشير الحصول التالى إلى عدد تلاميذ ومدرسي المدارس المهنية فى كينيا فيما بين عامي ١٩٤٠-١٩٥٥ (١) وتطور عدد المدرسين والدارسين من ذكور واناث:

السنة	عدد المدرسين	عدد المدرسات	عدد التلاميذ	عدد التلميذات
١٩٤٠م	١٥٩	-	٥٠٠	-
١٩٤٥م	١٠٠	-	٧٦٠	-
١٩٥٠م	١٣٩	-	١,٠٨٣	-
١٩٥٥م	٢٣٤	١	٣,٣٠٧	١٠١

ومن المعلوم أن عدد المعاهد الكنسية دون مستوى الجامعة يصل إلى ١٦,٦٧١ معهد كنسي ، وأنّ عدد الجامعات والكليات التى يديرها المنصرون تصل إلى ٥٠٠ ، وأن عدد رياض الأطفال التى يديرها المنصرون تصل إلى ١١١٣ ، وأن عدد أبناء المسلمين الذين يشرف المبشرون على تعليمهم يفوق ستة ملايين ، وقد وصل مبلغ ماينفق سنويا على المنصرين أكثر من ستمائة مليون دولار (٢)

فإذا علم ذلك فما هو العمل الذى تقوم به لمواجهة هذا الغزو ، وأفريقية قارة مسلمة عمل الاستعمار دائما على إبعادها عن الاسلام ، ولكنّها

(1) Dow, G,T.& Smith , : Overseas Economic Survey , British East Africa, P.128.

(٢) " هكذا يعمل المبشرون فى القارة الافريقية " مقال بجريدة اخبار العالم الاسلامى التى تصدرها رابطة العالم الاسلامى العدد رقم ٥٦٤ وتاريخ ١٣٩٨/٥/٢٨هـ .

دوما تثبت وجودها كقارة مسلمة متمسكة بدينها، ولكن مع هذا فلابد من الوقوف فى وجه كل المؤمرات الصليبية ، وذلك بالسعي والبذل لاقامة مدارس على المستويات الحديثة التى تكفل استيعاب أطفال المسلمين ، الذين اضطروا بحكم الحياة الحديثة فى مظاهرها أن يتهافتوا على المدارس التنصيرية ، التى هيأت لهم وسائل الدراسات ، وعلى مختلف مستوياتها فى حين لاتوجد من المدارس الإسلامية الكفيلة بتقديم تلك الخدمات مدرسة واحدة، مما دفع بأبناء الملمين إلى الدخول فى المدارس المسيحية ، فكانت النتائج سيّئة فى كثير من الأوقات ، بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تنكّراً للاسلام ، لا عن بغض فهو دينهم الذى يؤمنون به وإنما عن جهل ، فقد نموا فى مقاعد تلك المدار التى احتضنتهم فعلمتهم كل شئ إلاّ الاسلام (١) ، لذلك قامت جمعية شبان المسلمين ببناء بيت للأطفال المسلمين فى غاريا (شمال شرق نيروبى) الذى يعتبر أكبر وأول مشروع لجمعية شبان المسلمين فى كينيا ، والهدف الرئيسي للبيت هو توفير التعليم والمسكن المجانيين لأولاد المسلمين من اليتانى والمعوزين والمحتاجين ، ويضم البيت مباني خُطّطت بشكل جيد ، تتألف من ثلاثة مهاجع للطلاب تتسع لأرة كثيرة ، وقاعة للطعام ومطبخ ، وماكن لهيئة التدريس ومسجد ، كما يملك البيت وحدة خاة به لمعالجة الماء وتنقيته ، وحقل يمتد على مساحة ٨٠ فدان ، وحتى ديسمبر ١٩٨٠م ضم البيت ما مجموعه ٣١٢٠ طفل ، وفى إطار هذه البنية تلعب

---

(١) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والاسلام فى أفريقية الشرقية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ص ١٨٧.

وأيضا نفس المؤلف : أفريقية بين التوحيدية والتثبيت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ٦٧.

التربية الإسلامية دوراً هاماً في تربية هؤلاء الطلاب على التعاليم الإسلامية ليكونوا مسلمين صالحين يؤدون شعائر الله ([1]) .

إنّ المدارس هي حجر الزاوية في عملية نقل التربية الاسلامية للشبان، وخلال عام ١٩٨٠م لعبت جمعية الشبان المسلمين دوراً مفيداً في تقديم الماعدة وذلك بدفع رواتب ٤٠ مدرسا من القائمين على تقديم التربية الإسلامية لحوالى ٨٠٠ طفل في جميع انحاء كينيا ، وبموجب نفس البرنامج ، وحيثما أمكن فعل ذلك تقوم الجمعية بتقديم المساعدة لبناء المساجد والمدارس الجديدة . ([2])

ومن المدارس الإسلامية في كينيا :-

١) مدرسة الفلاح الإسلامية في ممباسا : إذ أعدت هذه المدرسة كثيرا من الطلبة للمرحلة المتوسطة والتحق طلابها بالجامعات وتخرجوا الآن حيث يعملون مدرسين في البلاد .

٢) مدرة النجاح الإسلامية في غاريسا : ولقد استمرت هذه المدرسة في التطور حتى أخذت مكانتها بين المدارس النشطة التي تُعِدّ الطلبة للمرحلة الثانوية وبدأ القائمون عليها في تطويرها في مجال التوسيع في المباني وفي مجال التدريس وأصبحت اليوم جاهزة لتخريج فوج كبير في المرحلة الثانونية العامة .

٣) معهد كساؤني الإسلامي : هذا المعهد افتتح أخيراً لقبول طلبة المرحلة الثانوية ، وقد مجح في ذلك حيث أعد كثير من الطلبة الذين التحقوا

([1]) ملخص بالانشطة التي قامت بها جمعية شبان المسلمين ، اعداد رئيس الجمعية محمد أكرم بهتي ، ١ .

([2]) نفس الملخص السابق ، ص ٦.

بالجامعات في المملكة العربية السعودية ، وهو الأول من نوعه على هذا المستوى في المنطقة ، وقد تخرج منه أفواج من الطلبة يقومون بالتدري في المدارس الإسلامية في المنطقة .

٤) مدرسة دار العلوم في لكوني بممباسا : وقد تأسست هذه أول الامر في عمارة ذات طابق يحتوي على عشرة فصول قامت ببنائها جمعية تعليم القرآن الكريم ، ثم تطورت حتى صار يؤمها طلاب العلم من أنحاء مختلفة ، خاصة وهي تضمك قسما لتحفيظ القرآن والقسم الداخلي للأيتام .

٥) دار الأيتام في غاريسا : وقد تأسست هذه الدار أيام محنة المجاعة التى ضربت المنطقة ، اذ بدأ المسلمين يختطفون أبناء المسلمين اليتامى باسم الاغاثة لتصيرهم فى النهاية ، وكان تأسيسها للحيولة دون حدوث ذلك ، وفى بادئ الأمر جمع حوالى ١٥٠ يتيم لحمايتهم وتعليمهم حيث يتعلم التلميذ فيها العلوم الدينية والعصرية وأوت كثيرا من اليتامي وأبناء الفقراء وجعلتهم رجالا يعتمدون على الله ثم علىأنفسهم حينما يبلغون سنّ الرشد (١) .

ويتم القاء المحاضرات بصورة منتظمة فى مدارس كثيرة مثل مدرسة الاتحاد للأولاد ، ومدرسة كبيتي الفنية ، ومدرسة نيروبى ، وذلك بفضل الأستاذ مالك من الجمعية الإسلامية ، والسيد عثمان وانجراء ضابط شئون الشباب فى جمعية شبان المسلمين ، وان مثل هذه المحاضرات تقدم فى مدن

(١) تقرير عن مشاكل الدعوة ومايواجهه المسلمون فى منطقة كينيا وخاصة فى المناطق النائية ، إعداد الشيخ على حافظ ابراهيم مدير إدارة الافتاء والدعوة والإرشاد فى سفارة المملكة فى نيروى ، التقرير رقم ت /٨٧/٩٥/ وتاريخ ١٤٠٠/٨/٥ هـ ، ص ٤ .

أخرى مثل ممباسا ، وناكورد وكيسومو ، ومن أجل تشجيع الشباب على الاعتام حبل الله فقد قامت الجمعية بتشجيع الطلاب على تشكيل جمعيات طلابية إسلامية فى مدارسهم وكلماتهم ، وعبر السنوات الماضية اثبت هذا البرنامج نجاحا منقطع النظير ، وهناك مايزيد على ٢٠٠ جمعية طلابية تقوم جمعية شبان المسلمين بالاتصال بها باستمرار وترسل إليها المطبوعات الإسلامية (١).

وفى أثناء جولتي داخل الغابات والأحراش فى شرق أفريقية وبالذات فى كينيا وفى حيّ مجنفو مطوابى على بعد ٤٨ كم من ممباسا زرت مدرسة(٢) صغيرة لجمعية مسلمى كينيا مكونة من كوخ كبير من الصفيح مقسم إى أجزاء وبها حوالى ٥٠ طالب ويدير المدرسة المعلم على عبود عد الله النوفلي من ميروبى بماليندى ، وأخبرنى بوجود الكثير من المنصرين وقد عملوا كنائس وبنوا مدرسة لتعليم الفتيات (٣) الخياطة ، إذ تتكون من فصلين وكل فصل يضم ثمان آلات خياطة ، وأيضا فى المدرسة فل روضة للأطفال وقاعة للإجتماع وقد تم بناء هذه المدرسة عام ١٩٤٨م ، وبجانب المدرسة توجد كنيسة بنيت فى نفس المدّة ، والذى أسس المدرسة والكنيسة رجل إنجليزى وذلك بتمويل من الحكومة الانجليزية ، وأثناء مقابلتى لمديرة المدرسة "وانياما " أخبرتنى : " أن الانجليز ساعدونا فى تمويل المدرسة بـ ٤٧ ألف شلن ، وأيضا ساعدونا فى جلب الماء الى المنطقة وإنهم يأتون إليهم

---

(١) ملخص بالانشطة التى قامت بها جمعية شبان المسلمين ، لعداد رئيس الجمعية محمد آكرم بهتي ، ص٤.

(٢) تمت المقابلة والجولة اثناء الرحلة العلمية الى شرق افريقية وبالذات فى كينيا فى الطريق بين ممباسا – ماليندى وذلك فى يوم الجمعة الموافق السابع من محرم لعام ١٤٠٩هـ .

(٣) انظر صورة رقم (١)

بكثرة ويوجهونهم بتعليماتهم فى التربية والتعليم ، ويوجهونهم لتعليم الأطفال الدّين المسيحى بشكل كبير " ([1]).

وفى منزل الشيخ علوى محمد افقيه التقيت بالشيخ عباس محمود بن الياس من مواليد تكؤنغ بالقرب من ماليندى عام ١٩١٠م ،إذ أخبرنى أنه كان لايوجد أي مدرسة هنا، وكان هناك فقط تعليم القرآن ([2]) ويعتبر أولّ مدرس لتعليم القرآن في هذا الحى هو المعلم حميد بن أمان ، وعندما جاء الإنجليز حاولوا مرتين أن يفتحوا مدرسة فلم ينجحوا ، وعملوا على تقرير الطلاب فلم ينجحوا ، وحاولوا تشجيعهم وذلك بأعطائهم بعض الملابس والصابون لدخول المدارس الانجليزية ، ولم يرض الناس بسبب أن المدرسين كانوا مسيحيين ، ورفض النّاس أن يرسلوا أبناءهم بسبب قوة إيمانهم ، والمكيدة التى درها الإنجليز بعد ذلك هي أنهم تظاهروا بعدم معارضتهم تدريس الدّين الاسلامى فى المدرسة ، وعرضوا مكانا فسيحا حيث يتولى المعلم تدريس القرآن وعلومه الدينية فى المدارس الحكومية فى مقابل مرتب شهري على أن يلحق به معلمون آخرون من ممباسا وجاءوا بمعلم كان يدرس فى المدار الحكومية، وبهذا نجحوا فى تنفيذ الفكرة واستغلال الناس ([3])ولقد واجهت السياسة المباشرة فى استخدام التعليم كوسيلة مباشرة للتنصير صعوبات عدة يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

([1]) انظر صورة رقم (٢)

([2]) انظر صورة رقم (٣)

([3]) تمت المقابلة مع الشيخ علوى بافقيه اثناء الرحلة العلمية التى قمت بها لمناطق شرق أفريقية ، وتمت هذه المقابلة فى يوم الجمعة السابع من محرم لعام ١٤٠٩هـ .

أولا : أن أولياء أمور التلاميذ الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس التبشـيرية قد فوجئوا بأن أطفالهم يتعلمون الديانة المسيحية بشـكل أساسـي ، بينمـا كـان عرضـهم الأساسى من الالتحاق هذه المدارس هو تعليم العلوم الحديثة ، فـى الوقت الذى لم تكن هذه تعلّم فى المدارس التقليدية أو الكتاتيب .

ثانيا : من مشاكل التعليم التبشيرى عـدم اهتمامـه بمسـتقبل تلاميذ المـدارس التبشيرية ، وكانت خطـة المبشـرين فـى ميـدان التعليـم إعـداد مدرسـين وقـادة للكنية المحليّة من المواطنين ، ولكـن مؤسسـات الإرسـالية المحـدودة لـم تكـن تستطيع استيعاب سوى عدد قليـل مـن هـؤلاء الذيـن تخرجهـم مدارسـها اذ إن بعضهم بقى بدون عمل.

ثالثا : أن ماحققه التعليم الحديث من تقّدم فى جميع أنحـاء العـالم جعـل التعليـم التبشيرى يبدو عديم الجدوى بالطريقة او المفهوم الذى كـان يطبـق بـه ، ولقـد اكد جون مـوت Jhon Mott علـى أن التعليـم الغربـى " التنصـيرى " لابدَّ ان يسعى ليلعب دورا أوضح فى توجيه الزراعة والتجارة والصحة ، وهذا التعليم يواجه أزمة فى البلدان الإسلامية إذا لم يواكب تطورها ، وهو يحتاج ويستحق الاهتمام والتفهّم والدعم من الوطن . (1)

إن الأفريقيين الذين تلقوا العلم الغربي على يد المنصرين أصبحوا هـم أنفسهم كارهين للتنصير وللّغة التـى يريـد المنصـرون أن ينشـلوها ، ففـى كـل مكان وصل إليه الوعى الوطني ظهر الكره الشديد ، حتى قال أحد المنصريـن " إنّنـا لانسـتطيع أنّ نخفـى عـن أنفسـنا ولاعـن غيرنـا أنَّ نقـرأ كثـيراً يمثّلـون

(1)**Paul Monrce : The Moslem word of To-day, London 1925, P. 195.**

الجماعات الأفريقية أظهروا امتعاضا شديداً من التبشير ، وأخبرونا أن الصّلة بين الكنائس والتنصير وبين التعليم يجب أن تنتهى بسرعة ([1]) .

وأخيراً أحب أن أشير هنا إلى مايواجهه المسلمون الوم من أخطار تتعلق بالموجات الإلحاديّة والتنصيرية الهادفة إلى بلبلة أفكار المسلمين الأفارقة وتهيئة المناخ المضادّ لهم حتى يتحللوا من مقومات دينهم وأصالة مبادئة ، وثقافته العظيمة من مؤامرات وتحركات تقوم بها الهيئات التنصيرية التّي تلاقي الدَّعْم الماديّ الهائل ، والاستعداد الكامل ، إلى جانب التنازلات الكثيرة التى رضيت عنها الكنيسة الغربيةِ فى بيل تنصير أكبر عدد ممكن من أطفال المسلمين بإنشاء المدارس والملاجئ مما أصبح يشكل خطراً كبيرا يستدعى انتباه نظر المسلمين إلى هذه الآلام الجديدة فى تاريخهم الحديث .

([1]) سيد احمد يحي : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

الفصـــل الرابـــع

دور الإستعمار فى دعم العمل التنصيرى

أ – السياسة البريطانية .

ب – السياسة الألمانية .

(أ) السياسة البريطانية :

لم يكد القرن السادس عشر الميلادى يشرف على الزوال حتى أخذ الإنجليز فى الظهور كقوة بحرية ، وتطلعوا هم بدورهم إلى الشرق يأملون أن يفوزوا بنيب من ثرواته، وأن ينشئوا على تُرْبته إمبراطوريتهم (١).

وأيقن الإنجليز أنّه ليست هناك وسيلة للوصول إلى ثروة الشرف غلاّ بمزاحمة البرتغاليين مباشرة في الأسواق الشرقية ، ولذا بدأت السفن الإنجليزية تأخذ الطريق البحرى الطويل حول أفريقية ، ففى عام ١٥٨م دارت أول سفينة بريطانية حَوْلَ رأس الرجاء الالح ، وفى عام ٥٩١ م أرسل القبطان جيمس لنكستر James Lancater بثلاث سفن شراعية ، وقد ألقت سفن لنكستر مرايها فى عّدة موانٍ منم احل أفريقية الشرقي ، وظلّت هذه السفن راسية فى جزيرة زنجيار وحدها مدة ثلاثة شهور ، وعادَ لنكستر إلى إنجلترا عام ١٥٩٤م (٢)

بدأت الأم الصناعيّة في أوروبا تتطلع إلى المستعمرات كمصادر للمواد الخام وأسواقٍ لتصريف البضائع ، بعد أن تجمعت لدى هذه الأمم رؤوس أموال كبيرة تتطلب الاستثمار فى ميادين جديدة ، وسبق تكتل رؤوس الأموال وتدفقها إلى خارج أوروبا قيامَ الثورة الصناعية التى بدأت بين عامي ١٧٦٠م – ١٧٧٠م بميلاد صناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، برؤوس أموالٍ لاتقارن بمثيلاتها اليوم ، وتكدست رؤوس الأموال بالتدرج ، وفى بريطانيا على وجه الخصوص ، نتيجة انفرادها تقريبا بتدير المنتجات الصناعية ، وأصبح من الطبيعي أن تتطور وسائل الانتاج واستثمار الأموال

(1)Holling Sorth , L,, : Op . Cit., P. L.

(2)Coupland , R., : East Africa and Its invaders, P. 52.

تطورا أساسيا ، وأندمجت الشركات الصغيرة التي عاشت في القرن الثامن عشر الميلادي في اتّحادات تجارية كبرى حتى توائم العهد الصناعي الجديد([1]).

والاستعمار الذى صاحب نشأة الدول الصناعية الكبرى وكان عاملا أساسيًا في اتّساعها لايقوم فحسب على الحملات العسكرية او الحروب ، بل هو ظاهرة سيئة من ظواهر التطور السياسي والاقتصادي لاوربا ، وقد قامت حضارتها الماديّة ورفاهية أبنائها على أساس الانقلاب الصناعى واستخدام الآلات في أوسع نطاق ، وانتاج شركاتها الضخمة وحدات للمصنوعات التي تبلغ الملايين فضلاً عن سلع الرفاهية والترف وإقامة المصارف وفروعها ، وتوظيف الأموال فيما وراء البحار ، وإنشاء شركاتِ التأمين والملاحة البحريّة والجشع الشديد للحصول على المواد الأولية بأسعار تهبط إلى الحضيض ، وفتح الأسواق وتشغيل اليد العاملة من أبناء الشعوب المحتلة بما يكاد يمسك الزمق ، والاستيلاء على مسالك البّر والبحر، واحتلال المراكز الاستراتيجية الهامة ([2]).

وبعد نهاية حروب نابليون فى بداية القرن التاسع عشر ، كانَ هناك تطور صناعي هائل ونمو لمبادئ التحرّر في أوروبا ، والتوسّع في المستعمرات فى الخارج ، وبلغ تأثير التبشير والمبشرين القّمة ، وأوّلُ أهدافهم لذلك كان وقف تجارة الرقيق ، وتحويل اعداد ضخمة فى قارة فىآسيا وشرق أفريقية إلى المسيحية ([3])، وتركز الاهتمام الأساسى للسياسة الإنجليزية فى

([1]) عبد الغنى عبد الله خلف الله : مرجع سابق ، ص ١٧ .

([2]) أحمد سويلم العمرى : الأفريقيون والعرب ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧م ، ص ٤.

([3]) **Merrick Posnansky, Valerie vowles & C.M. Sekintu : Op. Cit., P.1.**

شرق أفريقية فى التحكم فى تجارة الرقيق ، بينما كان السلطان ماجد في الوقت نفسه مهتمـا فى تلك المدّة ببناء سلطة قوية على المدن الساحلية ، ومحاولة فرض نفوذ دبلوماسي عن طريق سلطته ، وفى أوائل عام ١٨٢٢م كان السلطان سيد سعيد بنوى العزم على تحجيم التجارة فى الربع الشمالى الغربى من المحيط الهندى، ثم تقلصت هذه المساحة تدريجيًا حتى باتت تقتصر على استبعاد كلّ التجارة خارج حدود ممتلكات السلطان فى شرق أفريقية ، ولكن من الممكن الاستنتاج بشئ من الدّقة أن تجارة الرقيق فى شرق أفريقية فى تلك المدّة كانت تجذب اهتمام المسئولين البريطانيين إليها للوصول ، واحتلال مناطق شرق أفريقية (١).

فكانت محاولات بريطانيا للقضاء على تجارة الرقيق فى أملاك سيد سعيد هى الذريعة للتدخّل فى شئون زنجبار ، وقد تعلّلت بريطانيا فى طلب الغاء هذه التجارة بأنّ الرقّ مناف للتعاليم المسيحية ، وكانت الوسيلة التى اتبعتها بريطانيا للوصول إلىَ هذا الهدف هي عقد المعاهدات مع حكومات الدول التى يعتذر منها الرفيق ، فعقدت معاهدات مع شيوخ شرق أفريقية فى سنة ١٨٥٦م ، وإلىَ جانب عقد المعاهدات مع الدول المستوردة للرقيق ، قامت بريطانيا كذلك بعقد معاهدات لتحديد تلك التجارة مع الدول المصدرة ، ولتحقيق هذا الهدف كان من الضرورى أنْ تحثّ بريطانيا سيد سعيد على القضاء على هذه التجارة فى أملاكه الأفريقية ، لأن المورد الرئيسي لتصدير الرقيق كان فى وسط أفريقية ، غير أن إلغّاء هذه التجارة كان يعنى بالنسبة

(1) Oliver , R: The Missionary Factor in East Africa, P. 3

إلى السلطان سيد سعيد حرمانه من مصدر هام لغرض الرسوم الجمركية ، وحرمان سلطنته من القدر الأكبر من دخلها (١) .

وكانت إنجلترا تنظر بقلق شديد إلى اتجاه أي دولة استعمارية أخرى لمد نفوذها فى تلك الجهات من شرق أفريقية ، وتزعَّمَ حملة الضغط على الحكومة البريطانية لتمد نفوذها لمنطقة البحيرات الاستوائية عَددٌ من الاستعماريين الإنجليز ، من أمثال سير هارى جونستون Johnston، ووليم ماكينون Mackinnon ، وسيسل رودس Cecil Rhodes الذين نادوا بفكرة ربط الممتلكات البريطانية كلّها الممتدة من جنوب القارة حتى شمالها ، فقد كتب جونستون يقول : إنَّ ممتلكاتنا فى جنوب أفريقية يجب أن ترتبط بمناطق نفوذنا فى شرق أفريقية بواسطة مجموعة من المستعمرات البريطانية (٢).

ولقد تغير موقف بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب ظهور دول أوروبية أخرى تريد مدَّ نفوذها لملءْ الفراغ فى شرق أفريقية ، وبسبب التحقق من أن الرّق قد تقلّص فى غرب أفريقية ومازال موجودا فى شرقها (٣).

وأخذ النفوذ البريطانى يتغلغل فى مناطق شرق أفريقية ، وخاصة فى زنجبار منذ أن عقدت بين الحكومتين فى عام ١٨٤٠م معاهدة كان من أهم نصوصها أن يعمل السلطان سيد سعيد على اتخاذ إجراءاتٍ أكثر حزما ضد تجار الرقيق ، وأُعْطِيَتِ السفُنُ البريطانية الحق فى تفتيش المراكب فى

(١) سعد زغلول عبد ربه : الاستعمار البريطانى فى كينيا " رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الاسكندرية ١٩٦٦م ، ص ٧٧.

(2) **Johnston , H., : Britain Acrosthe Seas London 1910, P. 482.**

(3) **Neill , Stephen : Colonialism and Christian Missions, New York 1966, PP. 305-306.**

الموانئ التابعة للسلطان للتأكد من خلوها من الرقيق ([1]) ، هذا بالاضافة إلى جهود التمثيل السياسى البريطاني الذى أنشئ فى بلاط السلطان منذ ١٨٤٠م بعد أن نجحت الوعود البريطانية والتهديدات للضغط على السلطان للوقوف فى وجه التوسع المصرى فى شرق أفريقية ، اذ عين الكاتبين همرتون Hamerrton ممثلا لانجلترا لدى السلطان سيد سعيد فى عام ١٨٤٤م ، ولما اتخذ السلطان عيد زنجبار مقرا لحكمه ، أمر همرتون بأن يقيم هناك ، وظل همرتون اليد المحركة للسلطان سعيد ([2])

وكانت لإنجلترا مكانة خاصة لدى سلطان زنجبار لأسباب منها :

١) كانت بريطانيا تسيطر على الهند مما جعلها تهتم بالخليج العربى ومسقط ، وفى عام ١٨٣٠م أرسلت حكومة الهند حملة لهذه الجهات للتعاون مع السيد سعيد فى معاقبة القراصنة الذين يهددون التجارة فى البحار المجاورة للسلطنة ، وتشير إلى أنّ أهمية زنجبارفى نظر الإنجليز تضاعفت بعد فتح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩، فأصبحت الحاجة ماسة لمحطات تخدم الملاحة على طول الطريق القصير للهند عبر قناة السويس والبحر الأحمر الذى ترتب على فتحه زيادة أهمية البحار والمحيطات المؤدية إليه .

٢) كانت أغلب التجارة الخارجية فى زنجبار بأيدى رعايا هنود ، ولذا كانت العلاقات بين الهند وزنجبار قويّة .

([1]) **Grey , John : Hitory of Zanziber From the middle Age to 1856, London 1962, PP. 24-241.**

([2]) **Coupland, B., : The Exploitation of East Africa " 1856-1890" , Ne York 1947, P. 298.**

٣) حدث أن عين الدكتور جـون كـيرك John Kirk قنـلا عامـاً لبريطانيـا فـى زنجبار ، وقد استطاع هذا الرجل بدهائه وسياسته وأساليبه الخاصة أن يصبـح القوة المحركة للسلطان ، أو كما يقول البعض ، كان يلعب دور رئيس وزراء السلطان لكنْ بصفة غير رسمية (١) .

لذلك حاولت بريطانيـا إدْخـالَ شـرق أفريقيـة ضمـن منـاطق نفوذهـا ، بهدف تجنب وقوعـه فـى يـد دولـة أخـرى ، وتـأمين سيطرتها البحريـة علـى المحيط الهندي ، وحماية مواصلاتهـا مـع الهنـد ، وحمايـة المصـالح التجاريـة لرعاياها الهنود فى شرق أفريقية الذيـن كـانوا يسيطرون علـى معظـم تجـارة زنجبار ، وقد كان انتصار بريطانيا على فرنسا فى حروب نابليون فرة هيـأت لهـا إحـراز هـذه السيطرة ، ودعمـت نفوذهـا فـى منطقـة الخليـج العربـى ومسقـط (٢) .

وقد سعى السـيد سـعيد للاستفادة مـن مركـز بريطانيـا الممتـاز فوطـد صداقته معها ، إذْ كان فى وسعها أن تحمى أملاكه ضدّ أيّ هجوم يقـع عليهـا وأن تعاونه فى القضاء على الانقلابات الداخلية ، ووجدت هذه الفكـرة صداهـا لدى بريطانيا ، لأن من مصالحها أن تجد خليفا قوياً مثل السيد سـعيد ليعاونهـا فـى القضـاء علـى القراصنـة الذيـن كـانوا لايتورعـون عـن مهاجمـة السـفن البريطانية فى الخليج العربى وبحر العرب (٣).

(1)Marsh, Z.A., and Kingsnorth G., Am. Introd uction to the History of East Africa , London 1961, P. 154.

(2)Coupland , R., : East Africa and Its Invaders, P. 459.

(3)Ibid., PP. 468-470

إنّ سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته فى شرق أفريقية لم تكن سيطرة حاسمة ، ولاشك أن ذلك هو الذى شجّع الدول الاستعمارية لكي تنفذ من خلال تلك الإمبراطورية الواهية ، ونستطيع أن نؤكد ضعف سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته إذا مارجعنا إلى التقارير التى كان يكتبها هامرتون القنصل البريطانى فى زنجبار إلى حكومته ، وقد ذكر فى أحد هذه التقارير أن سيطرة السيد سعيد على ممتلكاته ضعيفة للغاية ، ولم يكن للسلطان أكثر من سيطرة اسميه على الشاطئ ، فهو وإنْ كان يمتلك بعض النفوذ على الساحل فى بعض المناطق ، فإنّه فى مناطق أخرى لم تكن له تلك السلطة وبالأخص فيما وراء نهر جوبا (١) .

وقد تزايد النفوذ البريطانى فى الشرق الأفريقى بشكل ملحوظ عقب تأسيس القنصلية البريطانية ، ويعلق لاين Lyne على ذلك بقوله : " إنَّ وجود قنصل بريطاني فى زنجبار جعل القضاء مأمونا ، مما شجع عددا كبيرا من الهنود على الوفود إلى زنجبار من أجل التجارة " (٢) وكانت تتمّ عن طريق هارمتون جميع المراسلات بين الحكومة البريطانية والسلطان ، ومما هو جدير بالذكر أنَّ هامرتون كان يقوم بوظيفة مزدوجة ، مما كان يضفى على مركزه جانبا كبيرا من الخطورة ، فلم يكن يحدث دائما أن تتفق السياسة التى تسنها حكومة الهند مع التعليمات التى كانت تصدرها الحكومة البريطانية ، فبينما كانت حكومة بريطانيا لايعنيها من أمر زنجبار إلاّمايختص بتجارة الرفيق ، كانت للهند تجارة مباشرة مع زنجبار (٣).

(1) **Coupland : East Africa and It's Invaders, P. 342 .**

(2) **Lyne , Robert Nunez : Zanziber in Contemporary Times, P. 34.**

(3) **Younghus band, Ethel : Glimpses of East Africa and Zanzibar , London 1908,P. 238**

وكان قد تغلغل الرّق في الشرق الأفريقي ، وصار يمارس طوال عدة قرون من الزمان ، ولم يستنكر الناس تلك التجارة ، إذْ إنّ الرق كانت تُقُره التقاليد الشرقية ، وقد مارس الأوروبيون أيضا تلك التجارة بطريقة أعنف ، واستمرت تجارة الرقيق الأوروبية عدة قرون لغت ذروتها ين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلادي ، على أنَّه لم يلبث أن استيقظت الجمعيات والهيئات التنصيرية وخاصَّة في لندن ، وكان ذلك في القرن التاسع عشر ، فبدأ قناصل لحكومة البريطانية وهيئاتها البرلمانية يبذلون قصارى جَهْدِهم لمكافحة تلك التجارة ، ولم تلبث أن ظهرت جمعيات إلغاء الرِقّ التي أثارت الرأي العام الأوروبي ودفعت الحكومة البريطانية إلىَ ضرورة العمل علىاستعمار أفْرِيقَية (1).

إنّ الجهود التي قامت بها بريطانيا لالغاء تلك التجارة قد سببت لها الكثير من السطوة والنفوذ في المناطق التي كانت تعمل فيها ، فليس من شك في أن تدعيم النُفُوذِ البريطاني في شرق أفريقية إنّما يرجع إلى عاملين رئيسيين هما : مكافحة القرصنة ، ومحاربة تجارة الرقيق ، ويلاحظ أن الحكومة البريطانية بدأت تهتم بموضوع تجارة الرقيق منذ القرن التاسع عشر ، وقد أصدرت من أجل ذلك مجموعةً من التشريعات والمراسيم البرلمانية كانت تهدف إلَى الحد من تجارة الرقيق (2) ، وأصدر اللّورد مانسفيلد Mansfield قاضي محكمة إنجلترا العليا حُكْماً قضائيّا يقضي بتحرير كل العبيد الذين يعيشون في إنجلترا ، وبعد ذلك بدأ التدخل في شرق أفريقية وكان على المؤيدين لإلغاء تجارة الرقيق أنْ يخوضوا حربا طويلة الأمد ضِدّ

---

(1) **Coupland : East Africa and It Invaders, P. 137**

(2) **Wilson: The Persion Gulg : An Hitorical Sketch From The Earliest Times to the Beginning the 20th, Century , Second Impreion 1954, P. 216.**

المعارضين لسياسة إلغاء الرقيق ، وكان قد أصدر مجلس العموم البريطانى مرسوماً يقضي بأنه يعد شهر يناير من عام ١٨٤٠م ينتهى التعامل فى تجارة الرقيق ، سواء فى داخل افريقية أم فى نقل العبيد منها إلى أي مكان آخر ، وقد خصت قطعة من الأرض كي تنشأ عليها مستعمرة تكون بمثابة مستوطنةٍ للعبيد الأفريقيين المحرَّرين (١) إذْ أسست بعثة الكنيسة التنصيرية مدينة فريرى تاون Preretown وذلك بعد سنة من إلغاء تجارة الرقيق فى شرق أفريقية ، وأول المقيمين فى فريرى تالون هم الذين تَّم إعادتهم لوطنهم من الهند ، والغالبيةُّ حضرت من بومباى ، حيث أكثر من ١٥٠ رجعوا من بومباى للإقامة فى فريرى تاون ، وفى عام ١٨٤٥م حرر البريطانيون الذين كانت سفنهم البحرية فى دورية فى المحيط الهندي عدداً من الرقيق تم القبض عليهم من القوارب الشراعية للعرب ، ثم أصبحوا ملكا للبريطانيين بعد أن غدت تجارة الرقيق غير قانونية ، وقامت الحكومة البريطانية بتوزيعهم عشوائياً ووضعهم تحت عناية البعثات التنصيرية (٢).

وأرسلت لجنة جمعية الكنيسة مذكرة إلى وزير الداخلية للهند وذلك لحثه بموجب الصداقة السياسية مع غنجلترا للضغط لتكوين لجنة خاة ، ثًّم تكوينها للعمل على استقرار الرقيق، وقد انضم هوتشنسون Hutchinson إلى اللَّجنة الخاصة المختارة كمندوب عن جمعية بعثة الكنيسة للتنصير الذى قرر أن جمعيته مستعدة للمساعة فى هذا الموضوع ، وفى طريق للعودة قابل البابا

---

(1) Josephined Kamm : Op. Cit., P. 85

(2) Eugene stock : History of the Church Missionary Society, Vol II, P. 431.

بيوس التاسع Pius Ix وأخطره بأنّ الحكومة الإنجليزيـة تنظـر بعيـن الاعتبـار والاحترام للبعثة الكاثوليكية فى شرق أفريقية ([1]) .

وفى ٧ مايو ١٨٥٠م كتب برايس Price للحكومة البريطانية مايلى :

" أول وأهم خطوة تّم اتخاذها نحو خلـق مستعمرة للعبيد الأفارقـة المحرريـن بالقرب من ممباسا هو شراء أرض ، ولقد تمَّ توقيع العقود بفتي الممثـل لبعثـة الكنيسة ، وبالطبع فالعمل الضخم هذا ينته ، من أجل ذلك فنحن فوق كل شـئ نحتاج إلى المساعدات ، لأن هذا يفتح عصرا جديداً فى بعثة شرق أفريقية ([2]) " لذلك حصلت حكومة لورد بلمرستون الأولى على موافقة مجلس العموم عام ١٨٥٥م على تخصيص مبلغ خمسة آلاف جنية لتمويل وتجهيز حملـةٍ بقيـادة ليفنجستون ، ولما كان ليفنجستون عضوا فى جمعية لندن التتيرية فقد عين فى فبراير ١٨٥٦م فى منصب قنل بريطانيا ، فى ساحل أفريقية الشرقى.

وفى ١٠ مارس ابحر ليفنجستون من ليفربول على ظهر السفينة بيرل Pearl إحدى قطع الأسطول البريطانى ، ووصل إلىَ مـب الزمبيزى فـى ١٤ يوليو ، وكانت حملة الزمبيزى تضم عدا قائدها ستة من المساعدين من بينهم الدكتور جون كيرك بوصفه طبيبا وعالما ، وشقيق ليفنجستون المدعو تشـارلز وحـاول ليفنجسـتون ورفاقـه ارتقـاء نهـر الزمبيزي صـاعدين صــوب منبعــه يحدوهم المل فى أن يكون النهر صالحا للملاحة لمسافة قريبة مـن المرتفعـات الداخلية التى ينبع منها، حتى يستطيعوا إنشاء محطـةٍ مركزيـة للمنصريـن ([3]) لاحتـلال أراضـى أفريقيـة الشـرقية احتـلالاً مباشـراً ، فقد وجـدت فـى شـركة

([1]) **Ibid., vol III , P. 76.**

([2])**Ibid., vol III , pp. 64-85.**

([3]) السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبى – دار النهضة العربية ١٩٦٨م ص ١٥٠.

أفريقية الشرقية البريطانية استعداداً لتحمل المسئولية الإمبريالية عنها ، وأداة لبسط النفوذ والحكم البريطاني على أراضي هذه المنطقة من القارة دون تكليف خزانة الدولة نفقات الاحتلال وتكاليفه ، وحرت الحكومة البريطانية على تحميل هذه الشركة رسميا مسئولية مكافحة تجارة الرقيق ، ونظام استخدام العبيد فى الأعمال المنزلية فى منطقة امتيازها بشرق أفريقية ، وذلك بموجب شروط عقد البراءة الملكية التى منحتها لها (١) .

وفى عام ١٨٦٥م زار السلطان برغش إنجلترا ، وحصلت لجنة بعثة الكنيسة على مقابلة معه وحثُّوه على إعداد ترتيبات لإلغاء تجارة الرقيق ، ومنح الاستمرار والحماية لبعثة الكنيسة فى ممباسا (٢) ، وقد كتب السلطان برغش إلى اللورد دربى وزير الخارجية البريطانية خطاباً أبْدىُ فيه اهتمامه بخطط الرأسماليين البريطانيين ، وقال : " لقد سررت كثيراً عندما أخبرنى الدكتور كيرك المحترم برغبة بعض رجال المال البريطانيين فى فتح طُرقٍ إلى بحيرة نياسا وبحيرة اوكروي Ukerewe في أوغندا ، وإننى أريد باصاحب السعادة أن تبلغوا أصدقائي هؤلاء رغبتى فى مساعدتهم بكل مافي استطاعتي، وتقديم كل معونة ممكنة لهم فى جميع أرجْاء ممتلَكاتيِ " (٣).

وواضح أن هذا الخطاب الذى كُتِبَ بناء على طلب كيرك لايشتمل على أكثر من رغبة السلطان فى تقديم المساعدة ، لتنفيذ مشروع إنشاء طرق للمواصلات فى أفريقية الشرقية ولم يتضمن أيّ دعوة من جانبه لاحتلال بلاده وفتحها للتجارة الأجنبية .

(1) **Hertslet , E. : The Map of Africa by Treaty , London 1909, vol I, PP. 345-350.**

(2) **Eugene Stock : Op. Cit., vol III, P.89.**

(3) **F.C.84/1454, Barghash to Derby , 13,12. 1876.**

والواقع أنه ماكادت شركة أفريقية الشرقية البريطانية تمارس أعمالها في المنطقة الموضوعة تحت إدارتها فى شرق أفريقية ، حتى راحت تطالب حكومة لندن بتقديم المساعدات لها ، ومن الممكن اعتبار منح براءة شركة أفريقية الشرقية البريطانية تعبيراً عن سياسة لورد سولسيرى التنتصيرية إزاء أفريقية الشرقية، وقد أرغم التوسع الألمانى فى تنجانيقا الحكومة البريطانية على تعديل سياتها الخاة بنشر النفوذ البريطانى عن طريق التجار القناصل والأساطيل البحرية ، وكشف موقف سولسيري عن مدى التغيير العميق الذى طرأ على سياسته التبشيرية ، حينما طلب ماكينون زيادة الإعانة الحكومية التى تدفع لشركة الهند البريطانية للملاحة التجارة مقابل نَقْل البريد من زنجبار إلى لندن ، فقد أيد سولسيرى بحرارة طلب ماكينون ليس بسبب اعتبارات محاربة تجارة الرقيق بل لأسباب سياسية ([1]).

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، كانت شرق أفريقية تموج برجال الكشف الجغرافى والمنصرين ، وأخذ كل منهم يخطط الحدود ويزور المعاهدات مع زعماء القبائل البسطاء ، وأخذت الدول الأوروبية تؤازر مبعوثيها ، وتناصر كلُّ دولة رجالها وتدعي وضع اليد على المساحات المبهمة الواسعة ، وكادت الحرب تنشب من أجل التسابق على المستعمرات ، فانعقد مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤م وانقضى فى عام ١٨٨٥م بعد أن اتفق فيه حكام اوروبا على توزيع المغانم والأسلاب ، وقد فازت بريطانيا بنصيب الأسد من تلك الأسلاب ، وذلك لأنها قد وضعت يدها بالفعل قبل المؤتمر على

([1])F.C.84/ 1973, Mackinnon to P.C., dated 23.I.1888.

منفذ القارة الشمالى " مصر" وتمركزت على الهضبة الاستوائية ، وكانت أيضا قد انتزعت لنفسها مساحات طويله على شواطئ أفريقية الشرقية (١).

ولقد أعقبت تعيين رولفز فى منصب قنصل ألمانيا العام فى زنجبار، أن نشرت إحدى الصحف الألمانية National Zeitung فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٨٤ م تقريرا يشير إلى أنَّ ألمانيا على وشك إعلان حمايتها لزنجبار (٢) ، وهز هذا الخبر حكومة بريطانيا ، وجعلتها تدرك خطورة الموقف فى افريقية الشرقية ، وبعد يومين أي فى ٢٧ نوفمبر بعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى كيرك بأول برقية من سلسلة البرقيات العاجلة التى أرسلتها إليه واحدة إثر الأخرى ، وكلفته فيها الحصولَ على إقرار من السلطان برغش يعلن فيه رغبته أنه لن يقبل حماية آيّة دولةٍ أو يتنازل عن شئ من أملاكه لها دون موافقة بريطانيا (٣) ، وفى اليوم التالى أرسلت الوزارة برقية أخرى سرية على النحو التالى :

" هل لديك سبب ما لافتراض أن ألمانيا تتخذ خطوات لإعلان حمايتها على الساحل الشرقى ؟ " (٤) ولما لم يجب كيرك على البرقيتين السابقتين ، أرسلت الوزارة اليه فى ٥ ديسمبر برقية ثالثة على النحو التالى : " هل اتصلت بالسلطان ؟ ان الوقت يتطلب عملا سريعا " (٥) ، وحصل كيرك بالفعل فى اليوم التالى على الاقرار المطلوب ، الذى تعهَّد برغش فيه بألا يقبل

---

(1) **Anthony sillery : O. Cit., P. 78**

(2) **F.C.84/1815 , Malet to Grenville, 25 Nov.9. 1884.**

(3) **F.C. 84/1676, F.O. to Kirk dated 27. 11. 1884.**

(4) **F.C. 84/1676 , F.O. to Kirk dated 5.2.1884**

(5) **F.C. 84/1676 , Kirk to Cranville dated 8.12.1884**

حمايةَ أيّةِ دولة ، أو يتنازل عن حقوقه في السيادة ، أو عن أيّ جزء من أملاكه لأي شركة أو دولة دون استشارة الإنجليز .

وكتب إيوان سميث Euan-Smith قنصل بريطانيا في زنجبار الى سولسبري يقول : إنّ السلطان لن يستبدل التعويض أو البيع بالإيجار السنوى الذي يحصل عليه من الشركة ، إلاَّ إذا أرغم على ذلك إرغاما من جانب الحكومة البريطانية ، الأمر الذى سوف يؤدى إذا حصل إلى اضمحلال سلطنته ، فقد فشلت محاولة ماكينون لرفض سولسبري القيام بهذه الخطوة ، لئلا يكون إنقاذ الشركة من الإفلاس على حساب لطنة زنجبار ، ويفضل محاولة ماكينون السابقة اقترحت الشركة إدخال تغييرات أقل شمولا على بعض مواد عقد الامتياز (١).

واقترح ماكينزي الذى أصبحت له الآن الكلمة العليا في شئون الشركة على الحكومة البريطانية أنْ تندمج حكومة زنجبار الخاضعة للحماية مع إدارة الشركة في ممباسا في هيئة واحدة، وأن يعين عن هذه الهيئة مندوب زنجباري ومقيم بريطاني في أوغندا ، وراحت الشركة تطالب الحكومة بتعويض مناسب عن الخدمات التى أدّتها للسياسة البريطانية في أفريقية الشرقية (٢) ، وكتب سير برسى اندرسون الخبير بوزارة الخارجية يقول : " إن شركة أفريقية الشرقية البريطانية قد أكملت في رأي رسالتها " (٣) ، وعندما تعرضت الشركة للتهديد بالإفلاس، قام كل من بعثة الكنيسة والأسقف تاكر Tucker بجمع أموال لجعل الشركة تستمر سنة أخرى في أوغندا، وتّم تخصيص

---

(1) Robinson, R. and Cthers : Africa and the victorians, PP. 307-308.

(2) P.O.84/2255 , ISEA to F.O.. dated 27.7.1892.

(3) P.O.84/2255 ,From Anderson to F.O. , 30.7.1892.

معسكر دعاية لحثّ الحكومة البريطانية على الاعتراف بمسئوليتها عن الموقف الذى تطور فى أوغندا ([1]) وطلب تاكر من الحكومة البريطانية النظر فى تدفق المبشرين الكاثوليك إلى أوغندا، وذلك للمحافظة على التوازن السياسي والبنية التبشيرية ، ومن الواضح أن تاكر رأى أن بعثته تواجه المخالفات القانونية الضخمة للكاثوليك ، والبروتستانت لايستطيعون الحصول على موارد لاعادة التوازن ، ولذلك طالب الحكومة البريطانية أن توجه وتاعد مؤسسات التنصير.

وكان سياسة الحكومة البريطانية فى دعم الحركة التنصيرية أنها ساعدت في تدخل الاسقف تاكر فيما يتعلق بمقاطعة بونيورو Bunyers ولقد كان واضحاً وجودُ حريّة كاملة لمؤسسة التبشير فى كل المقاطعة ، مثل أيّ جزء فى أوغندا والأقاليم المجاورة ([2]) .

وهناك سؤال يفرض نفسه وهو من موقف الحكومة البريطانية من دعم البعثات التنصيرية، وهلُ كانت السياسة البريطانية تعمل كلّ المساعدات بسبب أن جمعية الكنيسة التنصيرية جمعية خيرية جمعت تكاليفها من التبرعات الشخصية ؟ ويجيب لوجارد على هذا التساؤل فيقول : أبدت حكومة صاحبة الجلالة إرسال بعثة الكنيسة ، وأعطت وزارة الخارجية البريطانية خطاباً للبعثة لتوصيله الى متيسا Mutesa ملك أوغنده ، ومما جاء فى الخطاب أنّ المبشرين وكلاء للحكومة ، وتأييداً لهذا الخطاب أرسل القنل البريطانى في زنجبار خطابا إلى متيسا فى نوفمبر ١٨٨٩م مؤكدا فيه ان هذا الخطاب

([1]) Hansem, H.. : Mision, Church and state in A Cdlonial setting Uganda, 1890-1925,London 1984, P.47.

([2]) Ibid., p. 75.

صادر من الحكومة البريطانية ،وقد كان تبرير الحكومة البريطانية لإرسالها هذه الخطابات ، أن هؤلاء المبشرين كانوا فيموقف خطير لذهابهم إلىَ منطقة في قلب القارة بعيداً عن أيّ مساعدة أو حماية ، وبالرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تقصد أن يُنْظر إلى المبشرين على أنهم ممثلون للحكومة ، إلاَّ أن ميتسا لم ينظر إليهم من خلال مكانة بريطانيا العظمى فقط ، بل نظر إليهم على أنهم أرسلوا بواسطة الحكومة ، وهذا مما دفع القنصل البريطانى فى زنجبار السيرجون كيرك إلى الكتابة مرة أخرى إلىَ متيسا مشيرا إلى المغزى الحقيقى للخطابات والذي يفهم أنّ المبشرين وكلاء للحكومة . (١)

وأكّد عددٌ من الكتاب أنّه حدث تغيير جذرى فى موقف المنصرين تجاه الأفريقيين بعد سنة ١٨٩٠م فقد أصبحوا مقتنعين تماماً بالأفكار الاستعمارية ، وبالشعور بسيادة الرَّجُل الأبيض على الرجل الأسود ، وقد أضر ذلك إضراراً بالغاً بالعلاقة بين المبشرين والأفريقيين ، وعرقل فاعلية أعمالهم وعندما تغلغل النفوذ الغربي فى أفريقية تغلغلاً كثيرا كان يوجد أربعة أحزاب فى الميدان : الزعماء ، الشعب ، المنرون ، القوى البيضاء الأخرى .

وقد وجد المنرون أنّه من الصعب أن يظلوا بدون تأثير من الرجال البيض الآخرين ، الذين وَجُدُوا أنفسهم يعيشون بينهم ، وبدأوا يشعرون بأنه على الرغم من أنَّ جميع الناس متساوون فى نظر الرب ، فإنَّه يجب أنّ تمر مدَّة من الزمن قبل أن تتحقق هذه المساواة فى العلاقات الاجتماعية والشخصية (٢).

([1]) Lugard , D. : The Rise of Our East African Empire, London 1893, PP.3-4

([2]) Neill Stephen : Calonialism and Christian Misions, New York 1966, PP. 314-316.

وتوضح نظرة ماكدونالد Macdonald إلى العلاقة بين المبشرين والسياسة البريطانية ، وهذه النظرة تلقى الضوء على علاقة البريطانيين بالمبشرين عندما يقول : " يجب تسوية الخلافات بين الكنيسة من ناحية والسياسة الاستعمارية البريطانية من ناحية أخرى ، وأنّه مطلوب مسيحية استعمارية ، ومسيحيةً تجارية ، ومطلوب أيضا استعمار مسيحي وعقيدة اقتصادية" ، ويضيف إلى ذلك أن قصة البعثات الأجنبية في أيّ جزء من أجزاء الإمبراطورية يُشابه أيّ سجلٍ لأي عمل إدارى ولايمكن لأحد أن يعبر رأيٍ عن التساؤلات الاستعمارية مالم يحط بجهود الكنيسة لنشر المدنية (1) .

ويف أبتر Apter موقف البعثات التبشيرية عندما تكونت الشركة البريطانية إذ يقول : حزن المنصورن الفرنسيون لدرجة أنهم التجأوا إلى الدكتور كارل بيترز وكيل الشركة الألمانية التجارية ، حيث طلبوا منه إقناع موانجا ملك أوغنده بالتوقيع على معاهدة يعترف فيها بحماية ألمانيا ، وفضلوا ذلك على وقوع أوغندا تحت سيطرة بروتستانتيه تؤيدها الشركة البريطانية وعندما كشفت هذه المحاولات ثار البروتستانت ، وأعلن الزعيم البروتستانتى أن موانجا قبل بالفعل حماية شركة أفريقية الاستعمارية البريطانية ، ولذلك يصبح توقيعه المعاهدة مع الشركة الألمانية باطلاً ، وبالرغم من توقيع موانجا المعاهدة الألمانية فقد أجبره جاكسون Jackson مندوب الشركة البريطانية على رفضها ، تمهيداً لمحاولة توقيع معاهدة لصالح الشركة البريطانية ، وقد أثرت هذه الواقعة على علاقة البعثتين التنصيريتين ، وأثارت منافسة حادّة بينهما

(1) Ibid.

لدرجة أنْ بحثت كلتا البعثتين عن المزيد من شَعْبِ الباجندى ، لضمهم إلى أحد المعسكرين البروتستانتى أو الكاثوليكى ([1]) .

ولقد أحدثت المعاهدة الإنجليزية الألمانية فى عام ١٨٩٠ تغييرات ، إذْ إنّ المبشرين البروتستانت الإنجليز بدأوا فى اتباع سياسة مناهضة بعثات التنصيرية الأخرى ، بعد أن اصبحوا تحت الحماية البريطانية فى تلك السنة .

وفى عام ١٨٩٢م وقّعَتِ الدول الأوربية على قانون بروكسل Brucels Act الذى ألزموا بموجبه أنفسهم بضرورة إلغاء تجارة الرقيق ، وهذا جعل البعثات التنصيرية فى ممباسا أكثر ثقة ً بأن الحكومة ستحميهم .

وقد تّم بالفعل دعم من الحكومة البريطانية للبعثات التنصيرية ، وذلك حين بدأت بعثة الكنيسة التنصيرية الدّعُوة التبشيريين المسلمين فى ممباسا ، حيث تم اقتحام المدينة تحت حماية بريطانيا ([2]) وتّم ارسال ثلاث سيدات من إنجلترا بصفة خَاصة ً للقيام بالدعوة للتبشير بين السيدات المسلمات فى المدينة " ممباسا " ، وهذا حسب اعتقاد البريطانيين أفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية ([3]).

وثار العرب فى ممباسا وغضبوا غضباً شديداً بسبب قيام البعثة التنصيرية بين المسلمين وضِدَّ الاسلام ، وقد أصبح واضحا أن البعثة التنصيرية لاتستطيع أن تفعل شيئا إلاّ بالدعم والحماية البريطانية ، وفى ذلك قال هارد نسج Hardinge فى عام ١٨٩٦م : " عندما يمر العديد من المسلمين

([1]) **Apter , D.E.,: The Political Kingdom of Ugada, Ne Jersey 1961 , PP.73-74.**

([2]) **Church Misionary Intelligencer, 1893, P.3.**

([3]) **Hobley , C.W., : Kenya From Chartered Company to Crown Colony, London 1905, PP. 32-33.**

من خلال السوق ويسمعون الوعظ والتبشير للمسيحية فإنهم يشعرون بالغيظ من ذلك ، وبالنسبة لهؤلاء القاوسة فإنَّهمْ لايجرؤن على التحدث ضد الاسلام بدون حمايتهم " ([1]) .

وبدأ شعور بالكراهية من العرب ضد الأوروبيين ، وذلك بسبب غزو بعثة الكنيسة لممباسا ، وفى عام ١٨٩٦م ، ازداد الشعور حماسة مما أكَّد قرب حدوث اشتباكات بين الجانبين، وفى تلك السَّنة تحولت الإدارة المسئولة عن المنطقة بين الساحل والشواطئ الشمالية لبحيرة فيكتوريا من الشركة البريطانية الإمبراطورية لشرق أفريقية إلى الحكومة الانجليزية نفسها واصبحت المنطقة تعرف باسم محمية شرق أفريقية .

وهناك تعاون من القنصل العام البريطاني كيرك Kirk مع أسقف بعثة الكنيسة التنصيرية هانجتون Hannington فى كل الخطط من أجل احتلال موشي Moshi ، وهذا يدلُّ على مدى اهتمام السياسة البريطانية ببعثة الكنيسة فى شرق أفريقية ([2]).

وساد التعاون بين المنصرين والحكومة البريطانية ، فإن الأسقف ماثيور Mathes قبل ذهابه الى كليمنجارو استشار الحكومة البريطانية ، التى وافقت على ذهابة ، ثم عاد ومعه اتفاقيات قبائل موشى Moshi ، وقد وافقت الحكومة البريطانية بسرعة على احتلال موشي من قبل بعثة الكنيسة ([3]) .

لذلك نجد أنَّ بعثة الكنيسة لعبت دوراً خطيراً فى حركة الاستعمار ، أي إن البعثات التنصيرية والاستعمار تبادلا العون والمنفعة لصالح كل منهما.

([1]) F.O. 107/51 , Hardinge to Lord Salibury , 12 April 1896.

([2]) C.M., File No G3 A 5/02Hannington to Wingram , February 14, 1885

([3]) Ibid .

وفـى عـام ١٨٩٦ م أصبحـت محميَّـة شـرق أفريقيـة تحـت مئسـولية القنصل العام البريطاني فى زنجبار ، وكـان لإضافـة كينيـا والسـاحل الشـرقى الأفريقى تحت الإدارة البريطانية أن أصبح وضع عمـل البعثـات البروتسـتانيه فـى مكـان مستقر وآمـن فـى كـلّ المنطقـة ، حيـث يستطيعون القيـام بالحملـة الإعلانية ضد الرقيق بنجاح ، وعن طريق محطاتهم فى المحميّات البريطانيـة تسـتطيع بعثـات البروتسـتانت الانتشـار إلـى منـاطق مهجـورة فـى الأراضـى العالية، مـع وجـود الحمايـة الكاملـة مـن الإنجلـيز ، وفـى عـام ١٨٩٧م بـدأت الحكومة البريطانية بإنشاء خط السكك الحديدية بين كينيا وأوغندا ، الـذى أدّى إلى سرعة وسهولة احتلال كينيا والأراضي العالية ، من جانب البعثات جـانب تحقيق مهامّ أخرى (١).

وقد ألقت الحكومة البريطانية بكل ثقلها لحساب البعثـات والإرسـاليات التنصيرية ، وعر أليـوت Eliot عـن المصلحـة المشـتركة لكـل مـن البعثـات والإرسـاليات والحكومـة البريطانيـة إذ قـال : ' إن فتـح محطـة جديـدة للبعثـة يظهر لي بصفة عامة بأنه امتداد للنفوذ الأوروبّى ، كمـا توجـد مقاطعـات فـى شرق أفريقية مثل تيتا Teita وفى الجزء الأدنى مـن نهـر تانـا Tana لـمَ يكـن النفوذ الأُوروبيّ فى ذلك الوقت ممثـلا إلا بـالمنصرين فقـط ، وفـى ذلـك أبلـغ دلالة على أن رجال التنصير كانوا بمثابة المقدمة Vanguard لقوى الاستعمار ، كما يوجد تقدم كبير فى مناطق أخرى نظراً لوقوعها تحـت يطـرة الحكومـة والموظفيـن التـابعين للبعثـات والإرسـاليات (٢) " ، وقـد اسـتغل المبشـرون أراضـي التـاج بموجب قوانين محلّيـة ، تَّـم إدارهـا فـى كينيـا عــام ١٩٠١ م

(1) **Temu,A,J., : British Protestant Miions, Department of History University of Dares Selaam 1972, p. 51.**

(2) **Cherle N.E.Eliot., The Eat Africa Protectorate, London 1905, P. 241.**

لضمان مطالبة دائمة بالأرض الممنوحة مجانا من الأفريقيين ، ولقد سمحت القوانين المحلية نزع ملكية الأرض فى كينيا لصالح إقامة الرجل الأبيض ، وتمكنت العثات بسهولة من الحصول على شهادات باحتلال الأرض من الحاكم العامّ ، وأبعد من ذلك ، فإنّ كل البعثات شاركت فى باق مدّ ممتلكاتهم من الأرض التى يملكونها ، وذلك للحول على العديد من الضيعات فى الأراضي الجبلية ، ووراء كانت ضيعات غيرة أم كيرة ، فلقد وضعوا مُقدَّما الادّعاء بأنها أراضي للبعثة وبموجب القانون لعام ١٩٠١ م فإن الأراضي التى تشمل القرى والمتوطنات الجديدة يمكن أن يسمح بنزع الملكية فيها ، وقد تَّم إصدار القرار ليناب أغراض المبشرين والبعثات فلقد أعطى لهم التحكم فى أفريقية الذى ابح من الهل الضغط على الأفريقيين لكي يصبحوا مسيحيين ، على أساس السماح بالإقامة واستغلال الأراضى التى اصبحت مِلّكاً للبعثات([1]).

وأيضا ذهبت السياسة البريطانية إلى أبعد من ذلك الدعم للبعثات والإرساليات التنصيرية ، إذ كان هناك مشروع مقدم من الحكومة البريطانية لاقامة مستوطنة يهودية فى شرق أفريقية ، وهناك وثيقة تؤيد ذلك القول ، إذا وجدت برقية برقم ٤٦٠ وتاريخ ١٤ سبتمر ١٩٠٣ م من لورد لاتسداون Lansdowne وزير الخارجية إلى مستر اليوت liot حاكم عام المستعمرة تضمنت اعتراض لجنة المستوطنين فى نيروبي ، واحتجاجهم على المشروع المقترح لإقامة مستوطنة يهودية فى محميَّة شرق أفريقية . ([2]) .

---

(1) **Temu, A,J. : Op. Cit., P.97.**

(2) **F.O. 403/332, Landone to Eliot , August 14, 1903.**

وفى عام ١٩٠٣م بدأت وزارة الخارجية البريطانية وحكومة المحميات بسياسة إنشاء أراضى احتياطيه ، وفى تلك السنة تّم اخطار ستوارت Steart الذى كلّف البيت كحاكم عام ، من وزارة الخارجية لتكوين احتياطى من مناطق ماساى Massi (١) ، ثم بعد ذلك فى جنوب نجونج Ngong ، وفى الجانب الشمالى فى سهل لاكينيا Laikipia بينما على الجود على بحيرة نافاسا Naivasha على طول نهر Cirouard ثم التوصية بايجاد نظام احتياطى لايمكن التصرف فيه، وبعض القطاعات بالقرب من ناندى Nandi .

وكان هذا الاجراء من الحكومة البريطانية يقد حماية البعثات ، لأن هذا الاحتياطى من الأراضي سيسهل عملهم بين القبائل ، وسيعطيهم الفرة للتركيز على النّاس الذين يمكن الوول إليهم وقد كانت البعثات ناجحة بين قبائل ماساى Masai لأنهم كانوا منتشرين فى مسافات بعيدة (٢) .

وبحلول عام ١٩٠٤ أخذت كل البعثات التنصيرية أراضى من الاحتياطي لبناء كنيسة ، وبعضها مثل كنيسة اسكتلندا وبعثة كونسولاتا Consolata الايطالية وضعت يَدَها على مناطق ضخمة من الأرض لأهداف تجارية ، وكانت البعثات تأخذ الأراضى الجيدة الخصبة وغالباً ماتكون مجاورةً للأنهار ، وقد قال الأسقف بيل : ' Peel ' إن الإدارة تحركت بالطريقة التى كان سيتصرف بها بعض المبشرين ، الذين كانوا ذاهبين إلى المناطق للحصول على الأراضى بالقّوة ، وكان جاكسون Jackson حاكم

---

(١) انظر ملحق رقم ١٧ : Vincent Herlo, E.M. Chilver and Alion smith : History of East Africa, vol II, Oxford 1965, PP. 676-678

(٢) F.O. 533/90 , Enclosure in Girouard to Secretary of tate For Colonie, 30 September 1900 .

المحميات من وزارة المستعمرات قد نصح بمنح الأراضي للبعثات التى هى في واقع الأمر سوف تكون مشروعات دينية مسيحية (1) .

وكان للاتصالات بين بعثة الكنيسة والحكومة البريطانية أكبر ضمان لتعاونهم ضدّ الأفريقيين ، فمثلا فى عام ١٩٠٥م عند المحاولة لتنظيم بعثة فى فيتنجيين Vitengeni فى وسط أرض جيرياما Giriama فإن بعثة الكنيسة واجهت معارضة ً شديدة ً من كبار رجال المدينة ، الذين كانوا يخشون من أن وجود المبشرين سيعطى فرصة ً لنشر المسيحية ، ولقد أوضح المبشر المسئول بالنسبة إلى المشروع بأنه كان لمساعدة الحاكم الإدارى للحكومة البريطانية في ماليندى Malindi أثرٌ كبير في أن يثبت لهم الهدف الوحيد للبعثة ، وهو تعليمهم أشياء الله (2) ، وهذا هو الذى أدى إلى توسع واتجاه البعثة فى كيينيا .

وكان غرض الحكومة البريطانية أن تساعد بعثة الكنيسة لمضاعفة جهودها لزيادة عدد المحطات نظراً إلى أن تشجيع الحكومة للبعثة يلى مباشرة احتلالها للمنطقة ، وفي بداية ١٩٠٦م كان أَحد الموظفين الرسميين الأوائل فى الحماية ويدعي أنورث Ainsworth ، يحث البعثة للإقامة بين قبائل كيكويو kikuyu (3) ، وبعد انتشار السكك الحديدية وزحفها إلى النهاية الجنوبية لأرض كيكويو ، اقترح الحاكم العام المحلىّ هاردنج Hardinge بأن يبدأ الإنجليز عملهم بين قبائل كيكويو على أساس أن مثل هذا العمل سيثبت نفوذ الحماية فى هذه المناطق ، وطبقاً لاقتراح هاردنج ، أقام مبشر بعثة

---

(1) **F.O. 533/62 , Sir Frederick Jackson to Secretary of state for Colonies, 22 October 1904.**

(2) **C.M.S., 1910/17 Extracts, K.st A. Rogers, 26 January 1905 .**

(3) **C.M.S.File No 1897 L 236 , Hubbard to Baylis, 6 November 1906.**

الكنيسة فى أرض كيكويو وهو ماكجريجو MC Cregor ، فى قلعة سميث Smith حيث يوجد أكبر صندوق بريد للشركة فى المنطقة منذ إنشائها (١) ، وقد بدأ ماكجريجور بانشاء مدرسة فى القلعة ، وأقام الخدمات الدينية هناك ، وأكثر مبشري بعثة الكنيسة كان يشكر الإدارة المحلية الرسمية لنفوذها وتسهيل أعمالهم ، (٢) لذلك فانه منذ البداية، كان من الواضح أن بعثة الكنيسة دخلت مدينة كيكويو بقوّة سياسةِ بريطانيا.

إنّ هذا التعاون الديني بين الحكومة البريطانية التبشيرية يقوم على اعتراف الحكومة البريطانية بقيمة العمل الذى تم إنجازه على أيدى البعثات التبشيرية مثل شكل التعليم، وأهمية النفوذ المسيحية على تطور الأهالي فى شرق أفريقية (٣).

وقد أكدّ المنصرّ دي لاسي أوليري De Lacy Cileary بقوله : " إن النفوذ الغربى هو أيضا مسئول عن وجود المبشرين المسيحيين " (٤).

وقد أكد جيمس باركس J.Barks على أن مصالح المبشرين الدينية قبل الحرب العالمية الأولي كانت تجد عوناً كبيراً فى وجود القناصل الأوروبيين الذين كانوا يؤمنون لها قدراً معينا من الهَيْبَةَ السياسية (٥) .

---

(1) **C.M.S.File No 1900/31 Peel to Baylis, 1 March 1900**

(2) **C.M.S.File No 1910/17 Annual letter : K.St A. Roger, 21 December 1909.**

(3) **Kenya Archives , Fille No, MAA 7L399 Conference of Missionary societies in Creat Britain to Lord Lloyd , Secretary of state for the Coloonies.**
انظر ملحق رقم ١٨

(4) **Delacy O'Leary : Islam at the Cross Roads , London 1923, P.50.**

(5) **Barks, J., Whose Lands, London 1949, 201.**

وأكد ستيفن نيل Stephem Niell بأنَّ هنـاك ارتباطـاً بيـن الإرسـاليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية إذ قال : نتيجـة للأرسـاليات المسـيحية فـى عهـد الاسـتعمار فـان الكنيسـة المسيحية موجـودة فـى كـل ركـن مـن أركـان الدنيـا(١) ، وليـس هنـاك مـاهو أبلـغ دلالـة من طبيعـة العلاقـة بيـن العمـل التنصـيرى والاستعمار ، بـاعتراف المنصريـن أنفسـهم ، ويمكـن أن نقـول إن هنـاك ارتباطـاً بيـن الاثنيـن ، وقـد خدمـت القـوى الاسـتعمارية الإرسـاليات التنصيرية اتّجاهين :-

* تمهيد الطريق امامها لممارسة نشاطها .
* توفير الحماية لها فى ميدان عملياتها.

ويـرى المنصـرون أن وجـود عملهـم وحمايتـه لـم يكـن ممكنـا بـدون مسـاعدة القـوى الاسـتعمارية، ولـم يكـن هـذا الدعـم بـدون ثمـن فقـد وجـد المنصرون أنفسـهم متورطيـن فـى السياسـة عـن طريـق تقديـم التفـاصيل عـن الأوضـاع السياسية والاجتماعية وغيرها فى المنطقة ، في تقارير منظمـة إلـى السلطات فـى بلادهـم ، وقـد مكّـن اتصـال المبشـرين المباشـر بـأهل البـلاد وبزعمائهم من الحصول على معلومات لـم تكُـنْ القـوى الاسـتعمارية تسـتطيع الحصول عليها بدونهم.

وكـانت هنـاك ظـاهرة أوجدهـا الإنجليز ممثلـة فـى السـيطرة علـى المؤسسـات التعليميـة الدينيـة سيطرة مباشـرة .... وكـانت فـى شـرق أفريقيـة مدرسة العلوم العربية التى أنشئت فى بدايـة القـرن الحـالى ، وكـان الهـدف منها تخريج القضاة.

---

(1)Stephen Neil : Colonialism and Christian Nission, P. 425

ولقد خشى الإنجليز أن تصبح هذه المدرسة معهداً إسلاميا يصبح بمثابة مركز المقاومة السياسية لنفوذها الاستعمارى ، لهذا جعلوا رئيس الدرسة إنجليزيا ([1]) ، وفى عام ١٩٠٨ استلم الاسقف تاكر Tucker مبلغاً وقدره ٤٥٠٠ جنيه استرلينى من الحكومه الإنجليزيه لإنشاء بعثة تعليمية أوروبية فى تيسو Teso تخرج أعداداً من المسيحيين ، وفى عام ١٩١١م أرسل الأسقف تاكر تقريرا يبين فيه أن ٥٨ أفريقى من مائة تم تنصيرهم ([2]).

إنّ المساعدات السنوية لمدارس البعثات من الحكومة الإنجليزية تضاعفت خلال المدة من عام ١٩٢٣ م إلى ١٩٤٩ م ، وذلك من لاشيئ فى تنجانيقا حتى بلغت ٢٨٥٠٠ جنيه إسترلينى ، ومن ١٠ إلى حوالى ٤٠ ألف جنيه إسترلينى فى أوغندا ، ومن ١٤٠٠ إلى حوالى ٣٠٠٠٠ فى كينيا ([3])، وكانت البعثات الفردية تستلم أموالاً كثيرة فى مقابل العمل التعليمى ، ومهما يكن فإن أسرع مبلغ تم جمعه للبعثات من الحكومات يمثل مرتبات رؤساء المدارس الافريقية ([4]) .

([1]) د. زكى بدوى : المبشرون يعملون الافارقة ، جريدة المدينة المنوره، الثلاثاء ٣ ربيع الثانى ١٣٩٧ هـ ، العدد ٣٩٣٥ الصفحة ١٢.

([2])**Tucker, A.R., Op. Cit., P. 343.**

([3])**Phelps-Stokes Report, PP. 118-150.**

([4]) رغم أن البروتستانت كانوا اقل من نصف البعثات الرومانية الكاثوليكية لكن مجهود لتعليم البروتستانت كان مساو لجهود الكاثوليك ، وبصفة عامه فان نسبة كبيرة من رجال بعثات البروتستانت كانوا مشغولين فى التعليم رغم وجود استثناء من هذه القاعدة ، وهذه المعلومات مقدمة من قسم التعليم فى دار السلام وذلك اثناء رحلتى العلمية فى ١٤٠٩/١٢/٤.

وكان هناك اتصال بين البعثات التنصيرية مع الحكومة البريطانية فى حقل الطبّ والصحة العامة ، إذ يوجد التخطيط نفسه للتعاون كما فى التعليم(١) .

من هنا نجد أنَّ هناك تشجيعاً من الحكومة البريطانية للبعثات التبشيرية ، فقد سمحت للبعثات التنصيرية بممارسة نفوذها بالكامل.

ففى نياسا لاند وبفضل سيسيل رودس Rhodes الاستعماري البريطانى الكبير وجد أنّ أي تعليمات بسيطة للبعثات تعتبر كافية لممارسة البعثة أعمالها . (٢)

ولماَّ أُدركت الحكومةة البريطانية خطر الامتداد الإسلامى أًتخذت الخطوات اللاّزمة لوقف هذا التقدم ، وفى تقرير لسير هاردنج Hardinge قنصل بريطانيا فى زنجبار عن احتلال شرق أفريقية ألمح بأن العرب السواحليين هم العنصر الوحيد الذين لديهم إحساسّ سياسيّ ، لذلك أعد نظام لتدريب الطبقات الإدارية فى مدارس خاصة ليتعلموا المسيحية (٣) .

وبذلك نجد أن بريطانيا استخدم الكنيسة متمثلة فى مدارسها وبعثاتها التنصيرية لتحقيق أهدافها السياسية الرامية لتأجيج روح الكراهية بين شعوب منطقة شرق أفريقية بالرغم من أنهّا لم تحرر نجاحاً كبيراً نسبياً ، وذلك لعد اعتبارات :

الاعتبار الأول : عمق الصلات والروابط بين شعوب وادي النيل .

---

(1) Kenya Archives, File No M.A.A 7/399 , P.6.

(2) liver, R.: The Missionary Factor in East Africa, P.161.

(3)Ibid., P.206.

الاعتبار الثانى : كون الإسلام أول الأديان السماويه التى وصلت إلى وادي النيل وساحل شرق أفريقية ، وبشهادة مركز الشبيبة التنصيرى وماجاء فى كتابهم " ماهي الصعوبات التى تحول دون تنصير المسلم " إذْ يرون أن من الصعب جدا أن يتحوّل المسلم عن عقيدته ، لذا نَجد أنَّ البعثات التنصيرية فضّلت العمل فى المناطق الناطقة بغير اللغة العربية (١).

وكانت السياسة البريطانية تقوم على الحكم غير المباشر ، أيْ عَن طريق المنظمات أو التنظيمات الشعبية الموجودة ، التّى أطلقوا عليها اسم السلطات الوطنية ، ولقد حاول البريطانيون تطوير هذه المنظمات أو التنظيمات كأساس للحكم المحلّى ، وكان الغرض من استمرار سلطة هذه المؤسسات أو التنظيمات أن تتعامل مع الحالات التّى لايستطيع الأوروبى أن يعالجها وفق نظمه ، تلك النظم التى ادَّعت القوى الاستعمارية أنَّها تريد إدخالها إلىَ أفريقية وَسيلة لنقلها من حالة التخلف إلىَ التّقدم (٢).

وأدت هجرة الأوروبيين واستيلاؤهم على الأراضى الخصبة إلىَ ثورة قبائل الماساي والكيكويو ، وقد استخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف لإخماد الثورات ، وألزمت زعماء الماساى بالتوقيع على معاهدة فى عام ١٩٠٥ يقّرون فيها بموافقتهم علَى الجلاء عن مناطق المرتفعات ، وتركها للبيض المستوطنين ، وعقدت معاهدة أخرى لهذا الخصوص فى عام ١٩١١م، وترتب على ذلك إقصاء الأفريقيين عن أرضهم وعزلهم فى مناطق خصصت لهم ، ومن ثمَّ نشأ نظام المعازل الوطنية " Native Reserves " (٣)

---

(١) مجلة السياسة الدولية العدد ٣٣ يوليو ١٩٧٣ م ، ص ٧٧.

(٢) أحمد طاهر : أفيقية ، فصول من الماضى والحاضر ، دار المعارف ١٩٧٥ ص ١٧٩.

(3) **arlow, Chliver and Smith : Op. Cit., pp. 13-15.**

واَتبعت بريطانيا فـي إدارة كينيا نظـام الحكم غير المباشر Indirect Rule اشتهرت به السياسة الإنجليزية الاستعمارية ، وهو يهدف إلى أن تسـير الشئون المحلية للمنطقة من خلال البعثات التنصيرية التّى كانت موجودة من قبل ، وأدركت بريطانيا أنّ هذا النظام غير المباشر للحكم بالإضافة إلى أنه يحقق الأهداف المرجوة والسياسة المطلوبة ، فإنه أقلُّ أشْحُكّم تكلفة (١) .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى تعَرّضت كينيا بحكم الجوار من أفريقية الشرقية الألمانية، لمحاولة غزو الألمان لها ، وكانت القوات الألمانيـة بقيادة الجنرال فون ليتوفوريا Non Letto vorbak بينما كانت القوات البريطانية تحت إمرة الجنرال سمطس Smuts قائد عام الجيوش البريطانيـة فى أفريقية الشرقّية ، وأشركت إنجلترا فى هذه الحرب أُعداداً كبيرة من القساوسة ، وقد خسرت القوات الأُلمانيـة ، وانتهى الأمر باستسلامها ، ووزعت مستعمرات ألمانيا الأفريقية بين الدّول المتحالفة المنتصرة ، وكانت تنجانيقا من نصيب إنجلترا.

ولقد تركت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م أثارا عميقة فى شرق أفريقية البريطانية ، فقد كان عَددُ المستوطنين الأوروبيين فى عام ١٩١٤م لايتجاوز ٣٠٠٠ إلاّ أنةً وصل فى عام ١٩١٩م الى ٩٠٠٠ أي تزايد إلى ثلاثة أمثال العدد الأصلي ، هذا بينما تناقص عدد الأفريقيين بسبب فداحة الخسائر فى الحرب ، وبسبب المجاعات والأمراض التى انتشرت ، وكانت مساحات واسعة من الأرض قد أصبحت خرابا ، وقد عانت الإدارة مراراً للضغط على الوطنيين وإجبارهم على العمل التعسفي الإجبارى (٢) .

(1) **Cohen , Androw : British Policy in Changing Africa, PP. 22-26.**

(2) **Kingsnorth : Op. Cit., P. 114.**

وأرادت الحكومة البريطانية تبْدد مخاوف الأفريقيين ، فأوفدَتْ لجنة برئاسة سير هيلتون ينج ، للتحقيق وكتابة تقرير بشأن مطالبة الأفريقيين بأراضى تتسع لزيادتهم المضطردة.

ونتيجة لتقرير ، هيلتون ينج الذى صدر فى سنة ١٩٣٠م أصدرت أول حكومة عمالية بريطانية برئاسة مكدونلد مذكّرة بشأن سياستها إزاء الوطنين ، التزمت فيها بعدم مصادرة المزيد من أراضي الأفريقيين لصالح البعثات التنصيرية ، ألاّ أنه بالرغم من هذا الوعد فقد واصلت إتّباع سياسة التفرقة لصالح البعثات التنصيرية ([1]).

وأختلف الكتاب فى حكمهم على نظام بريطانيا ، الإداري فى كينيا فمنهم من وصفه بأنه مباشر باعتبار أنّها تستند إلى البعثات التنصيرية استناداً مباشراً من قبل الإدارة البريطانية ، وليس للأفريقيين دخل فى اختيارها ، ومنهم من وصفه بأنه غير مباشر باعتبار أنَّ هذا النظام يأخذ الجانب الشكلى للحكم غير المباشر ، وذلك من حيث إن بريطانيا حاولت حكم المناطق الأفريقية طبقاً لتقاليدها الموروثة ، مع الأخذ بمبدأ التطور التدريجي لهذه التقاليد ،والحفاظ على الجانب الطيب، والقضاء على الجانب السيئ منها ([2]) ، والحقيقة أن هذا النظام لايمكن اعتباره مباشرا لأنَّه فى ظل الحكم المباشر تُحَطَّم جميع الزعامات القبلية ، ويشغل رجال الدولة فى المستعمرة والقساوسة جميع الوظائف صغيرها وكبيرها فنجد منهم قضاة وكتبة ومدرسين ومشرفين إداريين([3]).

([1]) **Haily : An African Survey , P. 1168**

([2]) **Cohen, Andrew : Op. Cit., pp. 25-26.**

([3]) عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى افريقية ، ص ١٦٣-١٦٤.

وينقسم نظام الحكم البريطانى فى كينيا إلى :

١) إدارة مركزية وتتمثل فى :

أ) الحاكم العام البريطاني للمستعمرة الذى يُعَيَّن – من قبل التاج البريطانى ، ويكلف بتنفيذ سياسة بريطانيا فى المستعمرة .

ب) المجلس التنفيذي ، ويتألف منعدد من الموظفين البريطانيين ومهمة هذا المجلس تنفيذ السياسة التّي يقرها الحاكم العام البريطانى.

ج) المجلس الوزاري ، وكان يوجد بجانب المجلس التنفيذى .

د) المجلس التشريعي ومهمته تشريعيه بحث ،تختص بإعداد نشروعات القوانين فى المستعمرة وعرضها على الحاكم العام الذى له الحق فى الموافقة عليها أو رفضها.

٢) إدارة محلية : وجوهر هذه الإدارة هو انقسام المستعمرة إلى عدد من الأقاليم ، وعلى كل إقليم يعين الحاكم العام البريطانى مندوباً لإدارة شئونه، وينقسم كل إقليم إلى عدد من المقاطعات وينصَّب على كل مقاطعة مندوب ، ويكلف مندوب المقاطعة بتنفيذ التعليمات التّي ترد إليه من مندوب الإقليم ، وتنقسم كلّ مقاطعة إلى عدد من النّواحي ، ويُنَصَّبُ على كل ناحية زعيم ، ومهمة هذا الزعيم هو توصيل أوامر مندوب المقاطعة إلى رجال القبائل ، والعمل على تنفيذها (١) .

وأدركت صحيفة التايمز فى مقال افتتاحى لها فى مستهل عام ١٩٤٩م الأهمية الاستراتيجية لشرق أفريقية فى آية حرب عالمية جديدة ، وقالت

---

(1) **Dilley , M.R., Op. Cit., PP. 16-20 .**

الصحيفة إن أفريقية هي محور التطور فى القرن العشرين ومركز المشاكل العنصرية ، وحلقة الاتصال بين أوروبًا وأمريكا ، وهكذا غدت المنطقة مركز العالم ، وتركز الأمل فى تحويل كينيا إلىَ قاعدة جديدة للسيطرة على البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وهكذا افترضت بريطانيا أيضا أنَ فى وسعها أنْ تحافظ على الاتصال بالشرق حتىولو أضاعت الشرق الأوسط (١) .

ويكفى للدلالة على ماوصلت إليه بشاعةُ وقسوةُ السياسة البريطانية فى شرق أفريقية ، ذلك الخطاب الذى ألقاه الكولونيل ايوارت جوروجان البالغ من العمر ثمانين عاماً ، وكان عضوا بالمجلس التشريعى وعمدة جالية المستوطنين ، ذلك الخطاب الذى ألقاه فى اجتماع الحزب الجديد " حزب الإمبراطورية البريطانية بكينيا " Kenya British Eupire Party وذلك فى قاعة الجمعية التشريعية بنيروى ، وقد أستقبل خطابه بحما بالغ من مئات الأوروبيين إذْ قال : " إنَّنَا معشر الأوروبيين قد جئنا لحكم هذه البلاد بالنَّار والحديدِ ، وان الرد الوحيد على ثورة ماو ماو هو إعطائه كل قبيلة الكيكويو درساً لاينونه عن طريق دمة نفسَّية ، وذلك باعتقال مائة من المشتبه فى انتمائهم لماو ماو ، وشنق ٢٥ منهم على المشانق العامة أمام أعين الخمسة وبعين معتقلاً الأخرين ، ثم يطلق سراح الذّين لم يعدموا ليعودوا إلى منازلهم فينشروا بين أبناء الكيكويو وسيلة إعدام إخوانهم ، وبذلك بَدِتٌ الهلع فى قلوب أعضاء هذه القبيلة ، فتعمد إلى الهرب من أراضيها خوفاً على حياتها ، وبذلك يتاح للرجل الأبيض تملك أراضيهم (٢) .

---

(1) **Times, 1.1.1949**

(٢) حسنى أحمد السيد حماد : تاريخ الاستعمار البريطانى فى كينيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٧، ص ٧.

وتحدث اللُّورد بلفور عن التبشير فقال : " إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامّة ، ولولاهم لتعذر عليها أنْ تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى لَجْنَةٍ دائمةٍ يُناطُ بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين " ([1]).

فالتبشير لم يبدأ منذ عهود سابقه فى أفريقية وإنما جاء مع القوة الاستعمارية بصورة عامةّ، فالقارّة الأفريقية لم تَشْهد تبشيراً نصرانيًّا منظَّما قبل القرن التاسع عشر ، ومعنى هذا فالنشاطات التبشيرية تزامَنَتْ مع النشاطات الاستعمارية الأخرى فى القارة.

لذلك يتبين لنا فى نهاية المبحث حقائق هامة منها :

أنه لايمكن أن ينجح التبشير وينتشر في المجتمعات الإسلامية الا بمساعدة الحكومات الاستعمارية وماشابهها ، فهذا الفرق بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى مثل النصرانية ، فالدعوة الإسلامية انتشرت فى أغلب البلاد مجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة الإسلامية انتشرت فى أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة النصرانية فإنها اعتمدت على قوة السلاح فى أغلب الأحيان ، وقوّةِ المال ، إذ تُحْشَد لها طاقاتٌ هائلة ومنافع ماديةّ لجلب الأنصار، ويدرك النصارى أنّ دعوتهم بدون هذا لايمكن أن تصل إلى الشعوب ، أو تجد معتنقين جُدُداً ، واعترف أحدهم بأن الاسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما فى المسيحية.

([1]) أ.ل شاتليه : القارة على العالم الاسلامى ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٨ .

(ب) السياسة الألمانية

ظهرت نزعة امتلاك مستعمرات ألمانية فيما وراء البحار مبكّرة فى القرن التاسع عشر الميلادي ، وخاصة فى همرج وبريمن وبعض موانى أخرى من اتحاد الهانسا حتى إذا تألفت الإمبراطورية الألمانية فى عام ١٨٧١م تأيدت هذه النزعة رغم عدم وجود أي اتجاهات استعمارية لدى بسمارك ، الذى كان صاحب السلطة العلّيا فى الاتّحاد الألمانى ([1]).

وكان بسمارك يكره الاستعمار ، ويذهب إلى كون ألمانيا يجب أن تكتفى بالاستثمار داخل بلادها ، وتمضي فى طريق نموها الصناعي الذى سلكته بعض الأمم الأخرى ، وكان يتجنب مشكلات الاستعمار التى هي مفاتيح للحروب والمصائب ، ولكن جميع الألمان الذين كانوا يسيحون فى البلدان الشرقية الأفريقية ، ويرون أعلام فرنسا وإنجلترا خفاقة على تلك المدن، كانت تأخذهم الغيرة من انتشار تلك الدول وراء البحار وانكماش ألمانيا فىداخل بلادها.

ثم لمّا اتسعت ناعاتها ، لم تنشأ الشركات الألمانية أن تبقىَ فى اتيراد المواد الخام عالة على التجار فى الدول الأخرى ، بل تطلعت إلى أنْ تكون لها مستعمرات هي أيضا ، تأخذ منها ماتحتاج اليه رأسا ، ومازال الألمان ببسمارك حتى أنزلوه إلى ميدان الاستعمار ([2]).

ولقد أوجد قرار بسمارك لقيادة ألمانيا رسمّيًا إلى حقل الاستعمار نقطة تحول فى التاريخ ، وقد كان هو نفسه الرأس المدبّرة لحركة الاستعمار

([1]) زاهر رياض : اتعمار القارة الأفريقية واستغلالعا ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٩٦٦م ، ص ٢٨٩.
([2]) Ingham, K., : Op. Cit, P. 131 .

الألمانى فى الثمانينات من القرن الماضى ، وقد تجاوزت الحركة إلى حدّ ما الرغبة للامتداد فى أوروبا نفسها ، وتأسيس إمبراطورية ألمانية (1) وَحث المنصر ليفنيوس Livonius على أهمِّية حصول ألمانيا على أراضي فى الخارج ، وأيده رئيس الغرفة التجارية الذى ان يطمح الى تحقيق مكاسب من وراء التوسع الألمانى ، فنادىَ بتأسيس مشروعات استعمارية (2) .

وكتب المنصر ديكن Decken : " أنا مقتنع أنّه فى الأجل القصير ستوحد مستعمره هنا (يقصد فى زنجبار) وستكون ناجحة ، وبعد سنتين أو ثلاثة سوف نعتمد على نفسها ، وتصبح ذات أهمية خاصة بعد فتح قناة السويس ، وإنّه لسوء الحظ أننّا نحن الألمان نسمح لهذه الفرصة في إنشاء مستعمرة بأن تمر ، وبصفة خاصة فى وقتٍ كانت ذاتَ أهمية للأسطول البحرى " (3) ، وكان قد تمّ انشاء جمعية بعثة برلين فى عام ١٨٢٤م مع بعض المسؤالين فى الحكومة الألمانية ، وتمّ تنظيمها من الكنيسة لإحياء العقيدة المسيحية فى بداية القرن التاسع عشر ، وفيما بعد انضم بعض مشجعي حركات إحياء الدّين إلى الجمعية ، وبدوا فى جمع الأموال لمساعدة بعثة باسل Basel ، ومن الثلاثينات فى القرن الماضى بدوا التبشير بالمسيحية لحسابهم فى شرق أفريقية ، وكان أول المبشرين فى البعثة هم مرنسكى Meransky ناو هاوس Nau naus وشومان Schumann وبونك Bunk (4) .

(1) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامي ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض بقلم الامير شكيب أرسلان ، المجلد الثانى، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٦٩.

(2) **Ingnam,k, : Op. Cit., P. 132.**

(3) **Scatt Keltie : The Partition of Africa, London , 1895, P. 108**

(4) **Carl-Erik Sahiberg : Op.Cit., P.66**

وحققت بعثة برلين تطوراً سريعا ووصلت إلىَ جنوب الأراضى العليا من بحيرة نياسا ، وفيما يلى بيان بالمحطات الجديدة التى أنشأتها البعثات التبشيرية :

وانجمان شوهه	Wangemann Shohe
مانـــاو	Manao
ايكومـــى	Kombe
مواكاليلـــى	Moakaleli
بولونجـوا	Bulongwa
تاندالا	Tandala
كندوجالا	Kidugala
ميـلاو	Milow
دار السلام (1)	Dar El Salaam

وتعتبر شركة فورمان Woermann أول شركة تجاريَة المانية حاولت التملك فى شرق أفريقية ، وأبلغ سفير المانيا فى لندن حكومة بريطانيا أن الأراضيّ التى ليس لانجلترا إدّعاءات فيها المانيا لنفسها بحقّ وَضعِ اليد عليها.

وفى ٢٤ أبريل ١٨٨٠م أبلغت المانيا إنجلترا انَ الأراضى التى تملكها الألمان داخل مرسى أنقرا يكينا شمالي نهر الأورانج بموجب صكوك

---

(1) Ibid., P. 66.

بينهم وبين بعض زعماء القبائل ، وقد صارت تحت الحماية الألمانية ، وأبدت حكومة مستعمرة الكاب معارضة لهذا التملّك الألماني فى تلك الناحية ، فأرسل بسمارك بارجتين حربيتين سلمنا الألمان تلك الأراضى بالقوة (١) ، وتم تعيين الحدود ، فنال سلطان زنجبار جزر زنجبار وبماومافيا وبعمق عشرة أميال بحرية على طول الساحل الممتد من مصب نهر المينيفانى إلى كيبينى Kipini ، وكان حدّ المستعمرة الألمانية من الجنوب يبدأ عند نهر روفوما Rovuma ومن الشّمال يمتد من مصب نهر وانجا Wanga إلىَ بحيرة جب Tipe ومن هناك فى وسط أراضى زافيتا Zaveta وديشاجا Dechagga يمر بجبل كليمنجارو حتى بحيرة فيكتوريا (٢) ، وكانت حركة التجارة فى هذه المناطق من شرق أفريقية فى أيدى العرب من زمن طويل ، لكن السلطان سيد سعيد سلطان زنجبار فتَح بلاده للتجارة والشركات التجارية الأوروبية ، وشجع هؤلاء التجار ، وهذه البيوت التجارية بمختلف الوسائل ، على أن تمد نشاطها إلى بلاده ، وكانت التجارة الأوروبية مع هذه المناطق المفتاح الذى فتح الباب للنفوذ الأوروبى (٣) وبالإضافة إلىَ التجار يجب الإشارة لنشاط البعثات الدينية التنصيرية ، إذ بدأت نشاطها هي الأخرى فى شرق القارة الأفريقية ، وتغلغل المنصرون الأوروبيون فى مقاطعات الشرق الأفريقي منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ونجحوا فى تأسيس عدة مراكز تنصيرية (٤) ، ومن أولئك المنصرين لودفيج كرايف Ludwig Krapf وهو منصر ألمانى استقر فى

(١) لوثروب ستودارد : مرجع سابق ، ص ٧٠

(٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ٧١

(3) **Grove, C,P, : The Planting of Caritianity in Africa , vol 11, London 1950, p. 95.**

(4) **Mona Momillan : Introducing East Africa, London , 1945, P. 167 .**

زنجبار يدر اللّغة السواحلية ، ويبشر بالمسيحية ين الأهـالى ، ومـن المهـم أن نذكر أن كرايف لاقىَ كثيرا من عناية ورعاية الحكومة الألمانيـة ، فيذكـر لنـا كرايـف فـى الكتـاب الـذى وضَعْـه مقـدارَ ماقدمتـه السياسـة الألمانيـة لـه مـن تسهيلات (١).

ثـم لحـق بكرايـف صديـق مـن وتنبـرج يُدّعَـى ريمبـان Rebman وقـد استطاع هذا الأخير أن يتوغل من الســاحل للدّاخـل ، حتـى وَصـلَ إلـى جمـال كليمنجارو ، وكان أولّ أوروبى سجّل له التاريخ هذا الكشف ، وقبل أن يغـادر كرايف أفريقية سـنة ١٨٥٠م إلـى وطنـه ، استطاع أنْ يقـوم بجـولات بطـول الساحل الأفريقي الشرقى ، حتّـى رأ دلحـادو Delgado جنوبـا ، وأنْ يقيـم فـى هذه الجهات عدة مراكز تنصيرية (٢) وإنْ كان نشاط المستكشفين والمنصرين الألمان قد فتح العيون لأهميّة الساحل الأفريقى الشرقي والأقاليم الواعة خلفـه، فإن نشاط التجار والرأسماليين الألمـان ، وتحّـول الـرأى العـام الألمـانى حتـى أصبح يضغ بكـل قـوة علـى حكومتـه لتدخـل ميـدان الاسـتعمار فـى أفريقيـة ، وتشارك الُدول الأُوربية الكبرى الأخرى فى هذا الاتجاه ، هو الذى أدّى إلـى اتخاذ خطوات عملية لتثبيت أقدام الألمان فى شرق القارة (٣) .

ومن المعروف أن بسمارك لم يُبَـدِ قبـل ١٨٨٤م أيّ اسـتعداد لتشـجيع إنشـاء مسـتعمرات ألمانيـة فـى أفريقيـة ، إذْ رفـض الاسـتجابة للنـداءات التـى

---

(1) **Kraf : Travels . Researche , and Missionary Labrour During an Eighteen Year's Residence in Easstern Africa, London , 1819, P. 127.**

(2)**Coup Land, R., : East Africa and Zits in vaders, p. 402.**

(٣) محمد محمود السروجى : تاريخ أوروبا الدلوماسى ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٢٣ وأيضا سعد زغلـول عبد ربه : الاستعمار الالمانى فى شرق أفريقية " ١٨٨٤م –١٩١٩م رسالة دكتوراه غير منشورة فى جامعة الاسكندرية ، ص ١٣.

وجّهها الرحالة والتِّجار ورجالُ الصناعة الألمان ، لتأسيس مستعمرات المانيــة فيما وراء البحار ، ولكن ماكاد يقرّر أن الوقت قـد حـان للتوسـع الألمـانى فيـا وراء البحار حتّى بادر إليه بسرعة مدهشة ([1]) ، وأنزل مجموعة من الألمـان بقيادة كارل بيترز Karl Peters إلى زنجبار ، وقدمت ادعاءات فى أوسـاجارا التى تمسكوا بها على مدى ثلاثيـن عامـا ([2]) ، ولـم تكـن تلـك المجموعـة هـي البعثة الألمانية الأولى التى اهتمت بشرق أفريقية ، ولكن تبْدو أهميتها بالنسـبة إلى المؤامرات الياسية للبعثات الألمانية ، فى كيان السلطنة العربية الأفريقية ، فقد قام الألماني دينهارت Denhardt ببعثات علميّة على طول نهر تانـا ، منـذ عام ١٨٧٠م كما توغلت بعثات ألمانية أخرى من ساحل زنجبـار إلـى الداخـل فى عامى ١٨٨٠م-١٨٨١م بهدف بدء مشروعات تنصيرية ، ولِكنْ كان وول كارل بيترز إلى شرق أفريقية إيدانا ببدء مَخططات ألمانية جديدة فــى المنطقـة ، فقد قرر الألمان الحصول على موقف أكثر فعاليّة لهم فى زنجبار ، فأرسلوا رولف Rholf قنصـلا لهم فى السلطنة ، فى عام ١٨٨٤م وجاء ومعه مطـالب بالحصول على مساحات واسعة من أراضي السلطنة فى الداخل لألمانيا.

وكان بيترز هو الذى شجّع جمعية الاستعمار الألمانيةً بفرض المطالبة بجزء من ساحل أفريقية الشرقى ، وبعد أن حل على دعم ماليّ مـن الحكومـة الألمانية أُبحر مع رفاقه إلىَ زنجبار ، ثُمّ إلىَ أوسا جارا ، حيث عقد بيـترز ١٢ معاهدة مع رؤساء مختلفين وقعوا بمقتضاها علــى اتّفاقات يتنـازلون فيهـا عن اراضيهم للبعثات الالمانية ([3]).

([1])Holling sworth , L.W., : Op. Cit., P. 19.

([2])Marsh , Z., and Kings north, G.W., : Op. Cit., P. 97.

([3]) Marsh, Z., and Kinges nurth , G.W., : Op. Cit., PP. 99-100 .

وتبدو للوهلة الأولى أنَّ المعاهدات التى جمعها بيترز غير ذات أهمية لأنه أولاً لم يكن من المقبول الاعتداد بها ، لأن الرؤساء الذين وقعوا عليها لم يكونوا يفهون على ماذا يوقعون ، وثانياً لأن المناطق المتنازل عنها كانت جزءاً من ممتلكات سلطان زنجبار ، ولايمكن الموافقة على تنازلات من بعض الرؤساء عن أراضى لايمتلكونها ألا ، إلاّ أن أهمية هذه الاتفاقيات تكمن أساسا فى أن بسمارك قد اعترف بها ، وهذا التدعيم من حكومة ألمانيا منح بعثة بيترز ومعاهداته تلك الأهمية الفائقة ، فالبعثات الألمانية السابقة قد توغلت إلى مسافات أبعد وأستغرقت وقتاً أطول، إلا أن بعثة كارل بيترز جاءت فى الوقت الذى غيّر فيه بسمارك من استراتيجيته ، وصار يبحث عن مستعمرات لألمانيا فى كل مكان ([1]).

وعلم السلطان برغش بأن الحكومة الألمانية منحت بعثة بيترز جزءاً من ممتلكات السلطنة العربية الأفريقية ، مما سبب للسلطان ضيقاً شديداً من ذلك بطبيعة الحال ، فالألمان لم يقوموا ببعثتهم إلى داخل القارة فى سرية تامّة فقط ([2]) ، بل إن مطلبهم الاستعمارى يتركز في أهم وأفضل ممتلكاته ، لأنّه يقيم الطريق الرئيسى المواجه لزنجبار ، والموصل إلى تاورة وأوجيجى بما فىذلك أوساجارا ونحورو وأوكامى ([3]) ، وقد أرسل برغش احتجاجاً عنيفاً إلىَ الامبراطور الألمانى جاء فيه " إنّ هذه الأراضى هى أراضينا ، ونحن نحتفظ بمراكز عسكرية هناك، إن هؤلاء الرؤساء الذين اعترفوا بالتنازل من حقوق السيادة لوكلاء البعثة الألمانية ليست لديهم السلطة لعمل ذلك.

([1])Coupland, R. : East Africa and Its in vader, P. 405.

([2]) Ibid, P. 100 .

([3]) Lyne, Robert Nunelz : Op. Cit., P.49 .

ولما كان الألمان يعرفون تخاذل الإنجليز فى مناصرة حليفهم السلطان برغش ،فقد طلب إيردهارد القنصل الألمانى إلى كيرك أن يعاونه فى الضغط على السلطان كي يسحب قواته من منطقة الحماية الألمانية ،وكان رد كيرك على هذا الطلب هو مجرد السؤال عن حدود هذه المناطق ،فلما أجاب إيرادهارد بأنها تمتد من نيوساجارا حتى الساحل ،أبرق كيرك إلى وزارة الخارجية البريطانية مبيناً أن إجابة مطلب الألمان معناه القضاء على سلطنة زنجبار ،لأنه يعنى الحماية الألمانية على الشاطئ المقابل لجزيرة زنجبار نفسها ،وأرسلت حكومة لندن تستفسر عن حقيقة المطالب الألمانية فأجا بسمارك بأنه ليس لألمانيا أطماع فى الساحل (١).

وهكذا بدا واضحاً أن ألمانيا لم تكن تخشى من رد فعل بريطانى ضد مشروعاتها فى السلطنة،كما أن السلطان وحده لم يكن ليستطيع أن يغامر مقاومة مؤثرة ،وكذا حل بسمارك المشكلة كما أراد وبطريقته الخاصة ،فبدلا من إرسال أحد الدبلوماسيين للتفاوض أرسل قُوَّةً بحرية وإنذاراً للسلطان بأن يسحب كل إحتجاجاته ضد المعاهدات التى عقدتها العثات الألمانية مع رؤساء أورساجاراً ونجورو Nguru وأوسيجواً Useguha وأوكامى Uhami وإلا فسوف تُقْصَف زنجبار بالقنابل (٢).

وفى نهاية عام ١٨٨٤ نشر بسمارك وثيقة البراءة الأمبراطورية Imperial Schutzbrief مدافعاً عن بعثة كارل بيترز ،وإضفى بذلك صفة الشرعية على إنجازاته ،وكان يوجد حوالى ٣٠٠ أوروبى يعيشون فى

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : زنجبار ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص١٩٨ .

(2) Marsh,Z, and Kingsourth ; G.W, : Op. Cit., P. 102

المناطق أساسية لشرق أفريقية ،وفى الواقع أن معظم هؤلاء الوافدين كانوا مبشرين مسيحيين (١) .

وكان لتدخل الألمان فى شرق أفريقية أن جلبوا معهم نكبات عديدة ،إذ حولوا البعثات إلى وسيلة هامة للإستعمار المسل التى أثرت فى مستقبل بقائهم فى شرق أفريقية (٢) .

وقد وعدت الحكومة الألمانية بتخفيف كل الصعوبات والمشاكل الخطرة التى تواجهها البعثات فى شرق أفريقية ،وكذلك لفت نظر قطاعات جديدة من الرأى العام الأوربي لتأييد عمل البعثات،وتقوية عمل البعثات بإعادة تطوير منشآت العثات الحالية وبإنشاء جمعيات لبعثات جديدة.

وفى بداية عام ١٨٨٥م قام جرافن رويت Gravenreuth لقائد الألماني فى شركة شرق أفريقية وممثل الكاثوليك بتمويل تأسيس بعثة لطائفة Order النذكيتين Benedictine ومركزها رايشنباخ Reichenbach فى بافاريا وعد ثلاث سنوات تم تجهيز فوج من رجال الدين وتقسيمه إلى قسمين: قسم فى زنجبار يعمل فى الأبرشية الرسولية Apostolic Vicariate وهذه تعمل مع جمعية الروح القدس ،والقسم الآخر فى دير للرهان فى دار السلام وفى لوكولدي Lukuledi فى الجنوب الغربى من دار السلام ،ومن تلك المراكز يتم توزيع مراكز صغيرة إنتشرت فى المقاطعات المحيطة (٣) .

---

(1) **Oliver , R : The Miionary Factor in East Africa, P. 49**

(2) **Ibid ., P. 94.**

(3) **Oliver, R. : The Miionary Factor, P. 163, J. Schmillin , Die Katholi chen Missionen in den Deutschen Schutz gebeten, 1914, P. 113.**

وفى مذكـرات الأسـقف الكـاثوليك لافيجيرى Lavigerie عـن شـرق أفريقية أنه وفد علـى مدينـة فرانكفـورت (علـى الميـن) Frank Furt-am-Main فى يوليو ١٨٨٥م ونجح فى إنشاء مقر للبعثة بإسم Afrika Verein Deuts Cher Katholiken التى أصبحت فيما بعد مـن أقـوى مقـار الدعايـة للبعثة الكاثوليكية فى جميع أنحاء الدولة ،ولقد بدأ فى الحال وساهم فى تكويـن مقاطعة ألمانية ،فى تجنيد وتدريب رجال الدين فى ترير Trier وتجميـع بعثـة الروح القدس فى كنشتستدن Knechtsteden (١) ، وعندما إستولت الحكومـة الألمانية على إدارة المستعمرة من خلال الشركة الألمانية لشرق أفريقية ،فـإن جمعيات اللوثرين Lutheran بدأت تنـال الإهتمـام ،وقـررت جمعيـة برليـن I والمورافين Moravians البروتستانتيه دخول حقل شرق أفريقية للتنصير فـى نطاق مابين ٣٠ ـ ٤٠ درجة من خط الطول من النهاية الشمالية لبحيرة نياسـا ،فباتت محطة المورافيين تمتد شمالاً وغرباً بإتجـاه تـابورا ،وجمعيـة برليـن I تمتد شمال وشرق دار السلام وقد أسست جمعيـة المورافيـن حوالـى ٣٠ بعثـة فـى ١٥ محطـة صغـيرة حـول قبـائل كـل م نكونـدى Nkonde وندالـى Ndaliوسافورا Safwa والناكيا Nyika وضعت يدها على المحطـة القديمـة لبعثة لندن فى يورامبو Urambo (٢)،وفى المدة نفسها فإن عثة برلين أرسلت أكـثر مـن ٦٠ منصـراً وأسست ٢٥ محطـة تمتد مـن قبـائل نكونـدى وكنجـا Kinga فى جبال ليفنجستون فى أرسارامو Usaramo (٣) .

(1) **Oliver, R. : The Miionary Factor , P. 164.**

(2) **Latourette, K, ., : History of the Expansion of Christianity, vol 7. London 1945. P. 407.**

(3) **Ibid. P. 406.**

إنّ البرنامج التوسعى الألمانى فى أفريقية الشرقية تم على أيدى بضعة أفراد مع دعم الحكومة الألمانية ،فقد أشرف على تنفيذ المشروعات الألمانية في تلك المنطقة من القارة ثلاثة أفراد ،هم : كارل بيترز الذى كانت معاهداته هى الأساس الذى إستند عليه مرسوم الحماية الإمبراطوري الصادر عام ١٨٨٥م Imperial Schutzbrief ،وكليمنز دنيهاردت Clemens Denhardt الذى إشتهر بمؤامراته فى ويتوضد الإنجليز ،ثم كيرت توبين Kurt Toeppen أحد التجار المغامرين ومدير شركة ويتو الألمانية.

وكانت الحكومة الألمانية تؤيد وتشجع هؤلاء الأفراد ،الذين كرسوا أنفسهم لخدمة مصالح بلادهم التنصيرية فى القارة الأفريقية (¹)،إذ مكنت الدكتور كارل بيترز فى عام١٨٨٥م من تأسيس جمعية أطلق عليها إسم الجمعية الألمانية للإستعمار ،وقد أعلن بيترز أن غرض هذه الجمعية هو القيام بمشروعات تبشيرية وتعضيد مجهودات الهيئات الأخرى التى تعمل فى هذا السبيل(²) ، وإستمرت هذه الجمعية مدة ثلاثة أشهر تنافس موضوع إختيار الجزء من أفريقية الذى تستطيع أن تنفذ فيه مشاريعها ،وإستقر قرارها على إستعمار الجزء من الساحل الشرقى للقارة الواقع خلف دار السلام على أن تقوم بتنفيذ ذلك حملة من دكتور كارل بيترز والدكتور يونكه Dr. Junke وأن تبدأ عملها فى أكتوبر من نفس العام (³).

(¹) **Mallings worth, L.., : Op. Cit., p. 27.**

(²) **Ingham, K. : Op. Cit., P. 133 .**

(³) **Woolf, L.: Empire and Commerce in Africa, P. 236 .**

وفى نهاية عام ١٨٨٥ وصل كـار بيترز مؤسس جمعيـة الإسـتعمار الألماني إلى زنجبار ،وعبر إلى الداخل وأخذ فـى التقـرب إلـى الزعمـاء من أجل عقد المعاهدات معهم ،وأمتد نشاط بيترز وزملائـه إلـى رقعـة تصـل إلـى أكثر من ستين ألف ميل مربع وعاد بيترز إلى الساحل بعد رحلـة دامـت نحـو شهر واحد،وفي يده عدة معاهدات عقدها مع زعماء المنطقة الداخلية (١)،ولـم تكن تلك المناطق التى منحوها لألمانيـا ملكـاً لهـم ،وإنمـا كـانت تتبـع سـلطان زنجبار (٢) .

وفى أواخر شهر سيتمبر عام ١٨٨٦م وقعـت حادثـة صـغيرة لاتعـدو إلقاء القبض علــى خـادم لأحـد العايـا الألمـان فـى زنجبـار ،فحـاول المستشـار الألمانى بسمارك إستغلالها لأنهاء الموضوع ،وهدد بإرسال حملة حربيـة إلـى شرق أفريقية لحمل سلطان زنجبار على إحترام ألمانيا ،وأبلغ بسمارك السـفير البريطاني فى برلين السير إدوارد مالت Edward Malet أن حكومته سـوف تفقد التأييد الألمانى فى المسـألة المصريـة مـالم تتوصـل الدولتـان إلـى تسـوية سريعة لمسألة شرق أفريقية ،وذكر أنه سوف يرسل الدكتور كـراول Krauel مديـر إدارة المسـتعمرات بـوزارة الخارجيـة الألمانيـة ،إلـى لنـدن لأنهـاء هـذه المسألة ، ووصل كراول إلى لندن فى الرابع عشر من أكتوبر عام١٨٨٦ وبدأ مفاوضاته على الفور مع السير برسى أندرسون Percy Anderson الخبير بالخارجية البريطانية ،وقد تم الإتفـاق بينهمـا،وكـانت أهـم بنـود الإتفاقيـة التـى عقدت بينهما فى ٢٩ أكتوبرعام ١٨٨٦م مايلي :

(1) Jhonston, H., A Hitory of Colonization of Africa by Alien Races, P. 490 .

(2) Marsh, Z, and Kingsnorth : Op, Cit., P. 105.

١) تعترف ألمانيا وبريطانيا بسيادة سلطان زنجبار على جزيرتى زنجبار وممباسا.

٢) تعترف الدولتان بسيادة سلطان زنجبار على خط الساحل الذى يمتد من نهر مينجاني Minegani إلى كبينى شمالاً.

٣) تؤيد بريطانيا مفاوضات ألمانيا مع سلطان زنجبار والخاصة بتأجير جمرك دار السلام وبانجاني لشركة الاستعمار الألمانية .

٤) تتعهد الدولتان بعدم التدخل فى منطقة نفوذ الأخرى بعقد معاهدات حماية أو بالحصول على أراضي أو يعرقلة نشاطها .

٥) تتعهد بريطانيا باستخدام جهودها من أجل التوسط لإجراء تسوية ودّية فى الخلاف الناشب بين سلطان زنجبار وشركة الاستعمار الألمانى.

٦) تتعهد بريطانيا وألمانيا دعوة سلطان زنجبار للانضمام إلى اتفاقية برلين الموقعة فى ٢٦ فبراير عام ١٨٨م

٧) تتعهد ألمانيا بالانضمام إلى الإعلان الثنائى الفرنسى البريطانى الخاص باحترام استقلال وسيادة أملاك سلطان زنجبار ([1])

وعقب توقيع اتفاقية عام ١٨٨٦م تكالب الطرفان الإنجليزى والألمانى على القيام بمزيد من التوسع نحو العرب بهدف السيطرة على الجهات الداخلية المحيطة بالبحيرات الاستوائية ، والسبب فى ذلك انَ اتفاقية عام ١٨٨٦م وإن كانت قد حددت منطقتى النفوذ الألمانى والبريطاني فإنها لم ترسم الحدود

([1]) **Oliver and Mathew , : Op. Cit., P.,374. , Marh, z, and kingsnorth, : Op.Cit., P. 110., Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty , vol 111, pp.882-885.**

الغربيـة لكل منطقـة منهـا (١) ، وكـان البريطـانيون يخشـون احتمــال زحــف الألمان من محمية ويتو فى الشمال إلى منطقة أعالى النيل ، وأحاطتهم بمنطقة النفوذ البريطانية من جهـة الشـمال والجنـو والغـرب ، وكـان مـن الضـروري بالنسبة إلى البريطانيين أن يسـيطروا علـى منطقـة البحـيرات الاتوائيـة بهـدف الاحاطة بمحمية ويتو الألمانيــة مـن جميـع الجهـات ، لتقليـل قيمتهـا فـى نظـر الألمان ودفعهـم إلـى الانحـاب منهـا ، والاكتفـاء بحصـر أنفسـهم داخـل نطـاق امتيازهم فى الجنوب فقط ، ومن أجـل تحقيـق هـذه الأهـداف تقدَّمـت الشـركة البريطانية إلى السلطان خليفة لاستئجار ميناء لامو ، وهو مخرج سلطنة ويتـو الوحيد بهدف التقليل من الأهمية الاستراتيجية للسلطنة ، ولـم يوافـق السـلطان خليفة على تأجير هذا الميناء لمـاكينون فقـط بـل إنـه عـرض عليـه أن يمنحـه امتيازاً لاستغلال باقى الموانئ الشمالية المتبقية تحت سيادته باسـتثناء زنجبـار وبمبا (٢) .

إلاَ أنَ الألمان سرعان ماأعلنوا اعتراضهم على امتياز لامـو وسـاحل البنادر ، (الومال) واعلن ميخاليس قنل ألمانيا العام فـى زنجبـار أن للألمـان حقا سابقاً فى إدارة لامو، وأدَعى ميخالي أن السلطان برغش قد منـح الألمـان وعداً شفوياً فى خريف عـام ١٨٨٧ م بمنحهـم امتيـاز اسـتغلال هـذا الميـناء ، وقد كان هذا الادعاء من جانب الألمان كافيا لأن يعمل الإنجليز له حسابا (٣)

لذلك فى نوفمبر ١٨٨٧م ثم التوقيع على معاهدة بين إنجلترا وألمانيا ، وجاء فيها تحديد ممتلكات السلطان وحدود صلاحياته اذ تركت للسـلطان فقـط

(1) **Kingsnorth, G.W. : Africa South of the Sahra, p.85 .**

(٢) السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ٤٦٠-٤٦١ .

(٣) محى الدين محمد مصيلحى سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٧

جزر زنجبار وبمبا ، ومافيا ، ولامو، وبهذه المعاهدة أصبحت كل الأرض الاساسية التى تعمل فيها البعثة التتصيرية الجامعية تحت العلم الألمانى.

ولم يكن بيترز على أخلاق حميدة ، فقد كان قاسياً وُصلياً فى معاملاته ، ولايهتم إطلاقاً بعادات المواطنين الأفريقيين ، ولقد قال : هذا الحشد الأفريقى الهائل يمكن السيطرة عليه بالتصميم ، ويجب أن تُقابل المعارضة بالتصميم على ضرورة الاستمرار فى الطريق (١) .

لذلك قام بالثورة ضد الألمان جميع أهالي الساحل ، وتزعم قيادتهم رجل عربى اسمه بشير بن سالم ، وليس من شك فى أنه مما عجل بالاضطراب ما أتسم به مسلك موظفى الشركة الألمانية من فظاظة وفلظة ، فقد كان يعوزهم الصبر والتحلي به للنجاح فى معاملة الأفريقيين ، وقد لاحظ إيوان سميث القنصل البريطانى Euan-Smith هذه العيوب وقت أن كان الألمان يتخذون الاستعدادات فى زنجبار (٢) .

ومما هو جدير بالالتفات أن صحيفة التايمز علقت على ذلك ، ليس بسبب عدم خبرة الألمان بالظروف الملحية فحسب بل أيضا إلى ماكان ينقصهم من اللياقة والحصافة والتحمل (٣).

وكانت شركة أفريقية الشرقية الألمانية ، التى حصلت من السيد برغش فى مايو عام ١٨٨٧م على امتياز بإدارة أملاكه فى الشريط الساحلى الذى يقع بين نهري أومبا وروفوما، قد سبقت شركة أفريقية الشرقية البريطانية فى مواجهة مشكلة عداء العرب والسواحليين للأوروبيين ، إذ عمد

---

(1) **George Hebert Wilson, M.A. Op. Cit., P. 87.**

(2) **F.O. 84/1908 , Euan Smith to salibury , 8 April 1888.**

(3) **Times, 2.11. 1888.**

وكلاء الشركة الألمانية حين وصولهم إلى شرق أفريقية ، إلى إنزال علم سلطان زنجبار من فوق دار الوالى رغم احتجاج الأخير ، ورفعوا الراية الألمانية وحدَها فوق مكتب الشركة فى زنجبار ([1]).

وفضلا عن ذلك فقد أنزلت السفينة الحربية الألمانية كارولا Carala مائة وعشرين بحارا مسلحا فى بانجاني ، واستولى هؤلاء على قلعتها وجردوا حاميتها الوطنية من السلاح ، وكانت النتيجة الطبيعية لأعمال الألمان الاستفزازيه هذه ، قيام الاضطرابات العنيفة فى باجامويو Bagamoyo وبانجاني ، واضطر الألمان أن يستقدموا أسطولهم على عجل إلى مياه زنجبار ، وأصبح الموقف يهدد كما توقع إيوان سميث بريطانيا فى زنجبار بانفجار ثورة عارمة وتوقف الحركة التجارية فى ساحل أفريقية الشرقى كله([2]) .

ففى أكتوبر عام ١٨٨٨م تم تعيين الملازم فيسمان Wismann ، والدكتور كارل بيترز لقيادة حملة تزحف حتى تانا، وذلك بهدف ضمان الطريق الألمانى من الساحل الشرقى إلى المديرية الاستوائية ، وكانت الحملة أساسا لإطلاق سراح أمين باشا ، حاكم المديرية وعند استلام فيسمان Wissmann إدارة الشرة الألمانية لشرق أفريقية ، صدرت الأوامر لبيترز الذى غادر برلين فى فبراير ١٨٨٩م ، واستعان بحوالى ١٠٠ صومالي كانوا

([1]) F.O. 84/1913, Telegram, Euan Smith to Salisbury ,12 Aug- 1888.

انظر ملحق رقم (١٩)

([2]) F.O. 84/1913 ,Telegram, Euan Smith to Salibury , 2 Sept.1888.

متجهين الى باجامويو في مقاطعة الشركة الألمانية الأفريقية ، وصدرت الشركة البريطانية قرارا بمنع بيترز من النزول فى الشاطئ البريطاني (1).

ولم يقف الألمان مكتوفي الأيدى أمام النشاط الإنجليزى ، فكان لابد من منه ستانلي من الاتصال بأمين باشا بأي ثمن ، أو دخول المديرية الاستوائية وعهد بهذه المهمة إلى كارل بيترز ولكنه لم يستطع أن يبدأ من المنطقة الالمانية على ساحل شرق أفريقية ، بسبب الثورة الوطنية ضدّ الحكم الألمانى ، فلم يكن أمامه سوى السير عبر المنطقة البريطانية إلى الشمال ، وكان بيترز يأمل فى الاتصال بأمين باشا قبل أن يظهر ستانلى على المسرح، ثم يدخله فى خدمة الألمان ويقنعه بمدّ نفوذه الى بحيرة فيكتوريا ، والى المتعمرة الألمانية فى أقصى الجنوب وبذلك يقطع الطريق أمام الانجليز للامتداد نحو الداخل ، ويقول بيترز ، إن حملة أمين باشا لم تكن للمتعة ، بل كانت عملا سياسيا تبشيريا كبيرا (2) .

ومن الطبيعى أن يعمل الإنجليز على عرقله خروج بعثة بيترز بمختلف الوسائل فمنعوا الألمان من النزول بالمنطقة البريطانية ، بحجة منع استيراد الأسلحة ، ونفذت سفن الأسطول تلك الاجراءات بدقة ، واحتج بيترز دون جدوى ، ومع ذلك استطاع فى النهاية أنْ يتهرب من رقابة الأسطول ، فنزل فى منطقة مجهولة تقع إلى الشمال من لامو ، وفى الصباح لم يكن فى وسع الأسطول سوى مصادرة السفينة ، ولكن بعد أن كان بيترز فى طريقه نحو الداخل ، وأسرع الإنجليز إلى تحريض الأهالى للحيلولة دون استقباله أو

---

(1) **J.W. Gregory, D.c. Op.Cit., P. 138.**

انظر ملحق رقم (٢٠)

(2) **Langer, Op. Cit., P. 116.**

إمداده بأية معونة ، ويبدو أن المؤامرات الإنجليزية لتحريض الأهالى ضده قد نجحت بدليل أنه أضطر لارتكاب فظائع كثيرة ضدّ الأهـالي ، وفـرض عليهـم المعـاهدات فرضـاً ،ورغـم هـذه العقبـات فإنـه واصـل تقدمـه ، وحلـف وراءه الحمالين والجنود ولـم يستبق معـه سـوى بضعـة رجـال إلـى أن لغتـه الأنبـاء السيئة وهو على مقربة من وادلاى بوصول ستانلى ورحيل أمين باشا معه([١]).

على ان أقوى دليل على تأييد الحكومة الألمانية وتشجيعها لنشاط هـذه المجموعة من المبشرين الألمان ، كانت تلك المنحة المالية التى أغدقتها الدولة عليهم ، وتعيينها مفوضا (فوميسيير) لأفريقية الشرقية الألمانية ([٢]).

وفى عام ١٨٩٠ جد تغيير جوهرى فى شئون شـرق أفريقيـة ، إذْ تـم التوقيع فى برلين على المعـاهدة الألمانيـة الإنجليزيـة فـى أول يوليـو ١٨٩٠م ([٣])، بالموافقة على تقسيم شرق أفريقيـا ، وتـم تحديـد خـط الحـدود مـن وانجـا Vanga فى شمال بحيرة فيكتوريا ، ويمتد فى اتجاه الغرب مخترقا البحيرة إلى أوغندا تحت النفوذ البريطـاني ، وفـى الاتفـاق نفسـه اعـترف الألمـان بحمايـة الإنجلـيز لزنجبـار فـى مقـابل تنـازل الإنجلـيز عـن جزيـرة هليجولانـد Heligoland([٤]). وتخلى الألمان لإنجلترا عن حماية سلطنة ويتـو Witu صـار لإنجلترا بموجب هذا الاتفاق حق السيطرة على سلطنة زنجبار مع جـزر بمبـا والأراضي التابعة لويتو وتنازل سلطان زنجبـار لألمانيـا عـن جزيـرة مافيـا ،

([١]) محمد سيد محمد : أوغندا قبل الحماية البريطانية ، مجلة كلية الشريعة والدراسـات الاسـلامية ، السـنة الثالثة ١٣٩٧ /١٣٩٨هـ ، العدد الثالث ، ص ٦٥.

([٢]) **Holling Sworth, L.W. : Op. Cit., P. 27.**

([٣]) **Oliver, R., and Mathew, G, : Op. Cit., Vol I, pp. 382-384.**

([٤]) **A.J. Temu : Op. Cit., P. 43.**

وضاعت سلطنة ويتو باستيلاء إنجلترا عليها ، وهكذا تمزقت هذه السلطنة العربية كلَّ ممزق باتفاق إنجلترا مع المانيا (١) .

وتبلغ مساحة المستعمرة الألمانية المسماه بمستعمره شرق أفريقية ٩٩٥,٠٠٠ كيلو متر وعدد سكانها سبعة ملايين وخمسمائة وأحد عشر ألف نسمة ، من بينهم ثلاثة ملايين من شعوب البانتو والواهيمى والماساى ، وهم سكان البلاد الأصليون ، ومن بقي منهم فى السواحليين الذين يبلغون ثلاثة ملايين ونصف المليون ، هذه الإحصائية حسب تقويم المسيو برادر Prader فى كتابه المسمى بالمستعمرات الألمانية وقيمتها المطبوع سنة ١٩١٩م.

وفى يونية ١٨٩٠م رحل كارل بيترز من المحمية الألمانية ويتو الواقعة على الساحل شمال منطقة النفوذ البريطانية على رأس حملة مسلحة بغرض الحصول على أرض جديدة لألماني فى أوغندا.

وقد أصبح التسابق فى الحصول على أقاليم جديدة فى أفريقية متصلاً اتصالا وثيقاً بالقوى السياسية المتغيرة فى اوروبا ، واصبح بسمارك اكثر استعدداً عما كان عليه فى ١٨٨٥م، واضحى الآن يربط سياسته التنصيرية أكثر فأكثر بسياسته الخارجيه (٢) .

وكتب المنصر تاكر أسقف بعثة الكنيسة التنصيرية فى شرق أفريقية ، بعد توقيع المعاهدة الألمانية الإنجليزية إذ قال : نحن ذاهبون إلى أعد غى رحلتنا الطويلة إلىَ أوغنده بدون الاعتماد على الأسلحة (٣)، وفى ذلك دليل

(١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ٧٢.

(2) **Tonsend , M.E., : The Rise and Fall of Germay's Colonial Empire, New York 1930, P. 114.**

(3) **C.M.S. G3 A5/06. Alfred Tucker to Liang 11 June 1890 .**

علـى مـدى ماتلقاه البعثــات التبشـيرية مــن دعـم وتشــجيع مــن السياســيين الاستعماريين ، وفى الداخل فـى موشـى Moshi ثـم تأسيس بعثـة الكنيـة فـى أملاك Mandara ومنذ عام ١٨٩٠ م بسبب وضــع البلـد تحـت سلطـة الألمـان ووعدهم بالحماية من الحكومة الألمانية ، تقرر إقامة بعثة الكنيسـة oshi(١) .

وفى عام ١٨٩٢م خطط وكيل الألمان فى موشى Moshi للتحرك مـن موشى إلى المركز الذى يعتبر أكثر جاذبية للاستعمار الألمانى ، وقـام بدعـوة بعثة الكنيسة التنيرية للتحرك معه (٢).

وبحلول عام ١٨٩٣م تمكن فيسمان من السيطرة على الساحل ، ومنـه تحرك إلى جبل كليمنجارو وهى المنطقة الأخرى للمقاومة حيـث يوجـد أقـوى رؤساء القبائل وهوسينا Sina فى كيبوشو KIBOHO الذى لم يقبل إطلاقـا حكـم الشركة الألمانية ، وفى نهاية السنة تم هزيمة سيناء واضطـر لتوقيـع معـاهدة مع الشركة (٣) . وبهزيمة ينا رئيس قبيلة كيبوشو اتحد الألمان سياسة حازمـة نحو قبيلة شاجا CHAGG واستخدموا القسوة معهم.

وفى عام ١٨٩٣ م تم تنظيم بعثة برلين ٣ وأصبحت حرة بالنسبة إلى علاقتها مع الحكومة الألمانيــة ، وقـد تـم إنشـاء جمعيـة للبعثـة بواسطـة بـودل شفنج BODELSCHWING وقد اعتمد على المساعدات والتبرعـات المقدمـة مـن الحكومة الألمانية ، فأسس مستشفى للمصابين بالصرع ، ومستعمرة للعمل(٤).

(١) **Townsend , M.E., Op. Cit., PP. 131-135.**

(٢) **Willians, Price, : My Third Camaign in Eat Africa, London, 1890, PP. 140 -141.**

(٣) **Cathleen, Stani : Hitory of the Changa People of Kilimanjaro, London 1964,P.255 .**

(٤) **Carl-Erik Sahiberg : Op. Cit., P. 61 .**

وفى ١٢ يوليو ١٨٩٥ م وصل أول خمسة مبشـرين مـن بعثـة ليبرج وهـم مولـر MULLER وألتهـاوس ALTHAUS وفاسـمان FASSMAN وبويمـى BOEHME وباسلر PASSLER إلى شواطئ بحيرة تنجانيقا .

وكانت بعثة ليبرج تميز نفسها عن غيرها من بعثات شرق أفريقية بأن تفرض أناسا متعلمين لديهم طموح للتحدث باللغة العامية مع هدفهم إعطاء تعليم أكاديمى منظم لكل المبشرين(١) .

وكانت قـد حصلـت جمعيـة ليبزج علـى دعـم مـن الحكومـة الألمانيـة وبالفعل دخلت بسرعة إلـى قاطعـة شـاجا CHAGGA وفـى عـام ١٩٠٠ م كـان لديها ٣٤ بعثة منتشرة على المنحدرات الجنوبية فى كليمنجارو (٢).

وفى عام ١٩٠٢م كـانت ثمـرة عمـل بعثـة يوسـا مبـارا USAMBARA حوالى ٢٧٠ مسيحى، وقد أصبحـت أكـثر فـأكثر الحقـل الرئيسـى لبعثـة بيتـل BETHEL للتبشير ، وقد حدث ذلك مع المبشر الألمـانى دوهانسـن JOHANSEN إذْ تم إرساله إلى مقاطعة يوسا مبارا مـع زميلـه فولـراب WONLRAHB وكـان جوهانسن شديد الإعجاب بكتاب الحاكم الألمانى جوتزن GOTZEN عن خبرته فى الكونغو ، ولقد ذهب جوهانسن إلى أوغندا عام ١٩٠٥م وعند إقامتـه فيهـا كان شديد التأثر بعمل بعثة الكنيسة هناك، وفـى تقريـره إلـى بعثـة بيتـل طلـب منهم الاستفسار عـن احتمـالات فتـح مجـال عمـل جديـد فـى بوكابـا BUKABA وروانـدا RWANDA (٣) .

---

(1) **Ibid., P. 73**

(2) **Oliver, R., The Nissionary factor in East Africa., P. 167.**

(3) **Carl =Erik Sahlberg : Op.Cit., P. 63.**

وعندما كان موقف البعثات يتعرض للتهديد من العرب ، شعرت الحكومة الألمانية بضرورة الدخول فى ميدان الصراع بطرق ووسائل أعمق من المسائل الروحية التى يعتقدون أنها أهم شئ بالنسبة إلى منفعة الكنيسة ، وفي هذه الجهود فلقد مارسوا سلطة ونفوذاً على تطور المرحلة الجديدة لسياسة المستعمرات ، وأول درجة للتدخل كان بمناسبة قرار الحكومة الألمانية لتشجيع إقامة المطرودين من الخدمة فى شرق أفريقية (١)

وقد لاحظت البعثات الألمانية بأن الإسلام ينمو ويتطور بدرجة أسرع من المسيحية ، وعند حلول عام ١٩٠٨م فإن التقدم الإسلامى كان مضطردا حسب تقارير كل بعثات التبشير فى شرق أفريقية ، وقد استحوذ ذلك على أخبار الصحف في أوروبا ، وفى المؤتمر العالمى للبعثات فى أدنبرة عام ١٩٠٨م تم قراءة خطاب من الأستاذ ورنك WARNECK الذى ترأس جمعيات ليوثبران لمدة ٣٠ سنة وقد قال : إن الأولوية فوق كل مشكلة للبعثات يجب أن تعطى للسباق ضد الاسلام (٢) .

ومنافسة الإسلام دفعت البعثات الألمانية للدحول فى السياسة ، وقد لاحظ أن موقفهم الاستراتيجى يمكن أنْ يسمو فقط من الحقيقة بأن المسلم يتولى كل وظيفة هامة فى الدولة ، وفى عام ١٩٠٦م قررت بعثة الموارفيين بأن الوثنيين الأفريقيين ، الذين سبق لهم التعرف على الحكومة والبعثات ، هم الآن قد بدوا يفكرون فى التفرقة بينهم على أساس هذه الأمور ، وهم يعرفون الآن أنهم يستيعون الحصول على الحضارة بدون المسيحية.

(1) **Oliver , R. : The Missionary Factor, P. 247.**

(2) **Minutes ofC.M.S., Executive Committee usagara Section,30-1-1907**

وفـى المؤتمـر الاسـتعمارى KOLONIAL KONGRESS فـى برليـن أقـر مؤيـدو البعثـات بـأن مسـلمى شـرق أفريقيـة يجـب معـاملتهم علـى أنهـم ضــد الأوروبيين فى شرق أفريقية ، وفى عام ١٩١٣ وافقت الحكومة الألمانية على مساعدة البعثات وتقديم العون المالى لها، وتدريب الموظفين الرسـميين للعمـل بالمناطق الوثنية بالداخل ([1]).

ووجد فى إحدى دول شرق أفريقية كتبـاً وأشـرطة (كاسـيت) تحمـل هجوما على الإسلام ودعاية للنصرانية ، وتشويهاً للدين الاسلامى ، وقد وجد أن هذه المنظمة تسمى مركز الشبيبة ، وهى منظمة نصرانيـة سـرية مركزهـا الرئيسى مدينة شورن بألمانيا الاتحادية ، ولهـا فـروع ومراكـز فـى عـدد مـن الـدول العربيـة والإسـلامية ، وهـى تهـدف إلـى محاربـة الإسـلام والتصـدى لانتشـارة ، ومـن ضمـن وسـائلها بـث الـبرامج الإنجيليـة ونشـر الكتـب والمنشورات التى تحتوى على الدعايـة للنصرانيـة والتهجـم علـى المسـلمين ، والتضليل فى العقيدة والتعاليم الإسلامية ([2]) .

ومن ضمن المنظمـات النصرانيـة التـى حمـت لـواء محاربـة الاسـلام أيضـاً منظمـة ميزيريور MISERIOR الكاثوليكيـة وتعنـى باللاتينيـة عطـاء أو مساعدة المحتاجين ومركز هـذه المنظمـة مدينـة أخـن فـى ألمانيـا الاتحاديـة ، ويديرها المدير التنفيـذى المونسـتيور الدكتـور ليوسـورافس ومرتبتـه راهـب ، وتهتـم هـذه المنظمـة بإيفـاد مبشـرين ، وأيضـا منظمـة كاثوليكيـة أخـرى هــي أميسيو MISSIO ومركز خذخ المنظمة الرئيسي فى مدينة "أخن " فـى ألمانيـا

([1]) **Oliver, R. : The Missionary Factor , PP. 205-206 .**

([2]) تقرير عن جهود رابطة العالم الاسلامى لدعم الاسلام لمواجهة الحركات المعادية للاسلام فى أفريقيـة ، اعداد ادارة مواجهة التنصير ، ص ٤ .

أيضا ، وهى تابعة تبعية مباشرة لمكتب التبشير البابوى بالفاتيكان ، وتقوم هذه المنظمة بتمويل النشاطات التبشيرية فى جميع الأقطار الأفريقية ، وخاصة أقطار شرق أفريقية ،وهى تدرس إعادة بناء الكنائس الكاثوليكية ، في دول شرق أفريقية ، وتقوم بتولى طباعة مذكرات العاملين فى حقل التبشير ، وخاصة المذكرات التى تهتم بتنظيم قراءات القداس الآلهى ، وبعض الاهتمامات الدينية الأخرى فى القارة ([1]).

وفى ديسمبر عام ١٩٠٧م وقبل الاجتماع السنوى العام للبعثات الألمانية وضع المفتش العام الأولوية لعمل البعثات ، وفى نقد لأحد الأعضاء، قال : يجب أن يتعلم المبشر ون كيف يتخلون عن الدعوى ، فى مقابل تكوين قساوسة وطنيين ، فى شرق أفريقية بصفة خاصة يجب أن تتحمل الإهانة ، لأن الأداء – الحازم للمواطنيين دائما أكثر قيمة من الأداء الحسن للمبشر الأجنبى ([2]) ، وبعد الحرب العالمية الأولى تم قلب عمل البعثات الألمانية ، أذْ انتهت الحرب بهزيمة الألمان واستيلاء الإنجليز على شرق أفريقية الألمانية ، فالحرب بين القوات فى أوروبا كانت أيضا حربا فى المستعمرات بين هذه القوات ففى شرق أفريقية تم اشهر السلاح بين كل من الألمان والانجليز والغالبية العظمي للجيش من الافراد كانت من الأفريقيين ، كان هدف كل جيش هو حماية حدوده الخاصة ومستعمراته في أفريقية ، ولقد تحقق النصر للانجليز بمساعدة الجيش البلجيكى ، ورغم أنهم فى الحقيقة لم يهزموا الجيش الألمانى الذى كان بقيادة عسكرى فطن وقوى وهو فوربك VORBECK ، ولكن قاموا بغزو شرق أفريقية الألمانى وذلك بعد سلسلة من المعارك الحربية ،

([1]) عبد الجليل ريفا : مرجع سابق ، ص ٦٤.

([2]) **Marcia , Wright., : German Missions in Tanganyika 1891-1941 Oxford 1971 P. 1 23 .**

وأصبح المبشرون الألمان إما أن يتم أسرهم كأسرى حرب أو أن يتركوا البلد، وفى عام ١٩١٨م انتهت الحرب ، وكان القائد فوريك لايزال يقود قوة مكونة من حوالى ٤١٠٥٦ أفريقى و ١٥٥ أوروبى وقد استسلموا جميعا للإنجليز ، ولم تعد شرق أفريقية الألمانية بعد تابعة لألمانيا ، وحتى عام ١٩٢٥م فان الجمعيات التى كانت تخدم مع المبشرين الألمان تم تركها بدون عناية أو اهتمام .(١)

---

(1)**Tom Kigging : Op. Cit. , P. 81.**

الفصل الخامس

حركات المقاومة والجهاد الإسلامى

ضد التحالف الإستعماري الصليبى.

أ- الجهاد الإسلامى وطرد المنصرين من أوغندا.

ب- موقف العلماء والدعاة فى الساحل وزنجبارمن الغزو التنصير فى المجتمعات العربية الاسلامية.

(أ) الجهاد الاسلامى وطرد المنصرين من أوغندا :

تقع أوغندا وسط أفريقية الاستوائية ، وإن كانت من الناحية الجغرافية تعتبر جزءاً من أفريقية الشرقية التى تضم كينيا وتنزانيا ويطلق الجغرافيون على المنطقة التى تشغلها بلادُ أوغندا سقف أفريقية ، وهى الهضبة العالية التى تتوسط بحيرة فيكتوريا ، وتحيط بها بحيرات كيفو ، وأدوارد ، وألبرت ، ورودلف وترتفع هذه الهضبة ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، وأوغندا فريدة فى موقعها فهى تشغل منطقة البحيرات العظمى التى تغذى نهر النيل.

ويمكن تقسيم أوغندا إلى قطاعين كبيرين فأكبرهما بوغندا التى تشتمل على بحيرة فيكتوريا ، ونيانزا ، ومينجو ، وماسكا ، وموبوندى ، وهذا القطاع أكثر ثروة وتقدماً ، وأرضه خصبة ودائمة الخضرة ، ولايوجد فيها جفاف صيفا وشتاء ، فهى كثيرة الأمطار كثيرة الأنهار ، وبها خزان جنجا الرائع بشلالاته الهادرة بالمياه دائماً وأبداً ، أما القطاع الثانى فهو يوغندا ، الذى ينقسم إلىَ جنوبي وشمالي وغربي ، حيث يكثر تعداد المسيحيين والوثنيين ، وفى هذا القطاع عدة قبائل أفريقية ، نزح بعضها من الدول المجاورة ، ولهذا لم يبلغ الترابط والتلاحم بينها قدر مايربط بين سلطان القطاع الأول بوغندا([1]).

وبقيت أوغندا حتى القرن الثالث عشر الميلادى موئلا للقبائل الوثنية ، ولم يكن الإسلام قد وصل إليها ليأخذ بيد أبنائها نحو الحضارة والمدنية الا فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، عن طريق بعض التجار العرب

([1]) محمد أحمد الحداد : مسيرة الاسلام فى أوغندا ، فى جريدة أخبار العالم الاسلامي ، فى عدد رقم ٢٣٧ ، بتاريخ ١٣٩١/٥/٢٦ الصفحة السابعة .

المسلمين الوافدين من ناحية الشرق ، ووجدوا المنطقة أرضا بكراً لم تطأها بعد أية أفكار من الخارج ، وكان المسلمون قد عرفوا في أهل أوغندا حبهم الشديد للحرية ، وتسكهم الكبير بالوحدة ، فأكبر التجار المسلمون هذه الظاهرة، وسعوا إلى كسب ثقتهم عن طريق تحويلهم إلى الاسلام . ([1])

إن سكان المناطق التى تُعْرف حاليا باسم أوغندا يتكونون من البانتو والنيليين ، ورغم من أصل حامى ، وقد امتزجت هذه الشعوب بنسب مختلفة مع الزنووج الأصليين ، الذين ربما يكونون قد جاءوا من آسيا قبل آلاف السنين ، كما أن جماعات من الحاميين من الجنس القوقازي ربما تكون قد دخلت قارة أفريقية فى تاريخ لاحق متأخر كثيراً عن دخول الزنوج الأصليين، وكان دخول هؤلاء الحاميين من الباب الشمالي الشرقي ، الذى تقف عنده مصر اليوم ، وكان الغرض من هجرات هؤلاء الحاميين البحث عن أرض جديدة للمراعي ، من أجل ماشيتهم الطويلة القرون ، ومن المحتمل أن تكون المجموعة الأخيرة من هؤلاء قد وصلت إلى وسط أفريقية من أرض الحبشة ، فوصلت إلى الأرض العالية بين بحيرتى أدوارد وتنجانيقا فى أواخر القرن السادس عشر ، ومن هذا المركز بدأ هؤلاء الحاميون أو الباهيما على مايقال أظهر لهم عادة الذين جاءوا فى مؤخرة قافلة الهجرات ، باحثين عن أراضى جديدة للكلا ، وفي انتشارهم هذا أعطاهم تنظيمهم وماتوافر لهم من معرفة أفضلية على الجماعات الموجودة من المزارعين ، وجاءت إلى الوجود ممالك رواندا ، وأوروندى ، وكاراجوى ، وأتكولى ، وإلى أبعد من هذا

([1]) محمد عطوة : المسلمون فى أوغندا يواجهون الفقر والتبشير والصهيونية ، مجلة الفكر الاسلامى ، شعبان ١٤٠٥هـ ، ص ٥٢ .

للشمال قامت مملكة قديمة تدعى كيتارا ، هذه النقاط دفعت فى اتجاه الشرق إلى ماصار بوجندة فيما بعد (١) .

ولقد وصل الإسلام إلى المنطقة بطرق متعددة ، كان منها وصول المسلمين من التجار العرب والسواحليين المسلمين ، من شرق أفريقية أيام الدول الاسلامية ، التى قامت بتلك المنطقة فى عهد النبهانيين ودولة بوسعيد ، وظل هؤلاء التجار يترددن في رحلات تجارية بين ساحل شرقي أفريقية وأوغندا ، واستوطن العديد منهم بقاعا مختلفة في أوغندا ونشروا الإسلام حيثما أقاموا ، واعتنق الإسلام على أيديهم العديد من الأوغنديين (٢) .

وتجمع المصادر على دخول العرب المسلمين من الساحل الشرقى إلى أوغندا فى أيام الملك سونا الثانى ، الذى حكم من عام ١٨٢٥م -١٨٥٦م ، ويرى البعض أن الاسلام دخل إلى أوغنجا عام ١٨٤٤م إذ إن الشيخ أحمد بن إبراهيم (٣) وقف فى مجلس الملك سونا وتحدث عن دور العبادة ، وبشر بالاسلام ، ومن ذلك الحين أخذ العرب السواحليون تعليم الملك سونا القرآن ، حتى حفظ أربعة أجزاء منه عند وفاته (٤) .

وفى عام ١٨٣٠م أنشأت الجماعات العربية التى استقرت فى الداخل مركزاً تجارياً هاماً لمع فيه سنان بن عامر الذى يعد أول عربي يصل إلى

---

(١) محمد عبد الفتاح ابراهيم : أفريقية منة مصب الكونغو إلى منابع النيل فى هضبة البحيرات ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٧٣.

(٢) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص ١٣٢.

(٣) لس الام احمد ما أصاب المسلمين من ضعف ورأى تفرق كلمتهم والنزاع السائد على السلطة فى هرر وسيطرة الاحباش على المناطق الاسلامية ، فنذر نفسه لاصلاح احوال المسلمين ونشر الاسلام في كافة ارجاء شرق افريقيا .

(4) **Abdou B, Kasazi : The spead of Islam in uganda, Nairobi 1986, P. 113.**

أوغنده (١) وبعد ذلك امتدَ النشاط العربى إلى بحيرة تنجانيقا حيث نجح العرب فى تأسيس مركز تجاري في أوجيجي ، وقد اعترف كثير من الرواد الأوروبيين من رحالة ومبشرين ومستكشفين بأن العرب كانوا عنصراً هاماً من العناصر التى حملت لواء الحضارة فى وسط أفريقية ، ومن أولئم الباحثين الذين نوهوا بدور العرب الحضارى فى أفريقية يمكن أن نذكر جيروم بيكر BECKER بوردو ، وقد ذكر الأخير الجهود الزراعية التى قام بها العرب ، ونجاحهم فى إحلاب الأمن محل الفوضى والاضطراب ، وأن كثيراً من قبائل البانتو قنعت بالعيش فى سلام حول المراكز التى أنشأها العرب وتحت حمايتهم (٢) .

وكان للمسلمين نشاط كبير فى أوغندا ، إذ ألتقى العرب بسكان يوجندا الزاهرة ، حول شواطئ بحيرة فيكتوريا ، وكانت أقصى المستقرات العربية شمالاً فى مدينة كافورو KAFURO فى مقاطعة كاراجوى ، ثم بدأ التجار من المسلمين بتجاوزونها واستطاعوا بمساعدة ملك أوغندا أنْ يحولوا كثيراً من الأهالى إلى الإسلام (٣) .

وقد أدركت بريطانيا تماماً أنَّ انتشار الإسلام بين شعوب أفريقية الزنجية يخلف أثاراً بعيدة ، فإن الإسلام لم يترك أثراً عميقاً فى التركيب العرقى لهذه الشعوب الزنجية فحسب ، بل إنه جاء بحضارة أتاحت لتلك الشعوب طابعاً حضارياً متميزاً ، مازال واضحا حتى اليوم ، مؤثرا فى نظمهم السياسية والاجتماعية ، ذلك لأن الإسلام حمل الحضارة إلى القبائل

(1) **March, Z., : East Africa throug Contemporary Records , PP. 116-117.**

(2) **Coupland : Op. Cit., P. 307.**

(٣) عبد الله نجيب محمد : دراسات فى الادب السواحيلى ، ص ٨٨.

المتوحشة، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبا متحالفة ، فقد وسع من أفقيها ، ورفع مستوى حياتها بحلق مستوىً اجتماعى أرقىَ بكثير من بعض الشعوب الأخرى المتمدنة ، وعلى هذا الاساس خططت بريطانيا التى كانت تعمل جاهدة على أن تربط أوغندا بالنصف الجنوبى من سودان وادي النيل ،فاعتبرت المنطقة أرضا مقفلة لايدخلها إلا من ترضى عنه ، وشقت الطرق من جوبا، إلى الجنوب دون أن يوجد طريق واحد يربطها بالعاصمة الأم فى الخرطوم ، ووجهت الجنوبيين ممن أتموا تعليمهم فى مدارس الإرساليات إلى جامعة ماكريري فى كمبالا ، بدلاً من أن توجههم إلى جامعة الخرطوم بالسودان ([1]).

وبالنسبة إلى الأوضاع الدينية السائدة فى أوغندا فإنه يمكن القول بأن منطقة بوغندا تدين أغلبية مقاطعاتها بالدين الإسلامى ، وكلهم على المذهب الشافعى ، أما فى الشمال والجنوب فان نسبة كبيرة من هؤلاء السكان مازال على الوثنية الأفريقية جين أبائهم الأقدمين ، وقد تمكن الأوربيون المنصرون أن يجذبوا عدداً من هؤلاء الوثنيين إلى الديانة النصرانية ، ومما يلاحظ أن المسلمين هناك بصورة عامة أكثر حرصا على تعاليم دينهم من بقية مواطنيهم، ولاسيما المتنصرون من هؤلاء المواطنين الذين يكادون لايفهمون من النصرانية إلاّ أن يتخذوا لأنفسهم الأسماء المسيحية ([2]).

وأقام العرب فى أوغندا عدة مراكز تجارية يرجع سبب إنشائها أساسا إلى صعوبة الانتقال في مواسم المطر ، الأمر الذى اضطر هؤلاء التجار

([1]) محمد أحمد الحداد : مسيرة الاسلام فى أوغندا ، فى جريدة أخبار العالم الاسلامى ، فى عدد رقم ٢٣٥ بتاريخ ١٣٩١/٥/١٢هـ الصفحة السابعة .

([2]) محمد أحمد الحداد : المرجع السابق العدد ٢٣٧ بتاريخ ٣٩١/٥/٢٦ هـ الصفحة السابعة .

العرب إلى البقاء عدة شهور فى تلك الجهات ، لذلك أعدوا لأنفسهم المنـازل ، كما أنشأوا مخازن لحفظ السلع ، وكان لإقامة العرب بين المواطنين الأوغنديين أثر واضح لاينكر في حياة القبائل هناك ، وقد تعاقب قدوم التجار العر إلى مملكة أوغندا لازدياد الطلب على الملابس القطنية التى اجتذبت ملوك وأهالى أوغندا ، وكان ترحيب الملك سونا SUUNE كاباكسا بالتجار كبيرا بالتجار كبيرا (١).

وفى عام ١٨٤٤م وصل الشيخ أحمد بن إبراهيم إلى حاشية الملك سونا ، ولقد زار يوغندا ثلاث مرات قبل موته (٢) ، وفى خلال إقامته فى قصر الملك سونا ، احتج الشيخ أحمد ووجه اللوم للملك بشدة ، لاعدام الرعية بدون مبرر ، ويبدو أن الملك سونا اعترف للعرب بأن البطش الذى يفرضه على رعيته هو مبدوه ووسيلته للتحكم فيهم ، وعلى أي حالٍ فان ذلك أعطى ونا بعض الدرو المبدئية عن الاسلام (٣) .

وقد تحدث البعض عن احتمال تقديم العرب لقواعد الاسلام الى الملك سونا رغم ان اهتمام الملك يظهر أكثر فى التجارة التى تبادلها معهم ، ولم تكن العلاقة بين الملك سونا والمسلمين حسنه ، ولكن فى عام ١٨٥٢م اتخذ الملك سونا من عيسى بن حسين وهو جندى كان يخدم فى قصر سلطان زنجبار حارسا له ، وفى هذه المدة عرف الناس الاسلام من خلال التجارة(٤).

---

(1) **Wallis, H.R., : The Hand bool of Uganda, London, 1920, P. 8 .**

(2) **Gray : Trading Expeditions from the Coat, Dar,es. Salaam 1957, P.49.**

(3) **David Kavulu : The Uganda Martyrs , Uganda 1969, P. 11.**

(4) **Merrick , Posnansky and athers : Op. Cit., P. 6 .**

وبعد موت الملك سونا فى عام ١٨٥٦ م أصاب التدهور تجارة العرب ، ولكن المسلمين رؤوا يتوددون إلى الملك متيسا الذى خلف والدة سونا ، فراحت تجارة العرب ، وأخذ الملك معلومات صحيحة عن العقيدة الاسلامية ، وتم تكوين صداقة بين سلطان زنجبار والملك متيسا ، وتبادلا الهدايا بينهما ولقد تعلم متيسا اللغة العربية فى مدرسة عربية كان يدبرها رجل مسلم يدعى المولى بن سليم ، وفى عهده اعتنق الكثيرون الاسلام (١) .

ويعتبر متيسا الحاكم الثلاثين لأوغندا ، وهو من السلالة الملكية التى بدأت في حوالي القرن الخامس عشر ، عندما اتجهت مجموعات من الحاميين نحو الجنوب الغربي فى منطقة البحيرات العظمى (٢) ، ويمكن الوقوف على بعض ملامح من شخية متيسا مما ذكره بعض الكتاب ، إذ يقول تيلور TAYLOR إن متيسا كان مصدرا ومحورَ كل نشاط وحيوية فى مملكته ، وقد وفه الرحالة سبيك SPEKE بهذه العبارة " تعتبر أوغندا ممثلة فى متيسا ، ولايمكن لأحد معارضته " (٣) .

ووصفه لوجارد LUGARD بأن متيسا كان طاغية قاسي القلب ، فاضت الأرض بالدماء فى عهده ، وكان الإعدام الفورى هو العقوبة لأي أخطاء يسيره .

أما أوليفر OLIVER فيقول ، إن متيسا كان ملكا غيورا بحكم دولة إقطاعية ، وكانت جميع السلطان متمركزة فى يديه ، لذلكك لم يكن فى

(1) **Merrick , Posnansky and athers : Op. Cit., P. 7**

(2) **Taylor John, v, : The Groth of the Church in Bugands , London 1958, PP, 19-20.**

(3) **Lugard , : The Rie of our Eat African Empire, vol, II , London 1893,P, 5.**

الإمكان إنشاء مناطق تبشيرية أو مدارس داخلية منتظمة فى مملكته ، أو حتى فى الولايات المجاورة الخاضعة لنفوذه بدون تصريح منه ، وذلك لسهولة وصول جيشه أو زوارقه الحربية إلى هذه المناطق ([1])

ويعتبر سبيك اول أوربي يصل إلى أوغندا سنة ١٨٦٢م وتبعه الكولونيل شابيه لونج CHAILLE LONG ، ولينان دي بلفون LINANT DE BELLE FOND ، وقد أرسل غوردون GORDON لما تولى حكم المديرية الاتوائية أمين باشا على رأس فرقة من الجنود إلى عاصمة متيسا ، وعكروا لمدة قيرة تنفيذاً لرغبة الحكومة الخديوية فى إمتداد الحكم المصرى إلى أوغنده ، ومع ذلك فإن أمين باشا اقترح على متيسا معاهدة يعترف فيها باستقلاله وأنسحب من أوغندا ([2]) .

ويشرح أوليفر أسباب انسحاب أمين باشا من أوغندا ويعزو إخفاق غوردون في ضم أوغندا إلى السودان المرى إلى الاسباب الاتية :-

(١) سلوك لبنان دى بلفون غير المتبصر فى أوغندا .

(٢) خوف ميتسا من نتائج التحالف مع مر ضد عدوه الملك كابريجا KABAREGA ملك أوينورو ([3]).

ولانعلم مدى صحة هذا القول ، ولكن المعروف والثابت أن النفوذ المصرى في أوغندا كان قوياً لدرجة ان الملك ميتا أرسل ابنته إلى مر عام

([1]) Oliver , R., : The Missonary Factor , pp. 73-74.

([2]) Lugard, D., : Op. Cit., vol II ., P.3.

([3]) Oliver, R. , and Mathew : Op. Cit., vol I. P. 342

١٨٧٤م وبقيت بها ثمانية أعوام ، وكان فى نية الخديو اسماعيل تزويجها من أحد الضباط المصريين الذى كان سيمثل الخديو لدى بلاط ميتسا ([١]) .

ولما وصل ستانلى إلى بلاط ملك أوغندة " متيا " قادما من زنجبار فى أبريل ١٨٧٥م أبلغه بوجود دول فى أوروبا أعظم من مصر بكثير ، وأقنعه باعتناق المسيحية وأسرع بالكتابة إلى الهيئات التبشيرية فى أوروبا بطلب إيفاد مبشرين ([٢]).

إنَّ فكرة دعوة مبشرين أوروبيين إلى أوغندا من جانب ستانلى لم تكن فكرة مبتكرة ، فقد سبق أن دعاة سبيك إلى إرسال مبشرين بريطانيين إلى هذه المملكة ، ولكن الجديد في الأمر أن الدعوة التى وجهها ستانلى إلى المبشرين الإنجليز بالذهاب إلى أوغندا ، كانت تستحوذ على رضا متيسا وموافقته ([٣]) ، وكان ستانلى موفداً من قبل جريدتى نيويورك هيرالدNew York Merald والد يلى تلجراف اللندنية Telegraph London Daily وقد لك الطريق المعروف من الساحل إلى أوغندا [٤]وهنا يمكن أن يثار تاؤل عن أباب قبول متيسا اقتراح ستانلى بطلب مزيد من الأوروبيين ، ويجيب على هذا التساؤل عدد من الكتاب سوف أورد فيما يلى بعض هذه الآراء :

يقول انجهام Ingham يبدو أن ستانلى أساء فهم دوافع ميتسا فى موافقته على اقتراحه بالإرسال في طلب مزيد من الأوروبيين ، وأنه من

([١]) محمد سيد محمد : اوغند قبل الحماية البريطانية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الثالث ، السنه الثالثة ١٣٩٧ هـ – ١٣٩٨هـ ، ص ٦٧.

([٢]) محمد سيد محمد : المرجع السابق ، ص ٦٨.

([3]) **Sanderson , E. : Africa in the Nineteenth century , p. 268**

Ingham , K. , : Op. Cit., P. 33

المحتمل انه قبل ذلك يهدف كسب مزيد من المساعدة ضد المصالح المصرية أكثر من الشعور العميق بالوازع الدينى (١).

ويؤكد مارتن MARSH هذه النقطة الأخيرة متفقا بذلك مع رأى لنجهام بأن متيا لم ير فى الميسحية إلهاماً دينياً بقدر إمكانية استخدامها كقوة سياسية ربّما تقدم له سلاحاً جديداً يتعمله ضد التقدم المصرى من الشمال (٢).

ومما سبق ذكره يتضح أنّ عداء متيسا ضد مملكة أونيورو ONYORO هو مادفعه إلى عقد معاهدة صداقة مع أمين باشا اعترف فيها أمين باشا باستقلاله ، ولذلك فلم يكن هناك مجال لأن يشعر بأدنى خطر من مر ، ولذا فاذا كان هدف متيسا كسب مزيد من الماعدة بحضور الأوروبيين إلى مملكته فإنه من الطبيعى أن تكون هذه المساعدة ضد الدولة المعادية له وهى أونيورو ، وفى حقيقة الأمر رأى متيسا فى عرض ستانلى شيئا بديلا عن طلب مساعدة مصر ، إذ لابد وأن يكون تانلي قد ور لمتيسا أنه بقبوله حضور الأوروبيين سيكسب تأييد الدول الأوروبية أيضا ، ولذلك رفض التحالف مع مر .

وأرسل ستانلى خطابا إلى جريدة الديلى تلجراف طالبا فيه نشر دعوته لإرسال المبشرين إلى أوغندة ، وتطوع دى بلفون الذى كان موجودا فى أوغندا فى ذلك الوقت يحمل خطاب ستانلى لتوصيله للندن (٣).

(1) Ingham , : Op . Cit., P, 34.

(2) Marsh,z, and kingsnirth, : Op. Cit. , P. 199 .

(٣) عبد ا لله نجيب محمد : اهداف المسيحية العالية فى افريقية ، مجلة الازهر ، السنة الثامنة والخمسون ، الجزء العاشر ، شوال ١٤٠٦ هـ يونيو ١٩٨٦ ، ص ١٥٣٧ .

وسر الملك متيسا كثيرا وأظهر امتنانه بتقديم الحمالين والطعام لكل من دي بلفون وستانلي عند مغادرتهما لبلاده ، واتّجه بلفون شمالا ولكن هاجه رجال إحدى قبائل الباري BARL وقتلوه وهرب خدمه ، ووصل بعضهم إلى الخرطوم حيث كان غوردون حكمدارا للسودان ، وأخبروه بالقصة فأرسل غوردون بعثة للتفتيش ، ووجدت هذه البعثة جثمان دي بلفون ووجد خطاب ستانلى في حذائه ، وسلم إلى غوردون حيث أرسله إلى لندن (١) ، وظهر خطاب ستانلى في جريدة الديلي تلجراف اللندنية في صباح ١٥ نومبر ١٨٧٥م وأحدث دهشة كبيرة بين الشعب البريطانى ،وذلك لأن هذا الخطاب كان ختلفا اختلافا كبيراً عن الوسائل التى أرسلتها من قبل ، فقد كان ستانلى من رجال الكشف الجغرافى ومراسلاً صحفيا وليس مبشراً(٢) ، وعلى أية حال فقد أثار هذا الخطاب حماس جمعية الكنيسة التنصيرية وأرسلت المبشرين إلى هذه الدولة .

كان نفوذ ستانلى على متيسا قد تمّ نزعه من السلطات الإسلامية ، وذلك بأن ستانلى حذّر الملك من أنّ العرب ربما يقومون بختانه بالقوة ، وربما كانت مكيدة من الرؤساء القدماء الذين كانوا يخافون إذا تمّ ختان الملك فإنهم يجب أن يمروا بنفس الطقوس الدينية ، ولذلك لفقوا بعض الاتّهامات الكاذبة ضد الاسلام (٣) .

وقد وجه ستانلى نداءه إلى المبشرين قائلاً : " ياحبذا لو أتى هنا مبشر تقي ومستمرن ، وياله من حقل ومحصول ناضج لمنجل الحضارة إن متسيا

(1) **Kun, H,K. W., : African Miionary Heroes and heroine, New York , 1917, PP. 131-132**

(2) **Fahs, Sophia, : Uganda's White man of work, Ne York 1913, PP. 3-4**

(3) **Abdu B.Kasozl : Op. Cit., P. 35 .**

سوف يعطيه كلّ شئ يرغب فى الحصول عليه ، بيد أنــه ليس المطلـوب هنـا مجـرد واعـظ ، فـان أسـاقفه بريطـانيـا العظمـى مجتمعين وكـل شـباب الآداب اليونـانية والرومانية فى اكسفورد وكمبردج، لن يحدثوا شيئا بالكلام وحسـب ، مـع شـعب أوغنـدا الذّكـيّ ... إنمـا الرجـل المطلـوب فـي أوغنـدا هـو المعلـم المسـيحى المتمـرن ، الـذي يسـتطيع أن يعلـم أفـراد الشـعب كيـف يصبحـون مسيحيين ، وأن يعالج أمراضـهم ، وأن يبنى المساكن ، إنّ مثل هذا الرجل إذا أمكن العثور عليه فسيبح منقذ أفريقية ، واستطرد ستانلى قائلا: انّنى أتكلم إلـى إرالية الجامعات فى زنجبار والى طائفه الأحرار المتوديين فـى ممباسـا FREE METHOD ISTS ، وإلـى شـعب إنجلـترا الـورع ، هنـا أيهـا السـادة ، فرصتكـم فاغتنموهـا ، إنّ سـكان شـواطئ البحـيرة يدعونكـم ، اسـتجيبوا لمشـاعركم الكريمة([1]) .

وفى الوقت الذى وفد المبشرون الإنجليز إلى أوغنـدا ، كـانت الدعـوة الإسلامية في هذه المملكة الاستوائية تمر بحقبة حرجة من تاريخهـا ، ويمكـن تفسير ذلك بأن الباغندة وعلى رأهم ملكهم متيسـا كـانوا قد بـدأوا يشـكون فـى نوايا تجار زنجبار ، الذّين كانوا رُسل الدعـوة الإسـلامية فـى إقليـم البحـيرات آنـذاك ، ويضـاف إلـى ذلـك أن البـاغندة وهـم بحكـم تقـاليدهم لايختتـون ، إذ امتنعوا عن الختان الذى كان تجـار زنجبـار يصـرون علـى إجرائـه لكـل مـن يعتنق الإسلام من الباغندة الأمر الذى سبب لهم مضايقات شديدة لدرجـة أنهـم صـاروا لايرحبـون بالإسـلام فـرارا مـن الختـان ، وممـا يذكـر أن متيـا حينمـا أعتنق الإسلام كان يعدم كلّ من يرفض الاختتان من رعاياه وذلك بالرغم مـن

([1]) جريدة الديلى تلجراف اللندنية فى ١٥ نوفمبر ١٨٧٥ م رسالة ستانلى .

Stanley on his Journey to victoria nuanza and Circumnavigation of the lake.
فى المتحف البريطانى بلندن .

أنه لم يختتن هو شخصياً ، وقد قيل إنه لهذا السبب أعدم مرة واحدة حوالي مائتى شاب من الباغندة حرقا بالنار (¹) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن المسيحية قد وصلت إلى أوغندا في وقت مناسب جدا.

وتورد فاهس FAHS مناقشة جرت بين متيسا وبين بعض زعمائه للنظر في قبول المسيحية، ويذكر متيسا بأن السبب الرئيسى لقبوله المسيحية هو سلوك بيك وستانلى القويم فى بلده ، وعدم طمعها فى شئ من مملكته ، وذلك بعكس التجار العرب الذين حضروا إلى مملكته من أجل الحصول على العاج والرقيق ، وأرجع متيسا سلوك كلٍّ من الفريقين إلى تعاليم كتبهم السماوية تماماً ، ولذلك فضل - كما تقول فاهس - المسيحية وأعلن نفسه تابعاً لها ، ووعد بأن يبنى كنيسة ، وطلب مدرسين للمسيحية لتعليمه وتعليم شعبه الطريق الصحيح (²) ، " هذا حسب نظر المنصرة فاهس الملء بالحقد والضغينة للاسلام والمسلمين ، والواقع لي كذلك إذْ إن سلوك المسلمين مستمد من تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة التى ليست فيها زيغ أو نقص .

هذا وقبل ذلك كان متيسا قد قبل الإسلام الذى وصل إلى أوغندة عن طريق التجار العرب القادمين للتجارة ، والآن نتساءل عن سبب تحول متيسا عن الاسلام ؟.

يذكر البعض قصة قتل متيسا للمسلمين من أجل عقيدتهم فيقول :

أرسل متيسا الى بعض الباجندة المسلمين أبقارا مذبوحة بطريقة مخالفة للشرع الإسلامى ، فرفضوها ، وعندما سمع متيسا عن رفضهم لهديته لهم اضطرب

(¹)Ashe, R.P., Chronicle of Iganda , London 1894, PP. 64-65

(²)Fah : Op. Cit., PP. 4-18.

هـو وجميـع البـاجندة الذيـن معـه ، وأصـدر علـى الفـور قـرارا بقتـل جميـع المسلمين، وبالتالى تم البحث عن المسلمين فى جميع أنحاء المملكة ، وارتكبت مجزرة لارحمـة فيهـا ([1]) ، وهـذا يفسـر سـهولة قبـول متيسـا للمسـيحية علـى اعتبار أنها بديل للاسلام .

وقد دخل المبشرون حيـاة الواجنـدا منـذ البدايـة بحشـر أنفسـهم ضمـن التركيبه اتلاجتماعية للواجندا ، ليطهروا أنهم أقل غرابة وأكثر ألفه من وجهـه نظر الوطنيين ، فقد بدأ المنصـر ويلسون WILSON هذه العملية باستبدال الخـدم الذين أحضرهم من الساحل يخدم من الواجنـدا ، وأصبـح منزلـه يشـبه منـازل زعمـاء البـاغندا ، ولـم يلبـث أن أصبـح يدعـى لحضـور اجتماعـات الزعمـاء الآخرين ([2]) ، وبذلك أصبح المبشرون متصلين اتّصـالاً وثيقـاً بنخبـةً مختـارةً وباتّبـاع كثـيرين ، والأكـثر مـن هـذا هـو زيـارة البعـض مـن بيـوت الزعمـاء للمبشرين وانجذابهم لتعاليمهم ، وهكذا بدأت المجتمعات المسيحية تزدهر ليـس فقط بين المنتظمين فى الدراسة الدينية بل بين أفراد من أسر الزعمـاء الجـاندا GANDA المشـهورين أيضـا ([3]).

ويبدو أنَّ متيسا كان على وشك أن يبح مسيحيا ، وهذا يعنـى استئصـال الإلام ، ولكـن أمـه الملكـة (نامـا سـولى) NNAMASOLE واختـه (موكاسـا) MUKASA كانتا معارضتين لئلاّ ينساق وراء الديانة والثقافـة الجديـدة ، لأنـهمـا كاننا أقوى شخصيتين فى الدولة بعد الكاباكا ([4])، وقبل أن يقوم الملك بطقـوس

([1]) Ingrams , Harokl : Uganda, A crisis of Nationhood , London 1940, P. 77.

([2]) Taylor, John. : Op. Cit., PP. 38-39.

([3]) Oliver, R., and Mathe , G. : Op. Cit., vol I , P. 349.

([4]) Ibid., P. 348 .

التنصير بالركوع على الارض ركعت موكاسا على ركبته وقالت : لقد سمعت كل شئ قلته في صالح أن تصبح مسيحياً ، وأنت بالكامل على حق ، لكن الناس ممكن أن يتقروا فقط عندما يكونون فى سلام ، وأنت الآن فى منافسة بين الإسلام والكاثوليك والبروتستانت ، وإذا انضمنت إلى إحدى هذه الديانات فإنه لن يوجد سَلامٌ فى البلد (١) ، ولقد تم الأخذ بنصيحة موكاسا ولم يتم شئ من طقوس تنصير الملك .

وقد أصَر متيسا على بقاء المبشرين فى عاصمته وكان لذلك الوضع محاسنه ومساوئه بالنسبة إليهم ، فمن مميزاته أنهم وجدوا أنفسهم فى قلب الحياة البوجندية ، مع قربهم للحاكم وهو أعلى سلطة فى المنطقة التى تدين له بالولاء ، مما ساعد على نجاحهم فى نشر رسالتهم بسهولة أكثَر مما لو تجولوا بين قرى بوجندا ، أماّ لبيات وجودهم في العاصمة فهي أنهم انجذبوا بسرعة إلى الحياة السياسية لمملكة بوجنده ، بسبب تعليمهم العربى ومهارتهم الفّنية ، مما وضعهم فى موقف يجمع بين القوة والخطر ، حتى إنّ نجاحهم فى الأعمال التبشيرية الصّرف سبب انزعاج متيسا ، والسبب فى ذلك هو إخلاص الّذين تلقوا التعاليم المسيحية للمبشرين وإهمالهم لواجباتهم نحو حاكمهم الأصلي ، ومما زاد من حدة هذا الانزعاج تحريض التجار العرب المستمر لمتيسا ضِدّ هؤلاء المبشرين ، وبالرغم من ذلك فقد كان متيسا من القوة حيث يستطيع مواجهة أيّة مشاكل تهدد باثارة المتاعب فى السنوات الأخيرة لحكمه ، وأصبح موقفه غير وديّ نحو المبشرين بدرجة متزايدة إلى الحدّ الذى أخبَر الآباء البيض على الانسحاب إلىَ جَنوب البحيرة(٢).

([1]) **Abdu. B. Kasozi : Op. Cit., P. 37**

([2])**Ingrams , kenneth ., : The Making of Modern Uganda , London 1958. P. 37**

ويقول أيتر APTER إنّه عندما أراد المبشرون توسيع نطاق سلطتهم ونفوذهم أدرك متيا على الفور صحّة التحذيرات العربية ، كما وأن متيسا لاحظ التنافس بين مبشري الكاثوليك الفرنسيين ، وبين البروتستانت الإنجليز مما أربكه وجعله متّرددا فى قبول تعاليم أيّة بعثة ، وقد لاحظ أيضا عدم وجود العلاقات الودية والمحبة بين البعثتين التنصيريتين ([1]) لذلك ففى عام ١٨٨٠م أصدر متيسا قانوناً بجعل الإسلام الديانة الرمية للدولة ، ولكن أعطى أهاليَ باجندا BAGANDA لاختيار أيّ الديانات ، وقد حدث ذلك بعد أن ظهر له ملكان في حلمه وامراه بأن يقول : الله أكبر إذا كان يرغب فى الحصول على عمر طويل وطيب ، وفي بداية عام ١٨٨١م حضر ثلاثة تجار إلى بوجندا BUHANDA معهم العديد من الهدايا للملك وهم حاشد من سرور HASHID NIN SURUR ، وأحمد لمك AHMED LAMK وكمبى مبايا KAMBI MBAYA مما جعلوا متيسا صديقا للعرب ، وبالتالى لديانتهم ([2])، وفى أكتوبر ١٨٨١م حّدد إعلان ولائه للاسلام ، وأخبر العرب فى القصر الملكى بأنه قبل ديانتهم ، وفى عام ١٨٨٢ م قرر المبشرون الكاثوليك تْركَ يوجندت لخوفهم من احتمال اضطهاد المسلمين لهم ، وذلك لزيادة نفوذ الإسلام ([3]).

وقد نشأ عن ارتياب الوطنيين في نوايا الرجل الأبيض والمبشرين بعض الحوادث ، نذكر فيما يلى بعضا منها :

([1]) Apter , D.E., : The Political Kingdom of Uganda, Ne Jersy , 1961,P. 40

([2]) Mackay, A. : Mackay of Uganda by hi sister, London 1890, P. 224.

([3]) Abdu , B. Kasozi , : Op, Cit., P. 38 .

(ب) موقف العلماء والدعاة فى الساحل وزنجبار من الغزوات التنصيرية فى المجتمعـــات العربيـــة الاسلاميـــــــة :

كـان هنـاك استياء متزايد بيـن جميـع مسلمى السـاحل ضـد حمـاس أعضاء جمعية التنصير الكنسية وأنشطتها ، ولم يشعر المسلمون فى بدايـة الأمر بالامتعاض من وجود المبشرين ، حين شرعوا فى العمـل فـى الاربعينـات والخمسينات ، وذلك لأنهم اقتصروا في مستهل الأمر علـى تنصير القبـائل الوثنية التى تعيش فى الداخل ، والعبيد المحررين ، لكنهم وسعوا ، لكنهـم وسعوا مجال نشاطهم منذ قيـام الادارة الاوربيـة علـى السـاحل ، كمـا راحـوا أخيرا يشنون حملة ضارية ضد الاسلام ، واتخذوا من سوق ممباسا مركزا يقومـون فيـه بدعوتهـم علنا لتحويـل المسلمين عـن دينهـم الـى المسـيحية ، وراحت نساء البعثة يزرن منازل أسر المدينة المسلمة بيتا بيتا ، وقام والـى ممباسا بتنبيه القنصل ماثيوز الى أن حماس البعثات التنصيريـة الطائشـة أدى الى خلق شعور عدائى كبير ضد الاوربيين ، وأن العرب يقولون انـه لـولا وجود حكومة أجنبية فى البـلاد لما جـرؤ هـؤلاء القسـس علـى الخطابـة فـى الشوارع العامة ضد مبادئ ديننا . (1)

وأسست بعثة الكنيسة التنصيرية مدينة فريرتاون FRERETOWN التى استخدمت كمستعمرة للعبيد المحررين من جزيرة ممباسا، وتم عودة أحـد المسيحيين من جيريامـا GIRIAMA وهـو KOI ليصبـح مدرسـا لمجموعـة ضخمة من العبيد الهاربين فى فولدويو FULODOYO ، ولكـن عربيـا تسـلل

(1) F.o..107 \51 , Hardinge to Salisbury, 12 April 1896 , No 120.

الى أكواخ العبيد فى عام ١٨٧٦ ، وضرب عنق كـوى وهـو يعتبـر أول مسيحى يتم قتله فى كينيا(١) .

ولم يرضخ العرب فى زنجبار للوضع الذى أملاه عليهم تفوق عدوهـم فى السلاح فتعددت الثـورات ، وتزعـم هـذه الثـورات بعـض الزعمـاء الذيـن ينتسبون الى أسر عربية هـاجرت مـن الجزيـرة العربيـة منـذ سـنوات بعيـدة ، واستقرت بالساحل الافريقى .

ويرجـع جونسـتون Johnston ثـورة القبـائل العربيـة علـى الحكـم البريطـانى لا للرغبـة فـى الاسـتقلال والحيـاة الحـرة الكريمـة ، ومقاومـة المستعمرين ، بل لما أصاب تجار الرقيق العرب وأتباعهم من خسـائر نتيجـة لمقالومة إنجلترا لتجارة الرقيق فى تلك الجهات (٢) .

وحتى إذا سلمنا جدلاً بهذا السبب كدافع لثورة العرب ، فممـا لاشـك فيه أنه ليس هو السبب الأول أو الوحيد ، ولكـن ليـس غريبـا علـى جونسـتون وهو الذى نادى بأن يفتح باب الاستعمار لإنجلترا على مصراعيه ، وقد شـارك هو نفسه فى هذا الميدان بنصيب كبير – أن يظهر إنجلترا للشعوب فـى ثـوب المدافعة عن حق العبيد فى الحريّة ، والعرب الثائرين على حريتهم وحقوقهـم المهضومة فى ثوب المستبديّن الناقمين على تحرير العبيـد ، ومـن المعـروف أنّ بريطـانيا استغلت قضية تحرير العبيد والرغبة فى التأكد من تنفيـذ القوانيـن الصـادرة بذلك لفرض سيطرتها والتدخّل فى شئون البلاد الأخرى ، وتفتيـش السفن والموانئ وغيرها .

---

(1) Prefessor John, Mbiti : Kenya Churches Hand Book, Published by Evangel Pubishing House, Kisumu , Kenya , August 1973, P. 31.

(2) Tohnston , Sir Harry : Britain Across the seas, Africa , London , 1910 , PP . 384-385.

وكان كيرك Kirk القنصل البريطانى فى زنجبار قد أشار الى أن شرق أفريقية أصبحت مغلقة فى وجه أىّ استعمار بسبب تشكك الافريقيين فى نوايا الأوربيين ، وإن مارددة الألمان عن فتح المناطق الداخلية بطريقة سهلة وسليمة باكتساب ثقة المواطنين أصبح غير ذى موضوع ، ولا يوجد الآن غير الشك فى نفوس المواطنين ، وهو النتيجة الوحيدة للاستعمار الألمانى (١) ، ومن الواضح أن كيرك ألقى اللّوم فى ارتياب الأفريقيين فى نوايا الرجل الأبيض على عاتق الاستعمار الألمانى فى المنطقة ، بالرغم من أن وجوده فى زنجبار كان يضفى الحماية على المبشرين الإنجليز فى ممباسا ، مما دفعهم إلى الإشتباك فى صراع مع تجار الرقيق فى تلك المنطقة بالرغم من شرعية هذه التجارة فى ذلك الحين ، مما أثار الشّكّ فى نوايا الرجل الأبيض عموماً باعتبار أنّ ذلك نوع من أنواع السيطرة الأوربية كبداية للإستيلاء على ممتلكات الأفريقيين ، ومما أكد هذا الشك هو توزيع الحكومات الإستعمارية لبعض الاراضي الأفريقية على هذه البعثات ، وبالرغم من استخدامها محطات للبعثات التبشيرية ومدارس ومستشفيات فى خدمة الشعب الأفريقى لم يقلّ شعور الإستياء الذى شعر به الناس خصوصاً عند دخولهم لأراضى البعثات التى كانت من قبل أراضى آبائهم.(٢)

وأعلن سلطان زنجبار أنّ المقاومة الإسلامية تعدّ جزءا من المعارضة العامة ضدّ الأوربيين ، وهى لذلك ضدّ الإستعمار ، وهى تلقى تأييدا من العرب العاملين على طول الساحل ، ١

(1) Coupland, R., :The Exploiation of East Africa, 1865 - 1890 PP . 455-456.
(2) Beetham, T.A Christianity and th New Africa , New York , 1947, P.16.

وفي وسط أفريقية ، الذين قرّروا مقاومة الانتهاجات الأوربية ، ولقد لعب سُلطان زنجبار دور المخطط والقائد لعمليات المقاومة الضخمة فى كل شرق أفريقية .

وقام ماكدونالد Mcdonald بإعطاء تصريح للمسيحين فى بوغندا Buganda بالهجوم على المسلمين الذّين كانوا غير مسلّحين ، فقضوا على الكثيرين منهم ، وهرب الباقي من أجل حياتهم إإلى مناطق مثثل كيزيب Kizib فى تنجانيقا وتورو Toro ، وبوسوجو Busogo ، وانكولي Ankole و بنيورو Bunyoro ، وبوكيدى Bukedi حيث أصبحوا أول دعاة للإسلام ، وقد كان من بينهم بوركودا Burkuda ، ووامالا Wamala وتكونجي Nukonge ، وعبد القادري Abd El Kadiri ، ولوانجا Lwanga وغيرهم من الأبطال المسلمين وكان من الطبيعى أن السياسة التى تقوم على المساس بمشاعر السكان ومصالحهم وإثارتهم بوسائل القمع الشديدة لابُدّ أن تؤدى الى أوخم العواقب ، فشهر الأهالى السلاح فى وجه المنصرين على الساحل ، مما دعا الشركتين المتنافستين الألمانية والانجليزية الى إنهاء التنافس بينهما لمواجهة الخطر الذى بات يُهدد مصالحهما ، ووجد أهالى زنجبار فى شخصية زعيم وطنيّ مسلم من سكان بانجانى Pangani يدعى بشيري قائداً لايعوزه الذكاء والدهاء

فإنّه فى اغسطس ١٨٨٨م قاد بشيرى مقاومة العرب من بانجانى ، ووجدت الشركة الألمانية نفسها تُواجه الثورة ، التّى أدت الى نقص فى الموارد ، وقد تم هجر المزارع بسبب تقدّم الثورة، وقد ساعدت السفن البحرية الحربية البريطانية الألمان فى غلق الساحل ، وأرسلت حكومة ألمانيا قوات كبيرّة لإخماد الثورة ، فقد تم ارسال الكابتن فيسمان Wissman ليتقلد

وظيفة المندوب الإمبراطورى فى إدارة الشركة ، وكان بشيرى يسبب إزعاجاً شديدا بالغارات المتكررة التى كان يشنها من مكان لآخر ، حتى تمّ القبض عليه وإعدامه فى ديسمبر ١٨٨٩م ولكن الثورة

ومن الدُّعاة أيضاً الشيخ علىمحمدعثمان الحداد ، من مواليد ممباسا عام ١٥١٩م ، إذ أخبرنىأنّ الإسلام جاءإلىشرق أفريقية بواسطة العرب الذين أتوا من البحر ، وكان الإنجليزكثيرين فمنهم المنصرون والتجار الذين لعبوا دوراً كبيراً في جذب بعض ضعاف النفوس إذ أغروهم بالمال .

وقد أسس الشيخ علي معهد كسؤني ودارَ العلوم وبعض المساجد فى ممباسا(١) وأيضا الشيخ أمين علىهنادىمن مواليد ممباسا عام ١٩٢٠ ويعمل الآن رئيس الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا ، وقدأخبرنىبأنَّ المنصرين يساعد بعضهم بعضاً ولا ينقصهم أى شىء من المساعدات ويبنون الكنائس والمدارس ليعلّموا النصرانية ، وأيضا المدارس الحكومية تُعلّم المسيحية ، ويقول كان من الصعب علينا جمع الأولاد لأنهم كانوا يفكرون فى مستقبلهم،ومن المدارس التىأسستها جمعيةالاتحادالوطنىلمسلمى كينيامدرسة بهوان الإسلامية الابتدائيةوغيرذلك (٢) .

وأخبرني أنَّ للمنظمات الإسلامية دوراً كبيراً فى المساعدات إذْ إنَّ رابطة العالم الإسلامي عن طريقالإغاثة تشرف على الكليّة الإسلامية ،

(١) اجتمعت بالشيخ على فى مسجد الهداية بجوار منزله فى ممباسا وذلك بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء الموافق ٤ من محرم لعام ١٤٠٩ وذلك اثناء رحلتى العلمية التى قمت بها إلى مناطق شرق أفريقية .

(٢) انظر ملحق رقم (٥)

لإعداد المدرسين فى ممباسا ، وأيضا تكلفت بدفع رواتب المدرسين لمدة ثلاث سنوات(١) .

وأيضا من الدعاة الشيخ احمد عبد الرحمن المليبارى من مواليد مليبارعام ١٩١٠م ، وقد أخبرني بأنَّ أهله حضروا إلى ممباسا ، وهو صغير جدًا ، وكان عمره لا يتجاوز ثلاث سنوات ، وكان لوالده دور كبير فى نشاط الدعوة إلىالله سبحانه وتعالى ، وهو الآن يعمل مديراً لمدرسة الفلاح الإسلامية التى تأسست عام ١٨٩٥ م والتّى تعتبر أقدم مدرسة تأسست فىممباسا ، وهو يقوم بالتدريس فيها وإلقاء الخطب ، وتخرج علىيديه شباب ينشرون الإسلام فىجميع أنحاءشرق أفريقية (٢)

وأيضا من الدعاة الشيخ سليمان عبدالله صالح شقصى ، من مواليد دار السلام عام ١٩١٨ م وقد أخبرنى بأن الإنجليز كذّبوا علىالناس وكانوا يقولون إن العرب سيأخذونكم عبيداً وهم قد شوهوا صورة الإسلام بالنسبة للناس ، مع أنّنا نعرف أن الإنجليز الذين اقتنصوا العبيد من أفريقية أكثر من العرب ، وأيضا هؤلاء الألمان عندما أتوا الىتنجانيقا (تنزانيا حاليّاً) وجدوا أن الاسلام منتشر بين الأفريقيين على أيدى العرب ، فبادروا باتّخاذ الخطوات التالية :-

١) جعلوا الكتابة بالأحرف الألمانية، وعلّموا الأفريقيين الذين اعتنقواالمسيحية كتابة اللغة السواحلية بالحروف اللّاتينية بدلا من العربية .

---

(١) اجتمعت بالشيخ أمين هنادي فىمقر جمعية الاتحاد الوطنىلمسلمي كينيا فىممباسا ، وذلكيوم الاربعاء الموافقالخامس من محرم لعام١٤٠٩ هـ

(٢) اجتمعت بالشيخ احمد المليبارى فى مدرسة الفلاح الإسلامية فىممباسا وذلك يوم الخميس الموافق السادس من محرم لعام ١٤٠٩هـ وذلك أثناء رحلتى العلمية التى قمت بها الى مناطق شرق افريقية .

٢) دربوا مناعتنق المسيحية من الأفارقه بأقصى سرعة لكى يتقلدوا المناصب فى الحكومة .

٣) نشروا الخبر فى أوروبا بأنَّ الإسلام انْتَشَر هناوهناك وأن الإسلام يسيطر على البلاد كُلّها

والنتيجة أنهم بنوا مدارس ومستشفيات وكنائس ، ولا يقبل فيها أحداًإلاَّ إذا اعتنق المسيحية (١)

وفى حي تكوئنغ المواجه لما ليندى تقابلت مع بعض الشيوخ فى منزل الشيخ الشريف علوىمحمد بافقيه وهوشيخ الحيّ ، ومن مواليد تكوئنغ عام ١٩٢٠ وقد أخبرنىأن الحكومة تساعد المنصَّرين ، لأن أعضاء الحكومة ورئيسها يدينون بالمسيحية دينا وعقلاً ، وهو يؤيد الكنائس ويساعدهم بكل شىء ، والحركات والنشاطات الّتى يقوم بها قد انتشرت وقويت فىالبلد ، حتى في الإذاعة والتليفزيون تتضافر جهود الرئيس مع الكنيسة، وأن المسلمين قليلون ، ولا يكفى ماعندهم لبناء منشآت إسلامية من بناء المساجد والمدارس، واقترح الشريف أنَّه لابد أنَّ يتحصل المدرسون بجانب اللّغة العربية علىاللُّغةالإنجليزية لأن يعملوابالطريقة المتبعة فىالتعليم فىالمدارس، ولذلك كان على الاتحاد الوطنى المسلمي كينيا أن ينشأوا كليّة لإعداد المدرسين ، لتعليم المدرسين اللّغتين العربية والإنجليزية (٢) ويدير الكلية الشيخ خميس

---

(١) اجتمعت بالشيخ سليمان شقصى فيجمعية المسلمين بدار السلام فيتنزانيا اثناء الرحلة العلمية التى قمتبها الىمناطق شرق افريقية وذلك يوم الخميس١٣ من محرم ١٤٠٩ هـ

(٢) اجتمعت فيمنزل الشريف علوىبافقيه فيحى تكوئنغ المواجه لماليندى وذلك فى صباح يوم الاحد الموافق التاسعمن محرم لعام ١٤٠٩هـ بمندوب جمعية الاتحاد الوطنيلمسلمى كينيا ، وذلك أثناء رحلتى العلميه التى قمت بها الىمناطق شرق افريقية.

المزروعى ، الذى يعملمديراً لكلية إعداد المدرسين بجمعية الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا، وهومن مواليد ممباسا عام ١٩٣٠ م ، وقدأخبرنى بأنّ جدهم الشيخ الأمين بن على المزروعى كان قاضى القضاة فى كينيا ، وقد توفى عام ١٩٤٥ وكان يدرس فىالمدارس والمساجد ويكتب كتيبات للحديث والفقه ومن كتبه كتاب هداية الأطفال ، وكتاب تفاسير أحاديث الرسول صلىالله عليه وسلم وأخبرنى بأن تكلفة إنشاء كلية إعداد المدرسينتبرع ببنائها خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهدبن عبد العزيز آل سعود من حسابه الخاص وذلك بملغ ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وثلاثة وعشرون أمريكى ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء (١) .

وأيضا من بين الدُّعاة الشسخ عوض مبارك با خميس ، من مواليد ممباسا عام١٩٢٥ م ويعتبر من مؤسسي جمعية شبان الأنصار ، وأخبرنى أنّه كان يدرّس الدّين الاسلامى للتلاميذ ، وذلك لأنه لا يوجد فىالمدارس الحكومية مادة الدين الإسلامى ، لذلك جمعت تلاميذ المسلمين لدراسة الدين الإسلامى ، وكان المسلمون يعيشون أيّامَ الاستعمار قانعين بحياتهم اليومية ، ولا توجد حركة قوية لنشر الدّين في القرن الماضي ، وكانمعظمهم منالبحارة العرب والهنود ، وقد اتّخذ الناسُ السادة للفتاوى وخصوصاً آل باعلوى ، وأكبر مركز لهم فى لامو ومن لامو نشروا الدّين ، وعلّموا الكثيرين فى منطقة الساحل ، وأيضا لهم مركز فى زنجبار وآخر فى جزر القمر ، ومن السادة السيد سعيد بن محمد البيض ، والسيد صالح البدوى ، ومن المدافعين عن الإسلام السيد عمر بن عبدالله من آل الشيخ أبو بكر .

---

(١) اجتمعت بالشيخ خميس المزروعى فى ادارة كلية اعداد المدرسين فى طريق ممباسا – ماليندى وذلك أثناء رحلتىالعلمية التى قمت بها لمناطق شرق افريقية .انظر ملحق الصورة رقم (٦) .

وأضاف الشيخ عوض مبارك با خميس : أننّا نحن نريد أنْ نؤسس إيمانا قويّاً بين الأفارقة ، ولكن كانت هناك سدود قوية تمنعنا مثل تجارة الرقيق ، وفَضْل الإنجليز عليهم لتعليمهم وترتيبتهم ، لذلك بدأنا نقولهم إن الإسلام بريء مما ينسب إليه ، وإن كان بعض العرب قد أساءوا لهم ، وذلك بطريقة فلسفية ، ولانغريهم بالمادّة في سبيل إسلامهم ، وعندما شعرنا أننا قصرنا بالنسبة إلى الشبان المسلمين أسسنا الجمعية ، وهدف شبان الأنصار التنبيه بحال المسلم هنا والتنبية العلمي حتىإن رمز الجمعية " العلم نور وقوة، والتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين أبيض وأسود " وأصدرت الجمعية جريدةلتنبيه حال المسلم وتدريسه الدّين الإسلامي وطبعناعدة كتب باللّغة السواحلية ، وبدأنا بحركة التبليغ وعندما شعرت بنا الحكومة بدأت تُعَادينا ، وأخذت بعضا منّا وأعودعتهم في السجون ، وذلك بعد أن القينا عدّةَ محاضرات في الدّين الاسلامي ، وقد قامت الكنائس بأمر الحكومة بمنعنا (١) .

وأيضا من الدُعاة الشيخي عبد الرحمن محمد بن زاغو من مواليد ممباسا عام ١٩٣٠م ، وهو الآن معلم في متحف ممباسا، وأيضاكاتب في جمعية تعليم القرآن ، ويدرس في مدارس إسلامية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية ، وأيضا كان يدرس في مدرسة التقوى على بعد عشرة كيلو متر من ممباساإلى نيروبي (٢) .

---

(١) اجتمعت بالشيخ عوض باخميس فيمقر جمعية انصار المسلمين في ممباسا يوم السبت الموافق ٨ محرم ١٤٠٩ هـ وقد ساعدني كثيرا تصوير الوثائق المحفوظة دار المحفوظات الحكومية في كينيا بعد أن توسط لي لدى امير ممباسا فجزاه ا لله عنيخير الجزاء

(٢) اجتمعت بالشيخ عبد الرحمن فيقلعة ممباسا في صباح يوم الاثنين الموافق العاشر منمحرم لعام ١٤٠٩هـ .

وأيضا من الدعاة الشيخ عبد السلام على محمد براديبامن عائلة الميمنى ، ومولود فى ممباسا عام ١٩٣٠ م وهو إمام مسجدالميمني ، فى ممباسا ، وأيضا معلم وداعية إلى الله سبحانه وتعالى، وأخبرنىأنَّ جمعية الميمنى بنت المسجد عام ١٨٨٣م وأنَّ جَدّه وَلِدَ فى ممباسا عام ١٨٦٥ ووالده من مواليد عام ١٨٩٠ ، وقد شيَّدُوا هذا المسجد الأثري ولهم مساهمات كبيرة فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وتعقد فى هذا المسجد حلقاتتعليمية لتعليم الأمور الدينية وأيضا فى هذا المسجد قاعة متوسطة الحجم طولهاعشرة أمتار وعرضها خمسة حيث يجتمع الطلبة لاسترجاع دروسهم المدرسية وغيرها بأنفسهم ، وأيضا للأطلاع على الكتب الدينية والتاريخية (١)

ومن العلماء والدُّعاة الأجلاء الشيخ ابو بكر المحضار ، والشيخ محمد عبد القادر ، وعمر حسين ، تلميذ الشيخ محمد عبد القادر الذى ألف كتبا عديدة في فن الصرف والتراجم والسيرة ، ومن مؤلفاته كتاب " نثر الجواهر فىقاعدة الصرف الفاخر" وكتاب " الجوهر النفيس فى باب السيرة ".

وقد استرعىُ انتباهى خصلة فريدة ينبغى ذكرها والإشادة بها هيأنّ العلماء كانوا يتحملون مصاريف الإنفاق على طلابهم الوافدين إليهم ، إذ إن هؤلاء الطلاب قد نفروا من ديارهم إلى طلب العلم ، ففارقوا أهلهم وذويهم بغية أن يسعدوا بقسط وفير من منهل ونبع علم هؤلاء العلماء ، فكان من

(١) اجتمعت بالشيخ عبد السلام بعد صلاة الظهر فى مسجد الميمنى فى ممباسا الذى بنىقبل ١٠٠ مائة عام وذلك يوم الثلاثاء الموافق ١١ محرم ١٤٠٩ هـ وذلك اثناء رحلتى العلمية التىقمتبها الى مناطق شرق افريقية . انظر ملحق الصور رقم (٧)

المكرم الأمثل أن يكون نفقتهم علىعلمائهم ، وأن يجودوا عليهم علما وأنفاقا(١).

وقد حدثنى أحد الدعاة في شرق أفريقية أنّ التحديات الشديدة التىيقوم بها التبشير وقادته ضدّ الاسلام وضدّ المسلمين فىالمنطقة تهدف أساسا إلى تحطيم الرؤية الوطنية ، والشعور الوطني

الذى يترعرع فى ظلّ الاسلام ، فالافريقيون يستيقظون اليوم على إحساس منهم بأن حضارة الممالك الإسلامية الأفريقية ، كانت تفوق بكثير حضارة الإنسان الغربي الأبيض ، فى تلك العصور ، الأمر الذى يعطيهم فخرا وعزة بأنفسهم اذ إن تلك هى الحضارات الأفريقية الحقيقية(٢)

وإذا استعرضنا الأحوال في أوغنده نجد أنه عندماأصبح توجو موبوتو اميراً لجماعةالمسلمين في أوغندا عمل على أنشاء العديد من المدارس القرآنية فى كلّ من كيبي ، ولوكالو ، وكابيجا ، وكيبوني ، وقد أشرف على الأخيرة بنفسه ،وكان يعمل معه بها مجموعة من المعلمين السواحليين ، أشهرهم خليفة بن مبارك ومن تلاميذه بدر كاكنقولوا ، وكانت مهمة هذه المدارس تزويد الطلاب بالتفاصيل الدقيقة للعلوم الدينية والفقه الاسلامى، وقد نجحت في ذلك، وعملت هذه المدارس علىتعميق الثقافة الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام ،عن طريق الشيوخ (الدُّعاة) وكانت أوغندا تَضُمُّ عِدَّة دعاة منهم :

---

(١)- اجتمعت بهؤلاء الشيوخ فى جزيرة لامو وذلك يوم الاثنين الثالث من محرم لعام ١٤٠٩هـ وذلك اثناءرحلتى العلمية التى قمت بها الى مناطق شرق أفريقية

(٢) اجتمعت بالداعية عمرمحمد سعيد الاوسي الامين العاملشباب الاتحادالوطنى لمسلمىكينيا اثناءزيارتى لكلية اعداد المدرسين على طريق مالیندى وذلك فى صباح يوم الاحد الموافق التاسعمن محرم لعام ١٤٠٩ هـ ، وذلك اثناء رحلتىالعلمية التىقمت بها لمناطق شرق افريقية.

الشيخ سويبوزماكولا الذي ولد فى أسرة مسيحية ، ولما طلب العمل التقى بمجموعة من السواحليين أحسنت رفقته ، فقرر عند رجوعه إلى أوغندا اعتناق الإسلام ، لذلك ذهَبَ إلىَ بوتمبالا ليتلقى أول دروس فى العقيدة ، وانتقل بعدذلك إلَى منزل الشيخ موسيل فى كبادندو، ثم سافر إلى تنزانيا حيث تلقى العلم على يد عالم سواحيلي ، يدعى عبدالصمد بن نجم الذى أجازه ، فذاعت سمعته كشيخ إسلامي ، ورشحهاالأمير بدر وكاكنقولوا ليدعو من أجل استقلال أوغندا ، وقدكشف الاستطلاع العام الذى أجري فى أوغنداعام ١٩٥٠م بانه أكثر الشيوخ علما ،وقد بلغ عمره آنذاك ستين عاما ، ولقد تمثل إسهام الشيخ سويبو فىتعميق الثقافة الإسلامية في أوغندا ، وفى تعليم وتخريج عدد من الشيوخ بالإضافة لقيادته للمجتمع الأوغندي ، وتوفى عام ١٩٧٥م .

وهناك أيضا الشيخالحاج محمد عبد الله الذي هاجر إلى مكة ، وقضىبهاعدةسنين ، ثم سافر بعدها إلى مصر ثمإلى الصومال ، وعُيِنَ معلما لعلوم الإسلام ، وفي عام ١٩٠٥ موصلاإلى كينيا في نفس المهمة ، ثم هاجر منها عام ١٩١٠إلى أوغندا حيث أشرف على مهمة التعليم فى بومبو ، موقدأسهم فيهافىبناء مسجد ومدرسة ، وبقي مستقَّرا فىبوميو حتى عام ١٩٣٠ م ثم هاجر منها إلى مدينةأروا بأوغندا ، ولم يكتف بالتعليم فيهافقط بل ساعد فى اعتناق عشرة آلاف أوغندى للاسلام .

وأيضا اشتهر من دعاة الإسلام في أوغندا العديد من الشيوخ ، منهم الشيخ عبد الله الزمكواني ، والشيخ احمد نيسامبو ، والشيخ خليفه بن مبارك والشيخ محمدميانجي ، والشيخ عبد الواحد موسكو ، وقد عمل كلٌ هؤلاء الشيوخ الوطنيون على تقوية وتعميق الثقافة الإسلامية في قلوب المسلمين ،

ولم يكتفوا بمهمة التعليم بل عملوا علىاكتساب أشياعٍ جدد للدّين الاسلامي من خلال البعثات التى أرسلتها زعامة المسلمين فى كبيولي، وأرسل الشيخ يوسف بياكونو علىرأس بعثة للإقليم الشرقي لتدريب المسلمين ، وكسب أنصار جدد للاسلام ، كما أرسل الشيخ موسى بلايند إلى بونيورو لذات الغرض بجانب العديد من الشيوخ الذين أرسلوا لذات الغرض ، منهم الشيخ يوسف بليتيا وآدم بافيراولا وسيريمان دمليرا ، وعبد الله كاننقولو ، وقد كان منهجهم هو الاتصال بالأفراد وإقناعهم باعتناق الإسلام(١) .

إن الجمعيات الإسلامية التى تعمل فيهافى مجال خدمة الإسلام كثيرة ن ولكنّها تلتقي فىالمجلس الأعلي لمسلمي كينيا ، ويَنْحصر أعمالها فى بناء المدارس الأهلية الإسلامية ، وإدارتها وبناء المساجد ، وتعليم أبناء المسلمين فى تلك المدارس الأمور الدينية فقط ، ومن تلك الجمعيات الرئيسية :جمعية الشبان المسلمين ، جمعية الاتحاد الوطنى لمسلمى كينيا ، جمعية تعليم القرآن، جمعية الدّين الإسلامية ، جمعية الدَّعوة الاسلامية ، جمعية الانعاش الإسلامية، جمعية الأنصار الإسلامية .

وجمعيات أخرى كثيرة وكلّ هذه الجمعيات لها مدارسها الخاصة تديرهافى خدمة أبناء المسلمين فى مجال التعليم الدينى واللغةالعربية ، إلاَّ أن هذهالمدارس لا تفي بمتطلبات أبناء المسلمين، كما أنها لا تغطى جميع المناطق المحتاجة إلى المدارس ، لوقاية أبناء المسلمين من شرك الأعداء(٢)

---

(١) اجتمعت بالشيخ عبدالعزيز احد علماء اوغندا فى مسجدالمسلمين فى نيروبى حيث انه قد فر من أوغندا بسبب الاضطهاد، وكان ذلك اثناء رحلتى العلمية التىقمت بها الى مناطق شرق افريقية

(٢) على حافظ ابراهيم :تقرير سبق ذكره ، ص٥ .

ولم ينته دور التطوير للمساجد رغم قلة الإمكانات إلى هذا الحد فحسب ، بل بلغ مستوى بعض المساجد إلى إيواء المبتعثيمن مختلف جهات شرق أفريقية من كينيا وتنزانيا وأوغندا ، وتأمين كل متطلباتهم الممكنة من إعاشتهم وإعداد مكان المبيتلهم ومساعدتهم بالكتب (١) .

إن أول مسجد قام أهله بإيواء وإعاشة المبتعثين وتسهيل سبل التعليم لهم بل وتعليمهم مجّاناً ليعودوا إلىبلادهم دُعَاةً وهُداةً هو مسجد الرياض في جزيرة لامو فى كينيا ، الذى سبق ذكره ، وكما علمنا أن مؤسس هذا المسجد الدّاعية الإسلامي الكبير السيد صالح بن علوى جمل الليل، فى عام ١٣٠٠هـ ومنذ ذلك الوقت وإلى وقتنا هذا لم يخْلُ هذا المسجد من هؤلاءالمبتعثين من مختلف جهات شرق أفريقية وغيرها.

ويعتمد النشاط الإسلاميّ فى تنزانيا اعتماداً كليّاً علىالجهود الخاصة وعلىالمساعدات التى يقدمها بعض المحسنين، والمعروف أن سياسة تنزانيا تجاه الأديان سياسة علمانية إذْ لا تنفق الدولة علىالشئون الدينية مطلقاً سواء أكان الدّين الإسلامي أم غيره ، وعلى المسلمين وغيرهم أن يَحْملوا أعباء رفع مستواهم ، وعلى سبيل المثال تُدار المدارس والكتاتيب الإسلامية في تنزانيابواسطة أفراد وجماعات من المسلمين ، كما تمولمنالتبرعات العامة ومِنْ رسوم دراسية قليلةً يدفعها أولياءالأمور بالإضافة إلى الهبات الّتى يُقدّمها بعض المحسنين .

ومن الجمعيات الإسلاميةالتى تمارس الأعمال الإسلامية فى تنزانيا" ألمجلس المحلي للمساجد بتنزانيا " الذى يعتبر هيئة إسلامية رسميةتمارس

(١) السيد احمد احمد بدوى : مخطوط سبق ذكره

الأعمال الإسلامية في تنزانيا، وقد تأسس المجلس بجهود الشيخ عبود جومبى مونبى رئيس زنجبار ، ويتكون المجلس من لجانٍ وفروعٍ تعاون الأمانةالعامّة للمجلس بمقرها الرئيسى بزنجبار فى كل ولايات تلك المنطقة ، ويتألف أعضاؤه من بعض الشخصيات الإسلامية البارزة التى ترغب فى النهوض بالمسلمين .

ومن الجمعيات الإسلامية أيضا جمعية الشباب المسلم بتانجا فىتنزانيا ، التى تُمارس أنشطتها الإسلامية فى منطقة تانجابصفة خاصة وفىتنزانيا بصفة عامة ، وتتمثل أهداف الجمعية فيما يلى :

- تثقيف الشباب المسلم وتربيته تربية إسلامية .
- إقامة الروابط التكاتفية مع جمعيات ومنظمات الشباب المسلم فى العالم .
- تعزيز التضامن الإسلامى ودعم التعاون في المجالات الاجتماعية والثقافية وفي المجالات الحيوية الأخرى .

ويتألف أعضاء هذه الجمعية من بعض الشباب المسلم الذى غلب عليه التحمس لنشر الإسلام عقيدة وشريعة .

ومن الجمعيات الإسلامية التى تمارس الأعمال الإسلامية فىتنزانيا "جمعية الكُتّاب المسلمين" بتنزانيا ، وهى جمعية إسلامية تقوم بالأعمال الإسلامية في تنزانيا ، وتتمثل أهدافها فيما يلى :

- تأليف وترجمة الكتب الإسلامية .
- نشر التعليم الإسلامى والعربى

وقد درس معظم أعضاء هذه الجمعية عند داعية كبير من باكستان – اسمه مالك ، وهذا الداعية له دور كبير في مجال الدعوة الإسلامية فيتنزانيا، وقد علمت أنّ هناك خطّةً خمسية حيال تنشيط العمل الإسلامى بتنزانيا ، وبتلك الخطّة تستطيع أن تقوم بعملية تنشيط العمل الاسلامىفى تنزانيا وهي كمايلى :

السنـــة الأولي :

- تأسيس مركز دائم للغة العربية والدراسات الإسلامية بدار السلام .
- إقامة مكتبة إسلامية تحتوى علىالكتب الإسلامية والعربية بصفة خاصة وعلىالكتب الأخرى في مختلف ميادين العلم والمعرفة بصفة عامة.
- تخصيص مساعدات مالية لإقامة مشاريع إسلامية فىتنزانيا .

السنة الثانيــة :

- إقامة مطبعة باللُّغتين العربية والإنجليزية .
- تأسيس مركز للأيتام والعجزة ، لرعاية أبناء المسلمين وحمايتهم من التنصير.
- تقديم مساعدات ثقافية للمسلمين في تنزانيا والمتمثلة فىتخصيص منح دراسية.

السنة الثالثـــة :

- بناء مستوصف يقوم بالخدمات الطبية فىتنزانيا .
- افتتاح مركز دائم للغة العربية والدراسات الإسلامية بزنجبار .

السنة الرابعــة :

- تأسيس مركزللأيتام والعجزة فىتنزانيا .
- إقامة ثلاثة مراكز للّغة العربية والدراسات الإسلامية ، وأنيضم كل مركز مكتبة إسلامية .

السنةالخامسة :

- إقامة ثلاثة مستوصفات تقوم بالخدمات الطبيـة ، إذْ يقـام واحـد منهـا فـى زنجبـار، والاثنـان الآخـران يقامـان فـي العاصمـة نظـراً لموقعهمـا الهـام بالنسبة إلى العمل الإسلامي (١).

وإن دور المملكة العربية السعودية فى مواجهة التنصير بصفة خاصة والأفكار المناوئة للإسلام بصفة عامة امتداد طبيعي لانطلاقةالدعوة الإسلامية فى ربوعها ، فقد بعث الرسول محمد صلى اللـه عليـه وسلم فـي مكةوأرسله الله للناس كافة ، يدعوهم إلى التوحيد ويأمرهم بالمعروف ويناهم عـن المنكر ويُحِلِّهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فكـان ممـن آمـن بـه رجـال صدقـوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلـوا تبديـلا فالاسرة المالكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تقـوم على هدي الكتـاب العزيـز والسـنة النبويـة المطهـرة ، فكـان مـن الطبيعـى أنْ تكون لها الريادة فىالعالمينالإسلامى والعربى ، وأن تضطلع بمهام هذه الرّيادة من السعي الجـاد الحثيـث لنشـر الدّعـوة الإسـلامية فـى الافـاق ، والوقـوف بالصمود أمام التحدّيات المعادية لهذه الدّعوة ، وتدعم المملكـة بكـل ثقلها ومـا

(١) تلقيت هذه المعلومات من الشيخ سليمان عبد الله صالح شقصى من دار السلام بتنزانيا ، وذلك أثناء رحلتى العلميةالتىقمت بهاالمناطق شرق أفريقية .

بيَدِها من امكانات فى سبيل مقاومة التبشير وصدّ سمومه التى حاول بثهافى صفوف المعوزين من أبناء المسلمين خاصة فى المناطق المنكوبة بالجفاف أو غيرها .

وهناك دور بارز وفعَّال ونشط للمؤسسات العلميّة في المملكة في نشر الدّعوة ومواجهة التبشير ، فلقد استطاعت كلٌّ من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، أنّ تخرّج أعداداً هائلة من الدعاة أسهمت وتساهم في نشر الدّعوة الاسلامية ، وينبغى الإشادة بما يبذلونه فىسبيل الدعوة من جهود مثمرة وقفت سدامنيعا أمام الغزوات الفكرية ، وجحفل جيوش التنصير على أنه يجب ملاحظة نقطة هامَّةٍ ألا وهي ضرورة انتقاء جماعة متخصصة فى المجال الفكرى ، مزودة بكل الوسائل اللاّزمة لأداء العمل علىالوجه الأكمل كما يجب أن تتنوع هذه الوسائل حسب الظروف المختلفة لمواطن الدعوة ، واحتياجاتها ، وقد حظيت منطقة شرق أفريقية بأعداد وفيرة من هؤلاء الدعاة المتخصصين في شتى فروع المعرفة .

ولا شك أن رابطة العالم الاسلامى ودار الإفتاء والندوة العالمية للشباب الاسلامى ، كلّها أسهمت فى هذا المجالإذ أرسلوا بعض الدعاة إلىكينيا مدرسين أو وعّاظاً فى مختلف المناطق ، وهذه خطوة طيبة تستحق الشكر والثناء ، ولكنَّ الأمر يتطلب أكثر من ذلك بكثر لأنَّ الأجواء المتوفرة حالّياَ تستدعى بذل مجهودات ضخمة للاستفادة منها .

وتوالى ركب الدَّعوة يَجْرِي في كل مكان يتخطي الصعاب المؤلمة ، ولا يعرف الكلَل ويستعذب الرحلات الشاقة بعزائم لا ينالها الملل ، متحملاً العناء في سبيل الدّعوة واستقرارها فكانت النتيجة أن حفظ الله الإسلام فى

تلك الربوع ، وما يجب أن نعلمه ويعلمه دعاة اليوم أنّ أولئك الذين تشهد لهم الملايين المسلمة فيتلك الربوع بالدّعوة وكفاحها وبالعلم وجهاده ، لم يجدوا أمامهم دروبا مُعَبَّدة ، ولا مساكن مضاءة ولاطائرات للنقل أو سيارات ، إنما كان أحدهم يمضىاللّيالِيَ والأيام ماشيا على أقدامه بين مزارع القرى وأنهار الأقاليم ، هكذا كانوا فكان جهادهم بمثابة دعامة للاسلام الذى نشروه بإخلاص، وضحوا بالكثير من الوقت مداومة ومواظبة .

الخاتمة

التحليل والنتائج .

مرّ بنا فى الدراسة السابقة أهميّة الموقع الذى تحتله منطقة شرق أفريقية من الناحية التجارية ، فهى تشرف على البحر الأحمر ذلك المعبر المائى القديم ، ذي الأهمية القصوى لمرور تجارة السلع الشرقية الى مصر والبحر المتوسط ، ثم إلى أوروبا ، وأيضاً إطلالة الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي لأفريقية على المحيط الهندى وهو أحد مسارح التجارة القديمة بين الهند والشرق الأقصى وساحل شرق أفريقية ، جعلها إحدى المناطق التى يطمع فيها المستعمرون .

وساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة بين منطقة الجزيرة العربية وبين ساحل أفريقية الشرقى ، لأن الرياح الموسمية التى تهب على منطقة الممحيط الهندى تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين فى السنة ، ففى فصل الخريف تدفعها الرياح فى اتّجاهٍ جنوبى

غربى ، وفى فصل الربيع تدفعها الرياح الموسمية فى اتجاه شمالى شرقى ، تمكنها من العودة إلى قواعدها فى شبه جزيرة العربى ، ومن المؤكد أنّ العرب كان لهم تأثيرهم الواضح في الساحل الشرقى لأفريقية ، يدلُّ على ذلك أن الإغريق والرومان أطلقوا على هذا الساحل اسم ساحل عزانيا نسبه الى إحدى الممالك العربية القديمة ، وهي مملكة عزان ، الّتى يقال . إنها وجدت فى منطقة مامن جنوب الجزيرة العربية ، في حقبة سابقة لظهور الإسلام ، وظلّ الإتصال التجاري ينمو ويتسع قبل الإسلام بين الجزيرة العربية وبين موانئ الساحل الشرقي ، وساعدت علىَ ذلك الرياح الموسمية التى عرف العرب كيفية الاستفادة منها .

وكان من أبرز الدُّوافع الّتي دفعت العرب إلى المجئ إلى شرق أفريقية هو المنازعات الدينية والسياسية الّتي أخذ يتعرض لها المسلمون

خاصة فى عهد الدولتين الأموية والعباسية ، مما دفع بالعرب إلى الهجرة إلى ساحل شرق أفريقية ، إذ كانوا قد ألفوا من قبل التبادل التجارى مع مدنة وموانئة ،ومما هو جدير بالذكر أنّ الاستقرار العربي في شرق أفريقية حدث بهدؤ ، وبدون اللُّجؤ إلى القوىأو العنف ، وعلى أيَّةِ حال كانت الجماعات العربية المهاجرة من سواحل الجزيرة العربية فى الأحساء واليمن وحضر موت تنقل معها صُوراً من الحضارة العربية إلى شرق أفريقية .

وتشير بعض كتب التاريخ إلي أن الهجرة الّتي نقلت العقيدة الإسلامية بعد الهجرتين الأولى والثانية لصحابة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام إلىالحبشة هى الّتي كانت فى العصر الذى تولي فيه الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذى عرف ببطشه وقسوته ، مما دفع الكثيرين إلى الهجرة إلى جزيرة لامو وتمركزوا فيها ، وأيضا هاجر كثير من العرب العمانيين على إثر الخلاف مع الخليفة الأموئ عبد الملك بن مراوان ، وهؤلاء المهاجرون أقاموا إمارة إسلامية فى لامو الواقعة إلى الشمال من ممباسا ، كما شيَّدُوا عدة مدن على طول الساحل الشرقى لأفريقية ، وقد كان العرب يطلقون على هذه المنطقة فى ذلك الوقت برّ الزنج ، ثم توالت الهجرات واحدة تلو أخرى أسس المهاجرون فيها عدة مدن بعضها اندثر ولا يوجد منها إلا الأثر القليل حيث بقيت تلك الأثار ممثلة فى البيوت المهدّمة تغطيها الغابات الساحلية ، وبعضها مدفونٌ تحت الرّمال ، ومنها ما هو شبه مهجور لا يوجد فيه إلاّ بعض البيوت المهدمة السقوفى .

كما شرحت الدراة الإمارات التى أقيمت على طول الاحل الشرقى لأفريقية الّتى أحت ذات شوكة وشكيمة ، فشيدت العديد من المدن اتداء من مقدشيو شمالاً ، حتى دار السلام جنوبا ، وتعاقبت الدول تلو أخرى ، وبعد

ذلك تأسست سبع إمارات إلامية واحدة منها أسسها جماعة من بين مخزوم المعرزفة باسم أربيني في مرتفعات الحبشة ، وإمارة أوفات ، وإمارة شرفا ، وإمارة هدية ، وإمارة بالي ، وإمارة دارو ، وإمارة دوارو ، وهذه الإمارات كلّها دخلت في صراع مرير مع ملوك الحبشة ، إلى أنْ جاء الإمام أحمد بن إبراهيم وهزم ملوك الحبشة ،ودانت الحبشة كلّها للحكم الإلامي وجعل عاصمة دولته مدينه هرر .

وأوضحت الدراسة أنَّ مسلمي شرق أفريقية كانوا ضمن المخطط الصليبي الذى استهدف القضاء على الإسلام والمسلمين ، خاصَّةً بعد أن وجد الصليبيون الأوروبيون أنَّ انتشار الإسلام أخَذَ في الزدياد على حساب مملكة الحبشة النصرانية التى انحصرت داخل الهضبة إذ أحاط بها الاسلام من جميع الجهات وأصبحت الموانئ التجارية المطلة على البحر الأحمر تابعة للدويلات الإسلامية الواقعة إلى الشرق من الهضبة ..

واستطاعت الدراسة أن تثبت أن ملمى شرق أفريقية فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى تصدوا لعدوين صليبيَّيْن شرشين هما البرتغال ومملكة الحبشة النصرانية ، وقد حدث الأهداف الصليبية المشتركة بينهما ، ووقع على الممالك الاسلامية المحيطة بالحبشة عبء الدفاع من أجل المحافظة على حرية عقيدتهم واستقلالهم ، إذ تعرضت تلك الإمارات الإسلامية فى شرق أفريقية لهجمات صليبية مدمرة من قبل قوات البرتغاليين، الّتى أصبحت فى ذلك الوقت قويَّةً بعد اكتشافها طريق رأس الرجاء الصالح، وتعاونت معها الحبشة فى تلك الحرب المدمرة ، فدمَّر البرتغاليون مدينة زيلع التى كانت فى يوم من الأيام عاصمة لإمارة عدال الإسلامية قبل نقلها إلى هرر ، وأغارت على بربرة ودمرت مدينة لامو ، وباتا ، كما أحرقت مدينة

ممباسا وقد كانت تلك الحروب تدور بين قوتين غير متكافئتين بين البنادق والمدافع من جهة وبين السيوف والرماح والأسهم من جهة أخرى ، وبعد قرنين من الزمن استطاع العثمانيون طرد البرتغاليين من شرق الجزيرة العربية ، ثم تعقبتهم القوة العمانية إلى الساحل الشرقي لأفريقية فقضت على نفوذهمم فى المنطقة ، وبعد ذلك سيطرت على طول الساحل إذْ أعادت للإسلام مجده .

وبرهنت الدراسة على أن بداية الحملات التنصيرية فى شرق أفريقية واكبت بداية الاستعمار الاوروبى لهذه المنطقة ، إذْ كانت الكنائس ، وهيئاتها التنصيرية تمهد الطريق لاستعمار البلدان الأفريقية ، وتحارب العقائد والديانات السائدة فى المنطقة ، وتهئ النفوس للتسليم والاستسلام ، والرضابالأمر الواقع ،وتنفيذاً لهذه الغاية ووصلاً إلى بسط السيطرة على القارة الأفريقية شكلت عدة تنظيمات وهيئات تنصيرية تسعى غى ظاهرها إلىتقديم خدمات إنانية لأهالي المنطقة ، وفى باطنها إلى بث الموم التنصيرية فى نفوسهم ، فالكنائس الأوروبية رغم تباين مذاهبها واعتقادتها إلاّأنها تتحد فى الغايتها المنشودة ألا وهي نشر المسيحية فى المناطق المستعمرة بغية رضوخها للسيطرة الاتعمارية .

كما شرحت الدراسة تغلغل المبشرين الأوروبين فى مقاطعات شرق أفريقية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ومن أولئك المبشرين يمكن أن نذكر الألمانيين كرابف وريبمان اللّذين استقرا في بعض المقاطعات التابعة للطنة زنجبار ويعملان على نشر الميسحية .

وكان المنصرون يقومون خلال جميع رحلاتهم بتوزيع الكتاب المقدس ، بقصد التعرف على رد الفعل لهذا العمل عند المواطنين ، وكان

واحد الأطباء يصاحب كلّ فريق فى هذه الرحلات ، لكي يعطي الرّحلة طابعا طبيا تجنبا لأيّ من الناس أو الحكومات المحليّة ، وكانت معالجة بعض المرضى بمثابة جواز ينتقلون بواطته من منطقة إلى أخرى .

وأكدت الدراسة على مضي المنصرين الفرنسيين فى مزاولة أعمالهم، إذْ لقوا تأييداً وتشجيعاً من الأسقف شارل لافيجرى Lavigerieالذى كان يعمل وقتئذ أقفاً فى الجزائر ، حيث وضع عام ١٨٦٨م الآباء البيض التنصيرى " Societe Notre Dame d'Afriqu" ثم راح يدعوا لشنّ حملة صليبية للقضاء نهائياً على تجارة الرقيق فى وسط أفريقية ، وفى عام ١٨٧٨م أصدر البابا ليو الثالث عشر مرسوماً بإنشاء أسقفتينفى أفريقيةالشرقية ، لتتوليا أعمال التنصي بالعقيدة الكاثوليكية ، وتختص إحداهما بمنطقة بحيرة فيكتوريا الأخرى بمنطقة بحيرة تنجانيقا ، على أنْ تكون هاتان الاسقفيتان تابعتين لأقفية الآباء البيض Les peres Blancs فى الجزائر برئاسة لافيجرى في نهاية ١٨٧٨م وفد إلى زنجبار أولُ فوج من الآباء البيض وكان يتألف من عشرة منصرين .

وعمدت الإرساليات الكاثوليكية بعد ذلك إلى تنسيق جهودها مع البعثات البروتستانتية المتنوعة ، واتخذ هذا التعاون مظاهر شتىً ، كان من بينها توحيد خطط التعامل مع حكومات المستعمرات ، والتأقلم حسب الظروف والأحوال ، فكانت الإرساليات المختلفة تتعامل ماليّا مع تلك الحكومات معاملة موحدة ، وهي فى وضع برامج التعليم فى مدارسها تقرر مناهج تتضمن مواد دراية متقاربة .

ولقد كان من نتائج هذا الشعور بالمصلحة المشتركة والخطر المشترك، أن اتفقت كبريات الجمعيات المسئولة عن التنصير مع الفاتيكان

على عقد مؤتمرات تتصيرية عامّة فى أزمان متقاربة ، للتشاور وعرض الجهود ودراسة الأخطاء وتقدير النتائج الخطط ، وسد الثغرات إلى آخر مظهر التعاون المنسق ، وقد كان ذلك يستتبع العمل على أسس علمية دقيقة منظمة ، حتى تستطيع كُلّ إرساليّة أن تقدم صورةً واضحة لأعمالها ونتائج جهودها ، ولهذا فقد حرصت الإرساليات على تدوين إحصائيات منضبطة تبين بالأرقام كل جانب من جوانب نشاطها .

ولاشك أن الإسلام يلتقي التقاءاً مؤاخيا وممازخباً للفطرة الإنسانية المودعة في كلّ إنسان ، وأن هذه الفطرة إذا التقت بالإسلام التقت به التقاء عضويًا لاسبيل إلى انفصالها عنه مادام فى الإنسان نفس يتردد فى صدره، ذلك هو السّرّ الذى تحطمت على صخرته كل قوة غاشمة ، كُلّ دعاية مُضلّلة دون أن يكون بين يديه أو من خلفه جيوش زاحفة أو حملات تبشير غازية ، وإنما كان الإسلام بذاته هو الذى يفتح أوطاناً بأسرها على يد بعض التجار الذين لم يكن من قدهم الدّعوة إلى الدّين ، وإنما كانت تأتى هذه الدعوة عرضا فى حديث عابر ، فاذا هى تسرى بين الناس سرياناالدّماء فى الأحياء .

ولمُ يفْرض الإسلام على الشعوب الوثنية فرضاً ، إنمّا حمله قوم من أهل أفريقية نفسها ، وكان بعضهم تجارّاً أومعلمين ، فلم يكن غريباً أن يلقى قبولاً منهم فهو فى نظرهم دينٌ أفريقي ، يعلمه أفريقيون ، لايستبعدونهم ولا يستذلونهم ، بل أشعروهم بالعزة والكرامة ، ولم يقض الإسلام على نظمهم المحليّة ، إنما أكسبها شكلا جديدا ، وحاول أن يجعلها تنسجم مع التعاليم الإسلامية ، يضاف إلى هذا أن الإسلام عقيدة سمحة ملائمة لطبيعة الأفريقي وبيئته ، فالإسلام بهذا يرفع من شأن الفرد والجماعة ويحّولُ الفرد الى قوة ذاتية ، والجماعة إلى حركة ودأب ونشاط وعمل وعلم وثقافة .

لذلك حاول الأوربييون بشتى الطرق طمْس معالم التأثير العربى الإسلامي ، في مناطق شرق أفريقية ، فحاربوا الإسلام وادّعوا عليه ادعاءات شتّى ، وافتروا على أهله ورموهم بكل منقصة ، ولكن الحقيقة الجليّة لاتطمسها الدّعاية الزائفة ، ويَعْرف الأفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كانوا رُسُلَ حضارة ، تركوا حيث حلُّوا أسواقاً رائجة ، ومهَّدُوا الطريق ، ونظموا أسليب الإدارة والحكم ، وأبتدعوا وسائل للزرع والحصد .

وأوضحت الدراسةأنّ هناك كثيرا من المصادر الأوروبية تعطى للقارئ انطباعاً مؤداه أن النشاط العربى في داخل شرق أفريقية كان يستهدف في الدرجة الأولى عمليات التسلط والاستغلال فضلاً عما كان يتميز به من القسوة ، ولكنّ الدراة المنطقة والموضحة للحقائق تستطيع أن تدفع هذه الاتّهامات جانباً ،ويمكن الرجوع بصدد ذلك إلى كتابات الرحالة والرواد الأروبيين ،الذين وصلوا إلى المناطق التى وصل إليها العرب ،وقد إعترف كثير من أولئك الرواد الأروبيين من رحالة ومبشرين ومستكشفين بأن العرب كانوا عنصراً هاماً من العناصر التى حملت لواء الحضارة إلى أواسط القارة الأفريقية ،فقد نظم التجار العرب قوافل التجارة ،ووصلوا بها إلى مناطق بعيدة ، كما أقاموا مستودعات لخزن بضائعهم ،ولم يحاولوا إخضاع القبائل الأفريقية بالقوة ، أو التسلط عليهم،إنما حرص العرب على توثيق العلاقات التجارية بينهم وبين زعماء القبائل الأفريقية .

وتصدى البحث لبعض المفكرين الغربيين الذين يميلون إلى التقليل من أثر اللغة العربية بإعتبارها لغة تمكنت من خلق رابطة توحد شعوبها تختلف فى ثقافاتها ،إذ ساعدها فى الإنتشار عوامل رئيسية منها : الرغبة الصادقة إلى تفهم القرآن الكريم ،وهجرة فقهاء المسلمين إليهم من الحجاز

لتثقيفهم وتعليمهم ،حتى يفهموا أصول دينهم مثلما كانت الخدمة الطبيــة وسـيلة للتنصير تحظى دوماً بالأولية في مهمات المنصرين ،وقد لعبت الـدور الأكـبر بين أنشطة الإرسالية الإجتماعية ،وكان تقديم مث هذه الخدمة جزءا من الخلق المسيحي ،الذي يدعو لمساعدة النـاس وشـفائهم ،وقـد قـال أحـد الأطبـاء المنصرين عن السبب الذي يدعو الإرسالية لإختيار هذه الوسيلة طريقـاً للتبشير " من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلماً ومداوياً ،وفي الواقع كان طبيباً ،إن مانفعله هو تأثر خطاه " ،إن المداواة في المسـيحية نشـاط دينـي عميق الجذور ،تبدأ مع بداية معجزات المسيح الذي شفى المرضـى ،لكـن فـي الحقيقة أن المسيح لم يكن طبيباً أو مداوياً بالمعنى الذي نألفه في المستشفيات ، فهو لم يستخدم أي نوع من الدواء لشـفاء النـاس ،إن مـا فعلـه المسـيح ى هـذا الميدان هـو القيـام بـالمعجزات ،لذلـك الأولويـة التـي حظـى بهـا هـذا المدخـل والألوب تعتمد على إشباع حاجة الأهالي الملحة إلـى العـلاج الطبـي ،كمـا أن المدخل الطبـي يجـد قبـولاً لـدى العربـي الـذي يحمـل إعجابـاً كبيراً بالخدمــة الطبية، وقد أكد أحد المنصرين على ذلك بقوله : " في الواقع أن لـدى العـرب شغفاً كبيراً بالطب والعلاج الطبي ".

إن الخدمات التي يواجهها المسلمون في منطقـة شـرق أفريقيـة كثيرة ومتشـعبة منهـا : إضطيـاد الشـبان المسـلمين فـي المجـال التعليمــي والحــرف اليدوية التي قد تساعده في معيشته في المستقبل ،وم أجـل تحقيـق ذلـك فتحـت المدارس المتطورة التي تقبل فيها كـل طـالب بـدون إسـتثناء ،لتسـهيل لـه كـل وسائل التعليم والتدريـب المهنـي مقـابل إبعـاده أخلاقيـاً عـن الخلـق الإسـلامي الرفيع ،بدعوى التمـدن والتطـور ،ومـن هنـا يبتعـد هؤلاء عـن قديـم الإسـلام وأخلاقياته السامية ،فتصبـح المحرمـات شـيئاً لاتقشـعر منـه الأبـدان بإرتكابهـا

وربما إعتبرها الكثيرون نوعاً من التمدن والتطور بالإضافة إلى الأعراض عن الواجبات الدينية ،حتى لم يبق من صفات الإسلام إلا الإسم.

وأثبت البحث أن مجال الخدمات التعليمية ليس أكاديمياً فقط ،إذ إن مؤسسات التعليم الكنيسى تحركها دوافع وأهداف تنصيرية ،وفى ذلك يقول أحد القساوسة الذى جاء إلى منطقة شرق أفريقية " بينما كنت مهموماً حزيناً فى دارى على أثر عدم التصريح لى بتنصير المسلمين ،إذ جاءنى رسول يدعونى مستعجلاً من الحاكم العام ،وذهبت والدينا مظلمة أمامى ،وإذا بي ألقى معاملة مذهلة ،فقد قال لي الحاكم العام مبتسماً : لقد صرح لك بإفتتاح مدارس فى الشمال ،ورقص قلبى فرحاً ،وأيقنت أن الله إستجاب لدعائى فما الفرق بين عدم السماح لى بتنصير المسلمين والسماح لى بتعليم أطفالهم " .

لذلك فأنه على الدول الإسلامية والعربية تقع المسئولية والتبعة وذلك بالسعى والبذل لإقامة مدارس على المستويات الحديثة التى تكفل إستيعاب أطفال المسلمين الذين إضطروا بحكم الحياة الحديثة فى مظاهرها أن يتهافتوا على المدارس التنصيرية ،تلك آلتي هيأت لهم سائل الدراسات على مختلف مستوياتها ،فى حين لاتوجد من المدارس الإسلامية الكفيلة بأداء الواجب المظلوب مدرسة واحدة ،مما دفع أناء المسلمين سعياً وراء العلوم الحديثة الحية كما يقولون إلى الدخول فى المدارس المسيحية ،فكانت النتائج سيئة فى كثير من الأوقات ،بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تنكر للاسلام ،لا عن بغض ،وإنما عن جهل ،وقد نما من مقاعد تلك المدارس التى إحتضنتهم فعلمتهم كل شئ إلا الإسلام .

وبرهنت الدراسة على أن هناك إرتباطاً بين الإرساليات المسيحية والمؤسسات الإستعمارية ،إذ أكد أحد المنصرين ذلك بقوله : " نتيجة

للإراليات المسيحية فى عهد الإستعمار فإن الكنيسة المسيحية موجودة في كل ركن من أركان الدنيا ".

ويرى المنصرون أن وجود عملهم وحمايته لم يكن ممكناً بدون مساعدة القوى الإستعمارية،ولم يكن هذا الدعم بدون ثمن ،فقد وجد المبشرين أنفسهم متورطين فى السياسية عن طريق تقديم التفاصيل عن الأوضاع السياسية والإجتماعية وغيرها فى المنطقة " شرق أفريقية " فى تقارير منتظمة إلى السلطات فى بلادهم ،وقد مكن إتصال المبشرين المباشر بأهل البلاد وبزعمائهم من الحصول على معلومات لم تكن القوى الإستعمارية تستطيع الحصول عليها بدونهم.

لذلك لم يكن التبشير لينجح وينتشر فى المجتمعات الإسلامية إلا بمساعدة الحكومات الإستعمارية وما شابهها ،وهذا هو الفرق بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى مثل النصرانية ،فالدعوة الإسلامية إنتشرت فى أغلب البلاد بمجهودات فردية ،أما الدعوة النصرانية فأنها إعتمدت على قوة السلاح فى أغلب الأحيان وقوة المال إذ تحشد طاقات هائلة ومنافع مادية لجلب الأنصار ويدرك النصارى أن دعوتهم بدون هذا لايمكن أن تصل إلى الشعوب وتجد معتنقين جداً ،كما يصرح أحدهم بأن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما فى المسيحية.

وبينت الدراسة أن الألمان كذلك لعبوا دوراً فى الحركة التنصيرية فى إفريقية الشرقية،ومع أن نشاط الألمان إتجه أساساً صوب أفريقية الغربية ولم تؤسس جمعيات التنصير الألمانية مراكز تنصيرية لها فى دار السلام ولامو إلا فى عام ١٨٨٧م ،إلا أنه يجب أن لاننسى أن المنصرين الألمان الثلاثة كرايف ، وربيمان ،وإرهارد ،كانوا بمثابة الرواد الأوائل فى الحركة

التنصيرية فى أفريقية الشرقية ،بغض النظر عن أنهم كانوا يعملون لحساب جمعية الكنيسة البريطانية.

وأوضحت الدراسة أن لحكومة الألمانية وعدت بتخفيف كل الصعوبت والمشاكل الخطرة التى يواجهها البعثات التنصيرية فى شرق أفريقية ،وكذلك لفت نظر قطاعات جديدة من الرأى العام الأوروبى لتأييد عمل البعثات وتقوية عمل البعثات بإعادة تطوير منشآت البعثاث الحالية وبإنشاء جمعيات لبعثات جديدة .

ووجد فى إحد دول شرق أفريقية كت وأشرطة (كاسيت)تحمل هجوماً على الإسلام ، ودعاية للنصرانية ،وتشويها للدين الإسلامى ،وقد وجد أنها تضصدر عن منظمة تسمى مركز الشبية ،وهى منظمة نصرانية سرية مركزها الرئيسى مدينة شورن بألمانيا ،ولها فروع ومراكز فى عدد من الدول العربية والإسلامية تهدف إلى محاربة الإرسلام والتصدى لإنتشاره ،ومن ضمن وسائلها بث البرامج الإنجيلية ونشر الكتب والمنشورات التى تحتوى على الدعاية النصرانية والتهجم على المسلمين ،والتضليل فى اعقيدة والتعاليم الإسلامية .

ولا شك أن أوغندا تحتل مركز القلب من أفرقيقة ،لذلك وقع عليها الإختيار التنصيرى المندفع لتركيز مواقع الأقدام فيها ،وقد أدركت بريطانياً هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خططه دهاقنتها من تثيت كيان قومى يهودى فى أوغندا ،وكلنا يعلم أن التنصير يمارس عمله بوسائلما لقديمة المغرية وهى الدخول إلى نفوس الناس عن طريق أعمال الخيرمن مدارس ومستشفيات.

ولكن شعب أوغنداصمم تصميماً أكيداً رغم الشقاق التى بذرها المستعمر على وضع حد للحكم الإستعمارى وإنهائه ،ورأوا أن يتم ذلك بالجهاد الإسلامى وطرد المنصرين من أوغندا ،وقيام الحركات الثورية التحررية التى ستنتهى حتماً بفوز شعب أوغندا بفضل إصراره وعزمه الأكيد على نيل حريته.

وأثبت البحث أن الإسلام شق طريقه إلى نياسالاند من الساحل الشرقى ،ودخل على أيدى التجار من العرب وحلفائهم الياو Yao الذين جاء أجدادهم من مكان قري من الساحل الشرقى ،حيث كانوا قد إعتنقوا الإلام منذ زمن بعيد ،ويقال إنه من النادر أن نرى الآن عربيا فى نياسالاند ولكن الياو يؤلفون قبيلة من أقوى القبائل الوطنية وينظرون إلى الإسلام على أنه دينهم القومى ، ومع أنه لاتبدو هناك دعوة منظمة فقد إنتشر الإسلام بسرعة فائقة بأن العقد الأول من القرن الشرين وكان إنتشاره بين بعض القبائل التى تعد من أشد القبائل ذكاء فى نياسالاند .

وبينت الدراسة أن الوجود الإسلامى فى الكنغو إرتبط بمجهود أهل زنجبار التى أمتدت على طول ساحل شرق أفرقيقة ،وقد حل المسلمون بلاد الكنغو من أوغندا إلى نياسا ، وكان العرب قدسبقوا الأوربيين فى إرتياد تلك الجهات ،وقد إعترف بذلك ليفنجستون فى رسائله إلى أوربا التى يقول فى بعضها : " كنت أجد أثارهم (أى العرب) أينما أحل ،وكلما حسبت نفسى سرت طريقاً ما سار فيها أحد منهمقبلى وأنا أعبر القارة من بتشوانا لاند خلال صحراء كلهاري ،وبعد سبع سنوات من الإقدام عرفت أن عربياً إسمه سعيد بن حبيب بن سليم اللفيفي طوف ما طوفت من قلبي بشهوورولم تكن تسنده حكومة ولا جماعة ولادولة.

وكان من الطبيعى أن السياسية التى تقوم على المساس بمشاعر السكان ومصالحهم وإثارتهم بوسائل القمع الشديدة ،تؤدىإلى أوخم العواقب ،فشهر الأهالي السلاح فى وجه المنصرين على طول الساحل ،مما دعا الشركتين المتنافستين الألمانية والإنجليزية إلى إنهاء التنافس بينهما لمواجهة الخطر الذى بات يهدد مصالحهما.

وأثبت البحث أن رجال الدعوة لم تضعفهم عن أداء واجبهم الحوادث الشرسة من الدول الإستعمارية ،فأنغمسوا مع الأهالي فى الكفاح وإستمروا فى الدعوة ،وقد إنتشر الإسلام وحضارته ولغته وآداه تدريجباً فى عامة مدن الساحل حتى عم البلاد ،ولما تمكن إنتشار الإسلام فى أوساط الأهالي ظهر فيهم علماء ودعاة إلى الله ولما كان للدعاة خصائل من الخبرة الواسعة بعادات الوثنيين وحياتهم ولغاتهم كان تأثيرهم فهم كبيراً فزاد ذلك فى رغبة الوثنيين فى إعتناق الإسلام ،فقد كانت الدعوة تأخذ بالحسنى ،وعدم المساس بالعادات المألوفة فى مجتمعاتهم القبائلية ،كل ذلك مما حبب إليهم الإسلام.

فالدعوة إلى الدين الإسلامى دعوة تتسم فى أصالتها باليسر والسهولة، وقد رسم لنا حدود نجاحها رب العالمين ،وعلمنا بواسطة نبيه كيف نسير بها وكيف ندعو إليها ،فقد قال تعالى : " ماجعل عليكم فى الدين من حرج " ، وقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر " وقوقله تعالى : "فأتقوا الله ما إستطعتم " ،وقوله تعالى : " لايكلف الله نفساً إلآ وسعها" ، إن هذه وسائل هامة توفرت لدعوتنا ولم تتوفر فى دعوة غيرنا ،والنصوص فى التيسير والتسهيل كثيرة .

إن نجاح الدعوة يعتمد على شخصية الداعية وسلوكه لأن ما يواجه المسلمين اليوم فى أفريقية من أخطار عضها من نفس المنتمين إلى الإسلام

الذين درسوا وتتلمذوا على أيدى وعقول مشبوهه ،فجاءت صور مسخت كل نقاء المسلمين وصفائهم ،لهذا يجب القضاء على هذه الجذور قبل أنْ تمد لإلى أكبر مساحة متوقعة ، ويرتبط هذا كما يقول الداعية الاسلامي فى شرق أفريقية السيد عبد القادر بن أحمد الجفرى ، وهو راى مجمع عليه :

أولا : ببث الوعي الديني والثقافة الإسلامية عن طريق النشر وتوزيع الكتب والنشرات بلُغات القوم السائدة بين شعوب تلك الأقطار من شرق أفريقية حتى تتمكن من فهم دينها .

ثانيا : السعي وراء توظيف دُعاة من أبناء شرق أفريقية ذاتها ، على أن يزود هؤلاء بكل وسائل النشر والتأليف .

ولاشك أن رابطة العالم الإسلامي ينبغي أن يكون الدور الرائد والفعال في مواجهة هذة الحملات التنصيرية الشرسة ، كما لابد أن تقوم هذه المواجهة على أحدث الأساليب المدروسة والمخططة محاولة استقصاء كل أساليب التنصير ووسائله ، لوضع الخطط الوقائية في مواجهتها ولقد بات معروفاً للجميع أنّ مهمة التصدى لنشاط الحركات التنيرية في العالم بصورة عامة وفى منطقة أفريقية بصورة خاصة من الأهداف الرئيسية التّى أنشئت الرابطة من أجلها ، وقد نصّ نظام الرابطة الأساسى على مايفيد هذا المعنى وهو أداء فريضة الله فى تبليغ دعوة الإسلام وترسيخ مبادئها وتعاليمها ودحض الشبهات عنها ، ومجاهد المؤامرات الخطيرة التى يُريد بها أعداء الاسلام فتنة المسلمينعن دينهم ، وتمزيق وحدتهم والنظر فى القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحلّ مشاكلهم .

وأخيراً فان القيام بدراسة شاملة لمشاكل المسلمين أمرٌ تفرضـه علينـا الأخـوة الإسـلامية لأنّ دراسـة المشـاكل مـن أساسـها قـد تفتـح الطريـق أمـام تشخيص لب المشكلة ، حيث يمكن معالجتها على اساس تلك الدراسة ، وبذلك قد نصـل الـى العمـل الموثـر المرجـو لمسـاعدة اخواننـا السـلمين فـى شـرق أفريقية، واذا كانت هناك دول إسلامية تبحث عن تضـامن إسـلامى فـإن مـن واجب الأفراد أيضاً البحـث عـن تضـامن إسـلامى فيمـا بينهـم ، لحمايـة ابنـاء المسلمين من الضيـاع خاصـة فـى مجـال التعليم الدّينـى للمبـادئ الأسـلامية ، وتلقين العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب والرواسب الداخيلـة الّتـى تسـللت إلى الإسلام وهى خارجه عنه ، والإسلام برئ منها ، خاصّةً فى العصر الذى كثر فيه اعداء الإسلام .

وأن ماتحتاجه الشعوب الإسلامية في هذه المنطقـة اليـوم هـو الوعـي الصحيح بدينهـا وقيمهـا الإسـلاميه وتـأكيد انتمائهـا إلـى الأمـة الإسـلامية ذات الحضارة العريقة ، وهناك فرصة عظيمة لتقديم الحقائقعن الاسـلام فـى نطـاق العمل الجاد لاطلاع الشـعوب الإسـلامية والمعـاهد ، وعـن طريـق النـدوات ، العملية ، أو مؤتمرات إقليمية لطرح حقيقة التـاريخ الإسـلامي وحضـارتـه فـى الماضى والحاضر ، وندوات تُقّدم صـوراً حيّـةَ وواقعيـة للاسـلام والمسـلمين وأن تتوفر فيها وسائل حديثه تنقل إلى الكثـيرين عـبر أجهـزة مرئيـة وسـمعية وأن تبذل الجهود فى سبيل نشر الدعوة لحمايـة المسـلمين أوّلاً ، لنقـل الدعـوة إلى مسامع الآخرين بتوفير كافّة الوسائل المتاحة لذلك .

وأخييراً يتبيـن لنـا بعـد هـذا الشـرح التفيلـــي ، أنّــه لـو كــان هـدف الإرساليات التنصيرية هذه دينيا فقط لتعاونت جميعها فى جهد مشـترك لنشـر الميحية ، وأقاموا مملكة مسيحية لنشـر العدل والمسـاواة ، تلـك المبـادئ التـى

جاءوا يدعون الناس إليها وهم أبعد ما يكونون عنها ، ولا شك أنَّ جهل رجال الدّين المسيحي وجمهرة المسيحيين بأصول دينهم وضيق تفكيرهم صرف الأهالي عن الأهالي عن المسيحية إلى الإسلام ، حتَّى إن قبائل مسيحيَّة تحولت الي الإسلام ، وإنْ بقيت أسماءها المسيحية تُدلّ على دينها السابق .

وفوق هذا وذاك فإن سياسة المسيحيين الّتى اتبعوها في اضطهاد مخالفيهم فى الدين أو المذهب ، وإجبار المسلمين على دفع العشور وإجبار الوثنيين على التنصر ، قد يَغّضَ هؤلاء جميعاً في المسيحية ، وجعلهم يتحولون إلى الإسلام اعتصاماً بعدله وسماحته، بل إن المسلمين الذين أجبروا على التنصر ظلُّوا على ولائهم للاسلام ، واستغلوا كل ما أتيح لهم من إمكانيات لنشره .

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المخطوطات :

١) مخطوط عن أوضاع المساجد فى كينيا للشيخ احمد بدوى ويحتوى على عشرين ورقة بت بيد الشيخ احمد فى عام ١٣٠٠هـ وهو محفوظ فى مسجد الرياض بلا مو .

٢) مخطوط عن الرياض بيت ماضيه وحاضره للشيخ صالح محمد على بدوى ويقصد بالرياض أقدم مسجد بني فى جزيرة لامو والذى بناه الشيخ صالح جمل الليل ،ويحتوى المخطوط على خمسة وعشرون ورقة كتبت بيد الشيخ صالح قبل أكثر من ستين عاماً وهو محفوظ فى مسجد الرياض لا مو ،وقد تمكنت بعد البحث والتدقيق من مقابلة الشيخ صالح فى منزله فى جزيرة لا مو وأخذت منه موقف العلماء والدعاية من الغزو التنصيرى فى الساحل.

٣) مخطوط بنوان طي المراحل فى تاريخ السواحل للشيخ محمد شريف لبيض ويحتوى المخطوط على أكثر من ثلاثين ورقة كتبت بيد الشيخ محمد وهو مخفوظ فى أقدم مدرسة فى لامو وهي مدرسة النجاح.

٤) مخطوطة مصورة بالميكرو فيلم عن سيرة الإمام ناصر بن مرشد وتاريخ عمان وهي محفوظة فى المتحف البريطاني بلندن برقم ٣٤٣.

حيث تبين لنا عن تاريخ عمان فى شرق أفريقية ،ومساعدة الأهالي فى إخراج البرتغاليين ودور السلاطين العمانيين فى منطقة شرق أفريقية ،وقد كتبها عبد الله بن خفان بن قيصر بن سليمان.

ثانياً : المصادر العربية :

٥) ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ).

الكامل فى التاريخ ،الجزء الرابع ،الطبعة الثالثة ،١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ـ دار الكتا العربى ـ بيروت ـ لبنان.

٦) البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخارى الجعفي (ت٢٥٦هـ) صحيح البخارى ،الجزء الثالث ،المكتبة الإسلامية ١٩٨١م.

٧) ابن بطوطه : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى المعروف بإبن بطوطة (ت٧٧٩هـ). : تحفة النظار فى غرائ الأمصار وعجائب الإسفار " رحلة ابن بطوطة" ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠م ،دار بيروت ـ بيروت ،لبنان.

٨) ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ،الجزء الأول ،دار بيروت ،لبنان

٩) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، (ت٣١٠هـ) . : تاريخ الرسل والملوك ،الجزء الثانى ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،الطبعة الرابعة ، دار المعارف ،مصر.

١٠) أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف أبو الفداء (ت٧٣٢ هـ). المختصر فى أخبار البشر ،الجزء الثانى ، المطبعة الحسينية بمصر عام ١٢٨٦ هـ

(١١) القلشندى : أحمد بن عبد الله القلشندى (ت ٨٢١ هـ) بح الأعشى فى صناعة الإنشاء ،الجزء الخامس ،طبعة دار الكتب ١٩٣٩م.

(١٢) القنائى : أحمد الحنفى القنائى الجواهر الحسنان فى تاريخ الجبشان القاهرة ١٩٠٣م.

(١٣) المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦ هـ). مروج الذهب ومعادن الجواهر ،الجزء الأول تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،١٩٨٢م دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

(١٤) المقريزى : أحمد بن على بن عبد القادر (٨٣٤ هـ)الألمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام ـ القاهرة ـ ١٨٩٥م .

(١٥) ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ). معجم البلدان ،الجزء الخامس ،بيروت ١٩٨٤م.

ثالثاً : المراجع العربية :

١٦) إبراهيم : محمد عبد الفتاح أفريقية من مصب الكونغو إلى منابع النيل فى هضبة البحيرات. مكتبة الإنجلو المصرية ،المطبعة الفنية ،مارس ١٩٦٨م

١٧) أحمد : حسن مكي محمد التبشير المسيحى فى العامة المثلثة الدار الوطنية للطباعة والنشر ،الخرطوم ،ديسمبر ١٩٨٢م.

١٨) أبو بكـر:علـى الشـيخ أحمـد الدعـوة الإسـلامية المعـاصرة فـى القـرن الإفريقي دار أمين للنشر والتوزيع ،الظبعة الأولى١٤٠٥هـ

١٩) إسحاق : محمد عبد العزيز نهضة أفريقيـة الهيئيـة المصريـة العامـة للتأليف والنشر ،فبراير ١٩٦٤م

٢٠) بكر : سيد عبد المجيد الإقليات المسلمة فـى أفريقيـة الجـزء الثـانى ، سلسـلة دعـوة الحـق ،إدارة الصحافـة برابطـة العـالم الإسـلامي بمكـة المكرمة رمضان ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٢١) بدوى : عبده مع حركة الإسلام فى أفريقية ـ الهئيـة المصريـة العامـة للتأليف والنشر ١٩٧٠، المطبعة الثقافية

٢٢) البهي : محمد الفكمر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ـ بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٧٣م.

٢٣) التميمـي : عبـد الملـك خلـف التبشـير فـى منطقـة الخليـج العربـى منشـورات شـركة كاظمـة للنشـر والتوزيـع ـ الطبعـة الأولـى١٩٨٢م الكويت.

٢٤) ترمنجهام : سبنر الإسلام فى شـرق أفريقيـة ترجمـة : محمـد عـاطف النواوى ،الطبعة الأولى ١٩٧٣م ،المطبعة الفنية.

٢٥) جمعة : إبراهيم قصـة الكتابة العربية ،عدد ٥٣ من سلسلة اقرأ القاهرة بدون تاريخ

٢٦) الجمل : شوقى عطا الله تاريخ إفرقيقـة الحديـث والمعـاصر ـ مكتبـة الإنجلو المصرية ،بدون تاريخ.

٢٧) الجمل : شوقى عطا الله تاريخ كشف أفرقيقة وإستعمارها ـ مكتبة الإنجلو المصرية ،الطبعة الثانية ١٩٨٠م

٢٨) الجمل : شوقى عطا الله ،وعبد الله عبد الرزاق الوثائق التاريخية دراة تحليلية لبعض الوثائق باللغتين الإنجليزية والفرنسية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

٢٩) حوارني : فضلو العرب والملاحة البحرية فى المحيط الهندى القاهرة ١٩٥٨م ترجمة يعقوب بكر .

٣٠) حسن : حسن إبراهيم إنتشار الإسلام فى القارة الإفرقيقة. الطبعة الثانية ١٩٦٣م ـ مكتبة النهضة المصرية

٣١) حماد : حسني أحمد السيد تاريخ الإستعمار البريطانى في كينيا الدار القومية للطباعة والنشر ،١٩٦٧م.

٣٢) حراز : السيد رجب أفريقية الشرقية والإستعمار الأوروبي دار النهضة العربية ـ ١٩٦٨.

٣٣) الحداد : علوى بن طاهر بن عد الله المدخل إلى تاريخ الإلام بالشرق الأقصى دار الفكر الحديث ،١٩٧١م.

٣٤) اللحيدان : صالح الجهاد فى الإسلام بين الطلب والدفاع الرياض ١٩٨٠م.

٣٥) الحداد : محمد أحمد مشهور حقائق تاريخية العرب والإسلام فى أفريقية الشرقية الطبعة الأولى ،١٩٧٣م ،دار الفتح.

٣٦) الحداد : محمد أحمد مشهور أفريقية ين التوحيد والتثليث الطبعة الأولى ،١٩٧٣م.

٣٧) الحويرى : محمود أحمد ساحل شرق أفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى دار المعارف ،الطبعة الأولي ١٩٨٦

٣٨) خلف الله : عبد الغنى عبد الله متقبل أفريقيا السياسى تاريخ شعوب القارة الحديثه وأوجه التطور المحتملة فيه. مؤسسة المطبوعات الحديثة ـ الطبعة لثانية ١٩١٦م

٣٩) خالدى : مطفى خالدى ،وعمر فروخ التبشير والإستعمار فى البلاد العربية بيروت ١٩٨٣م ،الطبعة الثالثة.

٤٠) دياب : أحمد إبراهيم لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث الطبعة الأولى ،الرياض ،١٩٨١م

٤١) رزقانة : إبراهيم العائلة البشرية القاهرة ـ ١٩٥٠م

٤٢) رياض : زاهر إستعمار القارة الإفريقية وإستغلالها دار المعرفة ، الطبعة الأولي ،١٩٦٦م

٤٣) ريفا : عبد الجليل التبشير فى أفريقية المطبعة العسكرية ،الطبعة الأولى ١٩٨٣م

٤٤) رفلة : فيليب الجغرافية الساسية لأفريقية القاهرة ١٩٦٥م

٤٥) ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيد بين تحقيق : عبد المنعم عامر ،القاهرة ،١٩٧٧م

٤٦) زيدان : جورجي تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر الجزء الأول ، القاهرة ،بدون تاريخ .

٤٧) الزبيدى : محمد حسين هجرة العر والمسلمين إلى شرق أفريقية مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون ١٩٨٣م.

٤٨) زكى : عبد الرحمن الإلام والمسلون فى شرق أفريقية مطبعة يوسف بالقاهرة ١٩٦٥م.

٤٩) زغلول : سعد عبد ربه العرب والإفريقيون فى مواجهة الإستعمار الألمانى فى شرق أفريقية القاهرة ١٩٧٧م

٥٠) سرور : محمد جمال الدين النفوذ الفاطمي فى جزيرة العرب القاهرة ١٩٦٤م .

٥١) سعودى : محمد عد الغنى أفريقية ،دراسة في شخصية الأقاليم القاهرة ١٩٧٦م .

٥٢) صفى الدين : صفى الدين محمد أفريقية بين الدول الأوروبية القاهرة ١٩٥٩م .

٥٣) طاهر : أحمد أفريقية ،فصول من الماضى والحاضر دار المعارف ١٩٧٥م .

٥٤) طه : جاد محمد دور بريطانيا وألمانيا فى تفكيك سلطنة زنجبار معهد البحوث والدراسات العربية ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م

٥٥) العدوى : إبراهيم العروبة فى شرق أفريقية مجلة نهضة أفريقية ، العدد١٨، مايو ١٩٥٩م .

٥٦) العمرى : أحمد سويلم الإفريقيون والعرب المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٧م.

٥٧) عاشور : سعيد عبد الفتاح بعض أضواء جديدة على العلاقات ين مصر والحبشة فى العصور الوسطى. مقال فى المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤، عام ١٩٧٧م

٥٨) عابدين : عبد المجيد بين العرب والحبشة ،القاهرة ١٩٤٧م

٥٩) العاني : عبد الرحمن عبد الكريم عمان فى العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها فى المنطقة الشرقية من الخليج العربى وفى الملاحة والتجارية الإسلامية بغداد ـ ١٩٧٧م .

٦٠) عبد الملك الإشتراكية فى تنزانيا دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧م .

٦١) عيسى : محمود خيرى العلاقات العربية الإفريقية دراسة تحليلية فى إبعادها المختلفة دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨م

٦٢) غلاب : محمد السيد تطور الجنس البشرى طبعة رابعة ،مكتبة الإنجلو ١٩٧٠م

٦٣) غيث : فتحى الإسلام والحبشة عبر التاريخ القاهرة ،شركة الطباعة الفنية المتحدة بدون تاريخ.

٦٤) قاسم : جمال زكريا الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الإستعمار معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٥م .

٦٥) قاسم : جمال زكريا الأصول التاريخية للعلاقات العربية لإفريقية مطبعة الجبلاوى ،١٩٧٥م

٦٦) قاسم : جمال زكريا دولة بورسعيد فى عمان وشرق أفريقية " ١٧٤١م - ١٨٦١م " مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧م.

٦٧) قاسم : جمال زكريا استقرار العرب بشرق أفريقية منشور بحوليات أداب عين شمس ،المجلد العاشر ١٩٦٦م.

٦٨) كامل : عبد العزيز قضية كينيا دار القلم - ١٩٦١م

٦٩) محمود : حسن أحمد الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية دار الفكر العربى ،الطبعة الثالثة ١٩٨٦م

٧٠) محمد : عبد الله نجيب دراسات فى الأدب السواحيلي مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة.

٧١) محمد : محمد عوض الشعوب والسلالات الأفريقية القاهرة ١٩٦٥م

٧٢) مالكى : سليمان عبد الغنى سلطنة كلوة الإسلامية دار النهضة العربية ١٩٨٦ ،الطبعة الأولى.

٧٣) مكرم : محمد مختار أمين أضواء حول أفريقية المطبعة الفنية الحديثة تقديم الكتاب القاهرة ١٩٦٥م.

٧٤) النقيرة : محمد عبد الله إنتشار الإسلام فى شرقي أفريقية ومنا هضة الغرب له دار المريخ ١٩٨٢م.

٧٥) يحيى : جلال تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر المكت الجامعى الحديث ١٩٨٤م المطبعة العصرية.

٧٦) يحيى سيد أحمد التنصير فى القرن الإفريقي ومقاومته دار العمير ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٧٧) يونس : محمد عبد المنعم أوغندا بين الإستعمار البريطاني والكفاح الوطنى دا القلم ،بدون تاريخ تقديم الكتاب بتاريخ ١٩٦٠م.

رابعا : مراجع أجنبية مترجمة للغة العربية :

٧٨) أوليفر : رولاند أوليفر ،وجون فيج موجز تاريخ أفريقية ترجمة : دولت أحمد صادق ،الدار المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥.

٧٩) أوليفر : رولاند تاريخ أفريقية ترجمة عقلية محمد رمضان ـ القاهرة ١٩٦٤م.

٨٠) أرنولد : سير توماس وأورنولد الدعوة إلى الإسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ترجمة حسن إبراهيم حسن ،عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٧م.

٨١) بولم : دنيس الحضارات الإفريقية ترجمة على شاهين منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٧٤م.

٨٢) بانيكار : مادهو ثورة أفريقية ترجمة :خيرى حماد دار الطليعة للطباعة ـ بيروت ١٩٦٢م.

٨٣) ترمنجهام : سبنسر الإسلام فى شرق أفريقيـة ترجمـة وتعليـق محمـد عاطف النواوى المطبعة الفنية الحديثة الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

٨٤) جوليان : شال أندريه تاريخ أفريقية ترحمة : طلعت عوضى أباظـة ـ مراجعة : عبد المنعم ماجد ـ القاهرة ١٩٦٨م.

٨٥) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريفيـة الشـرقية نقلـه إلى العربية الأمير يوسف كمال ـ طبعة مصر ١٩٧٢م.

٨٦) دات : ر. بالم أزمة بريطانيا الإستعمارية ترجمة : عادل أحمـد ثـابت مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٦م.

٨٧) دافيدسن : بازل أفريقيـة تحـت أضـواء جديـدة ترجمـة :جمـال محمـد أحمد أديس أبابا ١٩٦١ ،دار الثقافة للطباعة.

٨٨) دافيدسن : بازل أفريقية القديمة تكتشف من جديد ترجمـة نبيـل بـدر ، ومحمود شوقى الكبال القاهرة ،بدون تاريخ.

٨٩) رو : جان بول الإسلام فى الغرب ترجمـة نجـدة هـاجر وسـعيد الغـز بيروت الطعة الأولى ١٩٦٠م.

٩٠) ستودارد : لوثروب حاضر العالم الإسلامي ترجمة : عجاج تويهـض المجلد الثانى الجزء الثالث دار الفكر ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٤م.

٩١) فوتييـه: كلـود أفريقيـة للأفريقيين ترجمـــة :أحمـــد كمـــال يونـــس دار المعارف ١٩٧٨م.

٩٢) لويد : ب . س أفريقية فى عصر التحول الإجتماعى ترجمـة :شـوقى جلال مطابع اليقظه ١٩٦٩م.

٩٣) وديس : جاك ووديس أفريقية على طريق المستقبل ترجمة : أحمد فؤاد بلبع الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣م.

خامساً : الدوريات والتقارير :

٩٤) إبراهيم : على حافظ تقرير عن مشاكل الدعوة وما يواجهه المسلمين فى منطقة كينيا وخاصة فى المناطق النائية رقم التقرير : ت/٩٥/٨٧ التاريخ ٥ / ٨ / ١٤٠٠ هـ من دار الإفتاء والدعوة والإرشاد فى نيروبي .

٩٥) هكذا يعمل المبشرون فى القارة الإفريقية مقال فى جريدة أخبار العالم الإسلامي فى عدد رقم ٥٦٤ وتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٣٩٨ هـ

٩٦) يهتى : محمد أكرم ملخص بالأنشطة التى قامت بها جمعية شبان المسلمين إعداد رئيس الجمعية محمد أكرم بهتى دار السلام - تنزانيا.

٩٧) باجي : محمد أحمد نماذج بين يدى رجال الدعوة جريدة أخبار العالم الإسلامي العدد ٤٠٧ الصفحة السابعة - الإثنين ٢ / ١٢ / ١٣٩٤ هـ

٩٨) بدوى : زكى المبشرون يعلمون الأفارقة جريدة المدينة المنورة ، الثلاثاء ٣ / ٤ / ١٣٩٧ العدد٣٩٣٥ الصفحة ١٢

٩٩) بلعلا : سالم محمد تقرير عام عن أحوال المسلمين فى كينيا مشاكل وحلول أعداد رئيس المجلس الأعلى لمسلمى كينيا ص . ب : ٣٠٠٠٧ نيروبي كينيا.

١٠٠) التركي : عبد الله أفيقيا الإسلام مقال فى جريدة الدعوة العدد ١٩٥.

١٠١) الحداد : محمد أحمد مشهور مسيرة الإسلام فى أوغندا فى جريدة أخبار العالم الإسلامي إعداد ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧،

١٠٢) الحداد : محم أحمد مشهور الدعوة والدعاة فى قارة أفريقية مقال فى جريدة الندوة ليوم الإثنين الموافق ٨ / ٤ /١٣٩٣ هـ.

١٠٣) الحداد : محمد أحمد مشهور حقيقة الأوضاع فى زنجبار قبل وبعد مقتل الطاعية كرومي جريدة أخبار العالم الإسلامي ـ العدد ٢٧٥ الإثنين ١٨ / ٣ /١٣٩٢

١٠٤) الحداد : محمد أحمد مشهور ماذا تعرف عن الإسلام والملمين بدول شرق أفريقية ـ جريدة الندوة ، ١٣ / ٦ / ١٩٨٧ هـ.

١٠٥) الخطيب : عبد الكريم دور الإستعمار والتبشير بين التيارات المعادية للإسلام جريدة عكاظ بجده ،عدد رقم ٤٠٣٣ ،بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٣٩٧ هـ.

١٠٦) سليمان : محى الدين محمد مصيلحى الإستعمار الأوروبي فى كينيا وتطور نظام الحكم فيها ـ ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢م رسالة ماجستير غير منشورة ــ بمعهد الدراسات والبحوث الإفريقية ـ القاهرة ـ جامعة القاهرة.

١٠٧) الشمعة : محمد سمير بين التبشير وواقع المسلمين مجلة البلاغ ، بالكويت ،العدد ٤٥٦ ،بتاريخ ٣ / ٨ / ١٣٩٨ هـ.

١٠٨) شقصى : سليمان عبد الله صالح تقرير عن نشاط جمعية المسلمين فى تنزانيا ومساهمتها فى دفع إنتشار الإسلام.

١٠٩) صالح : عبد الرحمن الإتصالات الأوروبية الأولى بالشرق الإفريقي في مجلة نهضة أفريقية ،العدد ٧٣ السنة السابعة ـ ديسمبر ١٩٦٣م.

١١٠) صالح : على محمد تقرير مكتوب يد الشيخ على محمد صالح مبعوث رابطة العالم الإسلامى فى نيروبي عن المشاكل التى تواجه المسلمين فى كينيا.

١١١) الصيرفى : نوال حمزة يوسف الجهاد الإسلامي فى شرق أفريقية فى القرن العاشر الهجرى رسالة دكتوراه لم تنتشر عد من جامعة أم القرى بمكة ـ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.

١١٢) الجبيد : عبد الله حامد محاضرات فى تاريخ دول الطراز الإسلامى لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا التاريخية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٤٠٤ هـ.

١١٣) عطوة : محمد المسلمون فى أوغندا يواجهون الفقر والتبشير والصهيونية فى مجلة الفكر الإسلامي ـ شعبان ١٤٠٥ هـ.

١١٤) عبد ربه : سعد زغلول الإستعمار الألمانى فى شرق أفريقية " ١٨٨٤م ــ ١٩١٨م " رسالة دكتوراه غير منشورة فى جامعة الأسكندرية.

١١٥) عبد العزيز : نوال على محمد العر فى شرق أفريقية ،من القرن الثامن الميلاد حتى تدخل البرتغال فى القرن الخامس عشر الميلادى رسالة ماجستير لم تنشر ١٩٨٠م ،فى جامعة القاهرة تحت رقم ٧٠٩ قسم التاريخ.

١١٦) محمد : محمد سيد سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليزوالألمان في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ،العدد الثاني جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ مايو ١٩٧٨م .

١١٧) محمد : محمد سيد المديرية الإستوائية ١٨٦٩ - ١٨٨٩م مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي العدد السادس ١٤٠٣ / ١٤٠٤ هـ.

١١٨) محمد : محمد سيد أوغندة قبل الحماية البريطانية مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية السنة الثالثة ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ العدد الثالث.

١١٩) تقرير عن جهود الرابطة لدعم الإسلام لمواجهة الحركات المعادية للإسلام فى أفريقية إعداد : إدارة مواجهة التنصير والتيارات الهدامه برابطة العالم الإسلامي.

١٢٠) محمد : عبد الله نجيب أهداف المسيحية العالمية فى أفريقية فى ملة الأزهر - السنة الثامنة والخمسون الجزء العاشر - شوال ١٤٠٦ هـ يونيو / يوليو ١٩٨٦م.

١٢١) محمد : عبد الله نجيب حصاد الدعوة الإسلامية فى وسط أفريقية فى مجلة الأزهر - الجزء الثاني ،السنة التاسعة والخمسون - صفر ١٤٠٧ هـ أكتوبر ١٩٨٦م.

١٢٢) محمد : عبد الله نجيب ظاهرة التوفيق التدريجي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الإفريقية المحلية فى مجلة منبر الإسلام ،العدد الخامس ، السنة الثالثة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ فبراير ١٩٨٥م.

١٢٣) محمد : عبد الله نجيب الحرب على العربية فى أفريقية فى مجلة منبر الإسلام بالقاهرة العدد الثامن السنة الرابعة والأربعون شعبان ١٤٠٦ هـ إبريل ١٩٨٦م.

١٢٤) مرقص : جرجس عريان التنافس بين البعثات التبشيرية فى أوغندا وأثره على إستعمارها فى الفترة من ١٨٧٤م ــ ١٨٩٦مرسالة ماجستير لم تنتشر بعد ،القاهرة ١٩٧٥م فى معهد البحوث والدراسات الإفريقية تحت رقم ١٤.

١٢٥) مؤلف مجهول :تاريخ الزنج فى مجلة نهضة أفريقية عدد ١٢ ، ١٣ لسنة ١٩٥٨م.

١٢٦) مكاوى : فوزى مملكة أكوم " رسالة دكتوراه غير منشورة " ، فى معهد الدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ١٩٧٤م.

سادسا : الوثائق الاجنبيــة :

أ) أرشيف السجلات البريطانية العامة :

Public Record Office

Files Nos

F.0 .403 / 127

F.0 . 403 / 368

F. 0 . 403 / 396

F . 0 . 84 / 1454

F . 0 . 84 / 1923

F. 0 . 84 / 1815

F . 0 . 84 / 1676

F . 0 . 84 / 2255

F . 0 . 403 / 332

F . 0 . 84 / 1775

F . 0 . 84 / 1854

F . 0. 84 / 2061

F. 0 . 84 / 2264

F . 0 . 84 / 1776

F .0 . 84 / 1968

F . 0 . 84 / 1575

F . 0 . 404 / 93

ب) أرشيف جمعية الكنيسة التنصيرية :

Church Missonary Society :

<u>Files Nos</u>

C . M . S . 1888/424

C . M . S . 1890/6

C . M . S . 1898/63

C . M . S . 1896/127

C . M . S . G 3 A5/02

C . M . S . 1897/236

C . M . S . 1900/31

C . M . S . 1910/17

C . M . S . A5/ 017

C . M . S . 1919/53

C . M . S . 1895/44

ج) الارشيف العمومي لحكومة كينيا :

Kenya National Archives :

<u>Files Nos</u>

K.N.A. MAA7/399

K.N.A. MAA/436

K.N.A.CP.3/290

K.N.A. Ed .1/431

K.N.A. Ed.1/1212

K.N.A Ed. 1/936

K.N.A. MAA7/406

K.N.A. Ed.1/670

K.N.A Ed.1/529

K.N.A Ed.1/3307

سابعا : الصادر الاجنبيـــة :

1) Ashe, R , P. : Chronicles Of Uganda , London , 1894.

2) Attwater , D : The white Fathers in Africa, London 1937.

ثامنا : المراجـــــع الاجنبية :

1) Badmore, G , : Africa Britain's third Empire. London , 1948.

2) Pearce. Z. : The Island Metrepolis of Eastern Africa. London 1920.

3) Bierman, : Ahort History Of the Vicariate of the Upper Nile, Vganda, Kempala, 1921.

4) Seetham, T.A. : Chritianity and the New Africa, Ne York, 1947.

5) Seursem,G. : Dector in Africa, 1916.

6) Sudge. E,A. : A Hitory of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, vol 1. London 1928.

7) Burton : Zanzibar, City I land and Coast, vol 11 London 1886.

8) Batten, T,R. : Africa, Past and Present London , 1943.

9) Coupland, R., :The Exploitation of East Africa " 1856-1890 " New York 1947.

10) Coupland, R.,: The Britih Anti-Slavery Movement. London, 1938.

11) Coupland,R., : East Africa and It Invaders From the Earliet Times to the Death of Seyyid Saidin 1856.Oxford 1938.

12) Dundas , : Killmanjaro and its people, London 1924,

13) Dudoli, H., : Repertoire Africain, Rone 1932.

14) Charles , E., : East Africa Protectorate, London 1905.

15) Gregory.J.W: The Foundation of British East Africa, New York, 1901.

16) Groves, R. , : The Plantine of Christianity in Africa, vol 11 London, 1948.

17) Johnston, H.: Britain Across the Seas Africa. London, 1910.

18) Harrison, P. : Dector in Arabia , London 1943.

19) Hassan, . F : The tuntitutiun of The Mombasa Registered Trutees, Mombasa 1946.

20) Hichens, W. : Islam to-day, London 1942.

21) Hetherwick,A,: Islam and Christianity in Nyassaland, London, 1927.

22) Hoton, S,. : The Missionary Camaign, London, 1912.

23) Hatchad, A,: The Church Missionary intelligence and Record, A Monthly Journal of Missionary in Formation, vol, V11, London 1882.

24) Ingrams, H. : Uganda, A Crisis of Nation nood, London , 1940.

25) Kenyatta, K. : Facing Mount Kenya, London 1938.

26) Krap, L, : Travels and Miionary Labours in East Africa, London 1860.

27) Livingstone, D.: Expedition to Lake Nyassa in 1861.

28) Kum, H., : African Missionary Heroes and Heroines, New York 1917.

29) Livingtone, : Law, London 1865.

30) Lovett, R.,: A History of the London Missionary Society, London , 1899.

31) Lugard , : The Rise of Our East Africa Enpire, vol 11. London 1893.

32) Lyne, R., : Ashort History of Southern East in the Ninteenth Century , London, 1905.

33) Mackay, A.: Mackay of Uganda by hi sister, London 1890.

34) Matthe, B, : Young Islam and Trek, London 1927.

35) Murray, : A Hand Book of Nyassland, London 1932.

36) Monroe, P, : The Moslem world of to-day London 1925.

37) Morshead,A,E, : The Hitory of the universities Mission to central Africa, 185-1909, London 1909.

38) New : Wandering and Labours to Eastern Africa,London 1873.

39) Sophia, F.: Uganda's White Man of Work, New York 1913.

40) Stock, E, : The History of the Church Mission ary society, 3vols., London 1899.

41) Stock, S.G, : Missionary Heroes of Africa, London 1898.

42) Strong , A,: Hitory of Kilwa, Journal of the Roual Asiatic society, London 1885.

43) Smith, E. W.: The Christian Mission in Africa, London 1926.

44) Smith,H.M., : Frank, Bishop of Zanzibar, Life of Frank weston, 1871-1924, New York 1926.

45) Swann, A. J.,: Fighting the slavel Hunters in Central Africa, London 1910.

46) Thomas and Scott : Uganda , London 1935.

47) Tucker , A. B. : Eighteen Years in Ugands and East Africa, 2 vols., London 1908.

48) Wallis, H.R. : The Hand Book of Uganda, London, 1920.

49) Warner, : A Swahill History of Pate, London 1913.

50) Wilson, G.H.: The Hitory of the universities Mission to central Africa , London 1935.

51) Zwemer, M.: Evangelism To-day : Message not Method. London 1912.

52) Thomson. J. : The Narrative of the Royal Geographical Society's East central Africa Expedition, 2vols, London 1881.

53) Apter, D.E.: The Political Kingdom of Uganda, New Jersy 1961.

54) Anderson, W,S,: The church in Eat Africa, 1840-1974.

55) Anderson , : A Brief Account of Christianity in Tazania, Uganda- 1975.

56) Ayot.H.O. : Topic in East African Hitory 1000-1970. Kenyatta Univerity 1975.

57) Boiton, K.: The Lion and the lily Aguide to Kenya, London, 1962.

58) Posnanky, M.: Islam and the Early Christian Missions in Uganda, 1844-1910, Uganda, 1910.

59) Pirouet, M,L. : The First War-An Opportunity Missed by the Mission, December 1969.

60) Chittick, : The East Coast, Madagascar and the Indian Ocean in cambridge Hist. of Africa.

61) Emeron , R. : From Empire to Nation. Harvard 1960.

62) Erik Sahiberg, C. : Achurch History of Tanzania, Kenya, Naiobi 1986.

63) Fage . K. : A Hitory of Africa , Lodon , 1979.

64) Fitzgerald,W.: Africa , A Social, Economic and Political Geography of it Magor Regions, London 1955.

65) Grenville, F : The Medieval History of the Coast of Tanganyika, London 1962.

66) Gray : Trading Expedition From the Coat, Dar- essalaam 1957.

67) Hanna, A, J.: The Beginnings of Nyasaland and North Eastern Rhodesia, 1859-1895. Oxord - 1956.

68) Hailey : An African Survey , London 1957.

69) Holling sworth, L, W. : Zanzibar under the foreign office, 1890-1913. London. 1953.

70) Hansen, H.B.: Mission , church and state in a colonial setting uganda , 1890 - 1925.

71) Hodges , M.: East African History or the certificate year, London , 1971.

72) Hassan, , F.: The tunstit utiun o the Muslim Association, Mombasa regitered Trutees, Mombasa , 1946.

73) Harlo, vi : Hitory o East Africa, 2 vols., Oxord, 1965.

74) Ingham, k,: A Hitory of East Africa, New York, Washington.

75) Ingham, k, : The Making of Modern Uganda, London 1958.

76) Kamm, J. : Explorer into Africa , London.

77) Kelly, D.N. : Early christian Doctrine, London 1958.

78) Kinghall, R.: The Year Book of Education, London 1956.

79) Kittler, G : The white Fathers, London 1957.

80) Knappert, J.: Swahill Islamic Poetry , vol 1, London 1971.

81) Kigging , T. : Aserving people, Oxford, 1974.

82) Kasozi,A. : The spread of Islam in Uganda, Khartoum 1987.

83) Kavlu , D. : The Uganda Martyrs, Uganda 1989.

84) Kakai,J. : An Attempt At Fostering Mutual and erstanding Between Christoans and Muslim, Kenya, 1980.

85) Loftus, E. : A Visual Hitory of East Africa, London.

86) Low, D. : History of East Africa, 3 vol., Oxford 1976.

87) Mahmud ,S.: Christian Missions and Western Ideas in Syrian Muslim Writer 1918-1960, London 1968.

88) Mukherjee, R.: The problem of Uganda, Berlin 1956.

89) Miles , S, B, : The Count ries and Tribes of the persian Gulf, London 1966.

90) Marsh, Z, and , King snorth , G. : An Introduction to the History of East Africa, Cambridge 1961.

91) Mbiti , S, : Kenya Churches Hand Book , Kenya 1973.

92) Oliver , R. : The Dawn of Africa History , London.

93) Oliver, R. : The Misionary Factor in East Africa, London 1952.

94) Oliver, R. : Some Factors in the British Occupation of Eas Africa, 1884-1894, Uganda Journal vol XV March 1951.

95) Oliver, R, and Mathew, G. : The History of East Africa, 2 vol., Oxford 1960.

96) Okoth, A. : A Hitory of Africa, 1855- 1914, Kenya 1979.

97) Ramda, R. : Revision History , Paper 1, History of East Africa, Nairobi.

98) Sikkery, A. : Africa , A Social Geography , London , 1973.

99) Shadem , R. : King leopoid's Congo, London 1962.

100) Salim , A.I. : Swahill speaking people of keny's Coast, 1895- 1965, Nairobi 1973.

101) Ssekamwa, J.C. : A Sketch Map-History of East Africa, London 1971.

102) Strayer , R. W. : The Making of Mission Communities in East Africa , Anglicans Africans in Colonial Kenya, 1875-1935. New York Press 1978.

103) Taylor, J. : The Growth of the Church in Buganda, London, 1958.

104) Tuna, T. : A Century of Christianity in Uganda, 1877-1977. Phares Mutibwa 1976.

105) Trimingham, S. : Islam in Ethiopia , London 1976.

106) : Islam in East Africa, Oxford 1964.

107) Tuna , T. : Building Augandan Church 1891-1940. Nairobi 1980.

108) Tenu, A. J.: British Protestant Missions, Dar-es-Salaam 1972.

109) Wrigh, M.: German Missions in Tanganyika, 1891-1941, Oxford 1971.

110) Ziwa-Kizito, M. : The Revival of Islam in Uganda, Kampaia, Uganda.

تاسعا : الدوريات الاجنبية :

111) The Standard , Kesuy, 3.8. 1988,

" Mwembe, k. : The is land that resisted change ."

112) The Shariat KampalamZulkaada 1408 (July 1988,

Dr. Kiyonga presents the Toughest budcet in Upanda History .

113) Spencer , Leonpharr :

Chridtion Missions and Africa Interests in Kenya, 1905- 1924.

Submitted in partial fulfillment of the reauirements for the degree of Doctor of Philoophy in History in the Graduate school of Syracus University , New York, November 1974.

114) Kenya Institute of Ilamic Education.

Religiou Education

Nairobi 1988.

) Daily Telegraph , 15 November 1875, Letter from Stanley on his Journey to victoria Nyanz and Circumnavigation of the Lake, British Museum .

116) To The Point Inter National London 23.5.1977.

الفهـــــــرس